

مجلة آداب جامعة ذي قار

العدد ٣٣ القسم الثاني

لسنة ٢٠٢٠



**Journal
Arts Thi Qar**

No.33, Section 2

for 2020

مجلة كلية الآداب فصلية علمية محكمة

ISSN Print: 2073- 6584 : الترميم المعياري

ISSN Online: 2709- 794X : الترميم المعياري

العدد ٣٣ / القسم الثاني لسنة ٢٠٢٠

جمهورية العراق - ذي قار - جامعة ذي قار - كلية الآداب

موبايل: ٠٠٩٦٤٧٧٠٧٠١٢١٦٦

Email: majeedmutashar@utq.edu.iq

Website: jart.utq.edu.iq



دعوة

تدعوا مجلة آداب ذي قار العلمية المحكمة
الباحثين الى الكتابة في

محور

وتتكفل المجلة باجور النشر للباحثين المشاركين وعرض البحوث على الخبراء
واصدارها في كتاب ترسل البحوث على البريد الالكتروني:

Email: majeedmutashar@utq.edu.iq

أ.د. مجيد مطشر العامر

تعليمات النشر

ترحب هيئة تحرير مجلة آداب ذي قار بإسهامات الباحثين داخل البلد وخارجه، وهي تستقبل البحوث العملية

الانسانية، ويتم النشر فيها بعد تقويم البحث علمياً من هيئة التحرير خبراء معتمدين مشهود لهم بالكفاءة العلمية

وتعتذر المجلة عن استقبال البحوث التي لا تخضع للضوابط الآتية:

١. يثبت عنوان البحث في الصفحة الاولى، وأسم الباحث ومكان عمله والبريد الالكتروني.

٢. يطبع البحث على وجه واحد من كل ورقة ولا تتجاوز الصفحات (٢٠ صفحة) .

٣. تجمع هوامش البحث في نهايته مثل المصادر والمراجع.

٤. تسلم المجلة ثلاث نسخ ورقية ويكون قياس الصفحة (١٨ x ٢٤,٥) مع قرص مرن.

٥. تنقل الجداول والمخططات والرسوم والخرائط والصور إلى نهاية البحث قبل الهوامش وتثبت على شكل ملاحق ويشار إليها في المتن.

٦. ينبغي أن لا يكون البحث قد نشر سابقاً.

٧. يتم إعلام الباحث بقرار هيئة التحرير بقبول النشر خلال مدة (٢٠ يوماً).

٨. البحوث المنشورة لا يجوز إعادة نشرها إلا بموافقة خطية من رئيس التحرير.

٩. البحوث لا تعاد إلى الباحثين سواء نشرت أم لم تنشر.

١٢. يتحمل الباحث المسؤولية القانونية والاعتبارية في حال ظهور نقل أو اقتباس لم يشر إليه.

١١. تنشر البحوث وفقاً لرأي هيأة التحرير.

١٢. تعاد البحوث إلى أصحابها لإجراء التعديلات المقترحة.

١٣. أجور نشر البحث تخضع للضوابط الوزارية وحسب المرتبة العلمية للمدرس

المساعد والمدرس (٧٠٠٠٠٠) ألف دينار عراقي وللأستاذ المساعد (٩٠٠٠٠٠) ألف دينار

عراقي وللأستاذ (١٠٠٠٠٠٠) دينار عراقي وللباحثين العرب (١٢٠) دولار لكل

الدرجات العلمية

هيئة التحرير

- ١- ا.د هيثم عباس سالم رئيس التحرير
- ٢- ا.د مجيد مطشر عامر مدير التحرير
- ٣- ا.د حسام جميل النايف عضو
- ٤- ا.د اسماعيل يوسف اسماعيل عضو
- ٥- ا.د زهور محمد شتوح عضو
- ٦- ا. محاضر غزلان عبد الكريم هاشمي عضو
- ٧- ا.د عبد الرزاق احمد النصيري عضو
- ٨- ا.د حسين عبود الهاللي عضو
- ٩- ا.د سالار علي خضر عضو
- ١٠- ا.د خالد شاكر حسين عضو
- ١١- ا.د مهند عبد الرضا حمدان عضو
- ١٢- ا.د جاسب كاظم عبد الحسين عضو
- ١٣- ا.م. د علي حاكم صالح عضو
- ❖ ا.م.د حيدر محمد رحم المصحح اللغوي للعربية:
- ❖ د. أحمد جبير كريوش المصحح اللغوي للإنكليزية:
- ❖ م.م أزهر نور عبد الدعم الفني

يشكل العصر الحالي انعطافة مهمة في مسيرة مجلة آداب ذي قار، إذ تمكنت
المجلة من استقطاب باحثين كبار في مجال العلوم الانسانية تقاسموا الكتابة
فيها أو الاشراف على مسيرتها العلمية بوساطة وجودهم في الهيئة
الاستشارية، واذ امتد فضاء الهيئة الاستشارية الى مختلف الجامعات العالمية،
ويوازي هذا الانتشار العلمي جودة في البحوث المنشورة وجمالية في التنضيد
والطباعة والاخراج، فضلا عن سعي هيئة التحرير الى استصدار كتاب سنوي
يتضمن البحوث التي فيها ابتكار وجودة ومواكبة للقضايا الآنية وتحاول هيئة
التحرير اجترار محاور تخصصية للكتابة فيها وتشجيع الباحثين على الانخراط
في مواكبة الحداثة واستيعاب تطوراتها، ولم يكن هذا لولا دعم عمادة كلية
الآداب .

أ. د مجيد مطشر العامر

مدير التحرير

الفهارس

ت	عنوان البحث	اسم الباحث	الجامعة	الدولة	الصفحة
محور الدراسات التاريخية					
١	الإقطاع في لواء المنتفق في العهد العثماني الأخير ١٨٦٩-١٩١٤	د. علي عطية كامل م. م دعاء ثامر حسن	ذي قار	العراق	١٦-١
٢	المخطوطات وأهميتها في دراسة التاريخ الاسلامي	م.م افراح رحيم علي	ذي قار	العراق	٣٣-١٧
٣	المساعدات الاقتصادية والعسكرية الأمريكية للاوس ١٩٥٤-١٩٦٣	م.م. محمد حسن عبيد	ذي قار	العراق	٥٧-٣٤
٤	فاروق الشرع ودورة السياسي في سوريا (1938 - 1992)	ا.د صالح جعيول جويعد م.م. رؤى وحيد عبد الحسين	ذي قار	العراق	١٠٦-٥٨
٥	موقف حكومة الهند البريطانية من نشاط المكتب العربي في بلاد ما بين النهرين	أ.م.د حسام علي محسن	ذي قار	العراق	١٢١-١٠٧
محور اللغة العربية					
٦	اجتماعية اللغة دراسة في رواية أفراح القبة لنجيب محفوظ	أ.م. د محمد عبد كاظم	البصرة	العراق	١٤٢-١٢٢
٧	المتعاليات النصية في شعر حسب الشيخ جعفر (نخلة الله اختياراً)	أ.م.د. علي هاشم طلاب	المتنى		١٧١-١٤٣
٨	النقد الأدبي والأنساق اللسانية النصية قراءات في مسارات التنظير والتطبيق	د. حسن حماني د. بن الدين بو خولة	مكناس كلية الآداب واللغات	المغرب الجزائر	١٨٧-١٧٢
٩	تجليات الحداثة في شعر فروغ فرخزاد، ونازك الملائكة (دراسة مقارنة)	أ.م.د. فلاح حسن عباس	ذي قار	العراق	٢١٢-١٨٨
١٠	قراءة جديدة في حوارية ابن عباس مع نافع بن الأزرق	م.د هادي غالي رضا الدخيلي	ذي قار	العراق	٢٣٥-٢١٣
محور الدراسات الاجتماعية					
١١	البحث العلمي ودوره في تحقيق التنمية الشاملة - المعوقات والمعالجات	م. د. محمد عبد الله محمد		العراق	٢٥٢-٢٣٦
١٢	الطلاق.. أسبابه ونتائجه: دراسة اجتماعية ميدانية في مدينة الناصرية	د. عدي بجاي شبيب	ذي قار	العراق	٢٩١-٢٥٣
١٣	جرائم ذوي الياقات البيضاء في العراق ((جرائم السياسيين الاداريين انموذجاً))	أ.م.د. وعد إبراهيم	الموصل		٣١٠-٢٩٢
محور الدراسات الاعلامية					
١٤	القيم الجمالية في مسرحية هاملت لشكسبير في ضوء المنهج الهيغلي	م.د فيصل عبد عودة	ذي قار	العراق	٣٣٤-٣١١
١٥	وظيفة اللقطات في البرامج التلفزيونية الرياضية	د. فاضل جتي سلمان	بغداد	العراق	٣٦٠-٣٣٥

The Feudalism in the Muftaq Brigade in the last Ottoman Period 1869-1914

الإقطاع في لواء المنتفق في العهد العثماني الأخير ١٨٦٩-١٩١٤
د. علي عطية كامل
م. م دعاء ثامر حسن

Abstract:

The land in the Muntafiq Brigade has been subjected to its own situation. Since most of the land is owned by individuals Who have no connection to the land. The actual administrators are People Who did not own the land and did not commit to it. They hold their rights to the land on the basis of housing and disposition and Provide evidence and evidence of its legitimacy. indicating the custom and more than is based on the laws and this led to the occurrence of disputes on the ground as it came to the fact that the actual conductors of the land prevent the owners to build houses for their housing in these territories. When Medhat Pasha came to the Mandate of Baghdad in 1869 he Worked to settle the tribes and Move the nomads to new areas and replace the nomads with Stable gatherings. The aim Was to destroy the tribal system by abolishing the Collective ownership of the land and turning it into an individual Property through the delegation of land. To dedicate feudalism in the brigade.

المخلص:

خضعت الأراضي في لواء المنتفق إلى وضعية خاصة , إذ إن اغلب أراضيها يمتلكها أفراد لا علاقة لهم بالأرض , أما المتصرفون الفعليون فيها فهم أشخاص لم يمتلكوا الأرض ولم تمنح لهم باللزامة , ويتمسكون بحقوقهم بالأرض على أساس السكن والتصرف ويقدمون البراهين والأدلة على مشروعيتها , وحين كان ادعاء هؤلاء مبنياً على العرف والعادة أكثر مما هو مبني على القوانين , وهذا ما أدى إلى حدوث منازعات حول الأرض , إذ وصل الأمر إلى أن المتصرفين الفعليين بالأرض يمنعون الملاكين من بناء دور لسكنهم في هذه الأراضي. وعند مجيء مدحت باشا لولاية بغداد عام ١٨٦٩ عمل على

توطين العشائر ونقل البدو إلى مناطق جديدة واستبدال الرحل بتجمعات مستقرة , إذ كان يهدف من وراء ذلك تحطيم النظام القبلي من خلال إلغاء الملكية الجماعية للأرض وتحويلها إلى ملكية فردية عن طريق تفويض الأراضي , والسياسة التي اتبعتها الدولة العثمانية هي لتكريس الإقطاع في اللواء .

المقدمة:

بعد سيطرة العثمانيين على العراق في عام ١٥٣٤ , ابقوا فيه النظم والقواعد المتبقية من العهد الإسلامي فيما يخص التصرف بالأراضي , إلا أنهم استحدثوا فيه الإقطاع العسكري , وعدوا أراضي العراق أراضي أميرية ملكاً للدولة , لذا أصدرت الحكومة العثمانية العديد من القوانين منها قانون الأراضي عام ١٨٥٨ , وقانون الطابو عام ١٨٥٩ , اللذين يعدان بداية العمل الذي قامت به الدولة العثمانية لإرساء قواعد الإقطاع , حيث اثبتا مع الأيام إنهما لم يحولا دون نشوء طبقة جديدة من الإقطاعيين من أصحاب الأراضي الأميرية الواسعة.

عند مجيء مدحت باشا لولاية بغداد عام ١٨٦٩ , أهتم بتوطين العشائر وإقامة نظام ملكية الأرض من خلال نقل البدو إلى مناطق جديدة واستبدال الرحل بتجمعات مستقرة يمارسون ويخضعون إلى إدارة الدولة , إذ كان هدفه من ذلك تحطيم النظام القبلي بإلغاء الملكية الجماعية للأرض والتحريك نحو الملكية الفردية لكي يصبح الفرد مسؤولاً أمام الحكومة مباشرة دون وساطة شيخ القبيلة , وبذلك تم إلغاء سلطة الشيخ في الأراضي لعشائره بموجب نظام الطابو وبهذا تم إلغاء الملكية الجماعية وظهر ما يعرف بالملكية الفردية (الإقطاع) , وبالتالي أدى ذلك إلى حدوث منازعات حول الأراضي , إذ وصل الأمر إلى إن المتصرفين الفعليين بالأرض يمنعون الملاكين من بناء دور لسكنهم في هذه الأراضي . وعلى هذا الأساس جاء البحث لتسليط الضوء هذه التطورات واقتضت المادة تقسيمها على محاور , جاء الأول لبيان مفهوم ونشأة الإقطاع , فيما خصص الثاني حول الإدارة العثمانية وسياسة الإقطاع في لواء المنتفق . أما الثالث فقد تناول موقف عشائر لواء المنتفق من سياسة الإقطاع , فيما جاءت الخاتمة بأبرز الاستنتاجات التي تم التوصل إليها في ضوء المصادر .

أولاً / مفهوم ونشأة الإقطاع :

ورد معنى قطيعة: أي في اللغة حسب ما جاء في لسان العرب بمعنى : (هو اقتطعت من الشيء قطعة , ويقال اقتطعت قطيعة من غنم فلان , والقطعة من الشيء : الطائفة منه . واقتطع طائفة من الشيء : أخذها , والقطيعة : ما اقتطعه منه واقطعني إياه : إذن لي باقتطاعها . واستقطعه إياها : سألهُ إن يقطعه إياها . واقطعه قطيعة : إي طائفة من أرض الخراج)^(١).

فالإقطاع تعبير يصف نظام حيازة الأرض والانتفاع بها مقابل الخدمة العسكرية , فقد ذكر البعض بأنه نظام لاستغلال الأرض قائم على الرق والسخرة , في حين يستخدمه البعض على أنه نظام ملكية الأرض يقوم على أساس شكل من أشكال العلاقة الشخصية بين مالك الأرض وزراعتها , فجوهر الإقطاع فيما يتعلق بالأرض هو تقسيم الأراضي الزراعية الداخلية من وحدة اقتصادية إلى وحدات صغيرة , يقوم الفلاحون بزراعتها لحساب مالك الوحدة الكبرى بقوة وبأدواتهم ويحصلون منها على حاجات معيشتهم^(٢).

عند دخول العراق تحت ظل الحكم العثماني في الثلاثين من كانون الأول عام ١٥٣٤^(٣), سار العثمانيون على نهج المسلمين, فاعتبروا الأراضي الأميرية^(٤) ملكاً للدولة. إلا أنهم استخدموا أسلوباً جديداً للتصرف بالأرض, اتخذ شكل منح أو إقطاع أراضي الدولة لقاء الخدمة العسكرية في الجيش العثماني^(٥). وكانت التشكيلات العسكرية لدى الدولة العثمانية مرتبطة بإدارة الأراضي, إذ كانت إدارة الأرض وتقسيمها هي التي تزود التشكيلات العسكرية بقوتها المادية والمعنوية, لذا كانت كل أيلة^(٦), مسؤولة عن الشؤون العسكرية فيها, وبدورها تقسم على ثلاثة أنواع هي: خاص, تيمار, زعامات^(٧), لذا ظهر ما يعرف بالملتزمين الذين كانوا يلتزمون قسماً من الأراضي لجمع الضرائب من الفلاحين بعد تعهدهم بدفع نسب من الأموال للإقطاعي, واستمر العمل بالالتزام إلى إن جاء (خط شريف كولخانة)^(٨) عام ١٨٣٩, ليعلن عن إلغاء الالتزام واستبدال جباية الضرائب بواسطة موظفين نظاميين يتولون عملية جبايتها, ثم تبع هذا القانون إصدار قانون الأراضي في ٢١ نيسان عام ١٨٥٨, الذي اعتمد في مواده على الشريعة الإسلامية والعرف فضلاً عن النظم الأوربية كالقانون البروسي والفرنسي والانكليزي^(٩), إلا إن أهم ما امتاز به القانون هو انه صنف الأراضي أصنافاً مختلفة وهي^(١٠):

- ١- الأراضي المملوكة: وهي الأراضي التي يكون حق التملك فيها مطلقاً ويخضع هذا الصنف من الأراضي لإحكام القوانين الشرعية وليس لإحكام القوانين المدنية.
 - ٢- الأراضي الأميرية: وهي الأراضي التي تكون ملكيتها المطلقة بيد الدولة, أما حق التصرف فبيد الفرد.
 - ٣- الأراضي الموقوفة: وهي الأراضي المخصصة لتحقيق الأغراض الريفية.
 - ٤- الأراضي المتروكة: وهي المخصصة لبعض الأغراض العامة, مثل الأنهر والطرق والمراعي.
 - ٥- الأراضي الموات: وهي الأراضي التي لاتصلح للزراعة.
- أدى هذا القانون إلى ظهور طبقة جديدة من الإقطاعيين من أصحاب الأراضي الأميرية الواسعة^(١١), إذ يعد بداية العمل الذي قامت به الدولة العثمانية لإرساء قواعد الإقطاع بشكله الجديدة الذي يتلاءم مع الحفاظ على كيان الدول العثمانية وتأمين حكم سلاطينها^(١٢).
- ثم تبع هذا القانون إصدار نظام الطابو^(١٣) في ١٣ كانون الثاني عام ١٨٥٩ الذي جوز تعليماته تعويض الأراضي الزراعية ببديل إلى الأشخاص المتصرفين فيها مع إبقاء الرقبة لبيت المال, كما نص على عدم الاعتراف بأي سند يثبت حق التصرف بالأراضي الزراعية^(١٤), وقد جاءت مواد نظام الطابو الـ (٣٣) لتضع أمر تسوية الحقوق المتعلقة بالأراضي وتصديقها على أساس اصح من القانون الذي سبقه (قانون الأراضي)^(١٥) وبموجب هذا القانون تم استحداث نظارة الدفترخاقاني^(١٦) لإصدار سندات الطابو لأشخاص مقابل تقديم المستفيدين مبلغ من المال يدفع فوراً^(١٧).

مما لاشك فيه إن الأوضاع في المناطق العشائرية كانت تتحكم فيها الروابط القبلية والولاء لشيخ القبيلة, إما الحكومة فقد كانت تؤدي دوراً محدوداً في هذه الحياة, ومن ثم كان نفوذ القبيلة أقوى بكثير من نفوذ الدولة, لاسيما في المنتفق التي كانت منطقة عشائرية تتكون من عرب الاهوار والمزارعين والفلاحين الذين يدينون بالولاء لأسرة (آل السعدون)^(١٨), المعترف بسيطرتهم قبلياً وحكومياً^(١٩).

كان نفوذ آل السعدون قوياً في لواء المنتفق لدرجة إن القبائل تخشى سلطتهم أشد من سلطة الحكومة العثمانية , كان العثمانيون يكتفون من آل السعدون بدفع الجزية . إذ كان شيوخ هذه الإمارة يلتزمون ديار المنتفق من الدولة العثمانية ببذل سنوي من النفوذ , وكان بدل الأرض يقدر بذمة الشيخ نتيجة مزايده تدعو إليها الحكومة فتسند المشيخة إلى من تراه ملائماً لمصلحتها وكان المتعهد بالمال يسمى شيخاً^(٢٠).

وبالتالي فإن هذه الإجراءات والقوانين التي أصدرتها الدولة العثمانية مهدت إلى ظهور الإقطاع في المنتفق.

ثانياً // موقف الإدارة العثمانية من سياسة الإقطاع في لواء المنتفق :

عندما جاء مدحت باشا^(٢١) لولاية بغداد في نيسان عام ١٨٦٩ , زود بسلطتين من الحكومة العثمانية مدنية والأخرى عسكرية في آن واحد , مما جعله يعمل على تطبيق وتنفيذ القوانين العثمانية بكل قوة , بعد إن وجد السلطة ضعيفة جداً ولا وجود لها , فأنشأ مجلسين لمساعدته في تثبيت سلطاته , الأول: مجلس أداري يتعامل مع الشؤون الإدارية والقضائية والمدنية , و الثاني مجلس عام للنظر في الشؤون المالية ثم وضع عدة موظفين وفي مقدمتهم مدير الدفتر خاقاني أي مدير تسجيل الأراضي^(٢٢).

كان على مدحت باشا عند تسلمه مقاليد السلطة التعامل مع فئتين من العشائر, الأولى : مستقرة في ظل الإقطاع وهم الفلاحون الذين كان ولاؤهم موجهاً للشيوخ بدلاً من الدولة العثمانية, إما الفئة الثانية فهي : العشائر البدوية التي كانت تشكل مصدر قلق مستمر للسكان والحكومة, بسبب غاراتها المتكررة على القوافل والمدن , لذا قرر مدحت باشا إتباع سياسة جديدة تضمن سياسة العلاقة بين العشائر والحكومة العثمانية, لذا اهتم بتوطين العشائر وإقامة نظام ملكية الأرض من خلال نقل البدو إلى مناطق جديدة واستبدال الرحل بتجمعات فلاحية مستقرة يمارسون الزراعة ويخضعون إلى إدارة الدولة^(٢٣). إذ كان هدفه تشجيع توطين العشائر بعد استقرارهم في الأراضي التي تفوض لهم القضاء على نزاعاتها حول الأراضي وتوجيه ضربة للنظام القبلي بإلغاء الملكية الجماعية للأرض وتحويلها إلى الملكية الفردية الصغيرة التي يصبح الفلاح بموجبها مسؤولاً أمام الحكومة مباشرة بدلاً من وساطة شيخ القبيلة^(٢٤).

طبق مدحت باشا سياسته هذه على أراضي لواء المنتفق خاصة , إذ كان الطابو يلغي سلطة الشيخ في منح الأراضي لعشائره , ويحدد العلاقة بين الفرد الدولة وبهذا يتم إلغاء الملكية الجماعية للأرض إي ملكية العشيرة^(٢٥).

وبسبب حرمان أفراد العشائر من حق ملكية الأرض , حدثت العديد من الاضطرابات والتحركات العشائرية لذا توصل مدحت باشا إلى فكرة تفويض الأراضي^(٢٦) الأميرية إلى مزارعها عن طريق تمليكها لهم بالطابو^(٢٧).

إلا إن الجهاز الحكومي الذي وضع لتسجيل الأراضي لم يكن أميناً في تطبيق القوانين بسبب الرشاوى والمحسوبية وعدم مسح الأراضي وتسجيلها بطريقة سليمة^(٢٨).

ولغرض إحكام سياسة مدحت باشا في المنتفق طلب من زعيم الإمارة ناصر السعدون^(٢٩) تأسيس متصرفية جديدة لمناطق سوق الشيوخ مع إعطاء لقب باشا بدلاً من الشيخ بعد إن يصبح موظفاً لدى الدولة العثمانية , لذا اتفق الطرفان على^(٣٠):

١- تأسيس متصرفية جديدة باسم متصرفية المنتفق , تكون برياسة أمير المنتفق ناصر السعدون , وجعلها متصرفية بدلاً من سوق الشيوخ في مقر المتصرفية السابق , وتسميتها (الناصرية)^(٣١) تيمناً باسم ناصر السعدون .

٢- تفويض الأراضي الأميرية وشراءها من الدولة وتسجيلها بسندات الطابو وتوطين ساكنيها من العشائر .

لذلك يمكن القول إن سياسة مدحت باشا كانت تقوم على أساس تفتيت أراضي اللواء إلى قطع صغيرة فحسب بل تم اللجوء إلى التقسيط الميسر على مدد زمنية بعيدة^(٣٢).

بعد ذلك تقدم الشيخ ناصر السعدون مع أفراد عائلته لشراء الأرض , فاشترى معظم الأراضي مغتتمين الفرصة لأنهم قدروا قيمة الأرض من غيرهم من أفراد العشائر الذين كانوا يرفضون الاستقرار وتملك الأرض تهرباً من الجندية والضرائب^(٣٣).

في ضوء هذه السياسة ترتب على أبناء العشائر إن يؤدوا حصة من إنتاجهم الزراعي تعادل حصة الحكومة من الضرائب وذلك جراء انفراد آل السعدون بملكية الأرض التي كانت أساساً تحت تصرف اتحاد عشائر المنتفق فقد أصبحت هذه العشائر في خط المواجهة مع السلطة من دون شيوخهم الذين تقلدوا وظائفهم وتلقبوا بألقابهم^(٣٤).

بالتالي أسهمت سياسة (فرق تسد) التي اتبعاها مدحت باشا في القضاء على أسرة آل السعدون وذلك بعدة أساليب منها تملك بعض أفراد هذه الأسرة مقاطعات كبيرة في الأراضي وفق نظام الطابو وجعلها ملتزمة لأراضي المنتفق , وتجمع الضرائب إليها مقابل دفع جزء منها للدولة العثمانية , مع حرمان بعض الأفراد من الأراضي ثم أضافت الدولة العثمانية لزعامه هذه الأسرة ميزة أخرى إلا وهي جعلهم مفوضين من قبلها وبالتالي أصبح أفراد العشائر فلاحين لدى شيوخها^(٣٥).

أما في مدة حكم الوالي رؤوف باشا (١٨٧٢-١٨٧٣) , وفي عهد الولاية الذين أعقبوه لم تنفذ عملية تفويض الأراضي بالطابو بصورة مطلقة بوصفها سياسة تهدف إلى توطين العشائر وربطها بالأرض , فقد كانت مساحات بعض الأراضي تعلن بالمزايدة العلنية فيقدم على طلبها شيوخ العشائر فقط , وأغنياء المدن من التجار والموظفين , إذ تقدم آل السعدون وفي مقدمتهم الشيخ ناصر السعدون وتفوضوا الكثير من الأراضي والمساحات التي كانت تتصرف بها العشائر , حيث تفوض الشيخ فهد السعدون^(٣٦) أراضي تقطنها العشائر في الغراف تبلغ مساحتها حوالي نصف مليون دونم^(٣٧).

من جانب آخر قام الولاية العثمانيين بعد مدحت باشا بتفويض الأراضي إلى كبار الموظفين ورجال الجيش وكان السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩)^(٣٨) على رأس من تفوض أراضي في العراق , وقد عرفت بالأملاك السنوية^(٣٩) التابعة إلى الخزينة الخاصة المرتبطة بالسلطان مباشرة^(٤٠).

بالتالي كان ظهور العوائل الإقطاعية التي تمتلك إقطاعاً كبيراً من الأرض بمثابة النواة الأولى لظهور الإقطاع التقليدي في العراق بصورة عامة والمنتفق بصورة خاصة. وبداية تفكك نظام العشائر من الداخل. ولاسيما بعد نشوب نزاع بين آل السعدون المالكيين الرسميين للأراضي والفلاحين المتصرفين بها الذين تشبثوا بحقهم في الأراضي^(٤١).

كانت الهيمنة لآل السعدون إذ استطاعوا شراء مساحة واسعة من الأراضي، في وقت كانت الحكومة ترغب الأهالي في شراء الأراضي الزراعية، إلا أنها لم تجد من يشتريها خوفاً من الضرائب والتجنيد الإلزامي. لذلك انتهاز آل السعدون الفرصة واشتروا الأرض بثمن بخس سواء بالاستحواذ أو بالسيطرة ملكاً لهم وقاموا بتأجيرها على الفلاحين وهذا ما قوى سيطرتهم^(٤٢).

لذلك أصدرت الحكومة العثمانية قانوناً في عام ١٨٩٢ جعلت فيه ملكية الأراضي تعود للدولة وحدها، ولها حق تأجيرها حسب رغبتها دون مشاركة أي طرف آخر^(٤٣).

يمكن القول كان لهذه السياسة العثمانية تجاه أراضي لواء المنتفق أثر بالغة الأهمية، لاسيما ظهور الإقطاع وسيطرة واستحواذ الإقطاعيين على النشاط الاجتماعي لأبناء هذا اللواء وفي كافة المجالات.

ثالثاً: موقف عشائر المنتفق من سياسة الإقطاع :

كان طبيعي جداً إن تحصل ردود فعل من قبل عشائر المنتفق ترفض سياسة التفويض للأراضي الزراعية التي كان يعدونها ملكاً لهم، خصوصاً بعد إن أصبح عليهم إن يؤدوا مقداراً من إنتاجهم الزراعي في كل عام تعادل حصة الحكومة ومقدارها يبلغ ٢٠٪ من الإنتاج تعرف ب (الملكية)^(٤٤).

بدأت العشائر تحركاتها الرافضة لسياسة الإقطاع في عام ١٨٧٧ عندما شعرت إن الوقت مناسب وذلك بعد نفي السلطات العثمانية الشيخ ناصر السعدون عن إمارة المنتفق والبصرة بعد تعاضم نفوذه، وكذلك انشغال الدولة العثمانية بحروبها مع روسيا^(٤٥). لذلك أعلنت العشائر عن امتناعها عن دفع الضرائب وأشهرت السلاح بوجه آل السعدون الذين اضطروا إلى الهرب^(٤٦).

لم يستقر الوضع في المنتفق وواصلت العشائر امتناعها عن إعطاء الضرائب المفروضة عليها حتى أنها اصطدمت مع قوات عسكرية أرسلتها السلطة العثمانية عام ١٨٨٠ لإخضاع عشائر المنتفق^(٤٧). ولم تكتفي السلطة العثمانية بذلك بل أرسلت قوات عسكرية لأغلب المناطق القريبة من المنتفق للحد من انتشار التحركات العشائرية التي أخذت تقطع أسلاك التلغراف وتحاصر الجنود العثمانيين الموجهين في المنتفق الذي بلغ عددهم حوالي (١٥٠٠) جندي^(٤٨).

أرادت عشائر المنتفق في هذا الوقت إلحاق هزيمة كبيرة بالقوات العثمانية المتواجدة في مناطقها من خلال التحالف فيما بينها , وكادت إن تنجح في خطتها لو لا الخيانة التي حدثت من بعض العشائر التي نقلت تحالفها مع القوات العثمانية والتي كان يقودها القائد العثماني عزت باشا , مما دفع العشائر إلى الانسحاب نحو الشطرة التي رفضت استقبالهم , فانسحبوا نحو بادية الشامية بعيداً عن الجيش العثماني , لكنها رضخت لدفع الضرائب بعد تشكيل الإدارة المباشرة , غير أنها عادت إلى الامتناع بعد قضاء الدولة العثمانية على انتفاضة منصور السعدون^(٤٩) , الذي قام بها بعد فرار من بغداد إلى المنتفق عام ١٨٨١^(٥٠).

شهد منتصف العقد التاسع من القرن التاسع عشر تحركاً أكثر قوة من التحركات السابقة لعشائر المنتفق وامتنعت عن دفع الضرائب وطردت موظفين الحكومة , وكانت النتيجة إن سقط عدد من أفراد القوات النظامية عند تصادمها مع عشيرتنا آل حسن وحجام , وتوسع تحرك العشائر بعد انضمام عشائر الحمار , الأمر الذي استدعى السلطة العثمانية إلى إرسال قوات إضافية من الناصرية والبصرة تمكنت من السيطرة على الوضع بعد استخدام الأسلحة النارية وإجبار شيوخ العشائر على إيقاف تحركهم^(٥١).

بعد عشر سنوات من ذلك الاصطدام إي في آب عام ١٨٩٥ تمكنت عشائر بني أسد بزعامة شيخها حسن الخيون^(٥٢) تساندها بعض العشائر بدحر القوات العثمانية المتواجدة في الجبايش , هذا ما دفع السلطة العثمانية إلى إرسال قوات بقيادة فاضل الداغستاني قي الرابع والعشرين من آب عام ١٨٩٥ للسيطرة على الوضع^(٥٣). وبالفعل تمكنت السلطة العثمانية من عزل الشيخ حسن الخيون وتعيين جايد الخيون^(٥٤) شيخاً لبني أسد بدلاً من عمه , وانشأت أيضاً جندرمة ودائرة برق تستخدم للأغراض الحكومية , وقوة صغيرة من الشرطة المحلية^(٥٥). وبعد عام من ذلك قامت السلطة العثمانية لزيادة سيطرتها من خلال تعيين مديراً مقيماً في الجبايش يديرها بمعاونة المخاتير وقللت من الاعتماد على الشيخ جايد وذلك بعد اغتيال ضابط عثماني برتبة رائد في الاوار من قبل جاسم آل محمد آل خيون أخ الشيخ جايد في عام ١٨٩٦^(٥٦).

أستمر آل السعدون حتى عام ١٩٠٠ في سيطرتهم واستحوادهم للأراضي وانحيازهم للسلطة العثمانية أمام عزوف العشائر عن شراء الأراضي خوفاً من الالتزامات إزاء الدولة مثل الضرائب والتجنيد^(٥٧).

شهد عام ١٩٠٦ تحركاً لعشائر حجام وحמיד آل حسن لرفض تسلط الولاية وامتنعت عن دفع الضرائب وأخذت العشائر بمحاصرة سوق الشيوخ وسقط خمسة عشر جندياً وجرح أربعة عشر آخرين نتيجة للاصطدام^(٥٨) كذلك فشلت القوات النظامية التي وصلت من البصرة والناصرية والعمارة في السيطرة على الوضع^(٥٩). وحينما أراد مخلص باشا (١٩٠٦-١٩٠٧) والي البصرة التوصل إلى حل مع العشائر من خلال إجراء تخفيضات في قيمة الضرائب , إلا إن العشائر رفضت ذلك الحل , الأمر الذي دفع الوالي إلى إرسال قوات عسكرية لفرض السيطرة غير أنها لم تتمكن وكانت النتيجة عزل الوالي مخلص باشا بعد استدعائه إلى اسطنبول^(٦٠).

في عام ١٩١٠ تبنى ناظم باشا والي بغداد سياسة الحكم في المنتفق , فعين سعدون باشا متصرفاً للناصرية حيث بدأ الأخير سياسته القائمة على القوة لفرض السيطرة على الوضع خصوصاً في قضاء الشطرة بعد استمالة بعض عشائرها (البو شمخي والجاسم) واستطاع اخذ الضرائب , هذه السياسة دفعت العشائر إلى الاصطدام بالقوات النظامية ورفضها سياسة السعدون الأمر الذي دفع السلطات العليا إلى إرسال لجنة التحقيق لمعرفة أسباب تردي الوضع في المنتفق , توصلت اللجنة إلى إن أسباب النزاع فضلاً عن سياسة سعدون باشا الساعي لانتزاع السلاح هو احتكار الأراضي الزراعية من قبل الشيوخ^(٦١). وأوصت اللجنة بضرورة إعادة توزيع الأرض من جديد , وتنحية سعدون باشا من متصرفية الناصرية , وبالفعل أخذت السلطات العثمانية بما جاء في تقرير اللجنة حيث كلفت طالب النقيب^(٦٢) بالقبض على سعدون باشا وإرساله إلى سوريا لتمهيد الطريق للخطوة الأخيرة لمحاولة التفرقة وتحطيم النظام العشائري^(٦٣).

دخلت عشائر آل ازيرج في صدام مسلح مع القوات العثمانية بعد رفضها مأموري الحكومة الذين أرسلوا لتخمين الأراضي الزراعية وقتل القائد مصطفى باشا إجلال العشيرة المذكورة من أراضيها^(٦٤).

أرسلت اسطنبول بعد ذلك يوسف باشا وخولته إجراء الإصلاحات في لواء المنتفق تحت اسم (مأمور إصلاحات لواء المنتفق) , فحاول الوالي إجراء المزايدة على أراضي الصديفة في قضاء الشطرة لأكثر من شخص وببديل أكثر من بدلها السابق بعد فسخ التزام ملتزمها الشيخ خيون آل عبيد^(٦٥) شيخ عشائر عبوده , غير إن هذا الإجراء لم يحظ بالموافقة , لذا لجأ يوسف باشا إلى سياسة التفرقة من خلال إلغاء الالتزام السابق لأرضي خيون العبيد , مما حدى بالشيخ خيون مغادرة الشطرة إلى مقاطعة الصديفة بسبب إجراءات يوسف باشا المعادية له ثم لجأ إلى التحالف مع عشائر بني زيد والبو سعد والقره غول والجرارونه والبو خليف وال ازيرج ضد يوسف باشا في حين وقفت عشرة البو شمخي وال جاسم إلى جانب قوات الوالي العثماني^(٦٦).

وقع الاصطدام بين الطرفين في آذار عام ١٩١٠ وبعد خطة ناجحة تمكن خيون آل عبيد والعشائر المتحالفة معه من الصمود أمام الإطلاق الناري الكثيف الذي قامت به القوات العثمانية , لتتحرك بعدها العشائر بحركة سريعة استطاعت إلحاق الهزيمة بالجند مما دفعهم للانسحاب من المعركة وبهذا أفلتت زمام الأمور من يد القائد يوسف باشا^(٦٧).

عاد الشيخ خيون آل عبيد لفرض سيطرته على الأراضي وقادة معارك مع عشائر بني زيد وال عواد الأمر الذي دفع العشائر إلى تقديم شكاوي ضد خيون للحكومة خصوصاً بعد فشل القوات التي أرسلها القائد العثماني مصطفى نادر ببيك (١٩١٣-١٩١٤) متصرف المنتفق عام ١٩١٣ للحد من قوة خيون , الأمر الذي دعا السلطات العليا في اسطنبول التوعد بإرسال قوة عسكرية كبيرة لإعادة السيطرة على المنتفق وتأييد عشائرها , غير إن قيام الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) أنهى هذا التوعد والتهديد العثماني^(٦٨).

بذلك فشلت اغلب محاولات السلطات العثمانية في إيجاد الحلول المناسبة للعشائر في المنتفق ,
والحد من مشاكل الأراضي والتسلط الذي يمارسه بعض الشيوخ الإقطاعيين الموالين للسياسة
العثمانية .

الخاتمة :

سعى مدحت باشا بعد مجيئه لحكم العراق الى تنفيذ السياسة العثمانية , فشرع في تنفيذها من
خلال تأسيس مدينة الناصرية مع منحه مساحات واسعة من الأراضي على وفق نظام الطابو له
ولأسرته من بعده , في الوقت لم يعطوا الزراع عملية تفويض الأراضي أهمية , إذا اعتقدوا إن الوضع
الجديد لايزيد من واجباتهم التي لاتتعدى سوى دفع الضرائب إلى الزعيم السعدوني بوصفه ملتزماً من
قبل الحكومة العثمانية , وهذا ما أدبالي تملك ال السعدون لأراضي لواء المنتفق , وأصبحوا الزراع
مجرد فلاحين عند الزعماء السعدونيين وأذعنوا لدفع حصة من أملاكهم لأصحاب الأرض إلى جانب
دفع الضرائب , وبالتالي تكرر الإقطاع داخل المجتمع المنتفقي .

الهوامش :

- (١) ابن منظور ,لسان العرب , ج ١١ , دار الأحياء العربي , بيروت , د.ت , ص ٢٢٤ .
- (٢) عبد الرضا الحميري ,نظام الإقطاع في العراق بين مؤيديه ومعارضيه , بغداد ٢٠١٣ , ص ١٨-١٩ .
- (٣) سيار كوكب علي جميل , تكوين العرب الحديث ١٥١٦-١٩١٦ , دار الكتاب للنشر والتوزيع , ط ١ , الموصل
١٩٩١ , ص ٩٠ .
- (٤) الأراضي الأميرية : هي الأراضي التي تعود ملكيتها المطلقة للدولة , ويجوز إن تنتفع منها مباشرة أو توّجرها
للاستفادة منها , للمزيد ينظر : خليل إبراهيم الخالد ومحمد مهدي الأزري , تاريخ أحكام الأراضي في العراق ,
دار الرشيد للنشر , بغداد , ١٩٨٠ ' ص ٦ .
- (٥) البرتين جويده , مدحت باشا ونظام الأراضي في جنوب العراق , ترجمة امجد حسين , بيروت , ٢٠٠٨ ,
ص ٦٤ ; عبد الرضا الحميري , المصدر السابق , ص ١٠١ .
- (٦) هي اكبر وحدة إدارية ,قسم العثمانيون البلدان التي سيطروا عليها الى ايالات , وكانت كل ايالة منفصلة عن
الأخرى إداريا وماليا وقضائيا , وتتكون الايالة من عدد من السناجق, استمر العمل بهذا النظام حتى صدور قانون
الولايات عام ١٨٦٤ . للمزيد من التفاصيل ينظر : ساطع الحصري ,البلاد العربية والدولة العثمانية , دار العلم

- للملايين ، ط٢، بيروت، ١٩٦٠، ص٢٣٠، ٢٣٩؛ بشينه عباس الجنابي ، نظم الحكم والإدارة العثمانية في الوطن العربي ، مجلة كلية التربية الأساسية ، العدد ٧١ ، ٢٠١١، ص٤٩ .
- (٧) الخاص: وهو اكبر الاقطاعات مساحة يتجاوز دخلة من مائة ألف اقجة (اصغر وحدة نقد عثمانية) أعطي إلى أفراد الأسرة الحاكمة ، أما التيمار: فهو إقطاع صغير لا يتجاوز دخلة على عشرين ألف اقجة ويطلق على صاحبة تيمارجي ، وفيما يتعلق بالزعامات: فيتجاوز دخلة عشرين ألف اقجة ويسمى صاحبة زعيم للمزيد من التفاصيل ينظر : محمد عصفور سلمان الأموي ، حركة الإصلاحات في الدولة العثمانية وأثرها في المشرق العربي ١٨٣٩-١٩٠٩ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص ١ .
- (٨) خط شريف كولخانة : أول عهد دستوري في تاريخ الدولة العثمانية وضع الإصلاح على المبادئ الأوربية ، كفل تامين شعوب الإمبراطورية على أرواحهم وأموالهم وإعراضهم مهما تنوعت دياناتهم وجنسياتهم، كما اقر نظاماً جديدة لتقدير الضرائب وجبايتها. للمزيد من التفاصيل ينظر :إسماعيل احمد ياغي ، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي ، ط٢ ، مكتبة العبيكان ، د.م ، ١٩٩٨، ص١٥٣ .
- (٩) خليل إبراهيم الخالد ومحمد مهدي الازري ، المصدر السابق ، ص٥٢ .
- (١٠) عبد الرحمان البزاز ، أحكام الأراضي في العراق ، مطبعة الأهالي ، بغداد ، ١٩٤٠ ، ص١٧، ١٢ .
- (١١) صلاح الدين الناهي ، مقدمة في الإقطاع ونظام الأراضي في العراق ، دار المعرفة ، بغداد ، ١٩٥٥، ص١٧ .
- (١٢) خليل إبراهيم الخالد ومحمد مهدي الازري ، المصدر السابق ، ص٥٢ .
- (١٣) للمزيد حول معنى مصطلح طابو ينظر : سيار كوكب علي جميل ، المصدر السابق، ص٣٤٦؛ عماد الجواهري ، مشكلة الأراضي في العراق ١٩١٤-١٩٣٢، بغداد ، ١٩٧٨، ص٤٧٦ .
- (١٤) جميل موسى النجار ، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد (١٨٦٩-١٩١٣) ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص٤١٠
- (١٥) كريم احمد حامي السعدون ، تأثير نظام الطابو على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في إمارة المنتفق ١٨٦٩-١٨٨١، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة واسط ، ٢٠١٥ ، ص٥٧ .
- (١٦) دفتر خانة (دائرة الدفتر خاقاني) هي دائرة الطابو والتحرير لها فروع في بغداد منذ القرن السادس عشر ، تحفظ فيها السجلات التي تتضمن قيود أراضي الدولة كافة ، وتعيين أصنافها من تيمار وزعامات وخاص وملاك ووقف ، وتتضمن هذه السجلات معلومات عن الضرائب والثروة الحيوانية والسكان والمحاصيل الزراعية وغيرها .إيناس سعدي عبد الله ، تاريخ العراق الحديث ١٢٥٨-١٩١٨ ، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ، ٢٠١٤، ص٦٧ .
- (١٧) البرتين جويده ، المصدر السابق ، ص٦ .
- (١٨) تعود التسمية التي غلبت على هذه الأسرة الى مشيخة سعدون بن محمد بن مانع بن شبيب ، نزحوا من الحجاز واستوطنوا أرض العراق في بداية القرن السادس عشر عندما جاء احد أشرف مكة وسكن مع قبائل بنو مالك فاتخذوه رئيساً ، ثم أصبح رئيساً لعشائر المنتفق . للمزيد من التفاصيل ينظر : د . ك. م ، ملفات البلاط الملكي ، ملف رقم ١١٥٧ / ٣١١ ، التقارير الحكومية ، تقرير حول لواء المنتفق وسكانه ، بتاريخ ١٩ / ٣ / ١٩٣١ ، و ٣٤ ، ص٩٤ .

(١٩) دعاء ثامر حسن , مشكلة الأراضي في لواء المنتفق ١٩١٥-١٩٥٨, رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب , جامعة ذي قار ٢٠١٦. ص ٨ .

(٢٠) عبد الله الفياض , مشكلة الأراضي في لواء المنتفق , مطبعة سلمان , بغداد , ١٩٥٦, ص ٢٥, ٣٠.

(٢١) هو احمد شفيق ولد في اسطنبول في تشرين الأول علم ١٨٢٢ , أكمل دراسته فيها , تقلد مناصب عدة في البلقان بين عامي ١٨٥٣-١٨٥٨ أصبح والياً على بغداد عام ١٨٦٩ , توفي في ٨ نيسان ١٨٨٤ في الطائف بعد إن نفي إليها بتهمة اغتياله السلطان عبد العزيز .للمزيد من التفاصيل ينظر : محمد عصفور سلمان , العراق في عهد مدحت باشا ١٨٦٩-١٨٧٢ , مؤسسة مصر مرتضى للكتاب , العراق ٢٠١٠ , ص ١٠ وما بعدها .

(٢٢) دعاء ثامر حسن , المصدر السابق , ص ١١ .

(٢٣) شاكر حسين دمدوم الشطري , العراق في عهد مدحة باشا ١٨٦٩-١٨٧٢, مجلة الآداب ذي قار , المجلد الثالث , العدد ٩ , نيسان ٢٠١٣ , ص ٢٢٨-٢٢٩ .

(٢٤) عبد ربه سكران إبراهيم , السياسة العامة للدولة العثمانية تجاه العشائر من السلطان سليمان القانوني إلى السلطان عبد الحميد الثاني , مطبعة تكريت , المجلد الخامس عشر, العدد ٢, آذار ٢٠٠٨, ص ٤٢٦.

(٢٥) مروة حبيب حسن , الإدارة العثمانية في لواء المنتفق ١٨٦٩-١٩١٥ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب , جامعة ذي قار , ٢٠١٥, ص ١٢٩ .

(٢٦) تفويض الأراضي : سياسة يقصد بها التزام العشائر بتأدية حصة من انتاجها الزراعي تعادل حصة الحكومة من الضرائب وتسمى بالحصة الملاكية وتبلغ ٢٠٪ من الإنتاج يقوم بجبايتها السركال . للمزيد ينظر : عبدالله الجوراني , دراسة وثائقية في تاريخ المنتفق الوطني وأحواله الاقتصادية والاجتماعية والسياسية أواخر العهد العثماني -١٩٥٨ , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد , ٢٠٠٨, ص ٥٤.

(٢٧) جاسم محمد حسن , العراق في العهد الحميدي ١٨٧٦-١٩٠٩ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب جامعة بغداد , ١٩٧٥, ص ٤٣ .

(٢٨) ابن البطائح , مشكلة أراضي لواء المنتفق , مجلة عالم الغد , بغداد , ج ٢٢, السنة الثانية , ١٦ آذار ١٩٤٧ , ص ٥٩٥ .

(٢٩) هو ناصر بن راشد بن ثامر بن سعد بن الكبير الملقب ب (الأشقر) , أصبح أميراً على المنتفق للمدة (١٨٦٦-١٨٧٤) , ثم والياً على البصرة للمدة (١٨٧٥-١٨٧٦) . للمزيد من التفاصيل ينظر :خالد السعدون , ناصر باشا السعدون بين الأمانة والإدارة ١٨٦٦-١٨٨٥ ,المكتب الجامعي الحديث , د , م , ٢٠١١. ص ١ وما بعدها .

(٣٠) حميد حمد السعدون , إمارة المنتفق وأثرها في تاريخ العراق والمنطقة العربية الإقليمية (١٥٤٦-١٩١٨) , دار وائل للنشر , عمان , ١٩٩٩, ص ٢٠٠-٢٠١ .

(٣١) الناصرية : كانت بلدة سوق الشيوخ مركز اللواء في البداية ثم ارتأى مدحت باشا الانتقال إلى مدينة أخرى تشاد على الغراف إلى الشمال منها , فشرع ببناء المدينة في نهاية أب عام ١٨٦٩ , ووضع تصميمها المهندس البلجيكي (جوليس نيللي) وسميت بالناصرية تيمناً باسم ناصر السعدون . للمزيد من التفاصيل ينظر سليم مطر وآخرون , موسوعة المدائن العراقية , مركز دراسات الأمة العراقية , بغداد , ٢٠٠٥ , ص ٢٣١-٢٣٢ .

- (٣٢) شاکر حسین دمدوم الشطري , السياسة العثمانية تجاه العشائر العراقية ١٨٦٩-١٩١٤ , أطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية الآداب , جامعة بغداد , ٢٠١٢, ص١٢٩
- (٣٣) عبد الحكيم عجيل عبد الرزاق السعدون , السعدون والسياسة العثمانية ١٨٦٩-١٩١٧, رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب , جامعة البصرة , ١٩٩٦ , ص٦٨ .
- (٣٤) دعاء ثامر حسن , المصدر السابق , ص ١٩ .
- (٣٥) د. ك. و , ملفات وزارة الداخلية , ملف رقم ٣٢٠٥٠/٧٩١٠ , (طلبات ملاكية) , مشكلة أراضي المنتفق , بتاريخ ٣١ / ٣ / ١٩٤٣ , ٣٣ , ص ٩١ .
- (٣٦) فهد بن علي بن ثامر بن سعدون الكبير من شيوخ المنتفق البارزين , تولى الرئاسة في المنتفق عدة مرات , كما نال لقب باشا عام ١٨٦٦ , عين متصرفا للحلة في عام ١٨٦٩ , توفي عام ١٨٩٦ . ينظر : محمد حسن علي مجيد , ولاية الحلة وحكامها في القرن التاسع عشر حتى نهاية الحكم العثماني في العراق ١٨٠٠-١٩١٧ واثرا في الشعر , مجلة المؤرخ العربي , بغداد , العدد ٢٠ , ١٩٨١ , ص٢٧٣ .
- (٣٧) محمد احمد محمود , أحوال العشائر العراقية وعلاقتها بالحكومة ١٨٧٢-١٩١٨ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب , جامعة بغداد , ١٩٨٠ , ص ٩٨ .
- (٣٨) السلطان عبد الحميد الثاني بن السلطان عبد المجيد , وهو السلطان الرابع والثلاثون للدولة العثمانية , وفي عهده تم إعلان الدستور إبان توليه السلطة إلا انه سرعان ما أوقف العمل به عام ١٨٧٨ , وظهرت في عهده الكثير من الجمعيات أبرزها جمعية الاتحاد والترقي التي استطاعت عام ١٩٠٨ إن تعزل السلطان . ينظر : احمد عبد الرحيم مصطفى , في أصول التاريخ العثماني , دار الشروق , القاهرة , ١٩٨٢ , ص ٢٤٠ , ٢٧٣ .
- (٣٩) وهي الأراضي التي فوضها السلطان عبد الحميد الثاني وكانت تشمل حوالي ٣٠ من أراضي العراق , وأسس لجنة مركزية في بغداد لإدارة شؤونها تسمى (إدارة سنية) , وكانت الإدارة السنية تحصل على الأراضي الأميرية عن طريق المزايدة , وعدت الأملاك السنية من أهم التطورات الاقتصادية والعمرانية التي شهدتها العراق في أواخر القرن التاسع عشر , واستمر إدارتها حتى قيام انقلاب ١٩٠٨ , حيث قامت الدولة العثمانية بمصادرة تلك الأراضي بعد خلع السلطان عبد الحميد وأصبحت تعرف (ب الأملاك المدورة) . للمزيد من التفاصيل ينظر : شاکر حسین دمدوم الشطري , تاريخ الشرطة خلال العهد العثماني , ص١٤٩ .
- (٤٠) دعاء ثامر حسن , المصدر السابق , ص ٢٥ .
- (٤١) شاکر حسین دمدوم الشطري , تاريخ الشرطة خلال العهد العثماني ١٨٨١-١٩١٧ , دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع , بغداد , ٢٠١٦ , ص ١٥٠ .
- (٤٢) المصدر نفسه , ص ١٥٠-١٥١ .
- (٤٣) عزيز سباهي , مواقف من المسألة الزراعية في العراق , دار الرواد المزدهرة للطباعة والنشر , بغداد , ٢٠١٠ , ص ٩٨ .
- (٤٤) عبد الله فياض , المصدر السابق , ص ٥٨ .
- (٤٥) محمد احمد محمود , المصدر السابق , ص ١٠٥ .
- (٤٦) مروة حبيب حسن , المصدر السابق , ص ١٢٨ .

- (٤٧) محمد احمد محمود , المصدر السابق , ص ١٠٥ .
- (٤٨) حميد حمد السعدون , المصدر السابق , ص ١٦٥ .
- (٤٩) منصور بن راشد بن ثامر بن سعدون الكبير , تولى الإمارة مرتين الأولى (١٨٥٢-١٨٥٥) , والثانية (١٨٥٨-١٨٦٠) , قام بانتفاضة ضد الدولة العثمانية متخذاً بنفسه لقب سلطان البر محاولة لإعادة مكانته وسلطته بعد نفيه , غير ان السلطات العثمانية أنهت انتفاضته في معركة الريس عام ١٨٨١ . ينظر للمزيد من التفاصيل : عبد الله الفياض , المصدر السابق , ص ٥٤ .
- (٥٠) دعاء ثامر حسن , المصدر السابق , ص ٤١-٤٢ .
- (٥١) جريدة الزوراء , بغداد , السنة السادسة عشر , العدد ١٢١٥ , ٢٧ نيسان ١٨٨٥ .
- (٥٢) حسن بن خيون بن جناح بن ناصر بن محمد بن حسين , تولى الرئاسة بعد مقتل أخيه محي , فكانت مدة مشيخته (١٨٦٦-١٨٩٢) , لقب ب(ملك الاهوار) , وفي عام ١٨٩٩ قام بانتفاضة ضد الحكومة العثمانية , توفي عام ١٩٠٨ . للمزيد من التفاصيل ينظر : رقية حسن البرزنجي , سالم الخيون ودوره الاجتماعي والسياسي حتى عام ١٩٥٤ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية , الجامعة المستنصرية , ٢٠١٣ , ص ١٠٠٧ .
- (٥٣) جعفر الحسني وماهر القيسي , الثورة الزراعية في الريف العراقي , مطبعة الجمهورية , بغداد , ١٩٧٠ , ص ١٥ .
- (٥٤) جايد بن محمد بن خيون بن جناح بن الحاج ناصر الاسدي , أصبح شيخاً لقبيلة بني أسد للمدة (١٨٩٥-١٩١٦) بدلاً من عمه حسن الخيون . للمزيد من التفاصيل ينظر : رقية حسن البرزنجي , المصدر السابق , ص ١٩ .
- (٥٥) ميثاق خير الله جلود , انتفاضات عشائر جنوب العراق في العهد العثماني , مركز الدراسات الإقليمية , الموصل , العدد ١٠ , السنة ٢٠١٢ , ص ٢٧٣ .
- (٥٦) دعاء ثامر حسن , المصدر السابق , ص ٤٤ .
- (٥٧) مروة حبيب حسن , المصدر السابق , ص ١٣٠ ; إسماعيل نوري الربيعي , الزراعة والعلاقات الزراعية في العراق أواخر العهد العثماني , مجلة إيلاف , العدد ٥٤٤١ , الخميس ١٤ نيسان ٢٠١٦ .
- (٥٨) محمد احمد محمود , المصدر السابق , ص ١٠٦ .
- (٥٩) خالد السعدون , الأوضاع القبلية في البصرة ١٩٠٨-١٩١٨ , شركة الربيعان للنشر والتوزيع , الكويت , ١٩٨٨ , ص ١١٣ .
- (٦٠) دعاء ثامر حسن , المصدر السابق , ص ٤٥ .
- (٦١) علي ناصر حسين , شيوخ وعشائر لواء المنتفق في الوثائق البريطانية , دراسة في أحوال عشائر المنتفق منذ أواخر العهد العثماني الى نهاية عهد الملك فيصل الأول ١٩٣٣ , دار العباد للطباعة والنشر , بغداد , ٢٠٠٨ , ص ٦٥ .
- (٦٢) طالب السيد رجب السيد محمد سعد بن طالب بن درويش الرفاعي , ولد عام ١٨٧١ في البصرة , تعلم ونشأ زعيماً وولع بالحياة العامة فمنحته الدولة العثمانية الرتبة الثانية ثم رقي الرتبة مير ميران وسافر الى اسطنبول عام ١٨٩٩ لتأكيد ولائه للدولة العثمانية ' عين عام ١٩٠١ متصرف للإحساء وبعد تأسيس الحياة النيابية في العراق عين عضوا ١٩٠٨-١٩١٤ , اعتزل العمل السياسي عام ١٩٢٤ , توفي في ١٦ حزيران عام ١٩٢٩ . حميد

- المطبعي , موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين , ج ٢ , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد , ١٩٩٦ , ص ١٢٥ .
- (٦٣) محمد حمد السعدون , المصدر السابق , ص ٢٤٤ .
- (٦٤) ميثاق خير الله جلود , المصدر السابق , ص ٢٧٤ .
- (٦٥) خيون بن عبيد بن عباس ولد في الشطرة عام ١٨٨٨ , تولى زعامة عشيرة العبوده وعمره لا يتجاوز ١٧ سنة, عين قائمقام لقضاء الشطرة عام ١٩١٥ , أصبح نائباً عن المنتفق في عام ١٩٢٨ , ١٩٣٠ , ١٩٣٣ , ١٩٣٤ , ١٩٣٥ , ١٩٣٧ , ١٩٣٩ , ١٩٤٣ , انتخب عضواً لمجلس الاعيان عام ١٩٤٧ , واستمر حتى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ , توفي في ٢٨ نيسان ١٩٧٠ , للمزيد من التفاصيل ينظر :شاكر حسين دمدم الشطري , تاريخ الشطرة خلال العهد العثماني, ص ١٢٣ .
- (٦٦) المصدر نفسه , ص ٢١٤ .
- (٦٧) عبد الجليل الطاهر , العشائر العراقية , عشائر الناصرية والعمارة والبصرة , ج ١ , بيروت , ١٩٧٢ , ص ٣٦٨ .
- (٦٨) علي ناصر حسين , المصدر السابق , ص ٦٩ .

المصادر والمراجع :

أولاً : الوثائق :

- ١- د . ك . م , ملفات البلاط الملكي ,ملفة رقم ١١٥٧ / ٣١١ , التقارير الحكومية , تقرير حول لواء المنتفق وسكانه بتاريخ ١٩ / ٣ / ١٩٣١ , و ٣٤ .
- ٢- د . ك . و , ملفات وزارة الداخلية , ملفة رقم ٣٢٠٥٠ / ٧٩١٠ , (طلبات ملاكية) , مشكلة أراضي المنتفق , بتاريخ ٣١ / ٣ / ١٩٤٣ , ٣٣ .

ثانياً : الرسائل والاطاريح :

- ١- جاسم محمد حسن , العراق في العهد الحميدي ١٨٧٦-١٩٠٩ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب جامعة بغداد , ١٩٧٥ .
- ٢- دعاء ثامر حسن , مشكلة الأراضي في لواء المنتفق ١٩١٥-١٩٥٨ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب , جامعة ذي قار ٢٠١٦ .
- ٣- رقية حسن البرزنجي , سالم الخيون ودوره الاجتماعي والسياسي حتى عام ١٩٥٤ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية , الجامعة المستنصرية , ٢٠١٣ .
- ٤- شاكر حسين دمدم الشطري , السياسة العثمانية تجاه العشائر العراقية ١٨٦٩-١٩١٤ , أطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية الآداب , جامعة بغداد , ٢٠١٢ .
- ٥- عبد الحكيم عجيل عبد الرزاق السعدون , السعدون والسياسة العثمانية ١٨٦٩-١٩١٧ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب , جامعة البصرة , ١٩٩٦ .
- ٦- كريم احمد حامي السعدون , تأثير نظام الطابو على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في إمارة المنتفق ١٨٦٩-١٨٨١ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية , جامعة واسط , ٢٠١٥ .

- ٧- محمد احمد محمود , أحوال العشائر العراقية وعلاقتها بالحكومة ١٨٧٢-١٩١٨ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب , جامعة بغداد , ١٩٨٠.
- ٨- محمد عصفور سلمان الأموي , حركة الإصلاحات في الدولة العثمانية وأثرها في المشرق العربي ١٨٣٩-١٩٠٩ , أطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية الآداب , جامعة بغداد , ٢٠٠٥.
- ٩- مروة حبيب حسن , الإدارة العثمانية في لواء المنتفق ١٨٦٩-١٩١٥ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب , جامعة ذي قار , ٢٠١٥.

ثالثاً : الكتب العربية والمترجمة :

- ١- ابن منظور , لسان العرب , ج ١١ , دار الأحياء العربي , بيروت , د.ت .
- ٢- احمد عبد الرحيم مصطفى , في أصول التاريخ العثماني , دار الشروق , القاهرة , ١٩٨٢.
- ٣- إسماعيل احمد ياغي , الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي , ط ٢ , مكتبة العبيكان , د.م , ١٩٩٨.
- ٤- إيناس سعدي عبد الله , تاريخ العراق الحديث ١٢٥٨-١٩١٨ , دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع , بغداد , ٢٠١٤.
- ٥- البرتين جويده , مدحت باشا ونظام الأراضي في جنوب العراق , ترجمة امجد حسين , بيروت , ٢٠٠٨ .
- ٦- جعفر الحسني وماهر القيسي , الثورة الزراعية في الريف العراقي , مطبعة الجمهورية , بغداد , ١٩٧٠.
- ٧- جميل موسى النجار , الإدارة العثمانية في ولاية بغداد (١٨٦٩-١٩١٣) , مكتبة مدبولي , القاهرة , ١٩٩١.
- ٨- حميد حمد السعدون , إمارة المنتفق وأثرها في تاريخ العراق والمنطقة العربية الإقليمية (١٥٤٦-١٩١٨) , دار وائل للنشر , عمان , ١٩٩٩.
- ٩- حميد المطيعي , موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين , ج ٢ , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد , ١٩٩٦.
- ١٠- خالد السعدون , الأوضاع القبلية في البصرة ١٩٠٨-١٩١٨ , شركة الربيعان للنشر والتوزيع , الكويت , ١٩٨٨.
- ١١- خالد السعدون , ناصر باشا السعدون بين الأمانة والإدارة ١٨٦٦-١٨٨٥ , المكتب الجامعي الحديث , د.م , ٢٠١١.
- ١٢- خليل إبراهيم الخالد ومحمد مهدي الأزري , تاريخ أحكام الأراضي في العراق , دار الرشيد للنشر , بغداد , ١٩٨٠.
- ١٣- ساطع الحصري , البلاد العربية والدولة العثمانية , دار العلم للملايين , ط ٢ , بيروت , ١٩٦٠.
- ١٤- سليم مطر وآخرون , موسوعة المدائن العراقية , مركز دراسات الأمة العراقية , بغداد , ٢٠٠٥.

- ١٥- سيار كوكب علي جميل , تكوين العرب الحديث ١٥١٦-١٩١٦, دار الكتاب للنشر والتوزيع
ط١ , الموصل , ١٩٩١.
- ١٦- شاكرك حسين دمدم الشطري , تاريخ الشرطة خلال العهد العثماني ١٨٨١-١٩١٧ , دار ومكتبة
عدنان للطباعة والنشر والتوزيع , بغداد , ٢٠١٦.
- ١٧- صلاح الدين الناهي , مقدمة في الإقطاع ونظام الأراضي في العراق , دار المعرفة , بغداد ,
١٩٥٥.
- ١٨- عبدالله الجوراني , دراسة وثائقية في تاريخ المنتفك الوطني وأحواله الاقتصادية والاجتماعية
والسياسية أواخر العهد العثماني -١٩٥٨ , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد , ٢٠٠٨.
- ١٩- عبد الله الفياض , مشكلة الأراضي في لواء المنتفك , مطبعة سلمان , بغداد , ١٩٥٦.
- ٢٠- عبد الجليل الطاهر , العشائر العراقية , عشائر الناصرية والعمارة والبصرة , ج١ , بيروت ,
١٩٧٢.
- ٢١- عبد الرحمان البزاز , أحكام الأراضي في العراق , مطبعة الأهالي , بغداد , ١٩٤٠.
- ٢٢- عبد الرضا الحميري , نظام الإقطاع في العراق بين مؤيديه ومعارضيه , بغداد ٢٠١٣.
- ٢٣- عزيز سباهي , مواقف من المسألة الزراعية في العراق , دار الرواد المزدهرة للطباعة والنشر
بغداد , ٢٠١٠.
- ٢٤- علي ناصر حسين , شيوخ وعشائر لواء المنتفك في الوثائق البريطانية , دراسة في أحوال
عشائر المنتفك منذ أواخر العهد العثماني الى نهاية عهد الملك فيصل الأول ١٩٣٣ , دار العباد للطباعة
والنشر , بغداد , ٢٠٠٨.
- ٢٥- عماد الجواهري , مشكلة الأراضي في العراق ١٩١٤-١٩٣٢ , بغداد , ١٩٧٨.
- ٢٦- محمد عصفور سلمان , العراق في عهد مدحت باشا ١٨٦٩-١٨٧٢ , مؤسسة مصر مرتضى
للكتاب , العراق , ٢٠١٠.

رابعاً : البحوث المنشورة :

- ١- ابن البطائح , مشكلة أراضي لواء المنتفك , مجلة عالم الغد , بغداد , ج٢٢ , السنة الثانية , ١٦ آذار
١٩٤٧.
- ٢- إسماعيل نوري الربيعي , الزراعة والعلاقات الزراعية في العراق أواخر العهد العثماني , مجلة إيلاف ,
العدد ٥٤٤١ , الخميس ١٤ نيسان ٢٠١٦.
- ٣- بشينه عباس الجنابي , نظم الحكم والإدارة العثمانية في الوطن العربي , مجلة كلية التربية الأساسية ,
العدد ٧١ , ٢٠١١.
- ٤- شاكرك حسين دمدم الشطري , العراق في عهد مدحة باشا ١٨٦٩-١٨٧٢ , مجلة الآداب ذي قار ,
المجلد الثالث , العدد ٩ , نيسان ٢٠١٣.

- ٥- عبد ربه سكران إبراهيم , السياسة العامة للدولة العثمانية تجاه العشائر من السلطان سليمان القانوني إلى السلطان عبد الحميد الثاني , مطبعة تكريت , المجلد الخامس عشر, العدد ٢, اذار ٢٠٠٨.
- ٦- محمد حسن علي مجيد , ولاية الحلة وحكامها في القرن التاسع عشر حتى نهاية الحكم العثماني في العراق ١٨٠٠-١٩١٧ واثرها في الشعر , مجلة المؤرخ العربي , بغداد , العدد ٢٠ , ١٩٨١.
- ٧- ميثاق خير الله جلود , انتفاضات عشائر جنوب العراق في العهد العثماني , مركز الدراسات الإقليمية , الموصل , العدد ١٠ , السنة ٢٠١٢.

خامساً : الصحف :

- ١- جريدة الزوراء , بغداد , السنة السادسة عشر , العدد ١٢١٥ , ٢٧ نيسان ١٨٨٥.

المخطوطات وأهميتها في دراسة التاريخ الإسلامي

م.م افراح رحيم علي

كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة ذي قار

Afrah-raheem@utq.edu.iq

Summary:

The manuscripts are invaluable treasures. They reveal the knowledge of the former and their blessed efforts in various sciences, including diligence, analysis, collection, writing and translation. That prevailed fourteen centuries ago. However, some of this heritage has disappeared for many reasons, including wars, sedition and fires.

The manuscripts in the Arab-Islamic countries have enjoyed a scientific and cultural heritage that is said to have enjoyed a nation of nations throughout history, not only in its abundance and size, but also in its scientific, literary, cultural and historical contents, and its broad horizons, to cover almost the entire ancient and medieval world, both geographically and historically.

Since the early Islamic times, the Arabs have given manuscripts, books and libraries great care, especially in the Abbasid era, where the movement of translation and authorship flourished, and people accepted to copy and buy books and acquire and take care of them. Public libraries throughout the Islamic State at the time, as well as school and specialized libraries that were filled with millions of books and manuscripts.

المخلص:

تعد المخطوطات كنوزاً ثمينة لا تقدر بثمن، فهي تكشف عن علم السابقين وجهودهم المباركة في شتى العلوم وفيها اجتهاد وتحليل وجمع وتأليف وترجمة، إن تراث العرب والمسلمين في تاريخهم يعتبر ثروة هائلة تمثل حضارة الإسلام والمسلمين بصرحها الشامخ المتين، الذي لا تزعه ظروف الدهر والسنين، تلك الحضارة التي سادت أربعة عشر قرناً من الزمان. لكن بعض هذا التراث اندثر لأسباب عديدة منها الحروب والفتن والحرائق ويقدر عدد المخطوطات العربية بأكثر من ثلاثة ملايين مخطوطة مبعثرة في مكتبات العالم الإسلامي والغربي.

وحظيت المخطوطات في البلاد العربية الإسلامية بتراث علمي وثقافي قل أن حظيت بمثله أمة من الأمم عبر التاريخ، ولا يتمثل ذلك في كثرته وحجمه فحسب، بل في محتوياته العلمية والأدبية والثقافية والتاريخية، واتساع آفاقه، ليشمل العالم القديم والوسيط كله تقريباً، جغرافياً وتاريخياً .

لقد أعطى العرب منذ العصور الإسلامية الأولى المخطوطات، والكتب والمكتبات عناية كبيرة وبخاصة منها في العصر العباسي، حيث ازدهرت حركة الترجمة والتأليف، وأقبل الناس على النسخ وشراء الكتب واقتنائها والعناية بها، وقد حفلت المؤلفات العربية بكثير من المنثور والمنظوم الذي يؤكد هذا الحب والولع كما أقيمت المكتبات العامة في جميع أرجاء الدولة الإسلامية آنذاك، وكذلك المكتبات المدرسية والمتخصصة التي حفلت بملايين الكتب والمخطوطات.

المقدمة :

لقد عُني المسلمون بالمخطوطات عناية كبيرة لكونها السبيل الوحيد للحفاظ على ما أنتجه العقل العربي والإسلامي من رسائل موضوعها كتاب الله الكريم وأحاديث الرسول أو ما يتعلق بهما ويخدمهما، فجعلوا منها تحفاً فنية ثمينة وتركوا فيها تراثاً فنياً عظيماً. ويكفي أن نشير إلى حجم هذا التراث الإسلامي من خلال ما تحتفظ به متاحف ومكتبات العالم، إذ يوجد بمدينة إسطنبول وحدها ما يربو على مئة وأربعة وعشرين ألفاً من المخطوطات النادرة، معظمها لم يدرس من قبل، هذا بخلاف ما يوجد في مصر والمغرب وتونس والهند وإيران وسائر متاحف والمكتبات العالمية .

والمخطوطات هي مؤلفات العلماء ومصنفاتهم، وهي لفظة محدثة بعد حدوث الطباعة، لهذا لا تجد نكراً لهذه الكلمة (المخطوط) أو المخطوطات في كلام المتقدمين، وإنما حدثت هذه اللفظة بعد دخول الطباعة، فأصبحت الكتب قسمين: مخطوطات، ومطبوعات. فما كان منها مكتوباً بخط اليد سُمي مخطوطاً، وما طُبِع منها سُمي مطبوعاً، تمييزاً له عن الأول.

ان ثروة الأمة العربية الإسلامية من المخطوطات هي اعظم ما خلفته الاجيال الماضية , فهي مؤلفات وضع فيها العلماء خلاصة افكارهم وتجاربهم وابداعاتهم , وهي حافلة بدراسات قيمة في شتى المعارف الانسانية التي توصلوا اليها , واستفاد منها الغرب والعالم اجمع فكانت اساسا للحضارة الحديثة والعلوم المعاصرة المتطورة .

وقد اقتضت طبيعة البحث ان يقسم الى ثلاثة محاور : تناولنا في المحور الاول تعريف المخطوط لغة واصطلاحاً , ثم تطرقنا الى ادوات المستخدمة في المخطوطات , وبعد ذلك تناولنا نشأة المخطوطات . اما المحور الثاني فقد تحدثنا فيه عن اهمية المخطوطات في دراسة التاريخ الاسلامي . في حين تطرق المحور الثالث الى نماذج من هذه المخطوطات والمؤلفات العلمية للمؤرخين القدامى ومدى الاستفادة منها من قبل الغـرب والشـرق.

المحور الاول : نبذة عن المخطوطات :

اولاً: تعريف المخطوطة لغة واصطلاحاً:

المخطوط لغة : تعود كلمة مخطوطة الى خطط , أي خط الكتاب يخطه , (ولاتخطه بيمينك) , وكتاب مخطوط , كتاب مكتوب⁽¹⁾ , فالمخطوط لغة : مأخوذ من خط بالقلم , خط الشيء يخطه خطا :

كتبه بقلم او بغيره , أي كتاب مكتوب بخط اليد, أي كتب وصور الحرف بالحروف الهجائية بدلا من طباعتها بالمطبعة. سواء كان ما يكتب على أوراق البردي أو غيرها من الرقوق أو الورق العادي^(١).

اما مصطلح مخطوط : هو الكتاب المكتوب بخط اليد لتمييزه عن الخطاب او الورقة او أي وثيقة اخرى , خاصة تلك الكتب التي كتبت قبل عصر الطباعة , ويشتمل هذا التعريف على اربعة عناصر اساسية وهي^(٢):

- ١- ان يكون المخطوط كتابا , أي ان الرسائل والوثائق والعهود والنقوش والموثائق والمدونات الموسيقية خارجة عن اطار هذا التعريف .
- ٢- ان يكون الكتاب مخطوطا , أي ان النسخ المرقونة على الالة الكاتبة والنسخ المصورة او أي مصغر فيلمي هي خارجة عن حدود هذا التعريف .
- ٣- ان يكون قد كتب قبل عصر الطباعة مع اختلاف انتشار الطباعة من قطر الى اخر , ومن عصر الى اخر , أي ان النسخ المخطوطة بعد انتشار الطباعة خارجة عن اطار هذا التعريف , ويمكن ان نطلق عليه المخطوطات الحديثة لتمييزها عن المخطوطات العربية القديمة .
- ٤- ان يكون الكتاب مخطوطا بخط عربي بصرف النظر عن مكان النسخ عربيا كان ام غير ذلك .

او يعرف على انه النسخة الاصلية التي كتبها المؤلف بخط يده او سمح بكتابتها او قرأها او نسخها الوراقون بعد ذلك في نسخ اخرى منقولة عن الاصل او على نسخ اخرى غير الاصل , وهكذا نقول عن كل نسخة منقولة بخط اليد عن أي مخطوطة بأنها مخطوطة مثلها^(٤) .

وقد ظهرت لفظة مخطوط مع ظهور الطباعة حجرية كانت او سلكية , وقد اطلق العرب على الكتاب المخطوط تسميات مختلفة تختلف باختلاف العصور , فقد اطلقوا عليه في القرن الاول الهجري الرقيم , الزبور , المصحف , السفر , الرسالة , الكراسة , الجلد , الجزء , المجلدة , الكناش , الدفتر وغيرها , وقد اطلق على الكتاب في عصر التدوين والتأليف الديوان او المدون والتأليف او المؤلف والتصنيف او المصنف , وابتداء من القرن الرابع للهجرة حين اكتملت النهضة العلمية والتأليفية في المجتمع العربي اصبح يطلق على مصادر التراث تسميات مثل كتب الاصول , الكتب الامهات , الكتب الاساسية , لما تحويه من اساسيات العلم بالاضافة الى استعمال مصطلحات مثل التقييد , الفهرسة , الكشكول وغيرها كثير , واذا كان ظهور لفظ مخطوط مرتبطا بصناعة المطبوع في التراث العربي فاننا نشير الى ان المغاربة استخدموا عبارة (نسخة قلمية) في مقابل كتاب مطبوع قبل ان يجاروا المشاركة الى استعمال لفظ مخطوط^(٥).

وتستعمل كلمة مخطوطة في النشر الأكاديمي والسياقات للتعبير عن النص المقدم إلى ناشر أو مطبعة ويكون النص في طور الإعداد لنشر النسخة المطبوعة عادة بوصفها تعد مخطوطة بيد كاتبها، أو قد تعبر المخطوطة عن الجزء المؤلف من القانون الجنائي، الذي اعد في شكل مخطوط^(٦).

والمخطوط يختلف حجمه فاحيانا يكون كتابا ضخما واحيانا يكون كتابا صغيرا او قد يكون رسالة صغيرة او صحيفة واحدة , كما يتباين المخطوط من حيث تاريخه وورقه وخطوطه ودقة نسخه , من هنا فان المخطوط هو كتاب جمع بين صفحاته نتاجا فكريا في موضوع معين من موضوعات العلم والمعرفة او في موضوعات متعددة ومختلفة وكتبت مواده بخط اليد^(٧).

ثانيا : ادوات المخطوطة :

ان المواد التي كتبت عليها المخطوطات عبر العصور التاريخية المتعاقبة كانت متعددة ومتنوعة في موضوعاتها العلمية والفكرية التي لاتزال تحتفظ بالعديد منها المكتبات العربية والعالمية , وتفيد

الباحث والمحقق في معرفة الزمن الذي كتبت فيه , وبظهور صناعة الورق في افاق الحياة العربية دخل المخطوط العربي مرحلة جديدة من مراحل نموه وتطوره تميزت بكثرة الانتاج ووفرتة^(٨) . ومن اهم هذه الادوات :

١- الرق:

استعملت الأنواع المختلفة من جلود الأنعام المدبوغة في الكتابة في الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده، حيث سُميت الجلود المستعملة في الكتابة/الأديم أو الرِّق وهي مصنوعة من جلود البقر والإبل والغنم والخمر الوحشية والغزلان، وتُدبغ هذه الجلود وتُرَقَّق لتصبح ناعمة رقيقة لمساء يمكن الكتابة على وجهيها، وقد اشتهر رَقُّ الغزال في كتابة المصاحف، كما استعمل الرِّقُّ الأبيض والأحمر والأزرق وأفضلها الرق الأبيض^(٩).

يشغل الرق حتى وقت ظهور الورق (الكاغد) بشكل مطلق مكانا متميزا في صناعة الكتاب العربي المخطوط , ونظرا لندرة الرقوق وغلاء ثمنها كان يجدد استعمالها بالطلس واعادة الكتابة عليها اكثر من مرة , ووصلت الينا نماذج من ذلك , وجاء التحول لاستخدام الورق في المغرب الاسلامي متأخرا حيث ظل الرق هو المادة المستخدمة في الكتابة حتى القرن الخامس الهجري , بل ان المصاحف المغربية ظلت حتى وقت قريب تكتب على الرق طلبا لطول البقاء , وبدأ الورق الاوربي ذو العلامة المائية في الظهور بعد عام ١٥٥٠م , واستخدم في كتابة المخطوطات العربية بعد ذلك بوقت قريب^(١٠) .

٢- الورق:

ظلت صناعة الورق (البردي) في الدولة الاسلامية صناعة مصرية خالصة طوال القرن الاول واوائل القرن الثاني للهجرة حتى اخذ الورق الصيني(الكاغد) مكانه الى جانبه , واستخدم الورق (الكاغد) في مصر بطرق متقطعة في القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي , ولكنه لم يعتبر منافسا للبردي , حتى اواسط القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ,عندما حل محل البردي وبدأت مطابع الورق في الظهور وتوقف انتاج البردي . وصل الينا على البردي جزء من كتاب (الجامع في الحديث النبوي) لعبدالله بن وهب (ت ١٩٧هـ) , كشف عنه عام ١٩٢٢م , في حفائر كان يجريها المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية بالقاهرة في إدفو بصعيد مصر , وهو اليوم محفوظ في دار الكتب المصرية , بالإضافة الى الالاف من الاوراق واللفائف ذات الطابع الاداري والشخصي^(١١) .

ان استخدام الورق في الكتابة والتدوين ساعد على تطوّر صناعة المخطوطات في العالم الإسلامي. ويعود الفضل في اختراع مادة الورق إلى الصينيين الذين أنتجوه في القرن الأول الميلادي، مستخدمين في صناعته سيقان نبات الخيزران (البامبو) المجوفة والخرق البالية أو شباك الصيد، حيث كانت تُغسل هذه المواد جيدا ثم تُطحن في مطاحن خاصة حتى تتحوّل إلى عجينة طريّة، ثم تُضاف إليها كمية من الماء حتى تصبح شبيهة بسائل الصابون، وبعد عمليات تصفية دقيقة تؤخذ الألياف المتناسكة بعناية لتنتشر فوق ألواح مسطحة لتجفف بوساطة حرارة الشمس، وبعد ذلك تُصقل صحائف الورق بوساطة خليط من النشا والدقيق، وتجفف من جديد لتصبح بعد ذلك جاهزة للاستخدام^(١٢) .

وقد نقل المسلمون صناعة الورق عن الصينيين، وذلك عندما تمكن المسلمون من الاستيلاء على سمرقند عام ٧٥١م واستبقوا عدداً من أهل الصين من صنّاع الورق الذين قاموا بإطلاع العرب على أسرار صناعته. ومنذ ذلك الوقت أدخلت صناعة الورق إلى بغداد ومنها انتقلت إلى سوريا ومصر والمغرب العربي ثم إلى الأندلس التي كان لها الفضل الأول في نشر صناعة الورق في أوروبا. تطوّرت صناعة الورق في إيران بشكل أكبر عن مثيلتها في الأقطار الإسلامية الأخرى، حيث استطاع الإيرانيون في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي أن يصنعوا ورقاً فاخراً من الحرير والكتّان، كما عنوا

بضغظه وإكسابه بعض الألوان وتلميعه، ليليق بتدوين دواوين الشعر التي كانت تكتب عليه بالخطوط الجميلة، وتذهب بالصورة الملونة، التي كانت تحلى بها المخطوطات. وتشهد مجموعة المخطوطات الفنية التي أنتجت في إيران وتركيا والهند والعراق ومصر على ما وصلت إليه الفنون الإسلامية من تطور في التصميم، ودقة في التنفيذ، وروعة في التلوين^(١٣).

٣- القلم:

من أهم أدوات المخطوط القلم الذي عرف العرب منه أنواعًا كثيرة منها قلم السعف، وقلم العاج، وقلم القصب، والريشة المعدنية وأفضلها وأكثرها شهرة القلم المصنوع من القصب، وذلك لسهولة بري ريشته لتكون ذات سماكة معينة مسطحة الوجه وذات شق في الوسط لتسمح بانتقال الحبر من القلم إلى الورق مباشرة^(١٤).

٤- المداد:

صنع العرب المداد من الدخان والعفص (شجر البلوط) والصمغ، وقد استعمل حبر الدخان للكتابة على الورق بينما استخدم الحبر الصيني للكتابة على الرقوق وقد نجح العرب المسلمون منذ العصر العباسي في ابتكار أنواع كثيرة من الأحبار تتناسب مع طبيعة المخطوطات والأوراق المستخدمة في ذلك الوقت^(١٥).

٥- الألوان:

استخدمت الألوان الزاهية في تحلية المخطوطات الإسلامية، وصنع العرب الألوان من مواد مختلفة، منها ما هو مصنوع من مصادر نباتية كالحناء والبن والأرز والورد والأزهار، ومنها ما هو مصنوع من الأحجار الكريمة. وتتميز الألوان المستخرجة من مساحيق الأحجار بأنها ألوان ثابتة لا تتغير بعامل الزمن، وكانت مساحيق هذه الأحجار تُخلط بالصمغ والماء المستخلص من الورد. ومن أهم الألوان التي كانت تُستخرج من مساحيق الأحجار اللون الأخضر والأزرق اللذان كانا يُستخرجان من أحجار الفيروز النفيسة. أما المصدر الثالث لصناعة الألوان فهو الأتربة بعد أن تُنخل وتُصقى وتُشحق لتصبح كالكحل ثم تخطط بالصمغ والماء حتى تصبح جاهزة لتحلية صفحات المخطوطات^(١٦). أما المصدر الرابع والأخير في صناعة ألوان المخطوطات فهو التذهيب، وهناك نوعان رئيسيان في تذهيب المخطوطات هما المطفي واللماع. أولهما يتم بلصق الأوراق الذهبية الرقيقة في مواضع التحلية والثاني عن طريق التلوين المباشر بماء الذهب. وهو من الأساليب الفنية التي ارتبطت بفنون الكتاب، وازدهرت في أقطار العالم الإسلامي، فن تزيين المخطوطات بتذهيب بعض صفحاتها أو بتذهيبها كلها. والمعروف أن الخطاط كان يتم كتابة المخطوط تاريخًا فيه الفراغ الذي يُطلب منه في بعض الصفحات لترسم فيه الأشكال النباتية والهندسية المذهبة، أو تنقش فيه صور ذات صلة معينة بالمخطوط، وقد لا يكون لبعضها أي صلة قريبة، فيكون الغرض من رسمها تجميل المخطوط فحسب. ويكثر في مثل هذه الأحوال أن تكون الصورة منقولة عن مخطوط آخر. وكان تذهيب المخطوطات يمر بعدة مراحل، أولها يسند إلى فنان اختصاصي في رسم الهوامش وتزيينها بالزخارف، ثم ينتقل المخطوط إلى فنان آخر يقوم بتذهيب هوامشه وصفحاته الأولى، وكذلك صفحاته الأخيرة، وبداية فصوله وعناوينه. وكانت الرسوم النباتية والهندسية المذهبة في المخطوطات تصل إلى أبعد حدود الإتقان، ولاسيما في القرنين التاسع والعاشر الهجريين/ الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين حين بلغت الغاية في الاتزان والدقة وتوافق الألوان. أعظم المخطوطات القديمة شأنًا من الناحية الفنية هي مخطوطات المصاحف التي كانت تذهب وتزين بأدق الرسوم وأبدعها، وكان تعظيم القرآن الكريم يدفع كثيرًا من الفنانين إلى العناية بتذهيب المصاحف.

وأقبل بعض الأمراء والعلماء وكبار رجال الدين والأدب على تعلم فن التذهيب وكانت لمساعدتهم المادية والمعنوية للمذهبيين أكبر الأثر في إخراج أعظم مخطوطات المصاحف^(١٧)

ثالثا : نشأة المخطوطات :

لقد كانت بداية ظهور المخطوطات عندما بدأ الانسان القديم الرسم على جدران الكهوف ثم بتطور البشرية عرف الانسان النار وكيف يستعمل ماتبقى من رماد الخشب في الكتابة ثم باكتشاف المعادن اكتشف الانسان الحفر على الحجر , وكان المصريون القدماء اول من كتبوا بالاحبار الكربونية على الورق البردي في التاريخ كذلك استعمل طريقة الحفر والتلوين بالاكاسيد المعدنية الثابتة الالوان على جدار المقابر وكانت اول ثورة تكنولوجية في صناعة مواد الكتابة هي صناعة ورق البردي منذ ٣٠٠٠ سنة , وكان الفضل للصين في صناعة اول ورق كتابة في العالم , ومن اهم المخطوطات القديمة التي ظهرت خلال العصر الاسلامي هي رسائل رسول الله (ص) الى الملوك والحكام يدعوهم الى الاسلام , ثم اصبحت المخطوطات المادة التي حفظت تراث الامم^(١٨).

كانت الرواية الشفوية اول محاولة لنشر العلم , والرواية هي الطريقة البدائية للعلم عند جميع الشعوب , ولكن الرواية العربية اقرنت منذ اللحظة الاولى بالحرص البالغ والدقة الكاملة والامانة , كان هذا اساسها على الاقل , لان الدين يدعو الى ذلك , ولان الكثير من نصوص الكتاب والكثير من نصوص السنة كان شاهدا من شواهد التشريع , وكانت الكتابة شيئا جديدا , فالعرب كانوا قوما اميين لم تنتشر الكتابة بينهم الابدعوة الاسلام , ففي اعقاب غزوة بدر كان من طرق مفادة اسرى المشركين ان يعلم الاسير عشرة من المسلمين الكتابة , وكان عدة من كتب لرسول الله (ص) زهاء اربعين كتابا , وكان هؤلاء الكتاب يكتبون وحي القران , وقد كتبوا القران كله^(١٩) .

وفي عهد الدولة الاموية ونتيجة لانتساع رقعة الدولة العربية الاسلامية واختلاط العرب بالاعاجم , فكان طبيعيا ان يؤلف النحو وتوضع فيه اوائل الكتب , وتثور الفتن وتنتشر المذاهب وتكثر الفتاوى الدينية , فكان لابد للناس من كتب في الدين يرجعون اليها لتكون لهم اماما خشية ان يكون عمادهم اقوال مختلف العلماء ومذاهبهم التي قد توجهها الالهواء ونوازع السياسة والعصبية فيدونون الحديث . وكانت تظهر جهود اخرى في التأليف المبكر , تتمثل فيما ترجم لخالد بن يزيد بن معاوية من علوم اليونان ومالف هو من كتب في الطب والكيمياء , فضلا عن ذلك فقد اشتهر في ذلك العهد كاتبان موصوفا بحسن الخط واسمه خالد بن ابي الهيجاء , كان سعد قد نصبه لكتابة المصاحف , كان يكتب الشعر وال اخبار للوليد بن عبد الملك^(٢٠) .

ومع تطور الكتابة العربية نحو النضج والكمال , ومع تحركها نحو الصورة النهائية التي استقر عليها الى اليوم , كانت حركة التأليف تشق طريقها الى الوجود , حيث تمضي حركة التأليف مسرعة في خطاها حتى لنجد رجلا كأبي عمرو بن العلاء (٧٠-١٥٤هـ) يكتب عن العرب الفصحاء كتبا تملأ بيوتا له الى قريب من السقف , ورجلا كعبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي (وكان في العصر الاموي) يتخذ بيوتا فيجعل فيه ناديا ثقافيا فيه شطرنجات ونردات ودفاتر (فيها من كل علم) , ولكن كتب القرن الاول الهجري واوائل القرن الثاني الهجري لم تكن سوى مباحث مفردة لايتجاوز كل منها حدود المسألة التي يناقشها الى مايتصل بها او يدور حولها , فكان الكتاب بمنزلة فصل من فصول كتاب من الكتب الحديثة , ومثال ذلك (مسائل نافع بن الأزرق) التي تنسب الى ابن عباس ونشرها محمد فؤاد عبد الباقي ملحقة بمعجم غريب القران , وبظهور حلقات الدرس ومجالس الاملاء في القرن الثاني بدأ التأليف يتجاوز حدوده القديمة واصبح العالم لايلتزم بموضوع محدد وانما يتعرض لاكثر من موضوع يتناول اكثر من فن من فنون المعرفة في المجلس الواحد , يشجعه على ذلك ان هذه المحاضرات وحلقات الدرس لم تكن معدة ولا مكتوبة وانما كانت تخضع للارتجال والظروف^(٢١)

ثم تنهض الدولة العباسية وينهض التدوين ويتحرر المحدثون من هذا التزمت , وتوضع مسانيد الحديث وكتبه في كل صقع , وتظهر الكتب في شتى الفنون الدينية محتفظة بالطابع الذي غلب على اغلب المحدثين , وهو اسناد الرواية الى مؤلف الكتاب والقراءة على الشيخ والاجازة والمكاتبة والوجادة , تسرى هذه القواعد التي تكفلت كتب مصطلح الحديث فيما بعد بتفصيلها وبيان شرائطها , وهذا كله مقرونا بالحرص على الضبط والتصحيح^(٢٢).

وحيثما بدأت حركة الترجمة في العصر العباسي ظهرت في لغة العرب مسميات اجنبية لعلوم او فروع من علوم كالجغرافية والفلسفة والغورثمي وهذه مسميات تقبلها الناس واستعملوها وكانت دلالاتها واضحة في اذهانهم , وفي العصر الحديث ونتيجة طبيعية للاتصال بالثقافات الاجنبية والانفتاح حاليا (علم المعلومات) على اساس ان المكتبة اشقت تسميتها من الكتاب الذي ظل الوعاء الاوحد والاساس للمعلومات لقرون طويلة , اما الان فقد بدأ يتنازل عن عرشه ويتخلى عن مكانته تدريجيا لأوعية اخرى حديثة لم تكن تخطر للبشرية على بال منذ عشرات السنين^(٢٣).

وقد وصل اليانا هذا التراث على شكل نصوصا مكتوبة حفظتها اوعية رصت على رفوف خزائن العلم في انحاء المعمورة , فحيثما كانت حركة التأليف باللغة العربية كان المخطوط تحفظه المكتبات العامة او الخزائن الخاصة , نجده في اقاصي الهند والصين شرقا , كما نجده في اقاصي بلاد الاندلس غربا , تلك هي مستقرات المخطوطات العربية , ثم كتب عليها ان ترحل في البلاد , حيث نقل المخطوط من مستقره في بلد ليودع في خزانة بلد اخر , وتعددت دور الكتب التي تحفظ فيها المخطوطات العربية في انحاء العالم على وجه التقريب , نجدها في مكتبة الكونجرس وجامعة برنستون في الولايات المتحدة الامريكية غربا , كما نجدها في مكتبات الصين والهند شرقا , واصبح على العثور على المخطوط بسبب هذا التوزع والانتشار , امرا غاية في العسر ان لم نقل مستحيلا^(٢٤) .

ان اول مخطوط عربي ظهر الى الوجود كان في المدينة المنورة , وذلك عندما تم جمع القران الكريم على صحائف من الرق , ثم استنسخت منه مجموعة من المصاحف التي وزعت على بعض العواصم في الامصار الاسلامية في عصر الخليفة عثمان بن عفان , كما ان حركة تدوين الحديث الشريف والكتابة في موضوعات ذات علاقة بالعقيدة والتفسير افرزت مجموعة من الكتب التي احتفظ بها اصحابها^(٢٥).

وكانت تلك المصاحف الاولى مكتوبة على الرق لكونه ابقى دواما واكثر استيعابا للنص , وكانت مجردة من النقط والشكل شأنها شأن كل ما بقي لنا من كتابات ذلك الزمن , وكانت مجلدة بابطس صور التجليد وهو وضع كل منها بين لوحين بسيطين من الخشب المجرد من الحلي والزخارف^(٢٦) .

اتسعت بعد ذلك دائرة التدوين والتأليف والترجمة لكل ما يتعلق بحياة الرسول (ص) والحديث الشريف , وامتدت ايضا الى القصص والايخبار والتاريخ واللغة والادب والعلوم البحتة والعلوم التطبيقية , الى ان بلغت ذروتها خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين اللذين شهدا ذروة النشاط العقلي العربي , ويعتبر الشافعي والواقدي والمدائني وجابر بن حيان وهشام الكبي واسحاق الموصلي ومن بعدهم الجاحظ والكندي والرازي نماذج رائعة لكثرة الكتب وضخامة حركة التأليف في تلك الحقبة من التاريخ العربي , وهكذا بدأ نشاط امتنا العربي يزداد انتشارا وازدهارا في الوقت الذي كانت فيه اوربا تعيش في عصورها المظلمة^(٢٧).

فقد استدعى اختراع الورق وانتشار استعماله واتساع العمران ظهور طائفة من الناس يشتغلون بالورق والكتابة وصناعة الكتب , وهؤلاء اطلق عليهم الوراقين وما يؤديونه من عمليات النسخ وبيع الكتب والمخطوطات عرف بالوراقة , وكان الوراقين يقومون بتنظيم العلاقة بين النساخ والقراء كما يقوم

الناشرون في العصر الحديث , فكان لهم دور كبير في تاريخ الحضارة والثقافة الاسلامية وانتشار المخطوطات^(٢٨) .

وكننتيجة طبيعية لازدهار حركة التأليف والترجمة , وكثرة الكتب وتداولها بين الناس , ظهرت اول مكتبة ضخمة في تاريخ العرب , وهي بيت الحكمة او خزان الحكمة , التي انشأها الخليفة المأمون والتي كانت مركزا للترجمة والنشر بالتعبير الحديث , حيث لما تولى المأمون الخلافة وجه همه الى الاهتمام ببيت الحكمة والى الترجمة والتأليف , فترجمت له كتب الحكمة المختلفة , واختار لها مهرة مترجمين , حيث بلغ عدد المخطوطات التي كانت في بيت الحكمة اربعمائة الف كتاب مخطوط , وهذا ما يدل على ان حركة التأليف والترجمة , سارت جنبا الى جنب , ثم ان معظم المؤلفين كانوا مترجمين وهو ما يجعل الفصل بينهم صعبا , وانتشرت بذلك دور الكتب في كل مكان حيث وصل في بغداد عدد دور الكتب العامة اكثر من ١٠٠ دار عام ٨٩١م .وننتج عن تطور حركتي التأليف والترجمة تطور نسخ المخطوطات , حيث امتلأت مكتبات العالم بالمخطوطات العربية , فاعجب العلماء والمستشرقين الغربيين بعظمة التراث العربي المخطوط واثره في الثقافة العالمية , فانهمكوا في اعداد البحوث والدراسات لابرار هذا التراث , ومنهم على سبيل المثال المستشرق الاسباني خوان فيرينت خينس والروسي روزنفلد الذي الف كتابا مهما بعنوان (مع المخطوطات العربية)^(٢٩) .

لذلك فان مصطلح المخطوط حديث في كل اللغات وان ظهوره افرزه اكتشاف الطباعة , واذا كان الاهتمام به كمتن قد بدأ منذ بداية عصر النهضة الحديثة فان الاشتغال به كقطعة مادية بدأ في القرن الماضي في اطار مايسمى بعلم المخطوط بمفهومه الحديث او الكوديكولوجيا بعناية الفولولوجيين اللاتين , واذا كان المخطوط الاوربي قد خطا خطوات في هذا الاطار فان المخطوط العربي الذي يعتبر اضخم تراث في العالم , مازال في المراحل الاولى من دراسته دراسة مخطوطيه علمية حديثة^(٣٠) .

وكانت المخطوطات منذ القدم تصان ويتم المحافظة عليها عن طريق خزنها في المكتبات الملكية في مجموعات منفصلة , او عن طريق تسليمها الى اشخاص مختصين , عادة تكون المخطوطات القديمة بالية وهشة , بسبب مهاجمتها من قبل حشرات مختلفة , او تعرضها لاشعة الشمس او الرطوبة , توجد ايضا بعض اجزاء من المخطوطات ممزقة او مشتتة او مفقودة , ومع ذلك لكل ورقة من المخطوطات قيمة فريدة من نوعها ذاتيا , ينبغي المحافظة على المخطوطات في اكداس خاصة والكثير منها بحاجة الى الترميم , وينبغي المحافظة على هذا التراث من النفائس جراء تعرضها لاية اضرار محتملة او خطر معين وذلك من خلال انواع مختلفة من الانشطة العلمية والعملية^(٣١) .

المحور الثاني : اهمية المخطوطات في دراسة التاريخ الاسلامي :

ان الميزة الفريدة التي امتازت بها اللغة العربية جعلت المخطوط العربي اطول مخطوطات العالم عمرا واكثرها عددا , فمن ورائنا قرابة اربعة عشر قرنا من التراث المخطوط , وهو تراث ضخم لايتوفر لاي امة من الامم , ولافي اي لغة من لغات البشر , ومع ان الطباعة قد دخلت الشرق مع الحملة الفرنسية على مصر في اواخر القرن الثامن عشر , الا ان احدا لايستطيع ان يزعم ان هذا التاريخ كان نهاية عصر المخطوط العربي , فقد ظلت للمخطوطات قيمتها واستعمالاتها حتى انتشرت الطباعة في اواخر القرن الماضي واول القرن الحالي^(٣٢) .

لقد كانت المخطوطات العربية من الكثرة بحيث فاقت بعددها وتنوع موضوعاتها اي تراث فكري عالمي اخر , وقد ضاع الكثير من هذا التراث المكتوب بسبب الحرائق والحروب واعتداء الدول الاجنبية كالتتار والمغول والصليبيين كما سرق الكثير منها اثناء فترة الاستعمار ومن ثم نقلها الى اوربا وامريكا ,

ويقدر عدد المخطوطات العربية الموجودة في العالم بأكثر من ٤ او ٥ ملايين مخطوطة مبعثرة في مكتبات العالم الاسلامي والغربي كما ان الكثير منها مجهول لانعرف عنه شيئا لانها لم تفهرس^(٣٢)

وتشكل المخطوطات ارثا وتراثا لانها تمثل اصل الكتب ويقع علينا واجب المحافظة عليها ونشرها لنعم فائدتها على الكل واطهارها الى الوجود بدل من ان تكون مكونة في المكتبات , وتمثل المخطوطات احد مكملات الكتب ووجودها فيها يمثل علامة على متانة المكتبة , ولاسيما تلك النادرة منها , الا ان وجود هذه المخطوطات يتطلب منا المحافظة عليها وصيانتها بين الحين والآخر من التلف والتمزق وغيرها من العوارض التي تتأثر فيها وكل ما يجنبها من التعرض للمخاطر التي تؤدي الى نهاية هذا الصرح العلمي , ولقد حرصت اغلب المكتبات في العالم الكبيرة والصغيرة منها المشهورة منها والغير مشهورة , على عمل فهارس لمخطوطاتها بشكل يتلائم مع ماموجود في المكتبة سواء اكانت كبيرة ام صغيرة , من قبل اشخاص مختصين بهذا العمل , وتكون هذه الفهارس مرتبة بطريقة معينة وفق ضوابط محددة مع ما متوافر لدى المكتبة من امكانات وانظمة لعمل تلك الفهارس على سبيل المثال : مكتبة المتحف البريطاني , والمكتبة الاهلية في باريس , ومكتبة الكونغرس الامريكية^(٣٤) .

كما ان اهميتها تعود لما تحويه هذه المخطوطات من معلومات قيمة تعين الباحثين على معرفة الكثير من اخبار الماضي , فتعد مصدرا وثائقيا ومعلوماتيا هاما لاسيما اذا زودت بصور توضح النص الوارد فيها , حيث اصبح لفن المخطوطات المزينة بالصور مدارس خاصة بها وتمثل المدة الممتدة من القرن الخامس عشر وحتى القرن التاسع عشر الميلادي اكثر الفترات ازدهارا في مجال تزويق المخطوطات بالصور سعة , لاسيما في مجال المخطوطات التاريخية التي حفظت لنا وزودتنا بمعلومات بالغة الاهمية لتفاصيل الكثير من الاحداث التاريخية المختلفة كالحروب التي خاضتها الدول او مراسم تنصيب الملوك والسلاطين وغيرها^(٣٥) .

ويعد العرب والمسلمون من اعظم الامم تراثا , فقد الفوا وصنفوا الملايين من الكتب في مختلف ميادين الثقافة والعلوم الانسانية , وقد كان نتاج العلماء والمحدثين والفقهاء واللغويين والشعراء والكتاب والادباء والرياضيين والفلكيين وغيرهم خصبا واسعا حتى زادت مؤلفات بعضهم على المئة وبلغت مؤلفات بعضهم الخمس مئة , وقد ضاع الكثير من هذا التراث العربي المكتوب , كما ابعد الكثير من الكتب المتعلقة ببعض المذاهب الفلسفية او الفرق , مثل كتب المعتزلة او الباطنية , والكثير من هذه المخطوطات مجهول لانعرف عنه شيئا , لانه لم يفهرس , او لم تنشر فهارسه وتطبع , ليطلع عليها العلماء وارباب الاختصاص , وخاصة مخطوطات العالم الاسلامي والعربي^(٣٦) .

وقد تنبه العرب والمسلمون , في السنوات الاخيرة الى عظم هذا التراث وقيمه , واخذوا يبذلون الجهود لمعرفة والاطلاع عليه , فسارت هذه الجهود في ناحيتين : الاولى جمع هذا التراث المبعثر وايداعه في مكان واحد ليرجع العلماء اليه , وكان اعظم عمل في هذا الباب تأسيس معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية , ليقوم بتصوير التراث العربي تدريجيا , على الافلام ويجمعه في القاهرة , ويضعه تحت تصرف العلماء والباحثين , وقد قام المعهد بعمله وجمع الالوف المؤلفات من صور المخطوطات العربية من اماكن مختلفة من العالم , والناحية الثانية هي فهرسة المخطوطات , اي وضع فهارس للمكتبات التي تحتوي على مخطوطات , وقد صدر في السنوات الاخيرة عدد لا بأس به من هذه الفهارس , يختلف في الصحة والجودة , وسداد الطريقة واضطرابها^(٣٧) .

ان أهمية المخطوطات كبيرة جداً، فعلم الأمة مدون فيها، ومدون فيها الوحي وتفسيره؛ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وشروحها، وفقه الأمة، وعلم الأئمة، وتاريخها، ولغتها، وغير ذلك، وأمة بغير ذلك ليست أمة! ولا شك أننا ما زلنا حتى اليوم في حاجة ماسة إليها، بل إنه كلما تقدمت بنا السنين ازدادت حاجتنا، وحاجة الأمة عامة، إليه. لهذا فالحفاظ عليها متعين، وهو واجب على الأمة، ومن فروض

الكفريات، بحيث لو قدر أنه لم يقم به أحد: فالإثم واقع على الجميع! , أما الزعم أن المطبوعات تكفي عن المخطوطات: فهذا غير صحيح، ولا يقوله إلا من ليس له معرفة بتاريخ الأمة، ومصنفات الأئمة، وحجم مؤلفاتهم، وكثرة مصنفاتهم. فلو نظرت إلى عدد عناوين المطبوعات التراثية - الكتب التي طبعت عن مخطوطات- لوجدتها قليلة، حتى لا تكاد تمثل نسبة مئوية يسيرة بجانب أعداد المخطوطات. وما يملأ عين الناظر من المطبوعات اليوم: هو طبعات مكررة كثيرة لعناوين محدودة، فالعنوان الواحد يطبع مائة مرة. وربما أكثر^(٣٨).

حتى هذه المطبوعات التراثية -مع قلة عددها موازنة بحجم المخطوطات- لا تكاد تسلم من أمر يقدر تمام الاستفادة منها؛ فبعضها طبع طبعة كثيرة التحريف والتصحيف والأخطاء، عن نسخة خطية سيئة، أو كان سبب ذلك سوء المحقق، وضعفه العلمي. وبعضها طبع طبعة جيدة، غير أنها نافذة، لا تكاد توجد إلا بنوع من المشقة. ولو سلمنا بأن بعض المخطوطات تطبع طباعة جيدة متقنة مصححة: فإن ذلك لا يغني عن المخطوطات، فالمخطوط يبقى شاهد عدل وصدق على سلامة المطبوع وصحته، وعدم تحريفه، أو تزويره، أو الزيادة فيه، أو النقص منه. وكلما زاد عدد المخطوطات للكتاب زادت الشهادة على إتقان المطبوع وصحته أو عدمها، كحصول الشهادة على الشهادة^(٣٩).

لقد كانت تستعمل المخطوطات في خزن المعلومات ونشرها؛ وفي الغرب، فإنه سبق عصر المخطوطات عموماً عصر الطباعة، ولهذا نجد من تراث المخطوطات نسخ الرهبان في الكنائس الكتب باليد. ونسخوا ليس فقط الأعمال الدينية، ولكن مجموعة متنوعة ومختلفة من النصوص بما في ذلك بعض من الكتب التي تحتوي على علوم الفلك، والأعشاب، والهندسة غيرها. وتتعامل ثقافة المخطوطة في القرون الوسطى مع انتقال المخطوطة من الكنائس والأديرة إلى السوق في المدن، ولغاية وصولها إلى المعاهد والجامعات. وقد أدى إنتشار نسخ المخطوطات في المدن إلى خلق فرص عمل تقوم على صنع المخطوطات والاتجار بها، وعادة ما تنظمها إدارة الجامعات. ولقد اتسمت ثقافة المخطوطات المتأخرة بالرغبة في التوحيد، والوصول الجيد والمناسب إلى النص الوارد في المخطوطة، وسهولة القراءة بصوت عال، ونمت هذه الثقافة في أوروبا وشمل ذلك تغييراً في المواد (عند النسخ من ورق إلى ورق)، وكان يشكل آلية للتوافق من قبل الكتاب المطبوع، مع التأثير أيضاً على ذلك^(٤٠).

من يتتبع تاريخ الادب العربي خلال القرون الخمسة الاولى للهجرة يدرك ان الكتب المؤلفة خلال تلك الحقبة من الزمن _ اي منذ بدء التأليف في الاسلام حتى نهاية عام ٥٠٠ للهجرة _ لاتدخل تحت حصر فهي من الكثرة والتنوع , بحيث يتعذر على الباحثين من ابناء عصرنا ان يلموا بأسمائها جميعا , ولا يخفي ان جملة كبيرة من هذه المؤلفات قد امتدت اليها ايدي الضياع ولعل ابرز هذه الاسباب هي جهل الانسان وتعصبه واهماله , والفتن والحروب والحرائق والغرق وافاعيل الطبيعة , من حر وبرد ورطوبة وجفاف , وفعل الحشرات والهوام , وغير ذلك من اسباب التلف التي تألبت قرنا بعد قرن , على ذلك التراث العربي العظيم فابادت كثيرا من معالمه^(٤١).

والمخطوطات العربية المؤرخة ذات قيمة مادية هامة اذ تعرفنا بالعصر الذي كتب فيه المخطوط مما يساعد على تفهم الوسط العلمي والاجتماعي والثقافي الذي دون فيه المخطوط , لذا فان عمل فهارس تاريخية للمخطوطات المؤرخة ترتب فيه حسب تاريخ كتاب النسخة يعد عملا اساسيا يجب ان يضطلع به ابناء المكاتب لاهميته وفائدته الكبيرة في دراسة المخطوط العربي , وكذلك نشر النصوص الكاملة لحررد المتن للمخطوطات العربية^(٤٢).

لقد كان مؤلفات اطباء العرب وتجارهم جسورا عبر عليها الطب الاغريقي الى اوربا مصبوغا بالصبغة العربية التي اضافت اليها واستدركت عليه , وقد اعترف بهذا مؤرخو العلوم , من المستشرقين وغيرهم^(٤٣) :

يقول نيكلسون , من كلام طويل : (وما المكتشفات اليوم لتحسب شيئا مذكورا ازاء مانحن مدينون به للرواد العرب الذين كانوا مشعلا وضاءا في القرون الوسطى المظلمة في اوربا)

وقال الطبيب الاوربي دي بور : (كان الطب ميئا فاحياه جالينوس , وكان متفرقا فجمعه الرازي)

وقال وليم اوزلر : (ان العرب اشعلوا سراجهم من القناديل اليونانية , وبلغت صناعة الطب عندهم حتى القرن الثاني عشر الميلادي , مكانة واهمية لانجد لها مثيلا في التاريخ)

ومن اقوال سارتون : (ان بعض المؤرخين يحاول ان يبخر قدر ماقدمه العرب للعالم , ويصرحون بان العرب والمسلمين نقلوا العلوم القديمة , ولم يضيفوا اليها شيئا , وهذا الرأي خطأ , وانه لعمل عظيم ان ينقل اليها العرب كنوز الحكمة اليونانية ويحافظوا عليها , ولولا ذلك لتأخر سير المدنية قرونا عديدة)

ومن الامور الجديرة بالذكر ان الكثير من المخطوطات بقي موفورا يملأ الخزائن العامة والخاصة الى عهد قريب , وان ما ضاع منه بسبب غفلة الناس وتفريطهم اكثر مما ضاع بسبب عوادي الحروب والايام , وان ما يقال من ان ماء دجلة قد اسود من كثرة ما القي فيه من المخطوطات , ايام غارة التتار , فان ذلك من المبالغات , واية ذلك ما نراه من موسوعات للعلماء المتأخرين من امثال جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) , وعبد القادر البغدادي صاحب كتاب الخزانة (ت ١٠٩٣هـ) , والمرضى الزبيدي صاحب كتاب تاج العروس (ت ١٢٠٥هـ) , ففي هذه المصنفات وفي اثنائها كتب كثيرة , لانعرف لها وجود الى الان , ولا زالت الايام تظهرنا على مخطوطات نفيسة , كنا نعددها من المفقودات^(٤٤) .

ان جهل النساخ والسرعة في النسخ واختلاف الاذواق والمذاهب والعقائد والاتجاهات السياسية وغيرها مما ترتب عن ذلك من تصحيف وتحريف وسقط وخلل كل ذلك خلف اثره في التراث المخطوط الامر الذي يدعوا الى القيام بمجموعة من الاعمال العلمية لمعالجة هذه المشاكل يكون اولها وضع فهرس للنساخ وفوتوغرافيات خاصة بهم , اما البحث في الخزائن ومجموعات الكتب وفي اصحابها ومالكها وفي مصادر المخطوطات وتناقلها بين الخزائن والدول والاشخاص وماشابه ذلك قد يمكن المختصين من الاجابة على بعض التساؤلات التي تورقهم وتشغل بالهم , مثل التساؤل عن الايدي التي تناولت الكتاب وتصفحته وتملكته وقرأته وحشته وعلقت عليه , وعن المكتبات او المجموعات الخطية التي كان ينتمي اليها المخطوط , ثم عن الطرق التي مر منها في تناقله بين هذه المجموعات الى ان استقر به الامر في خزانة معينة , ان من شأن هذا البحث ان يساعد على اكتشاف الاسباب التي ادت الى ضياع مخطوط معين بعدما استفاد منه المؤلفون ونقلوا منه واقتبسوا منه , وما اكثر تلك المؤلفات التي اقتبس منها وضاعت مع الزمن , وقد حاول بعض المحدثين ان يعملوا على ايجاد هذا التراث المفقود , فجمعوا مجموعات من النصوص التي فقدت اصولها من بطون ما هو موجود من كتب التراث , ويدخل في هذا الاطار البحث عن اسماء مؤلفي الكتب المجهولة المؤلف , وما اكثرها في التراث العربي , ان كتب التراجم والفهرسات والمؤلفات الببلوغرافية العربية ملأى بالمصنفات التي لانعرف لها مؤلفا , وقد يمكن العثور على هذه الاسماء , بالرغم من الصعوبات التي يفترضها مثل هذا البحث , الذي لا يستطيع خوض غماره الا ذوو التجربة من جهايزة العلماء المتمرسين على التعامل مع التراث^(٤٥) .

ولذلك فان اهتمام العرب المسلمين بالمخطوطات كان كبيرا لانها السبيل الوحيد للحفاظ على موروثنا الحضاري , والذي يكشف ماكانت عليه الامة من تقدم وازدهار في مختلف حقول المعرفة فهي الوعاء الذي حفظ نتاجات العقل من رقي حضاري في مختلف الفترات الزمنية كما انها تعكس مدى مساهمات الحضارة العربية في اغناء الحضارة الانسانية باسباب التقدم والرقي , وان البحث في ذخائر التراث لا يقتصر على كشف قيمتها المعرفية والتاريخية وانما يعني اظهار امكانيات جديدة قابلة للعصرنة

والفوائد التي نجنيها من احياء التراث العلمي ودراسته عديدة , منها اثناء المدخل التاريخي في تدريس العلوم وتصحيح تاريخ العلم بكشف حالات الغش الفكري الذي حدث من جانب بعض المؤرخين و اضافات المستشرقين في حق تراثنا وللمخطوطات قيمة طبية ايضا , حيث توجد مؤلفات تراثية يمكن الاستفادة منها في مجال طب الاعشاب الذي ابدع فيه علماء السلف , ولا يزال معتمدا في الكثير من الدول , وتتضمن مخطوطات العلوم افادات مباشرة وغير مباشرة تغني مؤرخي الحضارة , ومع ازدياد البحث عن المخطوطات النادرة في مختلف انحاء العالم زادت الحاجة الى دعم حركة الاحياء الحضاري لتراث المسلمين لمواجهة كل تحديات الحاضر والمستقبل^(٤٦).

وكان المستشرقين قد سبقوا العرب الى نشر هذا التراث منذ اكثر من مائة عام , فنشروه متبعين نهجا علميا دقيقا , مع ضعف فريق منهم باللغة العربية او اطلاع اخرين منهم عليها , و شاء العرب ان يحذو حذو المستشرقين في تحقيق النصوص , فنجح اناس اوتوا العلم والمنهج العلمي واخفق آخرون اعوزهم المنهج الذي ينبغي اتباعه في النشر , وحاول هؤلاء ستر نقصهم هذا بالغض مما نشر المستشرقون واتخذوه هزوا , ومن الانصاف ان نقرر ان المستشرقين كان لهم فضل السبق في نشر تراثنا منذ القرن الماضي , وانهم اول من نبهنا الى كتبنا ونوادير مخطوطاتنا وانهم وضعوا بين ايدينا نصوصا لولاها لم نعرفها , نضرب على ذلك مثلا : في سنة ١٨٦٦ هـ نشر وستنفلد معجم البلدان لياقوت , وفي سنة ١٨١٩ هـ نشر فريتاغ المنتخب من تاريخ حلب لابن العديم ولم يصدر حتى اليوم عندنا طبعات احسن منها^(٤٧).

ان مؤلفي المخطوطات العربية سبقوا الغرب والعالم في نمط التأليف تميزوا به ايضا وهو تأليف ووضع كتب الطبقات والتراجم على تنوعها وكثرتها , كذلك فقد امتازت المخطوطات العربية بمقدماتها الوافية وبتنظيمها , فهذه المقدمات تعرف بالكتب وتوضح مدى الجهد الذي كان يبذله المؤلفون في وضع كتبهم^(٤٨).

كما الف الغربيون كتباً جمة حول هذا التراث , واستطاعوا ان يطلعوا العالم الغربي على اهمية التراث العربي المخطوط من خلال التحقيق والدراسة والترجمة وانصرف البعض الى التراث العربي كما فعل ماير هوف متتبعا المجال الطبي والاكتشافات في علم التشريح وغيره , وحقق عدد من المخطوطات , على ان الاوربيون قد سبقوا الى نشر التراث العربي المخطوط لانتشار الطباعة في حين ان الطباعة العربية التي كانت قد عمت بدءا من القرن الثامن عشر مع قيام مطبعة بولاق الرسمية في مصر^(٤٩).

المحور الثالث : نماذج من المخطوطات الاسلامية واهميتها في التاريخ الاسلامي:

منذ ان نزل القرآن الكريم على العرب غارسا فيهم سر الخلق والانبعاث ومحرضا لهم على القراءة والتفكير والبحث , اكتضت خزائن ديار الاسلام بمئات الالاف من المخطوطات العربية , وتوزعت على المساجد والمدارس والمكتبات العامة والخاصة , تشهد لهذه الامة ان شعلة الابداع لن تنطفئ وان غشاها ضباب التخلف في بعض الفترات , ولقد احتضنت المكتبات العامة والخاصة والمساجد والمدارس في الكثير من المخطوطات العربية , وقد تم فهرسة بعض الادلة على ذلك , وبهذا الدأب والاحترام لمهنة نسخ المخطوطات وفهرستها كان الكتاب العربي المخطوط متاحا لكل من يطلبه من حدود الصين الى جبال اسبانيا ومن ادغال افريقيا الى صحارى جزيرة العرب^(٥٠). وفيما يلي نماذج لبعض المخطوطات الاسلامية التي كان لها اثرا كبيرا في التاريخ العربي والاسلامي :

يعتبر المصحف الشريف من أول المخطوطات الدينية التي وجهت إليها العناية والاهتمام، حيث خصّه الفنانون المسلمون بجهود فائقة من أجل تجميله وزخرفته وتطوير أساليب رسمه وحفظه. وتحتفظ

مكتبات العالم ومتاحفه على وجه العموم , ومكتبات العالم الاسلامي والعربي على وجه الخصوص بألاف من المصاحف الخطية , والمصاحف المخطوطة تعتبر ثروة علمية عظيمة الاهمية فمن الناحية التاريخية تحكي تلك المصاحف قصة الحفظ الموثق للمصحف الشريف منذ عصر الصحابة الى زماننا هذا , ومن الناحية العلمية تبين تلك المصاحف جوانب مهمة من علوم القران التي خدمت المصحف والقراءة فيه , ويتجلى من خلال تلك المصاحف تطور عدد من علوم القران كعلم النقط والشكل , وعلم الوقف والابتداء وعلم القراءات ... , كما تكشف المصاحف ما بذله الخطاطون والنساخون من جهود في نسخها بخطوط متنوعة , وزخارف جميلة زينت المصحف بأجمل اللوحات الفنية الخاصة بأطر الصفحات وفواتح السور , وحاويات اعداد الايات والاجزاء والاحزاب ومواضع السجدة^(٥١) . ولم تقتصر المخطوطات الدينية على المصاحف وحدها بل شملت كتب الحديث والسيرة والفقهاء وغيرها، إلا أن مخطوطات المصاحف تظل أكثر تلك المخطوطات روعة وجمالاً.

وان التراث العربي الاسلامي من المخطوطات الدينية تراث مميز لانه يرتبط بالقران الكريم والحديث الشريف , فعلاوة على كتب التفسير والحديث نجد مؤلفات كثيرة جدا في الفقه الاسلامي وفروعه , وهو العلم المتعلق بالقانون الاسلامي , ومن اهم الكتب المتعلقة بالفقه كتاب (المحلى) للامام الظاهري ابو محمد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ) , ويرتبط ايضا بالقران الكريم والحديث الشريف المؤلفات التي بحثت في اخبار الرواة والمحدثين وتراجمهم , مثل طبقات المفسرين للسيوطي , وتاريخ الثقات لاحمد بن عبد الله بن صالح العجلي (ت ٢٦١ هـ) , وكتب الاسماء والكنى لمؤلفين مثل يحيى بن معين وابي بكر بن ابي شيبة واحمد بن حنبل وغيرهم , فضلا عن ذلك فان العلماء العرب المسلمين لم يتركوا اي ناحية من النواحي البحث في العلوم الدينية والاسلامية دون دراسة وتمحيص , ومكتباتنا العربية زاخرة بالمخطوطات التي حقق ونشر منها الكثير وما زال الباحثين يسعون نحو تحقيق ونشر ما لم ينشر من هذه المخطوطات^(٥٢).

كان العلماء العرب والمسلمون متفوقون في دراساتهم العلمية واكتشافاتهم التي سجلوها في مخطوطاتهم العلمية ففي الطب تمثل المؤلفات الطبية العربية انجازا علميا يحمل الطابع العربي الاسلامي وليست نقلا عن العلوم القديمة في الطب باعتراف علماء الغرب ومفكره وعلماء العالم , ففي علم التشريح كان للمنصوري في تشريحه ما لم نجده في الطب اليوناني مثلا , كذلك انتقد العلماء العرب في الطب ماورد في مؤلفات جالينوس , كما كانت لهم انجازات هائلة فيما يتعلق بتشخيص الامراض وعلاجها , فضلا عن مؤلفات الرازي حيث تميزت بملاحظاته ووصفه للاعراض في الامراض^(٥٣) .

وتعددت مؤلفات العرب في الرياضيات والفلك والضوء وخاصة لجابر بن حيان الذي كان من ابرز الرياضيين والكيميائيين العرب , وقد الف ست وعشرين كتابا في الكيمياء ترجم بعضها الى اللغات الاخرى , وكانت مصدرا مهما للدراسة في الجامعات العالمية , وفي الفيزياء برع العالم العربي ابن الهيثم بالنسبة لمكتشفاته في علم الضوء التي دونها في مؤلفاته المهمة في هذا العلم , واوله كتابه (علم المناظر) وبحوثه الاخرى العديدة , فضلا عن الدراسات المختلفة في العلوم الاجتماعية حيث كان ابن خلدون من ابرز الذين اتوا بنظريات واره في علم الاجتماع , فكانت ارائه سباقة لكبار مفكري علم الاجتماع في الغرب , بل انهم تأثروا بارائه وتناوله الباحثون بالدراسة والبحث فابرزوا اهميته كعالم اجتماع , ومن هؤلاء هلموت ريتز في بحث سيكولوجي اجتماعي يتصل بافكار ابن خلدون . وكانت احوال المعلمين وشؤونهم من الموضوعات التي حظيت باهتمام المؤلفين العرب , ومن اشهر المؤلفات فيها رسالة الجاحظ في المعلمين التي طبعت على هامش كتاب الكامل للمبرد (ت ١٣٢٣ هـ) , وقد تناول الجاحظ فيها وضع المعلمين من الناحية الاجتماعية . اضافة الى اتساع الافاق المعرفية في التاريخ والجغرافيا والتراجم , فهناك كتب التاريخ العام كتاريخ الطبري والكامل في التاريخ وغيرها , وهناك كتب تختص بتاريخ بلدان معينة كتواريخ الاندلس الكثيرة واخرى عني مؤلفوها بتاريخ دمشق او حلب او

مصر او بغداد ومن اهمها تاريخ دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١هـ) , وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي وغيرها كثير (٥٤).

كما يزخر التراث العربي بالكتب التي تناولت علوم اللغة العربية , وقد كان للقران الكريم الفضل في الحفاظ على اللغة العربية ولنشاط اللغويين في التأليف اللغوي فقد تسارعوا الى تأليف المعاجم اللغوية , ولعل في سبق العرب الى الترتيب المعجمي ما يعد في تاريخ اللغات الانسانية فضلا كبيرا اعترف به العالم باسره للعرب اذ كان اول المعاجم معجم العين للخليل بن احمد , وقد شمل هذا التراث ايضا كتباً موسوعية في تنوع بحوثها كنهاية الارب في فنون الادب , وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي فهو يضم جوانب ادبية كبيرة , ومثله كتاب الاغاني للاصفهاني وهو من اشهر الكتب الادبية في القرن الرابع الهجري , حيث كثيرا من المعارف عن عصره كاخبار الشعراء والادباء وغيرهم (٥٥)

ومهما يكن من امر فقد ظهرت مؤلفات عديدة في الوطن العربي لوصف التراث في مختلف النواحي والمعارف الانسانية , وانما اردنا من خلال هذا البحث ان نبرز جانب بسيط ولكنه على قدر كبير من الاهمية في تعدد مجالات التراث العربي المخطوط , فقد تناول المؤلفون العرب بالبحث هذه المجالات بمؤلفات غنية زاخرة بالمعرفة فتركوا تراثا عظيما .

الخاتمة :

لقد تبين لنا من خلال البحث عدة امور منها :

- ١- تعد المخطوطات العربية الزاد الثقافي والحضاري للامة الاسلامية , وقد حظيت المخطوطات منذ القدم باهتمام العلماء والمؤلفين بعمليات الضبط البيلوغرافي , وذلك منذ القرن الرابع الهجري .
- ٢- ان تراث اي امة هو ماتملكه من تاريخ عريق وحضارة قديمة واثار ومقتنيات ثقافية , قد تكون في صورة كتاب او مخطوط او تمثال منحوت او نقش على جدار او غيرها , ويمتد هذا العطاء الى مستقبلها المنتظر , ويمثل المخطوط جانب مهما من الجوانب المضيئه لهذا التراث القيم , لما له من انتشار اوسع وتاريخ اقدم وسهولة في التدوين , قياسا بالنقوش والتماثيل والحفريات , نظرا لطبيعة المواد المكتوب بها والمواد المكتوب عليها .
- ٣- اهتم العرب والمسلمون قديما بالعلوم والتدوين وتركوا تراثا حضاريا ثريا من المخطوطات من حيث العدد والتنوع , ورغم اهميتها العلمية والثقافية كمراجع تاريخية في مختلف العلوم , إلا أنها لم تحظ في مواطنها الأصلية بالاهتمام والحفظ وهو ما جعلها اليوم موزعة في العديد من المكتبات عبر العالم.
- ٤- أن المخطوطات الإسلامية والتي ورد معظمها باللغة العربية، هي الأكثر عددا في العالم وأنها موزعة في العديد من المكتبات والمتاحف اليوم في الدول الإسلامية وغير الإسلامية حيث مثلت مصدرا لدراسة الحضارات الإسلامية عبر العصور وما بلغه علماءها من تطور وابتكار وإبداع في الآداب والعلوم بأنواعها.
- ٥- عديدة هي المخطوطات الإسلامية العربية التي نقلت من مواطنها الأصلية إلى دول أخرى لأسباب مختلفة منها السرقة والنهب للمتاجرة بها بطرق غير شرعية أو عبر الاستيلاء عليها أثناء الحروب والاستعمار، فكان مآل بعضها أن تحفظ حفظا يليق بمكانتها الثقافية والتاريخية الهامة والبعض الآخر أتلف وأهمل لتضيع معه صفحات من التاريخ.

الهوامش ومصادر البحث :

- (١) الزمخشري , ابو القاسم محمود بن عمرو بن احمد (ت ٥٣٨هـ) , اساس البلاغة , القاهرة , ١٩٦٠م , ص ٢٤٠.
- (٢) الزبيدي , محب الدين ابي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني , تاج العروس من جواهر القاموس , تحقيق: علي رشدي , دار الفكر , بيروت , ١٩٩٤م , ج ١٠ , ص ٢٤١.
- (٣) النشار , السيد السيد , في المخطوطات العربية , دار الثقافة العلمية , الاسكندرية , ١٩٩٧م , ص ٥-٦ .
- (٤) البديري , ياسر محمد ياسين , معوقات صناعة فهراس المخطوطات , بحث منشور في مجلة دراسات تربوية , العدد ٤١ , ٢٠١٨م , ص ١٨٢.
- (٥) بنين , احمد شوقي , دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي , ط ٢ , المطبعة والوراقة الوطنية , مراكش , ٢٠٠٤م , ص ١٥.
- (٦) بنين , دراسات في علم المخطوطات , ص ١٨.
- (٧) ابراهيم , ناجي عبدالله , المواد التي يكتب عليها المخطوط , بحث منشور في مجلة التراث العلمي العربي , العدد ٣٦ , ٢٠١٨م , ص ٧٢-٧٣.
- (٨) ابراهيم , المواد التي يكتب عليها المخطوط , ص ٨٤-٨٥.
- (٩) ابراهيم , المواد التي يكتب عليها المخطوط , ص ٧٤.
- (١٠) سيد , ايمن فؤاد , الوصف المادي للمخطوطات (ضمن كتاب فن فهرسة المخطوطات (معهد المخطوطات العربية , القاهرة , ١٩٩٩م , ص ٦٠.
- (١١) سيد , الوصف المادي للمخطوطات , ص ٥٩-٦٠ .
- (١٢) النشار , في المخطوطات العربية , ص ٩.
- (١٣) الطباع , اياد خالد , المخطوط العربي دراسة في ابعاد الزمان والمكان , مديرية احياء التراث العربي , دمشق , ٢٠١١م , ص ٩٥-٩٦ ؛ النشار , في المخطوطات العربية , ص ١٠.
- (١٤) النشار , في المخطوطات العربية , ص ١٣.
- (١٥) سيد , الوصف المادي للمخطوطات , ص ٦٠ .
- (١٦) النشار , في المخطوطات العربية , ص ٥٢-٥٤.
- (١٧) النشار , في المخطوطات العربية , ص ٥٧-٥٨.
- (١٨) خلف , ابراهيم حسين , الاتلاف البشري للمخطوطات وسبل الحفاظ عليها , بحث منشور في مجلة الملوية للدراسات الاثارية والتاريخية , جامعة سامراء , مج ٣ , عدده , السنة ٣ , ٢٠١٦م , ص ٢٠.
- (١٩) هارون , عبد السلام محمد , تحقيق النصوص ونشرها , ط ٧ , مكتبة الخانجي , القاهرة , ١٩٩٨م , ص ١١.
- (٢٠) هارون , تحقيق النصوص ونشرها , ص ١٣.
- (٢١) الحلوجي , المخطوط العربي منذ نشأته , ص ٧٢-٧٣.
- (٢٢) هارون , تحقيق النصوص ونشرها , ص ١٤.
- (٢٣) الحلوجي , عبد الستار , فن الفهرسة المصطلح والحدود (ضمن كتاب فن فهرسة المخطوطات) , معهد المخطوطات العربية , القاهرة , ١٩٩٩م , ص ٢٠-٢١.
- (٢٤) الحلوجي , فن الفهرسة المصطلح والحدود , ص ١٩.

- (٢٥) ساعاتي , يحيى محمود , وضعية المخطوطات في المملكة العربية السعودية الى عام ١٤٠٨ هـ , مكتبة الملك فهد الوطنية , الرياض , ١٩٩٣ م , ص ١٣ .
- (٢٦) الحلوجي , عبد الستار , الكتاب العربي المخطوط في نشاته وتطوره الى اخر القرن الرابع الهجري , بحث منشور في مجلة الوعي الاسلامي , العدد ٧٩ , ٢٠١٤ م , ص ٧٠ .
- (٢٧) النشار , في المخطوطات العربية , ص ١٩ ؛ الحلوجي , المخطوط العربي منذ نشاته , ص ٧٤ .
- (٢٨) النشار , في المخطوطات العربية , ص ١٩ .
- (٢٩) محمد , مولاي , المخطوط والبحث العلمي دراسة تقييمية لنشاطات مخابر البحث في المخطوطات بالجامعات الجزائرية , رسالة ماجستير مقدمة الى كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية , جامعة وهران , ٢٠٠٩ م , ص ١١٧-١١٩ .
- (٣٠) بنين , دراسات في علم المخطوطات , ص ٢٠ .
- (٣١) فرحان , غالب ياسين واسراء نجم عبد الرضا , ادوات كتابة المخطوطات وطرق حمايتها دراسة في مقتنيات العتبتين الحسينية والعباسية المشرفتين , بحث منشور في مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية , العدد ٣ , ٢٠١٨ م , ص ٥٩-٦٠ .
- (٣٢) الحلوجي , عبد الستار , المخطوطات والتراث العربي , الدار المصرية اللبنانية , القاهرة , ٢٠٠٢ م , ص ٢٧ .
- (٣٣) جواد , سهلة علوان , التوثيق الالكتروني (رقمنة الكتب التراثية) ودورها في حفظ المخطوطات دائرة دار المخطوطات العراقية انموذجا , بحث منشور في مجلة اداب المستنصرية , العدد ٧٦ , ٢٠١٦ م , ص ٢١٨ .
- (٣٤) عزيزان , فاطمة زبار , الجهود المبذولة في فهرسة المخطوطات في بعض المكتبات العربية والعالمية , بحث منشور في مجلة كلية التربية للبنات , جامعة بغداد , مج ٢٨ , عدد ١ , ٢٠١٧ م , ص ١٦ ؛ عبد الله , رائد امير , المخطوطات المفقودة في مكتبة اوقاف الموصل (دراسة وثائقية احصائية) , بحث منشور في مجلة دراسات موصلية , عدد ٢٦ , ٢٠٠٩ م , ص ١٠٠ .
- (٣٥) حسين , شيماء جاسم وآخرون , فن تصوير المخطوطات التاريخية العثمانية , بحث منشور في مجلة جامعة بابل , كلية العلوم الانسانية , مج ٢٥ , عدد ٥٥ , ٢٠١٧ م , ص ٢٥٤٣ .
- (٣٦) المنجد , صلاح الدين , قواعد فهرسة المخطوطات العربية , دار الكتاب الجديد , بيروت , ١٩٧٦ م , ص ٩ .
- (٣٧) المنجد , قواعد فهرسة المخطوطات العربية , ص ١٠ .
- (٣٨) : <https://www.alukah.net>
- (٣٩) : <https://www.alukah.net>
- (٤٠) : <https://www.alukah.net>
- (٤١) عواد , كوركيس , اقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم , دار الرشيد , بغداد , ١٩٨٢ م , ص ٩ .
- (٤٢) سيد , الوصف المادي للمخطوطات , ص ٦٢ .
- (٤٣) الطناحي , محمود محمد , مدخل الى تاريخ نشر التراث العربي , مكتبة الخانجي , القاهرة , ١٩٨٤ م , ص ١٦ .
- (٤٤) الطناحي , مدخل الى تاريخ نشر التراث العربي , ص ٢١ .
- (٤٥) بنين , دراسات في علم المخطوطات , ص ٢٧-٢٨ .

- (٤٦) خلف , الاتلاف البشري للمخطوطات , ص٢٠-٢١ .
- (٤٧) المنجد , صلاح الدين , قواعد تحقيق المخطوطات , ط٧ , دار الكتاب الجديد , بيروت , ١٩٨٧م , ص٧ .
- (٤٨) المحاسني , سماء زكي , دراسات في المخطوطات العربية , مكتبة الملك فهد الوطنية , الرياض , ١٩٩٩م , ص١١ .
- (٤٩) المحاسني , دراسات في المخطوطات العربية , ص١٥ .
- (٥٠) المرزوك , صباح نوري , المخطوطات العربية في تركيا , بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات الإسلامية , عدد ٤٤ , ص٢٥٣ .
- (٥١) الراشد , رائد امير عبد الله , المصاحف المخطوطة في التراث العربي الاسلامي (مكتبة الاوقاف المركزية – الموصل انموذجا) , مجلة دراسات موصلية , جامعة الموصل , د.عدد , ص٢ .
- (٥٢) المحاسني , دراسات في المخطوطات العربية , ص٢١-٢٢ .
- (٥٣) المحاسني , دراسات في المخطوطات العربية , ص٢٢-٢٣ .
- (٥٤) المحاسني , دراسات في المخطوطات العربية , ص٢٤-٢٧ .
- (٥٥) المحاسني , دراسات في المخطوطات العربية , ص٢٦ .

US economic and military aid to Laos 1954 -1963

المساعدات الاقتصادية والعسكرية الأمريكية للاوس ١٩٥٤ – ١٩٦٣

م.م. محمد حسن عبيد

Abstract

This research highlights the economic and military aid provided by the United States of America to the pro-Lao government from 1954 to 1963 in order to counter the influence of the Soviet Union by supporting the revolutionary elements of the elements of the Catholics

الملخص ..

يسلط هذا البحث الضوء على المساعدات الاقتصادية والعسكرية التي قدمتها الولايات المتحدة الأمريكية للحكومة اللاوسية الموالية لها خلال الفترة الممتدة منذ عام ١٩٥٤ وحتى ١٩٦٣ من أجل التصدي للنفوذ الذي أحدثه الأتحاد السوفيتي من خلال دعمه للعناصر الثورية المتمثلة بعناصر البائث لاو .

المساعدات الاقتصادية والعسكرية الأمريكية للاوس

إن المساعدات الاقتصادية الأمريكية المقدمّة لمملكة لاوس^(١) ، ليست وليدة الصدفة بل كانت قائمة منذ السيطرة الفرنسية على الهند الصينية^(٢) ، إلا إن المساعدات الاقتصادية والعسكرية الأمريكية للهند الصينية تضاعفت شيئاً فشيئاً ، ففي عام ١٩٥٣ أصبحت الحكومة الأمريكية تتحمل (٨٠٪) من نفقات الحرب الفرنسية هناك ، وبذلك كانت تلك المساعدات عاملاً نفسياً لكسب الرأي العام .^(٣)

ومن أجل ذلك أستمرت الولايات المتحدة الأمريكية بضخ المساعدات العسكرية والاقتصادية لديمومة استمرار بقائهم في لاوس ، بعد أن ورث الرئيس ديفيد دوايت إيزنهاور (Dwight D. Eisenhower)^(٤) من سلفه هاري ترومان (Harry Truman)^(٥) برنامج مساعدات عسكرية سنوية إلى الهند الصينية تقدر بنحو مائتي مليون دولار أمريكي سنوياً^(٦) ، وكان قد أشار الرئيس ترومان في عام ١٩٥٣ " إن أمريكا تكفلت بنصف نفقات الحرب الفرنسية في الهند الصينية " ، وفي أجتتماع عقد في التاسع عشر من

تموز ١٩٥٣ بين وزير الخارجية الفرنسي جورج بيدو والأمريكي جون فوستر دالاس (John Foster Dulles)^(٧) أعرب فيه الأخير عن " أستعداد حكومته لتلبية كل ما يطلبه الفرنسيون ، مقابل شرط واحد ، هو أن لا يعمدوا إلى المحادثات مع الحركات الثورية هناك لإنهاء الحرب " ، وبالفعل حصلت فرنسا في العام التالي على مساعدة أمريكية تقدر بـ (٣٨٥) مليون دولار ، لغرض تعزيز الجهد العسكري ، بغية سحق الثوار قبل حلول عام ١٩٥٥ .^(٨)

وفي هذا الصدد ذكر بينيه (Pineau) ، النائب الإشتراكي في الجمعية الوطنية الفرنسية ، في السادس عشر من آذار ١٩٥٤ " إن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تتحمل ٧٨٪ من كلفة حرب الهند الصينية أثناء المدة بين أعوام ١٩٥٠ - ١٩٥٤ ، وقد صرفت فرنسا حوالي (٣٠) مليون دولار من أموال المساعدة الأمريكية في لاوس " .^(٩)

وهكذا تحوّلت الحرب في الهند الصينية وقتئذ إلى حرب تُشن بالدولارات الأمريكية ويُسفك فيها الدم الفرنسي ، وفي وقتها علّق الرئيس الفرنسي رينه (Reneh) " إنكم أيها الأمريكيون تحصلون من الهند الصينية على ٨٩٪ من مطاطها الطبيعي و ٥٢٪ من إحتياجاتكم من الصفيح ، وهكذا فمن الناحية المادية ، نحن نحارب في الهند الصينية من أجل مصالحكم أنتم ، لا من أجل مصالحنا نحن " .^(١٠)

بمعنى إن المساعدات الأمريكية لم تكن بدون مقابل ، بل دفعت فرنسا ثمنها غالياً ، وذلك بتخليها التدريجي عن منطقة الهند الصينية ، مبتدئةً باحتكاراتها التي حلّت محلّها الشركات الأمريكية ، ومنها شركة ستاندرد أويل (Standard Oil) للنفط وشركة فلوريدا للفوسفات وشركات بيت لحم للفولاذ ، وشركات أخرى متعددة عملت على أستغلال الثروة هناك من المواد الأولية .^(١١)

وهكذا أستفادت الولايات المتحدة الأمريكية من ضعف الوجود الفرنسي فتغلّغت في الهند الصينية ، ووضعت يدها على كثير من المواد الإستراتيجية المهمة^(١٢) ، وكادت الشركات الأمريكية أن تضع يدها على جميع مفاتيح الحياة الاقتصادية في الهند الصينية ، حسبما جاء في تقرير اللجنة التي شكّلها مجلس الشيوخ الأمريكي برئاسة هيلمن (Hillman) لدراسة الأحوال الاقتصادية في جنوبي شرق آسيا^(١٣) ، من " إن الشركات الأمريكية إنما هي الآن في الطريق للإستيلاء على جميع مفاتيح الحياة الاقتصادية في الهند الصينية ، وألتهم السمكة الشهية رأساً وذنباً وأماً وأباً " .^(١٤)

وفي محاولة للتأثير على مجرى الأحداث في لاوس بعد عام ١٩٥٤ أختارت الإدارة الأمريكية طريقة الإعتماد بالدرجة الأولى على المساعدات العسكرية والاقتصادية ، وتحديداً برنامج المعونة الأمريكية في لاوس ، الذي جاء نتيجة الإتفاق الذي تم بين كل من الولايات

المتحدة الأمريكية وكمبوديا وفرنسا ولاوس وفيتنام في الثالث عشر من كانون الأول ١٩٥٠ للتعاون المشترك .^(١٥)

وبعد الإتفاق أعلاه قدّمت الولايات المتحدة الأمريكية المساعدة العسكرية إلى فرنسا ، التي كانت تحارب في الهند الصينية ، كما أنشأت برنامج الأمن المتبادل في لاوس بموجب قانون الأمن المتبادل في عام ١٩٥١ ، ولكن بعد مؤتمر جنيف ١٩٥٤ ، ومن أجل توسيع برنامج المساعدات والإشراف على توزيع تلك الأجهزة والتأكد بأنها تُستخدم بصورة صحيحة أسست الولايات المتحدة الأمريكية في كانون الأول ١٩٥٤ ما يعرف بمكتب تقييم البرامج ومقره العاصمة فينتيان ، الذي ربط بالبعثة الأمريكية الموجودة في لاوس ، للقيام بتقديم المساعدات الاقتصادية والأستشارية للحكومة اللاوسية وأطلق عليها أسم الهيئة الإستشارية للمعونة العسكرية (USOM) ، وكان يتكون من أفراد الجيش الأمريكي المتقاعدين^(١٦) ، ومهمتهم تقديم العون المادي للقوات الفرنسية المحاربة في الهند الصينية ، ودعم الجيش الملكي اللاوسي لمحاربة مقاتلي الباثيت لاو ، وهو جزءاً من سياسة الإحتواء الأمريكية .^(١٨)

وعلى الرغم من إن موظفو مكتب تقييم البرامج من التقنيين المدنيين ، إلا أن العديد منهم كان لديه تجربة عسكرية ، وإن المكتب لم يقيم بمهمة تدريب القوات اللاوسية ، وإنما احتفظت فرنسا بذلك الإمتياز ، فيما أختصت مهمته بتوفير الأجهزة العسكرية إلى الجنود اللاوسيين .^(١٩)

ونتيجة لذلك وذلك وخلال خمس سنوات ساهمت الولايات المتحدة الأمريكية بحوالي (٣٠٠) مليون دولار كمساعدات للجيش الملكي اللاوسي ، كما إن البرنامج كان يُستعان به ليقوم بخدمات فرق القوات الخاصة الأمريكية .^(٢٠)

وبعد ذلك ومن أجل الحيلولة دون السيطرة الشيوعية على لاوس ، قامت وزارة الدفاع الأمريكية في لاوس بعمل برنامج لدعم الجيش الملكي لسد الفراغ الفرنسي ، تمثّل بإنشاء مجموعة المساعدة الإستشارية العسكرية (MAAG) في لاوس ، لأن الأمريكيين سيكونون غير موجودين في لاوس لإجراء التدريب بعد مؤتمر جنيف ١٩٥٤ ، ومن جانبها لم تكن هيئة الأركان المشتركة متأكدة بأن التدريب الفعّال سيحدث ، لذا ترددت في إيصال المساعدات العسكرية ، وأكّدت هيئة الأركان المشتركة في تشرين الثاني ١٩٥٤ لوزير الدفاع الأمريكي تشارلز إي . ويلسون (Charles E. Wilson) أن تلك المساعدات هي القوة الموصى بها لتلك البلاد ، وفي نهاية العام أصبح واضحاً للعديد من المسؤولين في وزارة الخارجية بأن الباثيت لاو كانوا غير راغبين بدمج أنفسهم في المجتمع اللاوسي ، وفقاً لمقررات مؤتمر جنيف ١٩٥٤ ، وبذلك كانت المخاوف من أن الباثيت لاو قد ترفض بشكل

غير مباشر أن تنزع سلاحها ، لذا أبدى عدد من صنّاع السياسة الأمريكية مخاوفهم من أن الكفاح الطويل قد يتطور بين نظام فيننتيان ومقاتلي الباثيت لاو . (٢١)

وهو أمر كان يتطلب إجراءات ميدانية على أرض الواقع تمثلت بتقسيم البلاد على خمس مناطق عسكرية (٢٢) ، ووضعت سلسلة من قيادة الجيش اللاوسي الملكي تحت إشراف وزارة الدفاع في فيننتيان ، لمواجهة التهديد الذي كان يمثله مقاتلو الباثيت لاو ، إذ أعتمد الجيش الملكي على بعثة التدريب العسكرية الفرنسية الصغيرة التي كان يرأسها موظف عام ، وهو الترتيب الاستثنائي المسموح به بموجب إتفاق جنيف ، وقد عكس التنظيم العسكري والتدريب التكتيكي التقاليد الفرنسية ، على الرغم من أن معظم المعدات أمريكية المنشأ ، لأن واشنطن ، ومنذ وقت مبكر من حرب الهند الصينية الأولى ، تزود البعثة الفرنسية بالعتاد الحربي بدءاً من البنادق إلى الطائرات ، لذا أبقّت الولايات المتحدة الأمريكية على مفوضية صغيرة في فيننتيان ، على الرغم من علمها بحالة الجيش اللاوسي الملكي ، لذا كان هناك قلق حقيقي من أن اللاوسيين لن يتمكنوا من الحفاظ على معداتهم بشكل صحيح ، إذ أصبح جزء كبير منها عديم الفائدة ، نتيجةً لظروف الشمس الأستوائية والأمطار ، كما أثير التساؤل أيضاً حول من يتكفل بدفع رواتب الجيش الملكي اللاوسي ، كون فرنسا لم تعد مسؤولةً عن الشؤون المالية اللاوسية . (٢٣)

وعليه كانت القوات اللاوسية الملكية بحاجة ماسة إلى تدريب وإلى أسلحة ، لأن إتفاقية الهدنة وأتفاقية جنيف ١٩٥٤ حوّلت فرنسا الإحتفاظ بقوات تدريبية قوامها (١٥٠٠) جندي وضباط لتدريب قوات لاوس الملكية ، ولكنها لم تفعل ذلك ، بسبب إنشغالها في معاركها مع الوطنيين (٢٤) في الجزائر . (٢٥)

وإن الحكومة اللاوسية ليس لديها ما يكفي من المال لدفع رواتب الجنود ورجال الشرطة والمعلمين وموظفي الخدمة المدنية ، لذا قررت الولايات المتحدة الأمريكية تقديم المساعدة ليس من خلال دفع الدولارات للاوسيين ، ولكن عن طريق توفير سعر صرف الدولار للحكومة بمعدل ٣٥ كيب للدولار الواحد ، وبذلك يمكن للتاجر اللاوسي شراء (٣٥٠٠٠) كيب في سوق المال بـ (١٠٠٠) دولار من الحكومة بالسعر الرسمي ، وهو أمر كان يوفر للتاجر (٥٠٠٠٠) كيب زيادة ، وخلال سنوات قليلة أخذت الملايين من الدولارات الأمريكية ، تنهمر كالمطر على مدن لاوس ، مما جعل بعض اللاوسيين يصبحون من الطبقة الغنية ، فضلاً عن أن الكثير منهم في مناصب سياسية أصبح بإمكانهم أن يملكوا ما لا يقل عن سيارة أو منزل جديدين . (٢٦)

ومن الملاحظ أن المساعدات الأمريكية العسكرية إلى لاوس أتخذت أشكالاً متعددة ، منها تدريب الجيش الملكي ، ولاسيما القوة الجوية اللاوسية الملكية ، إذ كانت أغلب تلك

العمليات تابعة للقوة الجوية الأمريكية ، وهكذا أخذت الولايات المتحدة الأمريكية ، في الوقت نفسه ، تتدخل بشكل كبير في شؤون لاوس الداخلية ، عبر تقديم تلك المساعدات للحكومة التي كان يرأسها كاتي دون ساسوريث^(٢٧) ، من خلال بعثة المساعدات الاقتصادية ، وحثهم على تنظيم الجيش بهدف قمع مقاومة الشعب المتمثلة بالباثيت لاو ، إذ كانت فكرة وزارة الخارجية الأمريكية تتمثل بإنشاء جيش لاوسي مؤلف من (١٠٠٠) رجل ، ولأجل ذلك أغرقت الولايات المتحدة الأمريكية تلك البلاد الفقيرة والبدائية بما يقارب ثلاثمائة مليون دولار حتى نهاية عام ١٩٦٠ ، أي بما يعادل مائة وخمسون دولار لكل فرد من السكان ، وهي حوالي ضعف متوسط دخل الفرد من أبناء لاوس ، وقد تم صرف حوالي ٨٥٪ من ذلك المبلغ لدفع القيمة الإجمالية لمشتريات الجيش اللاوسي الملكي .^(٢٨)

وفي كانون الثاني ١٩٥٥ قامت وزارة الدفاع الأمريكية بإنشاء بعثة العمليات العسكرية في لاوس (USOM US) لإدارة برنامج المعونة ، إذ وافقت حكومة لاوس على عمل كل ما يتفق مع الإستقرار السياسي والإقتصادي ، وقد عملت تلك البعثة تحت غطاء المساعدات المدنية ، وكان يعمل بها أفراد الجيش الأمريكي ، ويرأسها أحد الضباط المتقاعدين الذين كانوا يرتدون الملابس المدنية ، وأخذت تلك البعثة تحل تدريجياً محل البعثة العسكرية الفرنسية ، في توفير المعدات وتدريب الجيش اللاوسي الملكي ، مع أعداد متزايدة من الضباط اللاوسيين الذين تلقوا التدريب في تايلاند وتم تأهيل الموظفين في مدارس في الولايات المتحدة الأمريكية .^(٢٩)

لذا سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى عقد اتفاقية لدعم القوات العسكرية وتحديد شكل المعونات السنوية التي كان سيتم الشروع بعقد المفاوضات بشأنها بين الطرفين^(٣٠) ، وفعلاً تم التوصل إلى اتفاق في الثاني عشر من شباط ١٩٥٥ على تسليم الجيش اللاوسي مبلغ يقدر بـ (٤٦) مليون ، وذلك ما أكدته وزير الخارجية الأمريكية دالاس ، وكذلك تم تسليم الحكومة اللاوسية سبع طائرات هليكوبتر وست طائرات خفيفة وأدوات احتياطية للطائرات ، ونتيجة لذلك ألزمت الولايات المتحدة الأمريكية بصورة علنية بدعم الجيش اللاوسي .^(٣١)

فضلاً عن إيجاد مدنيين يمتلكون خلفيات عسكرية مناسبة وزجهم في مفوضية لاوس ، كون اتفاقية جنيف تمنع إدخال أشخاص عسكريين أجانب ، ماعدا عدد محدد من الفرنسيين ، وفق المادة السادسة لإتفاق مؤتمر جنيف ١٩٥٤ ، إلا أن وزارة الخارجية الأمريكية حلت تلك المعضلة بأبتكار ما يسمى بدائرة تقييم البرامج ، كان الهدف منها تقديم النصح لبعثة الولايات المتحدة الأمريكية في لاوس والسفير الأمريكي فيما يتعلق بالإحتياجات العسكرية لحكومة لاوس الملكية ، والمساعدة في إعداد الطلبات من أجل التمويل ، وكان مكتب تقييم البرامج مزوداً بجنود أكفاء ، كما يضم ضباط خدمة أجانب بقيادة لواء متقاعد هو روث ويل

أج براون (Roth Weel Ag Braon) الذي كان يقوم بإدارة الإسناد العسكري الأمريكي في لاوس . (٣٢)

ومن خلال المجموعة الأمريكية الاستشارية للدعم العسكري (MAAG) ، أدارت الولايات المتحدة الأمريكية بصورة عامة برنامج المساعدة العسكرية . (٣٣)

وقد تمثلت تلك المساعدات الأمريكية المُقدّمة إلى لاوس ، بالتخفيض الضريبي والإصلاح الزراعي ، فضلاً عن الإغاثة من الفيضانات وبناء الطرق والجسور ، وإقامة البرامج التربوية للقرويين ، وطرائق أخرى مختلفة تمثلت بتدريب قوات مساعدة شبه عسكرية ، ودفع الرواتب ونفقات الجيش والشرطة وتزويدهم بأجهزة الطيران ، التي يتم من خلالها الوصول إلى المناطق المعزولة ، وتأسيس شبكة إتصالات ، وهكذا نفّذت الولايات المتحدة الأمريكية مثل تلك العمليات بنجاح بالتعاون مع حكومة تايلاند ، كل ذلك من أجل تحطيم مقاتلي الباثيت لاو وتثبيت أقدامها في لاوس من خلال الحفاظ على الحكومة القائمة . (٣٤)

وهكذا تدفقت المساعدات الأمريكية إلى لاوس تحت ذريعة برنامج الأمن المتبادل لعام ١٩٥٥ ، ففي تلك السنة المالية أعطت الولايات المتحدة الأمريكية مملكة لاوس (٢٨,٢) مليون دولار نقداً كمُنحة لدعم وزارة الدفاع اللاوسية ، وفي بداية كانون الثاني ١٩٥٦ طالبت هيئة الأركان المشتركة بأن يكون التمويل من خلال زيادة في حجم الجيش اللاوسي ليصل إلى ٢٥,٠٠٠ مقاتل من أجل الفائدة العسكرية لإسناد الجيش اللاوسي من الناحية المعنوية ، ووفقاً لذلك زاد عدد الجيش اللاوسي إلى ٢٥,٠٠٠ جندي . (٣٥)

وبذلك تكون الولايات المتحدة الأمريكية قد قامت بتزويد لاوس حتى نهاية ١٩٥٧ بمساعدات تقدر بحوالي (١٣٥,١) مليون دولار ، وبخاصة من الأجهزة العسكرية التي بلغت قيمتها حوالي (٩٤,٦) مليون دولار وكانت تصل تلك المبالغ على شكل مُنح نقدية (٣١) ، وتميّزت المساعدات الأمريكية بأن أغلبها قد كُرس للدعم العسكري ، وأن معظم الأموال منحت نقداً ، وكانت تودع في حساب خاص . (٣٦)

ومن المهم ذكره إنه عند حلول السنة المالية ١٩٥٨ هبطت المساعدة الأمريكية إلى لاوس عن المستويات السابقة ، وذلك بسبب تخفيض العملة اللاوسية الكيب في تشرين الأول ١٩٥٨ من ٨٠ كيباً للدولار الواحد إلى ٣٥ كيباً للدولار الواحد ، إذ أصبح \$١ يساوي ٣٥ كيب بدلاً من ٨٠ كيب ، كما شهدت تلك السنة منح الولايات المتحدة الأمريكية حوالي ١,٧ \$ مليون دولار لتطوير التعاون التقني و ٢٩,٨ \$ مليون دولار لدفع رواتب الجيش والإدارة المدنية ، ومبلغ ٥,٤ \$ مليون لشراء الأجهزة العسكرية ، ومن ثم يصبح ما مجموعه ٣٦,٩ \$ مليون دولار ، أما في السنة المالية لعام ١٩٥٩ فقد حُفّضت المساعدة الأمريكية المُقدّمة

إلى لاوس لحوالي ٣١ \$ مليون ، كما أسست الولايات المتحدة الأمريكية في تموز ١٩٥٩ مهمة عسكرية ثانية ، لغرض تدريب اللاوسيين على إستخدام الأجهزة العسكرية . (٣٧)

وعلى الرغم من إرسال كميات كبيرة من السلع التي سلّمت لدعم جيش لاوس الملكي (٣٨) ، إلا أن حالة عدم الإستقرار في لاوس كانت هي السائدة ، مما أدى إلى حضور أمريكي متزايد في لاوس ، لاسيما بعد أن لجأت حكومة فوي سانانبيكون إلى حليفها الولايات المتحدة الأمريكية . (٣٩)

ونتيجة لعدم جدوى تلك المساعدات كانت وزارة الدفاع الأمريكية ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية تتكتمان على المبالغ المقدّمة للاوس ، من أجل إخفاء مقدار كبير من تلك المبالغ عن الكونغرس ، فضلاً عن ذلك أدى التنسيق بين القوة الجوية الأمريكية وقيادات في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية إلى تأسيس قاعدة جوية في تايلاند تسمى أدورن (Adorn) ، لأن القوة الجوية الأمريكية كُلفت بمهام للمساعدة في حركة وتجهيز القوات المقاتلة ، كما أصبحت مشتركة في عمليات التفتيش والإنقاذ ، ناهيك عن المهام السرية ، وقد ساهم تعاون الحكومة الملكية التايلاندية مع الولايات المتحدة الأمريكية في تنفيذ تلك العمليات داخل أراضي جارتها لاوس بين الأعوام ١٩٥٤ - ١٩٦٣ . (٤٠)

وبعد مؤتمر جنيف ١٩٦٢ وضعت إدارة الرئيس الأمريكي جون أف كينيدي (John F. Kennedy) (٤١) عملية إصلاح برنامج المساعدات اللاوسية على رأس الأولويات ، على أمل أن تكون الاتفاقيات من شأنها أن تقلل الحاجة إلى وجود الجيش الأمريكي هناك ، الذي أثبت أن وجوده هناك مُكلف للغاية من الناحية المادية والعسكرية ، إذ كان الجنود العاملون في لاوس هم الأعلى أجراً في آسيا ، لذا اقترحت وكالة التنمية الدولية (AID) ، إنهاء أشكال الدعم المباشر للميزانية كافة ، إذ أدت المُنح النقدية إلى انخفاض في الإنتاج المحلي للأغذية ، وركّز السكان على السلع المستوردة ، المحصورة بأيدي عدد قليل من الناس ، بدلاً من تخفيض جذري للمساعدات إلى لاوس ، واقترحت وكالة التنمية الدولية تمويل الواردات الضرورية من السلع الأساسية مثل الحديد والأسمت إلى لاوس ، وإن الدعم المباشر للميزانية يستعمل فقط لدفع الحالات الخاصة مثل القوات المسلحة المسرّحة أو لدعم الأستتباب السياسي ، وحظي القرار بتأييد رئيس الوزراء سوفانا فوما ، مؤكداً أن ذلك الدعم سبّب الكثير من حالات الفساد التي أوجدها ذلك النظام ، ولتسريع برنامج جديد عيّنت وكالة التمويل الدولية مديراً جديداً لها في لاوس هو تشارلز مان (Tcharles Mann) ، ومديراً جديداً في العاصمة فينتيان هو روي ويرلي (Roy werle) ، وهذا يعني أن الخطة الجديدة وضعت حكومة سوفانا فوما في موقف مالي غير مستقر إلى حد ما للسنة المالية ١٩٦٣ ، إذ قدرت الوكالة الدولية أن نفقات حكومة سوفانا فوما كانت (٥٠) مليون دولار فقط و (٨) مليون دولار من عائدات الضرائب . (٤٢)

فضلاً عن ذلك إنهاء برنامج المساعدات الذي فشل فشلاً ذريعاً ، كما كان كينيدي مهتماً في الحد من تدفق الذهب من الولايات المتحدة الأمريكية إلى لاوس ، عندما أعرب عن قلقه حول مشكلة ميزانية المدفوعات ، لأن ذلك الإقتراح الجديد لا يقلل من أستنزاف الدولار ، لذا ضغط كينيدي على مستشاريه حول تلك النقطة ، ولاسيما أنه خفف من حدة تلك المشكلة ، إذ تأمل الخطة الجديدة إنهاء دعم الولايات المتحدة الأمريكية الضخم للجيش اللاوسي . (٤٣)

وبما إن الغرض الرئيس من المساعدة الأمريكية هو المساعدة في أحتواء الشيوعية في لاوس ، لذا فإن جزءاً قليلاً من المساعدات كُرس لأغراض التنمية الإقتصادية ورفع مستوى المعيشة العام ، وذهبت معظم تلك المساعدات لدعم الجيش والشرطة الملكية ، وفي الحقيقة فإن مستوى المساعدة الأمريكية إلى لاوس بلغ تقريباً (٤٠) مليون دولار في السنة ، حُصص لسد كلفة إبقاء القوات المسلحة من (رواتب ، أجهزة ، وغيرها) ، وقد كان من المقرر أن تُكرس معظم المساعدات للتنمية الإقتصادية ، مثل برنامج إنشاء الطريق السريع وغيرها ، إلا أن المساعدات كُرس لتسهيل مهمة الجيش في مقاتلة مقاتلي الباثيت لاو . (٤٤)

إلا أن الواقع على العكس من ذلك ، فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد دخلت لاوس بحجة المساعدات الإقتصادية ، ولكن المستشارين كانوا موظفي وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ومن ثم فرق القوات الخاصة الأمريكية . (٤٥)

ومن خلال ما مر يظهر أن أكثر المساعدات الإقتصادية الأمريكية إلى لاوس كانت تُوزع ، إما عن طريق برنامج الإستيراد التجاري أو من خلال المُنح النقدية ، وكان برنامج الإستيراد التجاري قائماً على أساس فتح الحكومة اللاوسية حساباً مصرفياً لها في الولايات المتحدة الأمريكية ، وتخويل ذلك المصرف بدفع الدولارات إلى المُصدّرين الأمريكيين الذين كانوا يبيعون السلع إلى المستوردين في لاوس ، بمعنى آخر إن الولايات المتحدة الأمريكية دفعت ثمن السلع ، وبعد ذلك رأت أنهم نقلوا إلى المستوردين اللاوسيين الذين لم يدفعوا أي مال إلى المُصدّرين الأمريكيين ، بدلاً من ذلك دفع المصرف اللاوسي كمية البضاعة بقيمة الدولار نظير الكيب اللاوسي ، وقد أستخدمت الحكومة اللاوسية صندوق النظير في شراء السلع والخدمات المحلية ، كما إنه أستخدم العائدات الضريبية ، وهكذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية قادرة على تمويل الحكومة اللاوسية إلى حد إن المستوردين في لاوس جلبوا السلع من الولايات المتحدة الأمريكية ، حتى أصبح معدل متوسط دخل الفرد اللاوسي يصل إلى حوالي (٥٠) كيب في السنة ، فضلاً عن أن قيمة السلع المستوردة لم تكن عالية . (٤٦)

ومن أجل تقديم مساعدة أكثر إلى لاوس عن طريق برنامج الإستيراد التجاري وطبقاً لطريقة المُنح النقدية ، أودعت الحكومة الأمريكية الدولارات في المصرف المركزي اللاوسي ، ثم إستعارت الحكومة اللاوسية بالدولارات ووضعتها جنباً إلى جنب مع كمية

مكافئة من الكيب في صندوق نظير خاص ، ثم أستخدمت الكيب في صندوق النظير لشراء السلع والخدمات المحلية ، لكي يعيد دفع المصرف المركزي ، ثم باعت الحكومة اللاوسية الدولارات وأعادتها إلى المستوردين اللاوسيين الذين دفعوا ثمن الدولارات في الكيب ، ثم أستخدمت الحكومة الكيب لإعادة دفعها إلى المصرف المركزي ، وأستخدم المستوردون الدولارات لشراء الإستيرادات وفقاً لذلك البرنامج . (٤٧)

ونتيجةً لذلك يمكن للحكومة الأمريكية أن تجهز أموالاً غير محدودة إلى الحكومة اللاوسية ، وهو أمر يقضي إلى خطر حصول التضخم ، إذ إن المستوردين اللاوسيين لا يمكن أن يقنعوا بشراء الدولارات من الحكومة اللاوسية ولإستيراد بضاعة مساوية لقيمة الدولار ، ومن أجل السيطرة على الإستيرادات من خلال المُنح النقدية وبرنامج الإستيراد التجاري ، أصدرت الحكومة اللاوسية الرُّخص للمستوردين اللاوسيين لجلب السلع ، وهكذا احتفظت الحكومة اللاوسية بكيفية إدخال السلع إلى البلاد . (٤٨)

ولكن تفافم الفساد الإداري في لاوس ، وعدم مساهمة برنامج المساعدات الأمريكية إلى لاوس في رفع الظلم الذي كان يعاني منه البلد من الفقر والحرمان ، أثر على المساعدات الأمريكية المقدمة إلى لاوس بدرجة عالية من السمعة السيئة ، لاسيما وأن برنامج المساعدات اللاوسية كشف قلة النضج لدى القادة السياسيين . (٤٩)

وبناءً عليه خضع برنامج المساعدات الأمريكية إلى لاوس إلى تحقيقين من الكونغرس ، الأول في آيار ١٩٥٨ ، إذ شنت لجنة مجلس النواب للشؤون الخارجية حملة على برنامج الأمن المتبادل في لاوس ، والتحقيق الثاني كان في منتصف عام ١٩٥٩ ، وبعد ذلك أصدرت لجنة مجلس النواب تقريراً عن المساعدات الأمريكية اللاوسية ، تضمن انتقاداً صريحاً للبرنامج ، لما شابه من عمليات فساد . (٥٠)

ففي عام ١٩٥٨ عقدت اللجنة الفرعية لشؤون الشرق الأقصى والمحيط الهادي ، ولجنة مجلس النواب للشؤون الخارجية جلسات خاصة حول موضوع المساعدة الأمريكية اللاوسية ، وبعد تلك الجلسات أصدرت تقريراً عن تلك المساعدات الأمريكية وحُفظ في دائرة الحسابات العامة ، وشهدت تلك الجلسات شهادة روبرت إف . كيلر (Robert F. Killer) ، مسؤول دائرة الحسابات العامة في الكونغرس الأمريكي ، أمام اللجنة الفرعية على التناقضات في برنامج المساعدات الأمريكي إلى لاوس ، مستنداً على نتائج تقرير دائرة الحسابات العامة ، وأدرج كيلر نقاط عدة عن برنامج المساعدات ، تمثلت بالحاجة للإصلاح النقدي ، إذ دعا إلى أن يتحول سعر الصرف الرسمي من (٣٥) كيباً للدولار الواحد ، أي مستوى واطى ، لأن تلك النسبة أسهمت ببعض الانتهاكات مثل إستغلال إنحراف السلع ، والتأثير السياسي في الحصول على رخص الإستيراد . (٥١)

وقد أكد على سوء التصرف في برنامج إستيراد السلع (CIP) وتلك المخالفات ناتجة عن أخطاء في إصدار رخص الإستيراد ، إنه من المفترض أن تقوم إدارة التعاون الدولية (ACA) ، التي أدارت المساعدة الخارجية ، بتصديق إصدار رخص الإستيراد لتبادل العملات ، مشيراً إلى أنه " لم يكن هناك إستيرادٌ منظمٌ يخطط ولا معطيات إحصائية كافية لتقرير متطلبات السلعة ولا معايير مؤكدة لتمييز المستوردين الشرعيين ولا الموظفين المتدربين ، وإنما هناك أناس غير كفؤين يقومون في إدارة العملية بشكل غير صحيح " ، خاصة إن المسؤولين الحكوميين اللاوسيين ، أهتم بعضهم بالكسب المالي ، الذي تجاوز أحياناً الحكومة اللاوسية وإدارة التعاون الدولية في إصدار الرخص . (٥٢)

أما الأمر الآخر الذي أكد عليه كبير هو وجود الإنحرافات وزيادة سعر السلع ، لأن بعض السلع التي وصلت إلى لاوس كانت قد سُحنت فيما بعد بشكل غير قانوني خارج البلاد ، وزاد اللاوسيون سعر السلع بتزوير الفواتير وتسليم سلع رديئة . (٥٣)

إذ جاء عن كيلر " إن إجراءات سيطرة إدارة التعاون الدولية لم تصح سوء التصرف ، ولم تكن الولايات المتحدة الأمريكية قادرة على إجراء التفتيش الكافي ، بسبب قلة الموظفين ، فضلاً عن المعلومات الناقصة عن السلع التي تم شراؤها بالمُئح النقدية ، والدعم العسكري " ، وبدوره حذّر من أن الولايات المتحدة الأمريكية قد تدفع من الأموال أكثر من الحاجة اللازمة . (٥٤)

ومن سلبيات المساعدات الإقتصادية الأمريكية ما تمثّل في إدارة الشرطة المدنية ، فعلى الرغم من أن قوة الشرطة زادت من (٨٠٠) إلى (٢,٩٠٠) رجل ، إلا أن (٤٠٠) رجل منهم فقط تم تدريبه ، ومن كل ذلك إن الحقيقة الوحيدة التي ظهرت من تلك الجلسات كانت قلة السيطرة الأمريكية على مُنحة النقد والتمويل ، عندما سلموا ذلك إلى الحكومة اللاوسية . (٥٥)

أما الشاهد الآخر في الجلسة فكان كارتر ديبول (Carter Depol) ، نائب مساعد مدير الإتصالات في إدارة التعاون الدولية ، والرئيس السابق لبرنامج المساعدات الأمريكية في لاوس ، الذي سئل عن تقرير دائرة الحسابات العامة ، فأجاب " إن الإستيرادات جُلبت تحت إشراف برنامج الإستيراد التجاري وتم شراؤها من لدن المستوردون اللاوسيون بدولارات مُنحة النقد التي دفعتها الحكومة اللاوسية ، بعد أن أشرت الحكومة اللاوسية تلك الدولارات بالكيب " . (٥٦)

ولمعالجة قلة السيطرة الأمريكية على المساعدات أوضح ديبول أن بعثة العمليات العسكرية في لاوس حاولت وضع ترتيب للحكومة اللاوسية ، ويكون هناك تنسيق بين اللاوسيين والأمريكيين معاً ، " لأن الحكومة اللاوسية كانت تُصدر من جانبها الرخص للإستيراد خارج القنوات المنتظمة ، في الوقت الذي لا تسمح فيه لنا أن يكون عندنا دخولاً

كاملاً ومجالاً كاملاً من العملية في ذلك الجانب " ، وأقر دييول بالعديد من التناقضات التي كان ينطوي عليها برنامج المساعدات ، مؤكداً أنه لم يعرف أية طريقة لإيقاف إنحرافات السلع قبل وبعد وصولها إلى لاوس ، وفي الختام فضّل دييول أستمرار المساعدات الأمريكية إلى لاوس ، على الرغم من قلة السيطرة عليها ، لأن الولايات المتحدة الأمريكية كان همها الوحيد في لاوس هو محاربة الشيوعيين عن طريق دعم الحكومة اليمينية الموالية لها مهما كانت النتيجة . (٥٧)

ومن خلال شهادة دييول يلاحظ أن الشيوعيين حققوا تقدماً صغيراً في لاوس ، على الرغم من أنهم أغيقوا بسبب المساعدة الأمريكية ، وعليه فإن المساعدة الأمريكية أوفت بالغرض نوعاً ما ، وذلك ما يفسّر دعوة دييول بأستمرار تلك المساعدات ، على الرغم من أن المسؤولين الأمريكيين كانوا غير كفونين للمهمة الأمريكية في لاوس ، فضلاً عن فساد المسؤولين اللاوسيين ، ومع ذلك كان المسؤولون الأمريكيين راضين عن برنامج المساعدات ، لأنه حفّز العناصر المختلفة في لاوس (الجيش ، الشرطة ، والإدارة المدنية) ، أن تشن الكفاح بشكل نشيط جداً ضد مقاتلي الباثيت لاو . (٥٨)

ومن ضمن الأمثلة على الفساد الذي رافق المساعدات الأمريكية هو تركيز منافع المساعدات في فينتيان ومراكز سكانية أخرى ، فضلاً عن ثراء التجار والمسؤولين الفاسدين اللاوسيين في الحكومة ، الذين لا تهتمهم حاجات السكان ، وإنما همهم مصالحهم الشخصية فقط ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، إن المدعو إدوارد تي . مكنامار (Edward T. McNamara) ضابط الصناعة والأشغال العامة ، قبل رشاوى بما مجموعه (١٣,٠٠٠) دولار من ضباط شركة البناء العالمية مقابل مساعدتهم في تنظيم عقود مربحة لهم . (٥٩)

وفي الحادي والثلاثين من آب ١٩٥٨ أبرق السفير الأمريكي في لاوس بيدل سميث إلى وزارة الخارجية طلب فيها تمويل ارتفاع الدفوع للجيش اللاوسي ، إلا أن وزارة الخارجية رفضت الطلب في كانون الأول ١٩٥٨ ، حينها وصّت بعثة العمليات العسكرية في لاوس إلى سينكباك ، القائد الأعلى لقوات المحيط الهادي ، بالمصادقة على ارتفاع الدفوع ، وبدوره أرسل سينكباك تلك التوصية إلى واشنطن للمصادقة عليها ، وأجابت واشنطن بالقبول ، وفي الخامس من كانون الثاني ١٩٥٩ أعلنت الحكومة اللاوسية إن زيادة رواتب القوات المسلحة قادمة ، ولكن بعد يومين أعلنت وزارة الخارجية ردّها على الطلب الذي كان سلبياً ، كون ذلك الارتفاع في الدفوع سيكلف الحكومة الأمريكية مليون دولار في السنة . (٦٠)

وقد كان العبء الكامل من المساعدات الأمريكية إلى لاوس قد خصص لدعم الجيش اللاوسي ، إذ خصصت الولايات المتحدة الأمريكية (٤٠) مليون دولار تقريباً في السنة للإقتصاد اللاوسي ، وتجاوز المطلب الكلي للسلع والخدمات التراكم اللاوسي \$٤٠ مليون من إحتياجات الدولار . (٦١)

ولمعالجة ذلك شرعت الحكومة الأمريكية في عمل برنامج الطريق السريع (Highway Program) ، وهو المشروع الوحيد الأكبر في برنامج المساعدات اللاوسية لتأمين الإيصال الصحيح والترتيب والصيانة وعناية أجهزة شق الطرق ووسائل خزن الأجهزة . (٦٢)

وعلى الرغم من ذلك أكد وزير الخارجية الأمريكي دين راسك على " إن تقديم المساعدات العسكرية دون بناء إجتماعي حقيقي وتنمية إقتصادية ، يمكن أن تصنع مجتمعاً معرضاً للفتنة والإختراق من الخارج وإن الدفاع الحقيقي عن الأمة عندما يشعر مواطنوه أن عندهم بلادهم الخاصة بهم " . (٦٣)

على الرغم من أن المساعدات الأمريكية لم تكن مرئية للعديد من اللاوسيين ، وأن سبب النقد للحكومة ورؤساء الخدمات الوطنية المختلفة ، جاء بسبب كونهم يرون صعوبة تدفق تلك المساعدات إلى السكان ، كونها مخصصة بالدرجة الأولى للجيش وسكان المدينة ، على الرغم من أن أكثر من ٨٥ ٪ من سكان لاوس هم من الفلاحين ، وبذلك يكون نشاط المساعدات الأمريكية ذات تأثير طفيف على القرويين الريفيين ، ونتيجة لذلك أستنتجت اللجنة الفرعية التابعة للكونغرس الأمريكي أن المستفيد من السلع المستوردة هم حوالي ١٥٠,٠٠٠ لاوسي فقط ، وأن هناك مشروعان كانا ذا أهمية من أجل إجراء تحسينات أساسية في لاوس وهما إدارة الشرطة وبرنامج إعادة تأهيل الطرق ، وذلك بسبب الفساد وسوء الإدارة والأداء السيئ ، وقد علّق فينسارات على طبيعة المساعدات الأمريكية " خطرنا الأعظم من الفتنة الشيوعية ، ينشأ عن الاستخدام السيئ للمساعدة الخارجية ، إذ تنتفع منها بشكل شنيع أقلية من السكان ، بينما الغالبية الكبيرة من السكان تبقى فقيرة " . (٦٤)

أما السبب الآخر لفشل المساعدة الأمريكية فيعود إلى الفساد المستشري عند المسؤولين اللاوسيين ، فلجنة مجلس النواب أستنتجت أن برنامج المساعدات لم يمنع أنتشار الشيوعية في لاوس ، فالنصر الشيوعي في إنتخابات ١٩٥٨ كان مستنداً على شعارات الفساد الحكومي واللامبالاة الحكومية ، وذكر وزير الإعلام تشامباساك بهذا الشأن " تتعامل السوق السوداء بدولارات المساعدات الأمريكية ، وإن البائث لاو لا تحتاج أية دعاية لكسب سكان الأرياف " ، والسبب الآخر لإخفاق المساعدات الأمريكية في خلق تقارب بين الحكومة والناس ، التضخم الذي سببته دولارات المساعدات بين عامي ١٩٥٤ و ١٩٥٨ ، وأرتفاع كلفة المعيشة للسكان في لاوس . (٦٥)

ولما كانت الغاية من المساعدات الأمريكية المساهمة في حفظ الإستقلال الوطني اللاوسي ، إلا أنه كانت لها تأثيرات غير متوقعة على جهودهم في إحتواء الشيوعية في لاوس ، إذ أستمرت الولايات المتحدة الأمريكية بالضغط على البائث لاو عن طريق دعم الجيش والشرطة والإدارة المدنية ، وتزامن ذلك مع الفشل في إقامة علاقات قوية بين

الحكومة والسكان ، فضلاً عن عزل العديد من اللاوسيين من المساعدة الأمريكية ، والتهرّب من الضريبة الواسع الانتشار ، وإستخدام المناصب الحكومية اللاوسية لمكاسب شخصية ، وانتشار الفئوية الإقليمية والعائلية ، فضلاً عن قلة المسؤولين القادرين على إدارة الأمور . (٦٦)

وعلى صعيد آخر كان برنامج إستيراد البضائع (CIP) (غسل الأموال) من واشنطن إلى لاوس ، قد أسهم بصورة كبيرة في الفساد اللاوسي ، حيث سمح ذلك البرنامج لواشنطن بإيداع ملايين الدولارات في حسابات مصرفية أمريكية بأسم الخزينة اللاوسية ، فضلاً عن حسابات البنك اللاوسي السري ، وذلك ما سمح للاوسيين برخصة إستيراد لتصريف الكيب بالدولار الأمريكي في البنك الوطني الفينيتياني ، الذي أوجدته الولايات المتحدة الأمريكية وبنسبة خمسة وثلاثين كيباً مقابل دولار واحد ، كما أشرنا ، كمعنى خاطئ للازدهار المنبثق من المساعدة الأمريكية ، بخاصة بعد أن بدأت وسائل الرفاهية بالوصول إلى لاوس ، فما كان من المستوردين ، إلا أن يستغلوا الحالة وبدأ المقاولون الأمريكيون ، الذين وجدوا طريقة لوضع المال الخاص بمشاريع إعادة البناء في جيوبهم الخاصة ، وفي الوقت نفسه بدأت النخب السياسية اللاوسية ببناء القصور ووضع الخدم لهم ، وأخذوا يتبادلون التهم حول اختلاس أموال المساعدات الأمريكية ، مما أدى إلى أستغلال البرنامج الإقتصادي من لدن الفئات الشيعوية ، التي أشارت إلى حالات الترف وفساد النخب والمسؤولين الحكوميين ، الذين أصبحوا دمي بيد الحكومة الأمريكية . (٦٧)

وقد أدى سوء الإدارة للبرنامج إلى دعوة مجلس الشيوخ الأمريكي لإرسال فريق متخصص لدراسة وتقييم الوضع ، وبين عامي ١٩٥٦ و ١٩٥٧ قامت اللجنة الخاصة بمجلس الشيوخ الأمريكي لدراسة برنامج المساعدة الخارجية وأختارت عدداً من الأفراد لبحث كل الجوانب المتعلقة ببرنامج المساعدات ، وعلى الرغم من أن كلمنت جونسون (Clement Johnson) ، عضو اللجنة ومسؤول غرفة التجارة الأمريكية ، ذكر " أن المساعدات الأمريكية إلى جنوب شرق آسيا كانت ناجحة في الجزء الأكبر من أحتواء الشيوعية " ، إلا أنه وصّى بأن تخفض تلك المساعدات إلى النصف على الأقل في السنتين القادمتين ، وإن أفضل طريقة لتنشيط التقدم الإقتصادي هو تشجيع المؤسسات التجارية الصغيرة الخاصة ، كما وصّى بتخفيض المؤسسات العسكرية في لاوس وجنوب فيتنام وكمبوديا وتايلاند ، ذاكراً أن حلف جنوب شرق آسيا كفيل بالدفاع عن تلك البلدان إذا طلبت هي ذلك . (٦٨)

إلا أن مسؤولي الولايات المتحدة الأمريكية تجاهلوا تلك التوصيات وأستمروا بزيادة المساعدات الاقتصادية والعسكرية إلى لاوس ، وعندما أجمع كل أعضاء اللجنة الثانية لكتابة تقرير للكونغرس ، حدّروا فيه قيادي الحكومة من معّبة تلك المخاطر التي تتيح

للولايات المتحدة الأمريكية التورط الجدّي في لاوس ، لما لبرنامج المساعدات من تأثير على التطورات السياسية ، وما ينتج عنه من تورّط طويل الأمد في الشؤون الداخلية لبلدان أخرى (٦٩) .

وفي عام ١٩٦٠ أعطت الخزانة الأمريكية إلى لاوس (\$١٣,٥٤٢,٠٠٠) مساعدات عسكرية و (\$٤٢,١٢٤,٠٠٠) معونة اقتصادية ، لتصبح جميعها ما مجموعه (\$٥٥,٦٦٦,٠٠٠) وقد شكل المبلغ زيادة (\$٢٤,٦٦٦,٠٠٠) على الكمية التي خصصتها الخزانة لعام ١٩٥٩ ، تبع ذلك إرسال الولايات المتحدة الأمريكية شحنات من المعدات العسكرية ، وقد وصلت الشحنة الأولى من الأسلحة الخفيفة إلى فينتيان في الثامن من أيلول ١٩٦٠ ، فيما شهدت الأيام القليلة اللاحقة وصول البنادق الأمريكية والقنابل اليدوية ، وزجاجات المياه وأكياس الرز ، التي تم جلبها من تايلاند وكانوا يقومون بإسقاطها من الجو على المخافر العسكرية ، كما قامت عمليات النقل الجوي بجلب كميات غير محددة من البنادق الآلية والرشاشات والمسدسات والأجهزة اللاسلكية للمساعدة في الاتصالات ، كما أعلن أنه تزامناً مع المعونة الأمريكية من المقرر أن يرتفع عدد الجيش اللاوسي من ٢٥,٠٠٠ إلى ٢٩,٠٠٠ جندي ، وأستمرت الولايات المتحدة الأمريكية بالقول إن مثل تلك المساعدات لم تنتهك بنود مؤتمر جنيف ١٩٥٤ ، وإن اتفاق جنيف يسمح بتبديل الأسلحة القديمة بأسلحة حديثة فقط . (٧٠)

وهكذا شهد النصف الأول لعام ١٩٦٠ المزيد من حركة الحكومة اللاوسية باتجاه الاستبدادية الموالية للغرب ، ذلك الموقف قاد فومي نوسافان للقيام بأنقلاب ضد فوي ساناننيكون الذي بدأ يميل نحو المساومة أكثر فيما يتعلق بالباثيت لاو ، ونتيجة لذلك جاءت انتخابات نيسان ١٩٦٠ نيسان بنظام يميني مولي للإدارة الأمريكية ، الأمر الذي أستدعى الولايات المتحدة الأمريكية مواصلة إرسال المساعدة الاقتصادية والعسكرية إلى لاوس . (٧١)

وأنه لا بد من القول في هذا المجال أنه كان لشركة الطيران الأمريكية دور مهم في تقديم المساعدات الأمريكية إلى لاوس ، تلك الشركة المعروفة بـ " إير أمريكا " (Air America) التي كانت تقوم بمهام طيران في لاوس لأكثر من عشر سنوات ، إذ كانت الشركة تابعة للجنرال كلير تشينولت (Claire Chennault) . (٧٢)

ومنذ البداية أصبح النقل الجوي المدني وسيلة للأستخدام أثناء الحرب الباردة ، حيث تم مساعدة شيان كاي شيك في كفاحه ضد الصينيين الوطنيين ، وبعد تلك المهمات أنتقلت الشركة إلى كوريا ومن ثم إلى الهند الصينية ، عندما تم إيصال الإمدادات الطبية والغذائية والذخيرة إلى المدافعين الفرنسيين عن معقل ديان بيان فو (٧٣) . (٧٤)

وبعد ذلك أصبحت شركة الطيران الأمريكية تلك واحدة من شركات الطيران التجارية الكبرى في العالم ، حيث أمتدت خدماتها لتصل إلى أنحاء الشرق كافة ، وقد أتضح فيما بعد إن شركة الطيران تلك كانت مملوكة سراً لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وكان لها دور بارز وحيوي أثناء عمليات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في لاوس ، فمن دون وجود القوة الجوية الأمريكية ، ما كان يكتب النجاح لجهد وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في لاوس .^(٧٥)

ففي أواخر كانون الثاني ١٩٤٧ كانت شركة الطيران معروفة بالنقل الجوي المدني ، إلا أن وكالة المخابرات قامت سراً في آب ١٩٥٠ بشراء أصول النقل الجوي المدني لشركة الطيران المملوكة للقطاع الخاص ، شريطة أن تكون الطائرات وطاقم العمليات تحت قيادة رجال وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .^(٧٦)

وبعد ذلك أصبحت شركة الطيران الأمريكية المذكورة تشارك في برنامج المساعدات الأمريكية عبر الهيئة الإستشارية للمعونة العسكرية ، وفي تموز ١٩٥٥ علم مسؤولو الهيئة الإستشارية للمعونة العسكرية ، إن فشل وصول محصول الرز هدد العديد من المقاطعات في لاوس بالمجاعة ، لأن عدداً من تلك المناطق كانت من المناطق النائية والجبلية ، ومن ثم فأن الإنزال الجوي هو ربما الوسيلة الوحيدة الممكنة لتقديم الإمدادات الأساسية من الرز والملح ، لذا وصلت ثلاث طائرات تابعة لشركة الطيران (CAT) إلى تايلاند ، ومن ثم كانت عملية الإغاثة بالإنزال الجوي تجري على نحو سلس وفعال من أجل دعم برامج المساعدات الأمريكية في لاوس .^(٧٧)

وبعد موت تشينولت في عام ١٩٥٨ تم تغيير أسم شركة النقل الجوي المدني ليصبح أسمها الجديد " إير أمريكا ، التي أمتلك تقريباً (٢٠٠) طائرة وأكثر من (١٠٠,٠٠٠) مستخدم ، التي هي عبارة عن معونات إقتصادية وأفواج من الفنيين والخبراء ، التي لم تعد خافية على أحد ، أما في لاوس فإن الشركة تولت المهمات نيابة عن الحكومة الأمريكية ، إلا أن شركة إير أمريكا أصبحت فيما بعد تُدار من لدن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لدعم الجيش المدعوم من الوكالة وهم رجال قبيلة الهمونج (Hmong) (أو(ميو) ، وهو جزء من دور الولايات المتحدة الأمريكية في القتال في لاوس ، وقد أعطى أسم الشركة الجديد رسالة واضحة إلى الشعب اللاوسي ، بأن الولايات المتحدة الأمريكية تعمل على دعمهم بالكامل^(٧٨) ، لتصبح لاوس فيما بعد مسرحاً للأميركيين ورجال وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .^(٧٩)

ومن المعروف أن فوي سانانيكون كان يستند في موقفه لتأييد العناصر اليمينية في البلاد ، على المساعدات الضخمة التي أستأنفت الولايات المتحدة الأمريكية إعطاءها إلى الحكومة الجديدة في تشرين الأول ١٩٥٨ ، فمنذ وقت مبكر قرر القادة السياسيون

والعسكريون الأمريكيون وضع قوة عسكرية من المدربين تدريباً عالياً في مملكة لاوس ، لتنظيم وتدريب وتطوير قواتها العسكرية حتى يتمكنوا من السيطرة عليها والقضاء على مقاتلي الباثيت لاو الموجودين في شمال البلاد .^(٨٠)

وبذلك زادت الحكومة الأمريكية من مساعداتها العسكرية التي كانت تصل إلى جيش لاوس الملكي ، ولكن تجنب إرسال قوات برية إلى لاوس ، الذي من شأنه أن ينتهك اتفاق جنيف ١٩٥٤ ، كما أشرنا ، لذا أستعانت الولايات المتحدة الأمريكية ، بإشراف من لدن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، بأفراد يعملون في قاعدة أودون ثاني (Udon Thani) في تايلاند ، يتراوح عددهم من (٣٠,٠٠٠) ألف إلى (٣٦,٠٠٠) ألف شخص قوة غير نظامية بما في ذلك جماعة الهمونغ^(٨١) الذين تحملوا العبء الأكبر من القتال في شمال لاوس ، أما في برنامج النشاط المدني الذي مارسته هيئة العون الإنسانية الأمريكية ، فقد تم شق المئات من مدارج الهبوط في الجبل وُسِّمَت بمواقع ليما (Lima) ، وفي فترة ليست طويلة صنعت الولايات المتحدة الأمريكية البنية التحتية المناسبة لشن حربها ، بذريعة المساعدة في تطوير المنطقة ، من خلال بناء الشبكة المكثفة المكوّنة من أربعمئة مدرج طيران قد جعلت الأجزاء الأكثر نأياً في الغابة المطرية في لاوس قابلة للوصول والاستخدام^(٨٢) ، وقد قامت شركة الطيران إير أمريكا بنقل الرز والذخيرة لمناطق قبائل الهمونغ المعزولة ، التي كانت تحتوي على مساحات متنوعة من مناطق الإقلاع والهبوط الترابية ومدارج الطائرات التي تم أقتطاعها من الغابة من لدن عناصر جيش الهمونغ الذي أصبح يعرف بأسم " الجيش السري " ، الذي أصبح له دور فعّال في المساعدة على إنقاذ عدد كبير من طياري الولايات المتحدة الأمريكية الذين أسقطت طائراتهم عندما كانوا يطيرون فوق لاوس للقيام بعمليات القصف الجوي .^(٨٣)

١. يعد موقع وجغرافية لاوس السمة الأولى في أهميتها الأستراتيجية ، وهي من الممالك الآسيوية القديمة التي تقع في جنوب شرق آسيا () ، وتحديداً في قلب ما يسمى بالهند الصينية وتؤلف مع جارتها فيتنام وكمبوديا الإمبراطورية الفرنسية في الشرق الأقصى .
٢. أطلقت فرنسا على مستعمراتها في جنوب شرق آسيا : فيتنام ، لاوس ، كمبوديا ، حتى عام ١٩٥٤ ، أسم الهند الصينية ، ينظر . فايز صالح أبو جابر ، الأستعمار في جنوب شرق آسيا ، (د.ط) ، دار البشير ، الأردن ، ١٩٩٠ ، ص ٧٩ .
٣. لمياء محسن محمد الكناني ، سياسية الولايات المتحدة الأمريكية تجاه جنوب شرق آسيا (دراسة تاريخية في القضية الفيتنامية ١٩٤٥ - ١٩٧٥) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للبنات - جامعة بغداد ، ٢٠٠٤ ، ص ٨٠ .
٤. ديفيد دوايت إيزنهاور : الرئيس الأمريكي الرابع والثلاثون ، تسلم الرئاسة في كانون الثاني ١٩٥٣ إلى كانون الثاني ١٩٦١ ، ولد في تشرين الأول ١٨٩٠ في دينيسون ، تكساس ، كنيته : "أيك" ، له ابن واحد (تزوج ابنة ديفيد جولي نيكسون ، بنت نائب رئيس إيزنهاور) ، تولى مناصب عدة أثناء الخدمة العسكرية : القائد الأعلى لقوات التحالف في الحرب العالمية الثانية ، عمل رئيس جامعة من قبل ، والحزب السياسي الذي ينتمي له هو الحزب الجمهوري ، مات في آذار ١٩٦٩ (عن عمر ناهز ٧٨) . الان بالمر ، موسوعة التاريخ الحديث ١٧٨٩ - ١٩٤٥ ، ج١ ، ت . سوسن فيصل سامر ، يوسف محمد أمين ، مراجعة محمد مظفر الأدهمي ، بغداد ، ١٩٩٢ ، ص ٢٦٩-٢٧٠ .
٥. هاري ترومان : الرئيس الأمريكي الثالث والثلاثون الذي شهد عهده تبلور الدور الأمريكي نحو الزعامة العالمية وتزايد التورط الأمريكي في آسيا وأبتدائه بحرب كوريا ١٩٥٠ ، ولد عام ١٨٨٤ في ولاية ميزوري ، أنتمى للحزب الديمقراطي ، أصبح عضو في مجلس الشيوخ الأمريكي ١٩٥٣ - ١٩٤٥ عن ولايته ثم نائباً للرئيس الأمريكي روزفلت عام ١٩٤٥ أصبح رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية بعد وفاة الرئيس روزفلت ١٩٤٥ وأنتخب للرئاسة الأمريكية لدورتين توفي عام ١٩٧١ بيتر شام ، مودومسكا ، قصة رؤساء الولايات المتحدة ، ت. علي عبد الرحيم ، المكتبة العمومية ، دمشق ، ١٩٥٣ ، ص ٩٢ .
٦. هنري كيسنجر ، الدبلوماسية من الحرب الباردة إلى يومنا هذا ، ت . مالك فاضل البديري ، ط١ ، الأهلية للنشر والتوزيع ، الأردن ، ١٩٩٥ ، ص ٢٦٢ .
٧. جون فوستر دالاس : سياسي أمريكي ولد عام 1888 في واشنطن ، درس في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم أكمل دراسته للقانون الدولي في سويسرا ، بعد عودته عمل في المحاماة ثم التحق بإدارة الاستخبارات الأمريكية عشية الحرب العالمية الأولى ، أختير عضواً في وفد بلاده المشارك في مؤتمر الصلح في باريس عام 1919 ، عين مستشاراً في

الوزارة الخارجية ومندوب الولايات المتحدة في الأمم المتحدة عام 1946 إلى عام 1953 ، حيث أصبح وزيراً للخارجية وكان له دور كبير في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ضد المد الشيوعي ، وبرز عمله في إيجاد الأحلاف العسكرية الأمريكية وعرف بعدائه للشيوعية وحركة عدم الانحياز ، واستمر في منصبه حتى وفاته ينظر: عبد الوهاب الكيالي وكامل زهيري ، الموسوعة السياسية ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ص 64 .

8. Martin E. Goldstein , American Policy Toward Laos , Rutherford Madison Teaneck Farleigh Dickinson University Press , 1965 . , P 162 .

9. Ibid.p.163.

١٠ . محمود عزمي ، أضواء على حرب العصابات في فيتنام ، ص ٩٧ .

١١ . لمياء محسن محمد الكناني ، المصدر السابق ، ص ٨٠ .

١٢ . لقد حصلت شركتا نيوماركت ميكين " و " أمريكيان أيئل " على امتياز أستخراج القصدير في لاوس والتونكين ، ونالت شركتا " شيبو لومامينز " و " أوليفرميكين " امتياز أستثمار الرصاص ومشتقاته في شمالي فينتيان ، وأصبحت شركة " أمريكيان سملتين اند ريفينين " تشرف على جميع مناجم الرصاص والفضة في أنحاء الهند الصينية ، وتمكنت شركة " المطاط الأمريكية " التابعة لدييون دونيمور من شراء ٦٥ % من أسهم شركة " ميشيلين " فيها ، ولم تلبث أن ملكت جميع إنتاج المطاط ... إلى ما هنالك من شركات إنشاء ومقاولات وغيرها . خيرات البيضاوي ، حرب التحرير في الهند الصينية ، بلا ، ص ٩٥ .

١٣ . بدر الدين السباعي ، الحرب والشعوب ، (د.ط) ، دار ابن الوليد ، حمص ، ١٩٥٧ ، ص ١٢٥ .

١٤ . المصدر نفسه .

١٥ . خيرات البيضاوي ، المصدر السابق ، ص ٩٥ .

16. Joe F. Leeker , Op. Cit , P. 45 .

١٧ . محمد جلال عباس ، فيتنام : قصة كفاح شعب ، مصر ، د.ت ، ص ١٣٣ .

١٨ . المصدر نفسه .

19. Martin E. Goldstein , Op . Cit , P. 166

20. Stormy Mikel Shepherd Vehnekamp , United States Clandestine Operations In Laos From 1954 – 1963 , Submitted Master of Arts Department of History , University of Utah , 2009 . , P. ٩١ .

21. Martin E. Goldstein , Op . Cit , P. 167 .

٢٢ . المنطقة العسكرية الأولى تألفت من القوات المسلحة الملكية اللاوسية ووحدات حرب العصابات الخاصة (RLAف و SGU) بقيادة الجنرال (Tiao Sayavong) ، بينما تألفت المنطقة العسكرية الثانية من (RLAف و SGU) وكانت بقيادة الجنرال فانغ باو ، أما المنطقة العسكرية الثالثة فتألفت من (RLAف و SGU) بقيادة الجنرال (Nouphef Daoheung) وتألفت المنطقة العسكرية الرابعة من RLAف و SGU وبقيادة الجنرال (Soutchay Vongsavanh) ، أما المنطقة العسكرية الخامسة الأخيرة (RLAف) فقط فكانت بقيادة الجنرال (Thonglith Chokbengboun) . ينظر : Mark Carroll , Jeff Arnold , The United States Secret War In Laos ,USA , P. 82 .

23. http://www.photius.com/countries/vietnam/government/vietnam_government_laos_and_cambodia.html

٢٤ . اندلعت الثورة الجزائرية في الأول من تشرين الثاني ١٩٥٤ ضد الإحتلال الفرنسي ، الذي احتلّ البلاد منذ عام ١٨٣٠ ، وأستمرت الثورة طيلة سبع سنوات ونصف من الكفاح المسلح والعمل السياسي ، وانتهت بإعلان استقلال الجزائر في الخامس تموز ١٩٦٢ ، وهو التاريخ نفسه الذي أعلن فيه احتلال الجزائر في عام ١٨٣٠ ، وقد تلا إعلان الاستقلال الجنرال شارل ديغول عبر التلفزيون الفرنسي ، بعد أن سقط في تلك الثورة أكثر من مليون ونصف مليون شهيد جزائري ، وذلك ما أعطى الجزائر لقب بلد المليون ونصف المليون شهيد في الوطن العربي . للمزيد عن الثورة الجزائرية ينظر . مصطفى طلاس ، الثورة الجزائرية ، ط١ ، دمشق ، ١٩٨٢ ؛ عقيل لطف الله نمير ، تاريخ الجزائر الحديث ، سوريا ، مطبعة جامعة دمشق ، ٢٠٠٨ .

25. Milton Osborne , Op. Cit , P. 93 ..

٢٦ . كيسون فومفيخان ، ثورة لاوس دروس وعبر تاريخا ومهام لبناء المستقبل ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨٢ ، ص ١٨ .

٢٧. آرثر . شليسينجر ، الابن ، ألف يوم جون كينيدي في البيت الأبيض ، ت . يوسف الصباغ وآخرون ، ج ١ ، سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٤٦٦ .
28. http://www.photius.com/countries/vietnam/government/vietnam_government_laos_and_cambodia.html.
29. Memorandum From the Director of the Office of Philippine and Southeast Asian Affairs (Young) to the Deputy Under Secretary of State for political Affairs (Murphy) , Subject , Current Problems in Laos , Washington , February , ٢ , ١٩٥٥: F.R.U.S. , No : ٢٧٠ , PP. ٥٩٧- ٥٩٨ .
30. Telegram From the Legation in Laos to the Department of State , Washington , February 12 , 1955 : F.R.U.S. , No : 310 , PP. 683 - 684 .
31. Stormy Mikel , Op . Cit , P. 92 . .
32. Ibid .
٣٣. Telegram From the Embassy in France to the Department of State - . ٩٤٠ , P. ٤٥٣ , No : ١٩٥٧ , ٢٦ , June ١٩٥٧ - ١٩٥٥ state , F.R.U.S.
34. Telegram From the Department of state to the Embassy in Laos , F.R.U.S. ١٩٥٥ - ١٩٥٧ , June ٩ , ١٩٥٦ , No : ٣٣٥ , P. ٧٣١ .
35. Telegram From the Commander in chief , Pacific (Stump) to the Chief , Program Evaluation Office , Laos (Brown) , F.R.U.S. ١٩٦٠ - ١٩٥٧ , Honolulu February ١٣ , ١٩٥٨ , No : ١٦٤ , P. . ٤٢٦
36. Milton Osborne , Op. Cit , P. ٩٣ .
37. Letter From the Under Secretary of State for Economic Affairs (Dillon) to the Assisstant Seceary of Defense for International Security Affairs (Sprague) , F.R.U.S. ١٩٥٨ - ١٩٦٠ , Wasshington , August ٢٠ , ١٩٥٨ , No : ١٩٣ , P. . ٤٧٥
38. Joe F. Leeker , Op . Cit , P. .
٣٩. صلاح صبري ، المصدر السابق ، ص ٤٦ .
40. Warner Denis , Our Secret War in Laos , The Reporter ٣٢ , ١٩٦٥ , P. . ٢٣

٤١. ولد في ٢٩ ايار ١٩١٧ وهو الابن الثاني لجوزيف كينيدي سفير الولايات المتحدة لدى بريطانيا (١٩٣٧ - ١٩٤٠) واحد كبار اثرياء الولايات المتحدة ، تخرج من جامعة هارفورد الأمريكية عام ١٩٤٠ ، وخلال الحرب العالمية الثانية التحق بالأسطول الامريكي عام ١٩٤١ ومنح وسام الشجاعة ، وفي عام ١٩٤٦ انتخب في مجلس النواب عن الحزب الديمقراطي ، ثم أعيد إنتخابه في مجلس الشيوخ عام ١٩٥٢ ، أصبح عضواً في لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ ، وبدأ يعد نفسه لرئاسة الولايات المتحدة الامريكية ، تولى الرئاسة وهو لايزال في الثالثة والأربعين من عمره ، وعدت مدة ولايته من أقسى فترات الحرب الباردة بعد تورطه في أزمة خليج الخنازير عام ١٩٦١ وأزمة الصواريخ السوفيتية في كوبا عام ١٩٦٢ ، وفي عهده بدأ تورط الولايات المتحدة في فيتنام ولاوس وكمبوديا ينظر: The New Encyclopedia Britannica , VOL ٦ , (٧٩٨- ٧٩٩) , Pp. ١٩٨٩ University of Chicago ,) , ٦

42. Martin E. Goldstein , Op . Cit , P. ١٧٨

43. Ibid , P . 179 . .

44. - Telegram From the Department of State to the Embassy in Laos , F.R.U.S. ١٩٦٠- ١٩٥٧, Washington , May ٢٧, ١٩٥٨, No : ١٧٧ , P. ٤٤٨ .

45. ٩٣ Milton Osborne , A Short History of Laos , The Land In Between , Australia , 2002 . , P..

46. ١٣ Mikel , Stormy , Op . Cit , P. .

47. Telegram From the Legation in Laos to the Department of State , F.R.U.S. ١٩٥٥ - ١٩٥٧, Vientiane , Febraary ٤, ١٩٥٥, No : ٢٧١, P. ٥٩٩ .

48. Letter From the Secretary of State s Special Assistant for Mutual Seceary Affairs (Nolting) to the Director of the Foreign Operations Administration (stassen) , F.R.U.S. ١٩٥٥- ١٩٥٧, Wasshington , May ٣١, ١٩٥٥, No : ٢٩٦, P. . ٦٥٤

49. Memorandum of aconversation , Department of State , F.R.U.S. ١٩٥٨- ١٩٦٠, . Subject : Monetary Reform in Laos , Washington , January ١٥, ١٩٥٨, No : ١٦١, P. . ٤٢٢

50. Martin E. Goldstein , Op . Cit , P. . ١٧٩



51. Milton Osborne , Op. Cit , P. . ٩٣
52. Martin E. Goldstein , Op . Cit , P. . ١٨٠
53. Telegram From the Embassy in Laos to Department of State , F.R.U.S. ١٩٥٨- ١٩٦٠, Vientiane , June ٤, ١٩٥٨, No : ١٨٢, P. . ٤٥٤
54. Milton Osborne , Op. Cit , P. . ٩٣
55. Martin E. Goldstein , Op . Cit , P. . ١٨٢
56. Telegram From the Department of State to the Embassy in Laos , F.R.U.S. ١٩٥٨- ١٩٦٠, Washington , May ١٥, ١٩٥٨, No : ١٧٢, P. . ٤٣٩
57. Ibid.
58. Martin E. Goldstein , Op . Cit , P. . ١٩١
59. Telegram From the Embassy in Laos to Department of State , F.R.U.S. ١٩٥٨- ١٩٦٠, Washington , September ١, ١٩٥٨, No : ١٩٥, P. . ٤٩١
60. Memorandum From the Director of the Southeast Asian Affairs (Kocher) to the Assistant Secretary of State for Far Eastern Affairs (Robertson) , Washington , December ٢٩, ١٩٥٨, No : ٢٠٣, P. . ٤٧٩
61. Martin E. Goldstein , Op . Cit , P. . ١٩٢
62. Ibid , P.194. .
63. Telegram From the Embassy in Laos to Department of State , F.R.U.S. ١٩٥٨ - ١٩٦٠, Vientiane , January ٢٠, ١٩٥٩ , No : ٢٠٨, P. ٤٩٩
64. Martin E. Goldstein , Op . Cit , P .198 .
65. Memorandum From the Deputy Assistant Secretary of State for Far Eastern Affairs (Parsons) to the Deputy Under Secretary of State For Political Affairs (Murphy) , Subject : the situation in Laos , Washington , January ٢٩, ١٩٥٩, No : ٢٠٣, P. . ٤٧٩
66. Stormy Mikel , Op . Cit , P. . ١٥
67. William M. Leary , Op . Cit , P. ١١
68. Ibid .
69. Martin E. Goldstein , Op . Cit , P. . ١٧٤

٧٠. للمزيد عن موقعة ديان بيان فو ينظر: زينب عباس حسن التميمي ، ديان بيان فو والموقف الفرنسي من الوجود الامريكي في فيتنام ١٩٥٤ - ١٩٧٣ ، بحث منشور ، مجلة آداب البصرة ، العدد (٧٢) ، ٢٠١٥ .
71. William M. Leary , Op. Cit , P. . ١٧
٧٢. كانت بدايات كليبر تشينولت في العمل بشركات الطيران منذ العام ١٩٤١ ، أي قبل أنتهاء الحرب العالمية الثانية ، وذلك عندما قرر الرئيس الأمريكي روزفيلت مساعدة شيان كاي شيك (Chiang Kai- shek) ، ثم أستمر يعمل أثناء الحرب الأمريكية مع اليابان ، وحينها قام الجنرال تشينولت بتجنيد الطيارين العسكريين الأمريكيين لشركته المعروفة آنذاك بشركة تصنيع الطائرات المركزية (CAMCO) ، التي تطورت فيما بعد لتصبح من شركات الطيران المشهورة في المنطقة ، وعندما كسب الجنرال تشينولت سجلاً بارزاً أثناء الحرب العالمية الثانية ، رأى بعد الحرب أن هناك فرصة لكسب المال عن طريق تشكيل شركة طيران تقوم بنقل تجهيزات الإغاثة إلى الصين . Martin E. Goldstein , Op . Cit , P. 196
٧٣. يزعم الجنرال تشينولت إنه في موقعة ديان بيان فو تم أستعارة الطائرات والطيارين التابعون للنقل الجوي المدني من لدن جيش الولايات المتحدة الأمريكية ، الذين دخلوا في تجارة الأفيون فيما بعد .
74. William M. Leary , OP Cit , P. . ١٨
75. William M. Leary , OP Cit , P. . ١٩
76. Joe F. Leeker , Op . Cit , P. . ٤٨
77. William Blum , Op. Cit , P. . ١٤٠
78. Joe F. Leeker , Op . Cit , P. . ٤٩
٧٩. أقدمت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) بين عامي ١٩٦٠ و ١٩٦٢ إلى اتفاق مع العديد من قبائل الهمونغ في المناطق الأكثر عزلة من لاوس لمحاربة الشيوعيين (فيتنام الشمالية) ، وقد تمت الصفقة ومنح شعب الهمونغ الوصول والقُدوم إلى الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب . Gjin Lor , The Vietnam War : Hrnong Soldiers' Personal Experiences in the Secret War , University of Wisconsin-Stout , P ٢٠٠٨ , P ٥ .
٨٠. - مشاهدة من برنامج وثائقي على قناة الجزيرة الوثائقية ، <http://www.aljazeera.net/doc>
81. http://www.photius.com/countries/vietnam/government/vietnam_government_laos_and_cambodia.html.



82. Martin E. Goldstein , Op . Cit , P. . ١٦٥

83. Perry L. Lamy , Op . Cit , P. . ١١

Farouk al-Sharaa and the Political Cycle in Syria

فاروق الشرع ودورة السياسي في سوريا (١٩٣٨ - ١٩٩٢)

أ.د. صالح جعيول جويعد السراي م.م. رؤى وحيد عبد الحسين السعداوي

جامعة ذي قار - كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص

ان لدراسة الشخصيات اهمية في رسم وصنع الكثير من الاحداث التاريخية، كما انها تساعد على معرفة جوانب مهمة في تاريخ بلدانها، وقد شكلت هذه الحقيقة الدافع الأساس في دراسة شخصية فاروق الشرع مسلطة الضوء على بداية تكوينه الاجتماعي و دخوله المعترك السياسي بعد ممارسة حياته العملية واكمال دراسته الاعدادية، فقد بدأت حياته العملية في شركة الطيران السورية التي يشغل فيها مناصب عديدة منها مدير لمكتب الشركة في دبي عام ١٩٦٣ ثم مدير إقليمي لشركه الطيران السورية في لندن عام ١٩٦٧، وفي عام ١٩٧١ انتقل فاروق الشرع لدراسة القانون الدولي في جامعة لندن بين عامي ١٩٧١-١٩٧٦ اضافة الى عمله في شركة الطيران التي أدى خلالها مهام عديدة كانت خدمة لبلادة، ثم وزير دولة للشؤون الخارجية (١٩٨٠-١٩٨٤) ثم عين وزيراً للخارجية في عام ١٩٨٤.

ترك انطباعات عديدة في السياسة الخارجية السورية من خلال دورة السياسي في سورية اولا ولبنان وايران ودول اخرى فهو يقضي مهماته في ثلاث قارات خلال يوم واحد يجول العالم لإيصال سوريا وحقوقها الى انحاء العالم والدفاع عن سلامها الحقيقي، اتسمت سياسته بالحوار الهادئ ولا بد من ارضاء الاطراف المتنازعة وفقا للقرارات المتفق عليها والمدونة في مختلف الاصعدة السياسية، وكان له موقف بعد احتلال العراق للكويت عام ١٩٩٠ يحسم له محاولة منة في حسم الخلاف وارضاء الطرفين، كما كلفه الرئيس الاسد بان يتولى مفاوضات السلام في مؤتمر مدريد عام ١٩٩١ فكان يؤمن بعدم تحقيق السلام إلا باستعادة سوريا كامل أراضيها المحتلة منذ حرب عام ١٩٦٧، وقد أشرف على عملية السلام مع إسرائيل منذ بدء المفاوضات في مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١ وحتى عام ١٩٩٢.

Abstract

The study of the important figures in the drawing and making of many historical events, and it helps to know important aspects in the history of their countries, and this fact formed the basis of motivation in the study of Farouk Shara highlights the

beginning of social composition and entering the political arena after the exercise of his career and completion of his studies He started his career at the Syrian airline, where he held several positions, including the director of the company's office in Dubai in 1963 and then the regional director of the Syrian airline in London in 1967 and the commercial manager in Damascus In 1971 she moved to Farouk al-Sharaa to study international law at the University of London between 1971 and 1976. In addition to his work in the airline company that used to wear a necklace, then Minister of State for Foreign Affairs (1980–1984) 1984

He left many impressions in the Syrian foreign policy through the political cycle in Syria first, Lebanon, Iran and other countries. He spends his missions on three continents. In one day the world travels to deliver Syria and its rights to the world and defend its true peace. He is looking for crises at the end of the tunnel. Because it has no impossible and no hope is finally cut, so his policy was characterized by a calm dialogue and must satisfy the conflicting parties in accordance with the agreed and codified decisions at various political levels. He had a position after the Iraqi occupation of Kuwait in 1990, President al-Assad that cost him take peace negotiations at the Madrid Conference in 1991, was believed not to bring peace, but the restoration of Syria's entire territory occupied since the 1967 war, has overseen the peace process with Israel since the start of negotiations at the Madrid Peace Conference in 1991 until 1992.

المقدمة

لمعرفة وإدراك جوانب هامة من تاريخ أي بلد لابد من دراسة تاريخ شخصياته المؤثرة والفعالة ومن هذا المنطلق، ورغبة في المعرفة الدقيقة والتفصيلية لتاريخ سورية المعاصر وجه الباحث اهتمامه لشخصية فاروق الشرع ودوره السياسي في سورية الذي جاء إلى السياسة الخارجية عام ١٩٨٤ .

تضمنت الدراسة مقدمه وثلاثة مباحث فضلاً عن الخاتمة، تناول المبحث الاول الذي كان بعنوان التكوين الاجتماعي لفاروق الشرع وبداية نشاطه السياسي مبينا فيه تكوينه الاجتماعي، مولده و عائلته وتعليمه وبواكير نشاطه السياسي في سورية ، اما المبحث الثاني الدور السياسي لفاروق الشرع ١٩٨٤ - ١٩٨٩ تناول دوره في السياسة الخارجية السورية منذ تولية منصب وزارة الخارجية السورية حتى عام ١٩٩٠، فيما كان المبحث الثالث

بعنوان التطورات السياسية للمدة ١٩٩٠-١٩٩٢ ودور فاروق الشرع تجاهه الذي تضمن معالم سياسة فاروق الشرع في مسيرة الاحداث العالمية وتمثيل سوريه وما اكده بين الحين والآخر من خطابات ومناقشات واعمال يشهد لها التاريخ السوري في السياسة الخارجية .

المبحث الأول: التكوين الاجتماعي لفاروق الشرع وبداية نشاطه السياسي.

ولد فاروق الشرع في مدينة درعا الواقعة جنوب سورية والقريبة من الحدود الأردنية في شتاء عام ١٩٣٨^(١)، التي كانت مسقط رأس ابويه أيضا^(٢)، كان منتميا الى الأسرة السنية اذ كان والده موظفا بسيطا كثير التنقل بين المحافظات والبلدات، عندما بلغ فاروق الشرع الرابعة من عمره انتقلت عائلته الى عريش ودوما فتعلم أجزاء من القرآن الكريم وحفظ منه عدد من الآيات القرآنية وفي السادسة من عمره غادر اهله المنطقة وتوجهوا الى منطقة (النبك) فكان فاروق الشرع وعائلته لن يستطيعوا ان يقيموا علاقات مع أهالي المنطقة فعادوا الى درعا للاستمرار في العيش بها في منتصف الاربعينات^(٣).

استهل فاروق دراسته الابتدائية في مدرسة المتنبى في درعا، اثناء دراسته دخل درعا مجموعة من الفلسطينيين اللاجئين وقت كان فيه فاروق في مواكب التحصيل الدراسي للثالث الابتدائي اذ كان لم يستوعب ما حصل في فلسطين عام ١٩٤٨ فكان يستمع لما يلقي المعلمين على اذهانهم عن حرب قائمة بين العرب واليهود تشارك فيها جيوش بعض الدول العربية، فكان فاروق يخالط الطلاب الفلسطينيين ويستمع الى ما يجري عليهم فاروق شغله الشاغل يتفحص ويتساءل لم حصل هذا وكيف حصل واخذ يشارك في المظاهرات الطلابية من اجل فلسطين ونكبتها^(٤).

كان فاروق الشرع ضمن اسرة كبيرة مؤلفة من تسعة اخوه واخوات فكان اخوه عبد المنعم اكبر منه بعشر سنوات عضو في حزب البعث عروبيا ، بينما اخوه علي الذي اكبر منه بست سنوات كان قوميا ، فكان فاروق الشرع يستمع لمناقشاتهم السياسية ومعجبا بأرائهم متأثرا بهم مدركا ما يدور من حوله، فعند قيام العديد من الاحداث السياسية ولاسيما انقلاب حسني الزعيم في ٣١ اذار ١٩٤٩ عد فاروق الشرع الانقلاب يوم الثأر لفلسطين واعتبروا الزعيم هو المحرر والمخلص لفلسطين الذي سيعيد الفلسطينيين بأسرع وقت الى ديارهم^(٥).

ومن هنا بدأ الانخراط المبكر لفاروق الشرع في العمل السياسي منذ نعومة أظافره و تكونت دورة حياته السياسية فكان مولعا بالمناقشات السياسية ويدخل بجدل ساخن مع رفاقه في المدرسة الثانوية حول قضايا عدة لا سيما ثورة ١٩٥٢ في مصر والضباط الاحرار وجمال عبد الناصر^(٦) وحلف بغداد عام ١٩٥٥ وتأسيس قناة السويس، فكانت هذه المحاور التي يناقشها فاروق مع رفاقه ساهمت في نضوج وعيه السياسي المبكر وكذلك قراءته للأحداث التي لم تكن على أساس الشعارات وانما على رؤية بعيدة المدى، فضلا انه كان مؤمنا بعمق الشجاعة التي لا تأخذ قيمتها العليا الا اذا رافقتها الحكمة^(٧).

وفق لما تقدم كانت الاحداث السياسية تنعكس على فاروق الشرع ورفاقه فتشغلهم أحيانا عن الدراسة ومتابعة الدروس فضلاً عن تجاهله ما تعانيه أسرته من ظروف قاسية لاسيما مرض والده الذي جعله في الفراش شهوراً وأسابيع حتى توفي قبل أسبوع فتدهورت أوضاعه فالحزن والبكاء لا يفارق عائلته فبفقدانه اصبح يعاني من الحزن^(٨).

دخل فاروق كلية الآداب قسم اللغة الإنكليزية في جامعه دمشق ونظراً لما يعانيه من ظروف قاسية^(٩)، حصل على عمل في "شركة الكرنك والتي لها فروع في مطار المزة الدولي عام ١٩٦١ فكان عمله في الليل ودراسته في النهار جامعا بين الدراسة والعمل^(١٠).

وفق هذه التطورات تعرف فاروق الشرع على حافظ الأسد^(١١) الذي كان يشغل وظيفة مدنية في مديرية النقل البحري الذي عرفه اليه زميله الضابط إبراهيم الرفاعي خلال زيارة قام بها الاثنيين الى مكتبه في مؤسسة النقل البحري لمناقشة الأجواء التي تدور حول الوحدة والانفصال الدائرة بين مصر وسورية وما تكون مسؤولية حزب البعث الذي حل لنفسه اتجاه ذلك^(١٢)، كان فاروق الشرع مهتماً بقيمة الوحدة العربية بين البلدين ومدى رمزيتها التاريخية والحاجة اليها.

استمر فاروق الشرع في عمله في شركة الطيران السورية إضافة الى دراسته في قسم اللغة الإنكليزية الذي تخرج منه عام ١٩٦٣، وبدأ حياته العملية كأحد المديرين في شركة الطيران العربية السورية ثم مدير إقليمياً لشركه الطيران السورية في لندن عام ١٩٦٧، اذ ساعده عمله آنذاك بحكم تبعية الشركة لوزارة الدفاع على التواصل مع الوزير حافظ الاسد الذي لم تتقطع اتصالاته به^(١٣).

ساهمت انتكاسة حزيران عام ١٩٦٧ في زيادة عمق الانقسام في عضوية حزب البعث الذي اختلفت قيادته في رؤيتها للعديد من القضايا ساهمت في اعلان وزير الدفاع حافظ الاسد احد اعضاءه بانقلاب عام ١٩٧٠ الذي اطلق عليه بالحركة التصحيحية عام ١٩٧٠ وبالتالي اعلان الرئيس حافظ الاسد رئيس للدولة عام ١٩٧١ العام الذي انتقل فيه فاروق الشرع لدراسة القانون الدولي في جامعة لندن بين عامي ١٩٧١ - ١٩٧٦ إضافة الى عمله في شركة الطيران التي أدى خلالها مهام عديدة كانت خدمة لبلاده^(١٤).

استمر فاروق الشرع في عمله حتى مطلع حزيران عام ١٩٧٦ فأختره الرئيس حافظ الأسد ليكون سفيراً في روما بعد خمسة عشر عاماً في العمل في مؤسسة الطيران فرحب بعمله الجديد كسفير سوري في إيطاليا للمدة ١٩٧٦ - ١٩٨٠ لأنه كان لديه طموح بتحسين صورة سوريا هناك^(١٥)، ترك انطباعات جميله يذكرها الصحفيون دائماً حيث كان مقرباً لهم^(١٦)، أذ رافق منصبه الجديد تدخل القوات السورية في لبنان على اثر اندلاع الحرب الاهلية اللبنانية^(١٧) فكان هذا التدخل يشكل صعوبة لعمل فاروق الشرع علماً بأن روما اطلسية تحتضن الكرسي الرسولي للكنيسة الكاثوليكية في العالم وتراقب كل ما يجري في لبنان وامنه الذي يعد امنه لصيق بأمن الفاتيكان ومسيحي الشرق كما تراه روما من نوافذ الفاتيكان وبذلك كان فاروق الشرع في زيارته

لعدد من المسؤولين الايطاليين والسفراء المعتمدين لدى إيطاليا ولاسيما السفراء الفرنسيين كانوا شديدين الحرص على ان يسمعوا اخر الاخبار المتعلقة بلبنان فكان عليه ان يتابع كل عمل تؤديه سوريا في لبنان وما تكون عليه بعلاقتها مع المسيحيين او مع ما تقدمه من حلول وصيغ لإنهاء الحرب بين المتحاربين وكان مؤهلاً لذلك^(١٨).

وفي مطلع عام ١٩٨٠ ترك فاروق الشرع عمله في السفارة وتولى عمله في وزارة الدولة للشؤون الخارجية^(١٩)، خلفاً لعبد الكريم عدي اذ كانت هذه الوزارة قد استحدثت خلال حكومة عبد الرؤوف الكسم الأولى^(٢٠) ولم يكن فاروق الشرع سعيداً في منصبه كوزير دولة لما تداركه من معلومات عن هذا المنصب بانة لم يكن له أي تدخل في الشؤون الداخلية، كما لم يترك له المجال للتعاطي في الشؤون الخارجية اذا كان عمله يتطلب نقل رسائل الرئيس الى نظرائه من القادة وحضور المؤتمرات وبتوليته هذا المنصب أعطاه الرئيس حافظ الأسد قدر من الأهمية فوجد نفسه في اتصال يومي ومباشر بالرئيس سواء في استقبال زواره او مرافقته في بعض جولاته الخارجية، او من خلال شرح المواقف السورية امام الحكومة او في حمل رسائله الخاصة الى قادة الدول العربية والأجنبية التي تكون خطية ومختومة بالشمع الأحمر مع صورة عنها غير موقعة يطلع على مضمونها قبل تسليمها ولدية استعداد لشرح ما تحتويه والاجابة عن الأسئلة التي يوجهها القادة المرسل اليهم^(٢١).

ومن القضايا الأخرى التي شارك فيها فاروق الشرع ضمن منصبه كوزير للدولة مشاركته في المؤتمر القومي الثالث عشر في أواخر شهر اب ١٩٨٠ الذي عقد لمناقشته تقرير القيادة القومية وانتخاب قيادة جديدة، فكانت مشاركته في المؤتمر كعضو مراقب الذي يعد بموجب دستور الحزب اعلى مرجعية على مستوى التنظيم القومي لحزب البعث، واهم ما تمخض عن المؤتمر المناقشات والمداولات الحادة بين اعضاءه التي تحمل الدول العربية الأخرى مسؤولية التواطؤ الضمني مع الرئيس أنور السادات في توقيع اتفاقية كامب ديفيد^(٢٢) وتحمله دعم جماعة الاخوان المسلمين وتدريبها التي تعتبرها سوريا تعرقل مساعي الحكومة في مختلف النواحي^(٢٣).

ولم يلقي الرئيس الأسد كلمته في بداية المؤتمر في هذه الاجواء فألقى عبد الحليم خدام^(٢٤) كلمته التي دعا فيها الى التوجه في مواقف راديكالية جذرية ضد القوة الرجعية العربية ومواجهة اتفاقية كامب ديفيد وقطع العلاقات مع جبهة الصمود وطالب بسحب موافقه سوريا على قراري مجلس الامن التابع للأمم المتحدة قرار ٢٤٢^(٢٥) وقرار ٣٣٨^(٢٦).

وتزامناً مع ذلك رد فاروق الشرع على كلمة عبد الحليم خدام مقدراً مواقفه النضالية ومشيراً في الوقت نفسه الى عواقب ما تحدث به سواء على مستوى عدم التزام سوريا بالقانون الدولي او على مستوى التضامن العربي مؤكداً ان ما اكد عليه خدام يجعل المجتمع الدولي ضد سوريا من دون ان تهياً سوريا للتحريير فتعود الى اليسار الطفولي واكد بان الدول العربية التي تقف مع سوريا في موقفها هي ليبيا الا ان سوريا لن تضمن

استمرارها في موقفها مضيافاً ان الجزائر واليمن لن تقف مع سوريا في مواجهة المجتمع الدولي ويعد اهم حليف لسوريا في الساحة الدولية والمزود الرئيس لها بالسلاح هو الاتحاد السوفياتي ومن الدول الموقعة على هذين القرارين ٢٤٢ و ٢٣٨ الصادرين عن مجلس الامن ومناصرا قويا لميثاق الأمم المتحدة, فكانت كلمته لم تلقى اعجاب عبدالحليم خدام وبدأت مثار خلاف بينهما اما الرئيس الاسد ايد فاروق الشرع وأشار الى صواب موقفة من قرارات الامم المتحدة^(٢٧).

وفي ٢٢ أيلول ١٩٨٠ نشبت الحرب العراقية الإيرانية^(٢٨) فكان فاروق الشرع حاضراً اجتماع لجنة القدس التي يترأسها الملك حسين^(٢٩) في المغرب فشجب الحرب معلناً بأنها لا تخدم الا إسرائيل وانها تجري ضد ايران التي قامت ونجحت بأغلاق السفارة الإسرائيلية في طهران وأعلنت التزامها بدعم القدس والقضية الفلسطينية, اذ كان موقف فاروق الشرع هذا منطلقاً من ردة فعله الأولى واقتناعه المبدئي بموقفة دون انتظار توجيهات من دمشق فلقى ارتياحاً وترحيباً من قبل الرئيس الأسد للموقف, فكان تقدير الأسد للحرب بان المنطقة مقبلة على عملية تغييرات جيوسياسية خطيرة وان هذه الحرب ستخرج العراق نهائياً من العمق الاستراتيجي لمواجهة مع إسرائيل وستخل بموازين القوى العسكرية والسياسية الاستراتيجية مع إسرائيل وتقسّم العرب وتضعف التضامن العربي^(٣٠).

ووفقاً لمجريات الحرب قام الرئيس حافظ الأسد بتوقيع معاهدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتي في ٨ تشرين الأول ١٩٨٠ التي يعتبرها رداً مباشراً على التطورات السياسية الجارية^(٣١), فكان فاروق الشرع مؤيداً للمعاهدة مؤكداً على ان المعاهدة تساهم في تحسين شبكة الدفاع الجوي السوري وتغطية كامل الأجواء السورية برادارات متطورة نظراً لما كان يقلقه تفوق إسرائيل الجوي التي بإمكانها ضرب أي هدف سياسي او اقتصادي بسهولة في كل انحاء سورية^(٣٢).

ازاء استمرار الحرب العراقية الايرانية قام فاروق الشرع بزيارة الى الرياض تم خلالها التباحث حول الموقف من الحرب العراقية الايرانية وانعكاساتها على المنطقة العربية ولاسيما منطقة الخليج العربي, وفي شهر كانون الاول من العام نفسه قام الرئيس السوري حافظ الاسد بجولة الى الدول الخليجية ومن بينها المملكة العربية السعودية وكانت الغاية تحسين العلاقات الخليجية الايرانية والحصول على الدعم المالي السعودي^(٣٣).

زيادة على ذلك جرت تطورات ساهمت في تغير الواقع السياسي ولاسيما في كانون الأول عام ١٩٨٠ مثلت بتولي الرئيس الامريكي رونالد ريغان^(٣٤) (Ronald Reagan) رئيساً للولايات المتحدة الذي قام بتعيين الكسندر هيغ^(٣٥) وزير للخارجية المعروف بسياسته العدائية لسوريا, مهدت هذه الاحداث الى مغامرة غزو لبنان في ٦ حزيران ١٩٨٢ اشن الطيران الحربي الإسرائيلي هجمات عنيفة على جنوب لبنان وغربي بيروت^(٣٦), تحرك على اثرها الدبلوماسي الامريكي فليب حبيب^(٣٧) خلال ٧ - ٩ حزيران بين تل ابيب ودمشق

لوقف اطلاق النار ^(٣٨)، فأوضح لسورية ان هذه الحرب ليست عملية صغيرة وانما حرب واسعة تستهدف المقاومة الفلسطينية وسورية معاً ^(٣٩).

واثناء تواجد السفير الأمريكي فليب حبيب في دمشق استدعاه فاروق الشرع وطلب منه إيضاح نيات إسرائيل في توغلها في جنوب لبنان، فلم يتحدث فليب حبيب الى أي ذريعة لمحاولة اغتيال السفير الإسرائيلي في لندن بل انه تطرق الى مقتل الجنود الإسرائيليين بعبوة ناسفة منذ عدة أيام في لندن تحت الشريط فرد عليه فاروق الشرع مؤكداً حق المقاومة المشروع ضد الاحتلال ورفض الغزو الإسرائيلي وفق منطلق الفعل وردود الفعل، فكان فليب حبيب مصرّاً بأنه دفاع عن النفس وان إسرائيل لها الحق في الدفاع عن نفسها فأجابه فاروق الشرع قائلاً: ((لا يدافع الجندي عن نفسه عندما يكون في ارض الاخرين))، بناء على ذلك وصف فاروق الشرع الاحتلال الإسرائيلي للبنان على انه الكذب المدروس مع الإسرائيليين، واعلن ان التخطيط لعملية الاحتلال سراً ذائعاً في الصحافة الإسرائيلية نفسها ومهد لها وزير الخارجية الأمريكي الكسندر هيغ بمحاضرة له مبينا بأن لبنان منصة للعمل لإخراج سوريا وفلسطين منه وبذلك لم يكن مفاجئاً أن يقوم الطيران الإسرائيلي بقصف بطاريات الصواريخ والوحدات السورية في وادي البقاع ^(٤٠).

وفي ٢٨ كانون الأول ١٩٨٢ بدأت المفاوضات بين إسرائيل ولبنان بقيادة الرئيس امين الجميل انتهت الى عقد اتفاق بين البلدين عرف باتفاق ١٧ أيار ١٩٨٣ ^(٤١).

رفضت سوريا الاتفاق ووصفه الرئيس الأسد بانه يحول لبنان الى محمية إسرائيلية وبذلك حاول ان ينذر القادة العرب بمخاطرة على الامن القومي، فكتب رسالة خطية مطولة مؤلفة من خمسة عشر صفحة وتولى فاروق الشرع مهمة ايصالها بوصفه وزير الدولة للشؤون الخارجية الى عدد من الملوك والرؤساء العرب فكان ملخصها تنص على ان العرب الذين فضلوا بالأجماع اتفاقيات كامب ديفيد يجب ان يرفضوا اتفاقية ١٧ أيار لأسباب إضافية وشديدة الخطورة ^(٤٢).

وعلى إثر ذلك عقد فاروق الشرع مؤتمر صحفي في دمشق في ١٤ أيلول ١٩٨٣ أكد فيه موقف القيادة السورية من الموافقة على الاتفاق معلناً لابد من وقف الاقتال من جهة وعلى بدء الحوار الوطني اللبناني من جهة ثانية وحمل الرئيس اللبناني مسؤولية التورط باتفاق ١٧ أيار وانسياقه مع الوعود الأمريكية ^(٤٣)، وتمثل الرد السوري على الاتفاق بتفجير الوضع الامني في الضاحية الجنوبية وفي بيروت الغربية بين حركة أمل والجيش اللبناني ^(٤٤).

وفي ٢٣ تشرين الأول ١٩٨٣ تعرض مقر مشاه البحرية الأمريكية والقوات الفرنسية الى عمليات فدائية انتحارية الحقت الضرر بقواتها البشرية فقد قتل في مجمل العمليتين اكثر من ٣٠٠ جندي امريكي وفرنسي وكانت الخسائر البشرية الأكبر قد وقعت في صفوف المارينز راعت هذه الحادثة سقوط طائره أمريكية تستهدف ضرب المواقع السورية في لبنان ^(٤٥).

امام هذه التطورات طلب الرئيس الأمريكي كارتر^(٤٦) من الرئيس حافظ الأسد مشاركة سورية في ندوة غير رسمية عن السلام في الشرق الأوسط في ولاية جورجيا ليخفف من غضب الأمريكيين إزاء ما حل بهم من اذلال وما تكبدت في المواجهة مع سوريا ولبنان من اعقاب الغزو الإسرائيلي عام ١٩٨٢ وتقجير مقر المارينز^(٤٧).

وفي هذه الظروف وجدت سوريا من المفيد ان تشارك في هذا المنبر الدولي المهم لإبراز فرصتها على السلام وتوضيح موقفها من لبنان وإلغاء ما لحق بصورة سورية من اتهامات.

وبذلك تولى فاروق الشرع هذه المهمة فتوجه الى مدينة اتلانتا في ولاية جورجيا الامريكية للمشاركة في الدورة ممثلاً عن سوريا كوزير للدولة في الشؤون الخارجية استجابة لدعوة الرئيس الأمريكي كارتر وكان برفقته الخبير السوري في القانون الدولي الدكتور محمد عزيز شكري^(٤٨) للاستعانة به في المناقشات القانونية حول المسائل التي ستطرح وبعد مناقشات عديدة القى فاروق الشرع خطاباً في منتهى الدقة كان مضمونه رداً على كلمة جوزيف سيسكر المبعوث الأمريكي للمنطقة ومهاجمته لسورية وكذلك على ما جاء به الرئيس كارتر في خطابه الذي طرح فيه استعداد سورية للانسحاب من لبنان في فترة قصيرة في ما لو انسحبت إسرائيل أولاً، فقد استخدم فاروق الشرع الحنكة والصيغ المحسوبة في الرد على ذلك قائلاً: ((لماذا لا تخرجنا الولايات المتحدة وتطلب من اسرائيل الانسحاب اولا لان وجودها في لبنان غير شرعي حسب قرارات الامم المتحدة، وفي حين ان وجود القوات السورية شرعي بموافقة قمة عربية مصغرة عقدت في الرياض وقمة استثنائية موسعة في القاهرة))، وفيما بعد انتقد فاروق الشرع المؤتمر مؤكدا انه لو كان صادقاً وجاداً في دعوته للسلام لدعا الممثلين الحقيقيين للشعب الفلسطيني لسماع صوتهم، وفي خطابه الاخير الذي خلق احراجا للرئيس الامريكي كارتر وبعض النخبة الامريكية جاء فيه: ((لماذا يتركز النقد على سورية وننسى الغزو الاسرائيلي وحصار بيروت ومجازر صبرا وشاتيلا))^(٤٩).

وفي الحقيقة التي لا بد من ذكرها استطاع فاروق بحنكته السياسية ان يبين السياسة السورية تجاه لبنان ويوضح للجميع بان ما علق بسوريا من اتهامات ما هي الا باطله وليس لها أي مصداقية وأنها وضعت من اطراف معادية لسوريا لتحقيق مصالحها على حساب المصالح السورية فلاقت معارضة قوية من وسائل الاعلام الامريكية التي وصفتها بالعنف ومهادنة الإرهاب ولم تلقى ترحيب من بعض الرفاق في سوريا لمرونتها التي لم يعتادوا عليها.

المبحث الثاني: الدور السياسي لفاروق الشرع للمدة (١٩٨٤ - ١٩٨٩)

بعد ان بات اتفاق ١٧ أيار ١٩٨٣ يحتضر ويلفظ أنفاسه الأخيرة بعد زيارة الرئيس أمين الجميل الى دمشق في ١ آذار ١٩٨٤ للتباحث مع نضيرة السوري في الرؤية السياسية لمستقبل الوضع وتطور الامور^(٥٠) وعلى اثر انسحاب رئيس الحكومة الإسرائيلية مناحيم بيغن من السياسة اتخذت الحكومة اللبنانية قراراً لا مناص منه

بالغاء اتفاق ١٧ أيار في ٥ آذار ١٩٨٤^(٥١)، وباتت هذه الخطوة مخالفة لسياسة الولايات المتحدة التي بذلت الكثير من اجل عقد الاتفاق^(٥٢).

وبذلك بادر الرئيس الأسد في كسب الجولة في المواجهة مع الإسرائيليين والامريكيين ووجد حاجة ملحة لإعادة هيكلية مراكز القوة في حكمة، فاصدر مراسيم تعيين ثلاثة نواب له كما اصدر مرسوم بإعادة تكليف عبد الرؤوف الكسم بتشكيل وزارة جديدة تقلد فيها فاروق الشرع منصب وزارة الخارجية^(٥٣) بعد ان قضى اربع سنوات كمدير دولة للشؤون الخارجية^(٥٤)، واصبح مسؤول عن السياسة الخارجية السورية وأحد أبطالها^(٥٥).

وفي الحقيقة لم يكن من السهل اسقاط اتفاق ١٧ أيار بعد سنه من توقيعه الذي كان تطلق عليه الصحافة الإسرائيلية بالاتفاق الأمريكي الإسرائيلي مع لبنان لولا تصميم سوريا وإرادتها على إسقاطه من جهة وصعود دور حزب الله كحزب مقاوم الى جانب حركة امل وأحزاب لبنانية وطنية وقوى أخرى التي حولت لبنان الى حاضنه للفكر المقاوم والتي تسعى الى الانسحاب الاسرائيلي الكامل من لبنان^(٥٦).

وبهذا أشار فاروق الشرع في حديث صحفي له في ٢١ كانون الأول ١٩٨٤ حول المحاولات الإسرائيلية بالانسحاب الجزئي من لبنان قائلاً: ((بأن الانسحاب الجزئي ستكون نتائجه وخيمه على الإسرائيليين اكثر بكثير منها على اللبنانيين لان المقاومة الوطنية تطالب الإسرائيليين أينما كانوا ونحن ولبنان مع الإصرار على الانسحاب الإسرائيلي التام وغير المشروط من لبنان والإسرائيليون يعرفون ذلك))، معلناً بأن تلكى إسرائيل عن الانسحاب يعني تصعيد المقاومة الوطنية اللبنانية حتى ترضخ إسرائيل وتعترف بسيادته واستقلاله^(٥٧).

الا ان الغاء اتفاق ١٧ أيار لن يمر دون ان يترك وراءه ثغرات غير متوقعة وبذلك كان الصراع الذي نشب بين حركة امل وحزب الله كإحدى ظواهر تداعيات هذا الاتفاق داخل لبنان بعد انسحاب القوات الإسرائيلية الجزئي في أواخر نيسان ١٩٨٥ تحت وطأة المقاومة الوطنية من إقليم الخروب وشرقي صيدا^(٥٨).

فوصف فاروق الشرع ذلك الانسحاب قائلاً: ((كان واضحاً أن انسحاب إسرائيل ليس الا تعبيراً عن فشلها في فرض شروط وقيود على الجانب اللبناني وبالتالي فإن إعلانها عن انسحاب لقواتها من جانب واحد ليس الا محاولة لأرباك الوضع اللبناني وخلق حالة نفسية لدى المواطن اللبناني توحى من خلالها بأنها لم تكن مرغمة على الانسحاب))، مبيناً بان إسرائيل ما تزال تملك زمام المبادرة في لبنان وهدفهم من ذلك تحجيم الانتصار السوري اللبناني الذي بدأ بإلغاء اتفاق ١٧ أيار من جهة وتأكيد فشل الغزو الإسرائيلي للبنان من جهة ثانية^(٥٩).

كما رفضت سوريا فكرة حياد لبنان اذ انها تعد لبنان لا يمكن ان يكون محايداً في الصراع العربي - الإسرائيلي ومما نوه به الرئيس الأسد بأن تحييد لبنان يحتاج الى وقت طويل وعلى أي حال فمصير لبنان يكون

متميزا في المستقبل عن مصير الامة التي ينتمي اليها، وبذلك اكد فاروق الشرع ان فكرة تحيد لبنان غير عملية ولا تلاقي قبول لدى المسؤولين السوريين وذلك ردا على المسؤولين الفرنسيين الذين طرحوا هذه الفكرة عليه خلال زيارته لباريس منذ أيار ١٩٨٥^(٦٠).

كما بين فاروق الشرع الموقف السوري حول تحيد لبنان في ٣ حزيران ١٩٨٥ مؤكدا بأن تحيد لبنان يتجاهل حقيقتين هامتين وهما ان لبنان والشعب اللبناني جزء لا يتجزأ من العالم العربي والحديث عن تحيد لبنان يعني فصل لبنان عن محيطه العربي ومن جانب اخر فإن تحيد لبنان ليس حلاً واقعياً لأنه يعني تغيير معالم هذا البلد وانهاء روابطه العربية وخاصة روابطه مع سوريا^(٦١).

ومن جانب آخر ان سورية لم تعمل على معارضة الاتفاق الإسرائيلي اللبناني فقط وانما قطعت علاقتها الدبلوماسية مع الدول التي تساهم في دعم الدول التي تضع يدها بيد اسرائيل وبذلك بين فاروق الشرع سبب تأزم العلاقات السورية الأردنية في حديث صحفي له في دمشق في ١٧ تشرين الأول ١٩٨٥ بأن أي خلافات ثنائية بين سوريا والأردن مهما كانت شائكة ومعقدة فهي قابلة للحل إذا عملت الأردن على الغاء اتفاق عمان^(٦٢) والعدول عن قرار استئناف العلاقات الدبلوماسية مع مصر كونها وقعت اتفاقية كامب ديفيد وان سوريا خلاف ذلك يعني عدم جدية تصحيح العلاقات السورية الأردنية وعدم الاتفاق على مضمون التضامن العربي الحقيقي والفعال^(٦٣)، اذ ان سورية عدت اتفاق عمان بانه يهدف الى اجراء مفاوضات مباشرة مع العدو الصهيوني بمشاركة الولايات المتحدة^(٦٤) وفي ظل اتفاقية كامب ديفيد، وقد صرح فاروق الشرع وزير الخارجية السوري كرد على الاتفاق الاردني الفلسطيني لعام ١٩٨٥ مؤكدا بأن هذا الاتفاق هو بمثابة استسلام من شأنه ان يؤدي الى التخلي عن حقوق الشعب الفلسطيني^(٦٥).

لذلك مثل الاتفاق العقبة الوحيدة في طريق رغبة سورية بتحسين علاقاتها مع الأردن، إذ لم ترغب ببدأ صفحة جديدة من العلاقات السياسية قبل أن ينهي الأردن ذلك الاتفاق الذي وجده فاروق الشرع استهدافاً أردنياً موجه ضد السياسة السورية^(٦٦).

فقد أيدت المملكة العربية السعودية في ذلك رؤية حكومة دمشق في ضرورة إنهاء اتفاق عمان، وإن المفاوضات المباشرة مع (إسرائيل) يعني تمكين الأخيرة من اختراق الدول العربية الواحدة تلو الأخرى مع التأكيد على السلام العربي الذي تضمنته قمة فاس عام ١٩٨٢، لذلك بين وزير الخارجية السوري فاروق الشرع بانه من المهم أن يغير الأردن السياسة التي أنتهجها اذا ما أراد عقد مصالحة جدية وحقيقية مع سورية^(٦٧).

الا ان العلاق السورية الاردنية عادت من جديد بين الدولتين في منتصف عام ١٩٨٥ ففي ١٧ نيسان ١٩٨٥ أرسل وزير الخارجية الأردني طاهر المصري بطاقة تهنئة الى نظيره السوري فاروق الشرع بمناسبة العيد الوطني للجمهورية السورية، وكان ذلك بمثابة الخطوة الأولى لاستعادة التقارب مع سورية^(٦٨).

وتواصل مع عمل فاروق الشرع في لبنان كان وصول سمير جعجع^(٦٩) بداية نكسة في لبنان حولت التوافق على عدم مس المسيحيين بأذى الى عملية تهجيرهم مما ساهم ذلك الى توتر الوضع وانسحاب قوات جعجع الى المنطقة الشرقية في بيروت ولكن ما حدث في التابل في شرقي الصيدا هو احتدام الخلاف بين حركة امل وحزب الله وتحوله الى مواجهات عنيفة , ساهمت هذه الخلافات في تكليف فاروق الشرع لإنهاء النزاع بين حركة امل وحزب الله بناء على تكليف الرئيس الأسد له بإيجاد تسوية نهائية للصراع بينهما^(٧٠).

وعلى اثر ذلك دعا فاروق الشرع في بداية كانون الأول ١٩٨٥ قادة حركة امل وحزب الله للاجتماع في مبنى وزارة الخارجية بدمشق كما عمل على دعوة علي اكبر ولايتي وزير الخارجية الإيراني للمشاركة في هذه الاجتماعات لضمان نجاح التسوية والتحول من الصراع الى التنسيق إضافة الى تأثيره على حزب الله فحضر الاجتماع نبيه بري وصبحي الطفيلي من طرف حركة امل وإبراهيم السيد وصبحي الطفيلي من طرف حزب الله والعميد غازي كنعان^(٧١) رئيس جهاز الامن والاستطلاع في القوات العربية السورية العاملة في لبنان ووليد المعلم مدير المكاتب الخاصة في وزارة الخارجية من الطرف السوري^(٧٢).

لعل ما واجهه فاروق الشرع إزاء ما كلف به بان الثقة منهارة بين الطرفين وان حزب الله يعمل على السيطرة على قواعد حركة امل فضلاً عن الشبهات التي يتهم بها كل طرف للطرف الاخر حول التواطئ مع الإسرائيليين ابان عملية انسحابهم فما كان عليه ان ينجز عمله بإتمام المصالحة بين الطرفين فأكد للمستمعين بعد مناقشات حادة قائلاً: ((اننا لن نخرج من هذا الاجتماع الا باتفاق مهما امتد الوقت)) , وبمرور الوقت في مكتبه في وزارة الخارجية استطاع ان يضع اتفاق دقيق عرف باتفاق دمشق موضع التنفيذ بين الطرفين الذي انهى الاقتتال بين الاخوة في حركة امل وحزب الله واصدر بيان ختامي اتفق فيه الجانبان على وقف اطلاق النار وتبادل الاسرى وجثامين الشهداء بين الجانبين اللبنانيين واصبح الاتفاق أساساً لانطلاق عمليات المقاومة الوطنية بشكل منظم^(٧٣).

وعليه بدأت سورية تبحث عن الفرصة المناسبة لجمع قادة الميليشيات اللبنانية الثلاث (القوات اللبنانية- حركة امل-الحزب التقدمي الاشتراكي) في إطار اتفاق ترعاه يضمن لها تحقيق أهدافها في لبنان وانهاء الاقتتال الطائفي ومن ثم ان تكون لديها المقدرة على التأثير على القرار السياسي في لبنان وهذا الاتفاق عرف بالاتفاق الثلاثي^(٧٤).

ازاء ذلك كلف فاروق الشرع بنقل نص الاتفاق الى الرئيس اللبناني امين الجميل في ٣٠ كانون الاول ١٩٨٥ وفي لقاءه بالأخير اوضح الانجازات التي يحققها الاتفاق في ميدان الاصلاحات السياسية في لبنان, الا ان الرئيس اللبناني اعرب عن رفضه له مالم يتشاور معه بشأنه وتم تجاهله, فأخبره فاروق بان محاولات رفضه يساهم في اجراء خلل في العلاقة بين سورية ولبنان ,وفي نهاية الاجتماع ابلغه بدعوة الرئيس الأسد , فقد شكل الاتفاق صدمة في المنطقة الشرقية فقد كان متناقضاً تماماً مع مصالح الجميل وسمير جعجع^(٧٥), وبالفعل

تم اللقاء بين الرئيسين الذي تبين فيه ان الرئيس اللبناني يحاول خرق الاتفاق وتعليقه بصوره دستوريه من خلال اخضاعه لقرار مجلس النواب اللبناني على عكس ما يتأمله الرئيس الاسد^(٧٦)، وبالتالي تم رفضه وفشلة من قبل لبنان^(٧٧).

وفي هذه الاثناء وما يطرأ من احداث بين الجانبين السوري واللبناني تعرضت دمشق الى مجموعة من الإجراءات الأوروبية الأمريكية ضد سوريا فأشار فاروق الشرع الى موقفه منها في حديث صحفي له في ١ كانون الثاني عام ١٩٨٦ في دمشق لاسيما بعد اعلانها بعدم بيع السلاح لسوريا وتشديد الرقابة على الموظفين السوريين في أوروبا مبينا بأن التدابير الأوروبية هي من الناحية العملية لا قيمة لها وان سوريا لا تشتري السلاح من الدول الأوروبية ولا من الولايات المتحدة وان الرقابة على الموظفين السوريين في أوروبا ليس سراً وانها مفروضة على جميع المواطنين العرب مصرحاً بقوله: ((إدارة ريغان كانت تحلم بفرض اشد العقوبات على سوريا ,بل انها تحكم بتصفية سوريا اذا تمكنت لأنها تقدم بذلك اكبر خدمة لإسرائيل ...))، معلناً بأن الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا تدعي الاشاعات الكاذبة على سوريا وتنقلها للدول العربية الشقيقة بهدف تحريضها ضد سوريا ولكي تتخذ مواقف عدائية ضدها^(٧٨).

ومن جانب آخر ساهم الاحتلال الإيراني لمثلث الفاو في شباط ١٩٨٦ وقيامها بتهديد اقطار الخليج العربي بتوليد مخاوف لدى سورية على تلك البلدان التي طالما لوحث بوجه اقطار المجلس من ان سوريا في هذا الخصوص ستقف بوجه محاولات إيران لتوسيع الحرب , فقد ذكر فاروق الشرع بأن سورية لا يمكن ان تقبل باحتلال إيران لأي من الاراضي العربية ولا بد على أي حال من الحوار مع طهران للوصول الى إيجابيات في تحجيم الحرب^(٧٩).

فطوال سنوات الحرب العراقية- الإيرانية اتسمت العلاقات الإيرانية السعودية بوجود العديد من مؤشرات التوتر والتأزم نظراً للدعم بمختلف أشكاله الذي قدمته السعودية للعراق بهدف التصدي للتحدي الثوري الإيراني مستغلة ما كان يطمح إليه العراق -آنذاك- في أن يلعب دور الدولة القائد في الإقليم والمنطقة العربية بشكل عام باعتباره الدولة العربية الأكثر تعرضاً للتهديد الإيراني بحكم اعتبارات الواقع الجغرافي بينهما أولاً، والقوة الإقليمية الوحيدة القادرة على ردع أي تهديد إيراني لأمنه العراق والأمن العربي ثانياً^(٨٠).

ومع استمرار التوتر بين البلدين^(٨١)، ناقش الرئيس حافظ الأسد الامر وأوفد وزير خارجيته فاروق الشرع الى طهران لنقل رسالته الى الرئيس الإيراني علي خامنئي^(٨٢) في ١٢ أيار ١٩٨٦ فألتقى به فاروق ونقل له رسالة الرئيس حول التوترات بين ايران والسعودية وقلق سوريا في استمرار هذه التوترات واحتمال تطورها وتدخل عناصر اجنبية في هذه الازمة مما يزيد الضغوط على ايران والى توسيع دائرة الحرب وهذا ما يسعى اليها الرئيس العراقي صدام حسين وطالبه بالتوقف عن قصف السفن السعودية والكويتية بالصواريخ الإيرانية

فقد طرح الرئيس الإيراني موقفاً أتضح لفاروق الشرع من خلاله موافقه إيران على وقف التعرض لناقلات النفط السعودية والكويتية^(٨٣).

وفي ١٤ أيار عام ١٩٨٦ توجه فاروق الشرع الى المملكة العربية السعودية والتقى بالملك فهد بن عبد العزيز لإبلاغه بنتائج زيارته الى طهران وما الت اليه مباحثاته مع الرئيس الإيراني وبعد ان عرض ما تم مباحثته ابلغه الملك فهد قائلاً: ((نحن لا نريد ان نثير مشكله ولا الاحتجاج لمجلس الامن ولا للجامعة العربية ولا نريد ازعاج احد بمشاكلنا غير سوريه؛ لان مصيرنا ومصيركم واحد...)) , مبيناً بأن بإمكان المملكة حماية بواخرها الا انها طلبت العون من سوريا حتى تضعهم امام الحقيقة من اجل التدخل لتنتهي ايران عن اعمالها خوفاً من تدخل الدول الكبرى^(٨٤).

وعلى غرار ذلك أخبره فاروق الشرع بأن سوريا ستبذل ما في وسعها لأجل حل التوترات بين الطرفين وأكد له بأن إيران ترغب في إقامة علاقات حسن الجوار والصداقة مع دول الخليج وخاصة مع المملكة وأنها ملتزمة بعدم توسيع الحرب , وان الرئيس الأسد طلب من طهران ان تتجاوز كل الخلافات ان وجدت بالوسائل السياسية والحوار الاخوي البناء وليس بالأعمال العسكرية^(٨٥).

واستمر فاروق الشرع في مباحثاته مع الملك فهد موضحاً له ما نصت عليه المطالب الإيرانية اتجاه السعودية مبيناً له بأن الرئيس الإيراني على استعداد لوقف كل الاعمال الحربية في منطقة الخليج العربي بعد توقف الطرف الآخر عن ضرب السفن التي تحمل النفط الإيراني, وان تحقق ذلك فإن الخليج سينعم بالأمن والاستقرار وان توقف العراق سوف تتوقف إيران عن ضرب السفن التي تساعد العراق ولهذا هم مضطرون للاستمرار بضرب البواخر التي تحمل النفط لحساب صدام^(٨٦).

ومن ناحية اخرى برر فاروق الشرع اتهام التعاون بين إيران وإسرائيل ضد العراق في حديث له لمجلة الحوادث قال فيها: ((ان الحديث عن علاقة إيران بإسرائيل اكبر صفعه توجه الى العقل البشري ولو كانت هذه العلاقة حقيقية قائمه لأصبحت مصداقيه الثورة الإيرانية في الحضيض , اما تزويد ايران بالأسلحة فمسؤوليه كبرى تتحملها الحرب العراقية الإيرانية التي وضعت طهران في موقف حرج امام خيار واحد صعب ومؤلم لاسيما بعد ان قاطعتها الدول المصدرة للأسلحة بما حمل المسؤولين الإيرانيين على استرداد الديون التي سبق ومنحها الشاه لبعض الدول على شكل اسلحه ومعدات عسكريه , نحن لا ننفي هذا الأمر ولا نكذبه ولا نخفيه ولكن في الوقت نفسه نتسأل :هل تتنازل إيران عن هذه الأموال وان فعلت كيف ستمكن وسط الحصار المضروب حولها من تأمين السلاح للدفاع عن نفسها))^(٨٧).

على اثر هذه الاتصالات بين سوريه وايران التي قام بها فاروق الشرع وعبد الحليم خدام في اوائل ١٩٨٦ والتي نقلها فيها رسالتين من الرئيس حافظ الأسد الى الرئيس الايراني الى الرئيس توتقت العلاقات الثنائية بين البلدين واستمر الدعم السوري لإيران ففي ٢٤ آب ١٩٨٦ استقبل فاروق الشرع وزير الخارجية الإيراني علي

اكبر ولايتي في دمشق وعقد اجتماعا بين الاثنين اضافة الى وزير خارجية ليبيا لمناقشة الاوضاع ولاسيما مؤتمر عدم الانحياز وتعزيز التفاهم السياسي^(٨٨).

وزيادة على ذلك تطلب عمل فاروق الشرع فضلا عن دورة في ايران مواصلة عملة في لبنان بعد ان اشتدت الازمة نظراً لرفض لبنان الاتفاق الثلاثي وتآزم العلاقات بين البلدين التي جرت محاولات عديدة من اجل استعادتها بعد محاولات الرئيس امين الجميل ، التي هيأت الظروف لفاروق الشرع لأجراء الاتصالات مع ايلي سالم^(٨٩) وزير خارجية لبنان وفقا ما كلفه الرئيس الأسد بعد موافقة الرئيس الاسد على لقاء أمين الجميل شريطة ان يضع الاخير مقترحات واهداف جدية للتسوية ليتم مناقشتها ، وهو ما فعله الجميل من خلال رسالتين بعث بهما الى الرئيس الاسد في ١٥ تشرين الاول ويوم ٦ كانون الاول عام ١٩٨٦ تنص على مبادئ لحل الازمة اللبنانية وتصور لعلاقات مميزة بين لبنان وسورية^(٩٠).

واستمرار لمساعي فاروق الشرع اجري الاتصالات المستمرة مع لبنان لإنهاء الازمة تزعمها هو وعدد من مساعديه وتزعم الجانب اللبناني ايلي سالم وكل من العقيد سلمون قسيس مدير المخابرات في الجيش اللبناني ونقولا نصر المسؤول عن تدوين المحظر اللبناني، اتمم جو الاجتماع بين الطرفين بالود والحرص الإيجابي من اجل التوصل الى اتفاق يرضي الطرفين^(٩١).

بدأت المفاوضات بين فاروق الشرع وايلي سالم في ٥ كانون الثاني الى اذار من عام ١٩٨٧ والتي عرفت باسم مفاوضات سالم-الشرع ، تناولت الجولة الاولى منها البحث في تفاصيل العناوين الواردة في ورقة العمل اللبنانية المقترحة من قبل الجميل وقد أبدى الوفد اللبناني ارتياحه للأجواء التي سادت الجولة الاولى من المباحثات^(٩٢) ، فانتمت مساعي فاروق الشرع في ضرورة التوصل الى اتفاق ينهي الحرب ويعيد البلاد الى الاستقرار^(٩٣).

واثناء ذلك عادت العلاقة الى طبيعتها بين الرئيس لبنان والمملكة العربية السعودية بعد ان اقدم رفيق الحريري^(٩٤) على الاتصال بالرئيس اللبناني^(٩٥)، الذي حملة رسالة الى الملك فهد يوضح فيها كل المعطيات الايجابية التي تكونت من خلال مفاوضات سالم-الشرع متمنيا على الملك مواكبة هذه المفاوضات لتساعد على تفعيل هذه الاجواء الايجابية^(٩٦).

ساهمت مفاوضات سالم-الشرع بالاتفاق على ورقة اصلاحات سميت بالميثاق الوطني نالت رضا الجانب المسيحي بعد ان أطلعهم عليها ايلي سالم ، وفي ٥ شباط ١٩٨٧ استأنفت المفاوضات من جديد لكن الوفد اللبناني تفاجأ بوثيقة جديدة عرضها فاروق الشرع تختلف كلياً عن وثيقة الميثاق الوطني شملت بعض المقترحات التي وضعتها المعارضة اللبنانية ، مقترحا ان تتم مناقشة الوثيقتين بغية التوصل الى صيغة موحدة فوافق ايلي سالم باعتبار أن إحلال السلام في لبنان لا يتم الا بتدخل مباشر من دمشق لأنها القادرة على تمكين لبنان من تسير امورها^(٩٧).

اذ عد فاروق الشرع صيغة (الميثاق وطني) الصيغة التوافقية التي ينطلق بها أفكار وبرامج الإصلاح الوطني، معتبرا ان فقرة الغاء الطائفية السياسية في لبنان وتشكيل هيئه بالغائها واتخاذ الإجراءات اللازمة لتحرير الأراضي اللبنانية المحتلة من إسرائيل دون قيد او شرط وبسط سلطة الدولة اللبنانية عليها من ابرز الفقرات بالنسبة لفاروق الشرع التي عدها اطار في إقامة علاقات استراتيجية في لبنان وسورية في مختلف جوانب الحياة.^(٩٨)

استمرت مفاوضات سالم-الشرع خلال شهر آذار ونيسان وآيار وحصل تقدم في المفاوضات يوحي أن الاتفاق قريب ، لكن سورية ما لبثت ان شككت في جدوى عقد اتفاق لا يستطيع الجميل تنفيذه بسبب وجود القوات اللبنانية المتعاونة مع اسرائيل في بيروت الشرقية والتي تمسك بالقرار المسيحي^(٩٩).

وباغتيال رئيس الوزراء اللبناني رشيد كرامي اتهمت سورية الجميل بأنه وفر الغطاء للقوات اللبنانية والجيش اللبناني لاغتيال كرامي ، واشترطت لأجل استئناف المفاوضات مع الجميل شرطين هما ضرب القوات اللبنانية والكشف عن قتلة رشيد كرامي^(١٠٠).

وهكذا عقلت المفاوضات اللبنانية-السورية و فشلت اخر محاولة في عهد الرئيس امين الجميل لتسوية الازمة اللبنانية فالمسألة كادت ان تحل لولا ان عقلت سورية المفاوضات بين البلدين^(١٠١).

ومن جانب آخر ادى فاروق الشرع مساعي جيدة في ميدان التقارب السوري العراقي ولاسيما بعد ان قام ملك الأردن بدوراً سياسياً مميزاً خلال عام ١٩٨٧ ، على مستوى التحركات الدبلوماسية والمصالحات العربية - العربية ، فقد كانت الدول العربية ذات القدرات العسكرية الكبيرة مقيدة وفي أجواء لا تسمح لها بتلك التحركات ، فسورية كانت مقيدة في لبنان ، والعراق منشغلاً في حربه مع إيران ، فيما كانت مصر خارج حلبة الصف العربي^(١٠٢).

وعلى ما يبدو إن تطورات الحرب العراقية - الإيرانية شجعت الاردن وبتأييد من المملكة العربية السعودية من أجل استئناف العلاقات السورية - العراقية ، وكان هدف الملك الحسين هو عقد لقاء مباشر يكون في بداية الأمر سرياً بين الرئيسين حافظ الاسد و صدام حسين برعاية أردنية معتمداً بذلك على علاقاته الجيدة بين الطرفين^(١٠٣).

وكانت الظروف مواتية و ملائمة جداً لتحركات الملك الحسين ، فالعراق يمر بموقف صعب بعد الضربات الموجعة التي تلقاها من إيران التي نقلت الحرب الى داخل الأراضي العراقية بعد ان كانت على الحدود^(١٠٤)، أما سورية فقد شهدت تراجعاً في علاقاتها السياسية مع الاتحاد السوفياتي ، إذ أعاد الاتحاد السوفياتي حساباته بشأن تزويد سورية بالأسلحة ، وقام بتخفيض تزويدها بالأسلحة ، ووصل الأمر الى منع وصول السلاح اليها بشكل تام^(١٠٥).

ساهمت هذه التطورات الى عقد اجتماع قمة مصغر جمع الرئيسين حافظ الأسد وصادم حسين في قاعدة الرويشد الجوية الواقعة في أقصى شرق الأردن على حدوده المشتركة مع العراق وذلك في ٢٦ نيسان ١٩٨٧, تم التركيز فيه على طي صفحة الخلاف السوري - العراقي وتشكيل منظومة سياسية - أمنية - اقتصادية متكاملة في صيغة اتحاد سوري - عراقي - أردني, كما بحث الطرفان المسائل الخلافية بين البلدين مع التأكيد وعلى أهمية عقد لقاء آخر من أجل مصالح لا تشوبها شائبة لتستمر بعدها لقاءات سياسية بين البلدين على مستوى وزيرى الخارجية للبلدين^(١٠٦).

وعلى ضوء ذلك النهج الجديد أجرى فاروق الشرع, عدت لقاءات جمعت بينه وبين وزير خارجية العراق طارق عزيز^(١٠٧) وكان متفهماً لطبيعة اللقاء شبه الفاشل الذي جرى بين الرئيس حافظ الاسد وصادم حسين , وأكد خلال الاجتماع على نقطة مهمه وهي ما أوصاه بها الرئيس السوري حافظ الاسد بإنشاء اتحاد سوري - عراقي - أردني , وقد أولى الملك الحسين تلك النقطة إهتماماً كبيراً وحرص على التداخل الإيجابي والمساعدة في تقريب وجهات النظر بين الطرفين من أجل إنجاح المقترح السوري بإقامة الاتحاد المنشود الذي يربط الدول الثلاث , غير ان تلك المحاولة لم تكمل بالنجاح أيضاً بسبب ورود اشارة لوزير خارجية العراق طارق عزيز من بغداد تدعوه الى صرف النظر عن تلك المسألة^(١٠٨).

وعلى الرغم من فشل محاولات الملك الحسين بمصالحة صدام حسين و حافظ الاسد , الا أنها كانت نجاحاً كبيراً لدبلوماسيته وقدرته على الإقناع ,فقد ذكر فاروق الشرع مدى حزن الملك الحسين من تصرف صدام حسين بذلك الخصوص الى الحد الذي جعله يصف الحرب في إشارة منه لحرب العراق مع إيران بالعبثية والمدمرة وكان ذلك الوصف مشابهاً لوصف الرئيس السوري حافظ الاسد^(١٠٩),رغم هذه المحاولات بقيت العلاقات متوترة بين البلدين ولم يكتب لها النجاح.

وفي ٢٨ كانون الثاني قام فاروق الشرع بنقل رسالة من الرئيس حافظ الأسد الى الرئيس الايراني علي خامنئي تتعلق بالجهود السورية المبذولة لأحداث التقارب بين ايران والدول العربية والتأكيد على القضايا الاقتصادية ذات الاهتمام المشترك وعلى ضرورة تعزيز التبادل التجاري^(١١٠).

واتسم دور فاروق الشرع السياسي في بداية ١٩٨٩ بمسايرة الاحداث الجارية في لبنان ففي ٣٠ كانون الثاني ١٩٨٩ حضر توقيع الاتفاق بين حركة أمل وحزب الله وكان طرفا في صوغ معالمته وينص الاتفاق الالتزام الصارم بوقف اطلاق النار المعلن بتاريخ ٢٥ كانون الثاني ١٩٨٩, وانهاء الحملات الإعلامية المتبادلة بين الطرفين واخلاء الجرحى من مواقع الاقتتال , وفك الحصار المفروض والانسحاب من جباع وعين بوسوار وعودة الأهالي اليها من دون تواجد مسلم لأي من الطرفين , اطلاق سراح الموقوفين من الطرفين وإعادة المبعدين وتشكل لجنة تنسيق بين الطرفين لتنظيم العلاقة بينهما على قاعدة الاعتراف المتبادل^(١١١).

وكذلك اهم ما كان وفق اهتمامات فاروق الشرع ضمن الاحداث اللبنانية اتفان الطائف الذي كان يلوح فيه حول السلام مع إسرائيل وضرورة وحدة المسارين اللبناني والسوري فكثيراً ما اخبر فاروق الشرع الرئيس الأسد عن ضرورة التواجد العسكري السوري في لبنان أي بقاء القوات السورية في مناطق محدودة على ان وجودها يجعلها قادرة على حفظ امنها اتجاه أي هجوم إسرائيلي من جهة والحفاظ على امن لبنان من جهة أخرى وهذا ما تطلبه منفعة البلدين واهم ما آلت اليه نهاية المؤتمر إقرار وثيقة الوفاق في ٢٢ تشرين الأول ١٩٨٩ التي على اثرها دخل لبنان في مرحلة تطور جديدة في تاريخه الحديث كما دخلت العلاقات السورية اللبنانية طوراً جديداً (١١٢).

اذ ساهمت سوريا في صوغ وثيقة الوفاق الوطني (١١٣)، التي اقرها مؤتمر الطائف بمشاركة نائب رئيس الجمهورية عبدالحليم خدام وفاروق الشرع وحضور سعود الفيصل ورفيق الحريري وكانت الحلقات الرئيسية المهمة لإعلانها ما تم الاتفاق عليه في مفاوضات سالم -الشرع ومشروع كل من الحريري وسليم الحص وحسين الحسني وعدد من الاجتماعات التي جرت في دمشق التي كان فيها تركيز فاروق الشرع يدور حول الغاء الطائفية السياسية وتلازم الموقفين السوري اللبناني اتجاه إسرائيل (١١٤) ، فقد حظي اتفاق الطائف بتأييد عربي ودولي واسع ، فقد ابدت مصر ودول عربية اخرى ارتياحها واكدت سورية ستعمل بكل ما تستطيع من اجل وضع اتفاق الطائف موضع التنفيذ (١١٥).

المبحث الثالث: التطورات السياسية للمدة ١٩٩٠-١٩٩٢ ودور فاروق الشرع منها.

وفق التطورات الجارية على المسرح العالمي التي ظهرت للعلن وظهور الخلاف بين العراق والكويت التي وصلت الى مستويات خطيرة في ١٤ تموز ١٩٩٠ اذ هاجم الرئيس العراقي صدام حسين إعلامياً الدول العربية الخليجية وخصوصاً الكويت ودول الامارات العربية المتحدة واتهمها بالغدر والخيانة ويطعن العراق من الظهر، (١١٦) فكان الموقف السوري جراء هذه التطورات تمثل بقيام الرئيس حافظ الأسد ووزير خارجيه فاروق الشرع بزيارة الرئيس المصري حسني مبارك في القاهرة بهدف توجيه رسائل بأن سورية ليس معزولة وانما قادرة على التحرك و لمعرفة الخطوات التي ينوي الرئيس المصري القيام بها ازاء التطورات الجارية بعد ان وثقت العلاقات بين البلدين (١١٧).

وجراء هذه التحركات وتأزم الموقف كان فاروق الشرع مشاركاً في اجتماع وزاري لمنظمه المؤتمر الإسلامي الذي عقد بالقاهرة في ٢ آب ١٩٩٠ الذي كان فيه ممثلو دول الخليج مضطربين اشد الاضطراب تجاه التهديدات العراقية لبلادهم ، وكان وزير الخارجية الكويتي الشيخ صباح منشغلاً بتطورات الأزمة فقد اوفد عبدالرحمن العوضي نيابة عنه الى المؤتمر (١١٨).

ونتيجة لزيادة التوتر كلف العوضي فاروق الشرع بأن يتوسط لدى وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل لنقل العائلة المالكة والحاشية ومن يلوذ بهم عند الحدود الى داخل الملكة العربية السعودية واعاداد السيارات

والطائرات العمودية لتأمين ذلك وبناء على ذلك استجاب فاروق الشرع لطلبه وتم تأمين الامير والحاشية وتم إيصالهم الى داخل المملكة^(١١٩).

وفي اطار هذه المعطيات جاء اجتياح القوات العراقية للكويت بوقع الصاعقة في نفوس جماهير الامه العربية وكان له في سوريا صدى خاص فور وقوعه, فبدأ الرئيس حافظ الاسد ببذل جهود حثيثة فعقد اجتماع طارئ بهدف وقف التدهور بكل الوسائل الممكنة لتطويق كل ابعاد الازمة على المستوى الدولي^(١٢٠).

وفي هذه الاثناء كان فاروق الشرع في القاهرة وبرفقة وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل ويتواجده هناك صدر بيان من بغداد يؤكد على ان الجيش العراقي سيدخل ارض الكويت ويبقى فيها^(١٢١), مما ساهم هذا الموقف الى عقد اجتماع طارئ لمجلس الجامعة العربية في القاهرة حضره وزراء خارجيه العرب يومي ١٢ و ١٣ آب عام ١٩٩٠^(١٢٢), ووصل سعدون حمادي متراًسا الوفد العراقي بدلا من المندوب العراقي لدى الجامعة وقد خرج حمادي في الاجتماع الوزاري بتعابير غير لائقة وجارحة لآل الصباح مؤكداً بأن العراق لن يخرج من الكويت ابدأ وانها غدت جزء لا يتجزأ من العراق وان العائلة الحاكمة لن تعود الى قصورها مشيراً ان الكويتيون خنقوا سورية ومصر ولا وجودان عليهما بشيء محاولا كسبهما الى جانب العراق^(١٢٣).

فما كان من فاروق الشرع باعتباره ممثلاً عن سورية في الرد عليه مبيناً موقفة قائلاً: ((نحن اكثر دوله عربيه تتميز بموضوعيتها في مناقشه المشكله وتحدث بوضوح وجرأة فدعنا نناقش الامر، فنحن ضد ما حدث مع الكويت وضد الغزو لأننا من حيث المبدأ ضد الاحتلال وخصوصا احتلال بلد عربي لبلد عربي آخر))^(١٢٤).

وعليه اصدرت سورية فور اندلاع الازمة بين العراق والكويت بيانا رفضت فيه الاحتلال العراقي للكويت وطالبت بانسحاب القوات العراقية بشكل فوري وعودة حكومة الكويت الشرعية, واكد فاروق الشرع وزير الخارجية السورية قائلاً: ((ان التطورات التي نجمت عن احتلال القوات العراقية للكويت خطيرة وذات نتائج سلبية بعيدة المدى على العراق وعلى جميع الدول العربية وعلى استقرار الاوضاع في المنطقة))^(١٢٥).

ووصف فاروق الشرع ان السياسة التي اتبعها الرئيس العراقي صدام حسين باحتلاله للكويت هي سياسة انتحارية موضحا ان بلادة تعارض استمرار الحرب في الخليج, وعلى النظام العراقي ان يتحمل المأساة التي يتعرض لها الشعب العراقي في جراء اندلاع الحرب, واكد ان صدام حسين قدم فرصة كبيرة لإسرائيل عندما اقدم على مهاجمتها بصواريخ سكود لأنها اصبحت ضحية في نظر العالم^(١٢٦).

وبعد اعلان العراق ضم دولة الكويت في ٨ آب ١٩٩٠ أجرى الرئيس السوري اتصالات واسعة مع القادة العرب لعقد قمة عربيه طارئة والبحث عن حل عربي للازمة فتجاوبت القادة العرب لدعوته وبدأ العمل السريع لعقد القمة وتوجه الرئيس الأسد مع فاروق الشرع الى القاهرة في ٩ آب ١٩٩٠ وخلال تواجدهم في الطائرة

أكد الرئيس الأسد لفاروق بأن موقفك الذي عبرت عنه في الاجتماعات الوزارية وفي وسائل الإعلام هو موقف سورية إزاء احتلال العراق لدولة الكويت ويمكن اعتماده كخط سياسي وإعلامي^(١٢٧).

وفي ١٠ آب من العام نفسها عقد مؤتمر القمة في القاهرة ووافقت سوريا على كل قرارات المؤتمر، وكان الموقف السوري متفاعلاً منذ البداية لدخول القوات العراقية إلى الكويت في محاولته لاستثمار الإلزام بأفضل ما يمكن بهدف الخروج من حاله العزلة العربية والإقليمية والدولية والتي عانت منها سوريا منذ سنوات^(١٢٨).

وبذلك وافقت سورية على مطالب الدول الخليجية التي تمخضت عن المؤتمر باستخدام قوات عربية تحت ذريعة الدفاع عن أراضيها ضد أي اعتداء خارجي وبمقتضى ذلك أرسلت سورية قوات عسكرية إلى السعودية تقدر بـ ١٨ - ٢٠ ألف جندي، وبذلك أعلن فاروق الشرع مؤكداً أن دور القوات السورية سيكون دفاعي وأنها لا تتوي التدخّل في العمليات العسكرية داخل الأراضي العراقية^(١٢٩).

وقد عبر فاروق الشرع عن ما يستوجب عمله وما تفكر به بلاده في هذا الصدد مؤكداً أن تعمل سوريا كل ما في وسعها لحشد الجهد العربي للحيلولة دون استمرار تدفق القوات الأمريكية ولكي لا ينفصل الخليج العربي من العرب وتكون إسرائيل هي الراجح الأكبر، مشيراً أن لم يتحرك العرب ويشكلون مظلة لدول الخليج فأن الأمريكيين سينفردون بالخليج وحدهم^(١٣٠).

ومما تجدر الإشارة إليه إلى أن سوريا كانت تهدف من خلال الاشتراك في التحالف الدولي ضد العراق في حرب الخليج الثانية التي بدأت في ١٧ كانون الثاني ١٩٩١، ووقوفها بكامل استعدادها لدعم الجهود الأمريكية وتعاطفها مع دول الخليج، لتقوية دورها الإقليمي والعربي لاستثماره في الوضع الدولي الجديد وأن يكون لها الدور الأكثر فاعلية في المنطقة ولكونها تتلقى معونات سنوية من المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية وإسنادها تجاه العدو الصهيوني، فضلاً عن رغبتها في تهدئة الأوضاع وإنهاء الإلزام^(١٣١).

وعليه لم تكفي سوريا بالمشاركة في ذلك بل عمدت إلى إيجاد صيغة من التعاون مع مصر ودول الخليج العربي الست أملاً في تحقيق عدة مكاسب^(١٣٢)، فقد أجرى وزير الخارجية السوري فاروق الشرع اتصالاً مع وزراء الخارجية الست فألتقى مع عمرو موسى وزير الخارجية المصري في اجتماع يومي ٤ و١٥ شباط عام ١٩٩١ تباحث الوزراء فيه عن صيغة المشاركة العربية وأمن الخليج العربي ووضع أسس جديدة لعلاقات عربية وفق توجهات جديدة ولدتها محنة الإلزام الخليجية الثانية^(١٣٣).

وبالفعل توالت الجهود العربية من أجل وضع النقاط على الحروف والوصول إلى حل سياسي لخروج القوات العراقية من الكويت سلمياً وبعد محادثات مستفيضة وكذلك إزاء ما اتخذته الأمم المتحدة قرار ٦٦٠ بموجب المادة ٣٩ و٤٠ في ميثاق الأمم المتحدة يدين الغزو العراقي ويطالب بانسحابه دون قيد أو شرط ويدعو

الى البدء فوراً في مفاوضات لحل خلافاتهما^(١٣٤)، فتوقفت الحرب في ٢٨ شباط ١٩٩١ ووافقت العراق من دون قيد او شرط على قرارات مجلس الامن التابع للأمم المتحدة^(١٣٥).

ازاء الاحداث الجارية اجرى فاروق الشرع اتصالات متعددة مع وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل وتمخض عن مباحثاته تلك الى اجتماع لأول مرة في دمشق في آذار ١٩٩١ عقده وزراء خارجية سورية ومصر ودول مجلس التعاون الخليجي من اجل تطوير التعاون الثماني الذي ظهر بعد غزو العراق للكويت من اجل السعي لإعطاء روح جديدة للعمل العربي المشترك وراء التعاون الاخوي بين أعضاء الاسرة العربية^(١٣٦).

وعلى منبر الاجتماع القى فاروق الشرع كلمته التي اشار فيها بشكل خاص مبينا بقوله: ((ان الكيان العربي تلقى خلال ازمة الخليج ضربة خطيرة في الصميم لن يكون من السهل على شعوبنا تجاوز اثارها، فأول مرة يتحول الخلاف العربي الى صراع دولي دموي يطحن الشقيق في حمايته شقيقه ويجبره على الاستعانة بالغريب قبل الغريب لردع العدوان عنه)) مشيراً ان الدول العربية لابد ان تمتلك قبل الاخرين زمام المبادرة في ارساء قواعد الامن والاستقرار في المنطقة العربية^(١٣٧).

استمرت المناقشات بين المجتمعين لمدة ثلاثة أيام في دمشق تبحث عن ضرورة وحدة الموقف العربي بالنيابة عن الاخرين وكان الاجتماع يدور حول الامن القومي العربي ولم يكن مصر وسورية وحدهما ان يحققان هذا الاطمئنان الأمني، فقد كانت السعودية تؤكد على الجانب الاقتصادي ولديها تحفظات على الجانب الأمني اما البحرين متحمسة للجانبين معا اما موقف الكويت وبقية دول مجلس التعاون باستثناء سلطنة عمان كانت تريد انجاح الاجتماع الثماني ودورة الأمني^(١٣٨).

وفي هذه الظروف القى الرئيس الأمريكي جورج بوش خطاباً امام الكونغرس في ٦ آذار ١٩٩١ اعلن فيه التزام الولايات المتحدة في عملها من اجل سلام شامل ودائم في منطقتي الشرق الأوسط يقوم على قراري مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨ ومبدأ الأرض مقابل السلام، وان الحصيلة هي الامن والاعتراف لكل الدول في المنطقة، وبالحدود المشروعة للشعب الفلسطيني وان أمريكا مصممة على تحقيق تسوية شاملة للصراع العربي الإسرائيلي^(١٣٩)، وأن عهداً جديداً يطل الان على العالم بعد ان انتلفت الدول تحت راية الامم المتحدة^(١٤٠) فانطلقت نظرة سورية الى السلام من موقع استرجاع الحقوق العربية بما فيها حل مشرف وعادل للقضية الفلسطينية وكانت هذه النظرة جزءاً من استراتيجيتها في مواجهة إسرائيل، كما تضمنت هذه الاستراتيجية بناء جهة عسكرية مشرقية تضم سورية ولبنان والأردن والفلسطينيين وقيام جبهة سياسة، بلورها الاسد بمفهوم وحده المسار التي كانت تعني ان الاطراف المطالبة بالسلام لن يذهبوا في حل منفرد مع إسرائيل كي لا يضعف الآخرون فيصبح الجميع تحت رحمة إسرائيل^(١٤١).

واستكمالاً للمحادثات بشأن الأمن القومي العربي ظهرت الحاجة لدور كل من تركيا وإيران الدولتين المسلمتين التي لا تحبذ غزو دولة الكويت لمشاورتها حول أمن الخليج فأقترح فاروق الشرع الاتصال بهما لكون موقفهما سيكون إيجابياً في تعزيز ذلك وبعد مناقشات حاده بين الوزراء العرب تم التوقيع على إعلان دمشق^(١٤٢) في ٦ آذار ١٩٩١، من قبل دول الخليج العربي مجتمعة فضلاً عن سورية ومصر، وكان يستهدف من توقيعه ملء الفراغ الأمني في الخليج العربي الفراغ الذي ترتب على نتائج العدوان العراقي السياسية والعسكرية من منظور عربي يتوازن مع الطروحات العربية والإقليمية لترتيبات الأمن في المنطقة بعد الحرب^(١٤٣)، وأكد الموقعون على الإعلان بأن وجود القوات السورية والمصرية على الأراضي السعودية والدول العربية الأخرى من الخليج العربي تلبية لرغبات حكومتها بهدف الدفاع عن أراضيها ولضمان أمن الدول العربية في منطقته الخليج العربي وسلامتها، وتضمن هذا الإعلان مبادئ التنسيق والتعاون بين دول مجلس التعاون الخليجي وسوريا ومصر في المجالات السياسية والأمنية والاقتصادية والثقافية^(١٤٤).

وعلى اثر التوقيع على إعلان دمشق حدث صدى خارج سورية كما ساهم بوصول وزراء خارجيه إيطاليا وهولندا ولكسمبورغ الذين رغبوا بالانضمام اليه والذي اصبح بالاجتماع يضم احد عشر دولة و تناولت مناقشتهم آنذاك حول ما بعد تحرير الكويت ومؤتمر السلام القادم الذي يرغب به الدول الأوروبية ان يكون لهم دورا فيه^(١٤٥).

خلق إعلان دمشق خلافات بين الدول الاعضاء ولاسيما حول مسألة تكوين نواة قوة سلام عربيه لان ذلك يتقاطع مع عمل القوات الامريكية وسياستها ومهمتها في المملكة العربية السعودية ودول الخليج الاخرى^(١٤٦) ومما ترك ذلك زياده مخاوف الولايات المتحدة الامريكية فبعثت بوزير خارجيتها جيمس بيكر^(١٤٧) للتقصي في الامر وما يطرأ على الساحة العربية من مجريات فتوجه نحو الرياض وعقد اجتماعات مع وزراء خارجية دول الإعلان وبعد ان تم له ذلك طرح فكرته القائمة على ضرورة خلق تعاون إقليمي في المنطقة بغض النظر عن اختلاف نظمها السياسية والاجتماعية على غرار اتفاق هلسنكي في عام ١٩٧٥ ما بين الشرق والغرب وناقش المجتمعين فكرته فأوضح لفاروق الشرع ان ما يعنيه بيكر يقضي ادماج إسرائيل في وسط التعاون الإقليمي بين الشرق والغرب مما جعله يبين لببكر بأن الوضع بين العرب وإسرائيل مختلفا عن الوضع بين الشرق والغرب موضحاً له بأن إسرائيل تحتل اراضي عربية بما فيها اراضي الجولان وان التسوية تتحقق اذ تم انهاء احتلال إسرائيل لتلك الأراضي اولاً وضمان حقوق الفلسطينيين وعقد مؤتمر سلام شامل تحضره كافة الاطراف برعاية الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وليس عقد تعاون إقليمي^(١٤٨).

كان رد فعل فاروق الشرع أكثر أهمية فأبلغ جيمس بيكر بشكل شخصي أنه لو سمح الإسرائيليون بإجراء انتخابات جديدة في الأراضي المحتلة فسوف تمارس سوريا وجيرانها نفوذهم المهم للضغط لانتخاب هيئة

تمثيلية جديدة للفلسطينيين تكون أكثر تأييداً لعملية السلام، وبات من الواضح حينئذ أن الدول العربية المعتدلة ولا سيما العربية السعودية مهتمة بممارسة دور قيادي أكبر في قضايا الأمن الإقليمي وفي عملية السلام^(١٤٩).

لم يجد فاروق الشرع من يؤيد موقفه الا انه بقي على فكره عقد مؤتمر لسلام شامل رغم ما اتضح له في اجتماعاته ومباحثاته مع جيمس بيكر بأن الولايات المتحدة مستعدة للاعتراف بدور سورية الإقليمي في المنطقة لكن منظورها لعملية السلام يتم في ضوء منظور المؤتمر الإقليمي وليس من منظور عقد مؤتمر دولي لتحقيق سلام شامل في الشرق الأوسط^(١٥٠).

ولقد استمرت جولات جيمس بيكر الى الشرق الأوسط واجرى اتصالات ومناقشات عديدة من اجل التوصل مع الأطراف المعنية الى اتفاق حول السلام وبذل الجهود لانضمام سورية الى عملية السلام^(١٥١). وبهذا أصبحت سورية دوراً مهماً ومؤثراً على الوضع الإقليمي في المنطقة وخاصة بعد التأييد الأمريكي لها بعد مناصرتها للأخيرة بحربها على العراق عام ١٩٩١^(١٥٢).

لم يأتي الدعم الأمريكي لسوريا من فراغ ولكن لوقوفها الى جانب التحالف المناهض للعراق واتخاذها موقفاً معادياً لاحتلال العراق للكويت رسمياً، كما كان لها التأثير على المنطقة الإقليمية والدول العربية مثل مصر ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية وايران وحتى إسرائيل الامر الذي ادى الى عدم استطاله أي دولة من الدول تجاهل سوريا لذلك لجأت الولايات المتحدة الى التقارب معها واعتبرتها دولة مؤثرة إقليمياً ومشاركه في عملية السلام في المنطقة^(١٥٣).

لقد عبرت الولايات المتحدة عن اهتمامها بالدور السوري وبتحريك الملف السوري - الإسرائيلي من خلال رسالة التطمينات التي ارسلتها الى سورية اكدت فيها بعدم موافقة الإدارة الأمريكية بضم الجولان لإسرائيل والتزامها بالرسالة التي كان الرئيس الأمريكي الاسبق جيرالد فورد^(١٥٤) قد قدمتها الى القيادة السورية منذ عام ١٩٧٥ والتي اكد فيها إقرار الولايات المتحدة بالسيادة السورية على الجولان^(١٥٥).

ومن اجل ذلك دخل وزير الخارجية الامريكي جيمس بيكر في مفاوضات واجتماعات مطولة بلغت احدى عشر اجتماعاً مع الرئيس السوري حافظ الأسد وبحضور فاروق الشرع من اجل إقناعه بالاستمرار في المؤتمر الدولي الخاص بعملية السلام والتفاوض مع إسرائيل بشكل مباشر على الرغم من التصلب من الموقف السوري ومطالبه بعدد من الشروط أبرزها وصف المؤتمر بأنه مؤتمر دولي والحصول على ضمانات من ضمنها ان يرعى المؤتمر الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي ويضمنان نتائجه وأن يبقى في انعقاد دائم ليكتسب الشريعة الدولية^(١٥٦).

استمرت المباحثات التي كان فيها الاختلافات جلياً حول طبيعة المؤتمر الدولي ودور الأمم المتحدة والضمانات الدولية حول الانسحاب الإسرائيلي إذ بينت الإدارة الأمريكية لسورية بأن إسرائيل توافق على ضرورة عقد محادثات متعددة الأطراف لبحث المسائل الإقليمية داخل مؤتمر السلام في اطار الرعاية الأمريكية

السوفياتية وان الدول الاوربية تقوم بوضع الملاحظات حيث افتتاح المؤتمر وإعادة انعقاده، الا ان هذه المطالب التي تقدم بها جيمس بيكر رفضتها سوريا، إذ كان الالاح السوري يتلخص بما اكد عليه فاروق الشرع في مؤتمر صحفي في دمشق بأن سورية تتطلع للحصول على ضمانات بالتزام الولايات المتحدة الامريكية بوضع قراري الأمم المتحدة ٢٤٢ و ٣٣٨ موضوع التنفيذ في مؤتمر السلام لكونها ترغب في حضور المؤتمر في وضح النهار وليس في الظلام^(١٥٧)، مؤكداً ان سورية تعمل لسلام شامل لا سلام منفصل بين سوريا واسرائيل اوبين اسرائيل والفلسطينيين^(١٥٨) وان سوريا لن تحضر مؤتمر للسلام الا اذا كان للأمم المتحدة دور اساسي وواضح وان يكون للمؤتمر صفة الاستمرارية^(١٥٩).

جراء ذلك ساهمت المبادرة السورية في تكثيف الضغط الأمريكي على حكومة شامير من خلال تجميد الإدارة الامريكية ضمانات قروض إسرائيلية لبناء مستوطنات جديدة في الأراضي العربية المحتلة بقيمة ١٠ مليار دولار وكان لهذا الضغط واقعة الإيجابية على سوريا^(١٦٠).

ازاء المطالب السورية ارسلت الولايات المتحدة كتاب يضم في طياته مجموعة من التأكيدات الى سوريا تضمن ان السلام يجب ان يتم على أساس قرارات مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ و ٤٩٧ الخاص بالجولان ، ومبدأ الأرض مقابل السلام كما ترفض الاعتراف والقبول بتطبيق إسرائيل قوانينها على الجولان المحتلة ، وانها تنوي ان تكون وسيطا عادلا في هذا المفاوضات^(١٦١).

ولعل الخلاف والتنافس حول القدس كان على اشده فقد طالبت سورية بأن تكون مسألة القدس لا تخص مساراً معيناً بل تختص كل العرب فبالنسبة لسوريا تهتم بالقدس مثل الجولان وبذلك اكدت على عدم الاستيطان في القدس وعدم توسيع بلديه القدس لتشمل القدس الشرقية^(١٦٢).

وفي ختام الجولة الاخيرة لرحلة بيكر المكوكية انتهت بوضع رساله التأكيدات الامريكية التي اشارت الى فهم الولايات المتحدة ونياتها المتعلقة بالمؤتمر الدولي والمفاوضات بعد مناقشات حادة بين الرئيس حافظ الأسد وفاروق الشرع وجيمس بيكر استطاع الأخير على الحصول على موافقة حكومته على صوغ رساله التطمينات والدعوة لعقد مؤتمر سلام بشكل يراعي ما اكدت عليه سورية وتم ادخال التعديلات حول موضوع القدس بحل يؤكد ان القدس جزء من الأراضي المحتلة وبذلك تعد هذه الفقرة انطلاقه نحو الموافقة على الشروط السورية لعقد مؤتمر دولي سلام شامل وفقاً لمطالبها^(١٦٣).

وتم الاتفاق مع الأطراف العربية وإسرائيل على ان تجري المفاوضات على أساس القرار ٢٤٢ و ٣٣٨ وبعد الاتفاق ووجهت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في ١٨ تشرين الأول عام ١٩٩١ الدعوة لعقد مؤتمر دولي في مدريد^(١٦٤).

كما دعت سورية الدول العربية الى عقد اجتماعاً تنسيقياً فيما بينهم في ٢١ تشرين الأول ١٩٩١^(١٦٥) ضم ذلك الاجتماع كل من منظمة التحرير الفلسطينية ومصر وكان الأردن من بين تلك الدول ، إذ أرسل فاروق

الشرع دعوة رسمية الى وزير الخارجية الأردني كامل ابو جابر لحضور الاجتماع, وقد تأخرت تلك الدعوة مما أشعر الحكومة الأردنية بالقلق لعدم توجيه الدعوة لها في بادئ الأمر, وابدى تفهماً لما دار في الاجتماع لغرض التنسيق مع سورية ومنظمة التحرير الفلسطينية في تلك المفاوضات والتي وصفها الطرفان بالصعبة^(١٦٦).

وفي ٣٠ تشرين الأول ١٩٩١ عقد المؤتمر في القصر الملكي الاسباني المعروف بقصر الملوك, الذي حضره كل من رئيس الولايات المتحدة جورج بوش والرئيس السوفياتي غورباتشوف ووزير خارجيه الولايات المتحدة جيمس بيكر كما حضرته وفود من إسرائيل و دول الطوق العربي (الأردن وسوريا ولبنان) وفلسطين إضافة الى كل من مصر والاتحاد الأوربي ودول المغرب ماعدا (ليبيا) ودول مجلس التعاون الخليجي سمي رسمياً بمؤتمر السلام في الشرق الأوسط^(١٦٧), الذي اجتمع فيه مع الحكومة الإسرائيلية على طاوله واحدة والذي استعرض بصورة كاملة من اجل مفاوضات ثنائيه إسرائيلية- فلسطينية وارندنية -إسرائيلية -سورية وإسرائيلية -لبنانية ويحل ذلك دون حد ادنى منعطفاً تاريخياً في الشرق الأدنى والشرق الأوسط والعالم ترتب عليه حصول إسرائيل على الاعتراف النفسي للبلدان العربية بوجودها^(١٦٨).

من جانبها أبدت سورية اهتماماً بالغاً بضرورة العمل المنسق مع الوفد الأردني في تلك المفاوضات^(١٦٩).
أفتتح المؤتمر بكلمة ترحيب القاها رئيس الوزراء الاسباني فيليبي غونزاليس رحب فيها بالوفود المشاركة معتبراً السلام الشرط الاساسي للتعايش السلمي بين جميع الاطراف ,ثم القى الرئيس الامريكي جورج بوش كلمته تحدث فيها مؤكدا ان السلام لن يتحقق الا نتيجة للمفاوضات المباشرة والحلول الوسط والتنازلات المتبادلة , وان المفاوضات يجب ان تجري على اساس قراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨ ولم يذكر مطلقاً مبدأ الارض مقابل السلام الذي كان شامير يرفضه^(١٧٠).

ثم توالى الكلمات وجاء دور رئيس الحكومة الاسرائيلية الذي تحدث عن العرب وما يملكون من اراضي تقدر ب ١٤ مليون كيلو متر في حين اكد بأن اسرائيل لا تملك سوى ٢٨ الف كيلو متر مربع موضحاً بأن إسرائيل لا تملك ما يكفي من الاراضي العربية الشاسعة^(١٧١), كما نوه قائلاً: (اذ كان العرب يريدون السلام فليعترفوا اولاً بإسرائيل ثم يأتوا الى طاولة المفاوضات ويقدموا مطالبهم وقال هذا انه لا يعني ان اسرائيل ستتنازل عن اي شيء مقابل هذا التنازل العربي)^(١٧٢).

وعندما جاء دور الوفد السوري الذي كان برئاسة فاروق الشرع القي كلمته جاء فيها: ((ان استمرار الموقف الإسرائيلي المتعنت يضع العالم على حافة مخاطر لاحد لها ويحول دون تمتع المنطقة بالسلام , وأضاف ان تنفيذ القرارين رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ اللذان ينعقد هذا المؤتمر على أساسها يجب ان لا يخضع لمساومات جديدة خلال المحادثات الثنائية بل يجب ان ينفذا بكل اجزائهما وهذا يعني عودة كل شبر من

الأراضي العربية المحتلة الى أصحابها الشرعيين ,مبيناً ان علاقه السلام تحتم ان لا تبقى الأراضي العربية تحت الاحتلال وان لا يبقى شعب فلسطين محروماً من حقه في تقرير مصيره ((^(١٧٣)).

معنا ان الموقف السوري المستند في كل عنصر من عناصره الى مبادئ الشرعية الدولية وقرارات الأمم المتحدة^(١٧٤) و أكد على ضرورة الانسحاب الاسرائيلي الكامل وغير المشروط من الاراضي المحتلة في عدوان ١٩٦٧ وتأمين الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وفي مقدمتها حق تقرير المصير وفقاً لقرارات الأمم المتحدة وطالب بإزالة المستوطنات الاسرائيلية من الاراضي المحتلة موضحاً ان الاراضي العربية وكل شبر منها يجب ان تعود الى اصحابها الشرعيين^(١٧٥) الذي يحتم انسحاب اسرائيل من كل شبر من الجولان والضفة والقطاع والقدس وجنوب لبنان كما يحتم تأمين الحقوق الوطنية والسياسة المشروعة لشعب فلسطين^(١٧٦).

لقد حاجج فاروق الشرع رئيس حكومة اسرائيل في خطابه قائلاً: ((تسأل فقط تساؤلاً واحداً اذا كان رئيس حكومة اسرائيل يقول انه من حق اليهودي ان يعود الى فلسطين بعد غياب اكثر من الفي عام فكيف لا يحق للفلسطيني الذي غادرها منذ اربعين سنة ,ايهما اكثر واقعية عودة الفلسطيني الذي لا يزال يعرف بيته وبعضهم يملك مفتاح هذا البيت))^(١٧٧).

لقد كان فاروق الشرع مهتماً بفضح السياسات الاسرائيلية الاستعمارية الاستيطانية منذ عام ١٩٤٨ الغير الانسانية والقائمة على ادلة موثقة اضافة الى الاشارة الى تجاهل كل القرارات الدولية الصادرة بحقها وانهى خطابه بتأكيد الموقف السوري القائم على اساس (ان نجاح عملية السلام يستوجب الا تبدأ المحادثات المتعددة الاطراف والتي لا تقع في نطاق القرار (٢٤٢) الا بعد تحقيق انجاز جوهري ملموس في المحادثات الثنائية^(١٧٨) ,مؤكداً ان سوريه حضرت المؤتمر من اجل سلام عادل وشامل ويحرر الارض ويضمن الحقوق والامن للجميع^(١٧٩).

وفي الحقيقة كان كلام فاروق الشرع في محلة من خلال ما بينه عمرو موسى وزير الخارجية المصرية حينما وصف كلام فاروق الشرع في مؤتمر مدريد ومهاجمته لإسرائيل اثناء اجتماعه مع شامير الذي تيقن من حديثه بأنه لا توجد نية لدى قادة إسرائيل لحل الصراع وانهم سيماطلون لإدارة الصراع وليس وضع نهاية له , فقد ذكر ان فاروق الشرع له حق في الوقوف بوجههم والتصدي لهم^(١٨٠).

اما في اليوم التالي من المؤتمر يوم ١ تشرين الثاني ١٩٩١ بدأت المباحثات بتعديل جدول الاعمال فطلب شامير ان يكون اول المتحدثين حتى يمكنه من العودة الى اسرائيل فأقنض شامير في كلمة باعتهاء على سورية وفلسطين وحدد قواعد اللعبة مع فلسطين بسقف الحكم الذاتي تحت السيادة الاسرائيلية واعلن هجوم حاد على سورية معلناً بقوله ((ليست سورية الا دولة اراهابية))^(١٨١).

على اثر هذه الاتهامات لسورية القى فاروق الشرع خطاباً رداً على كلام شامير بعد أن حان دورة في التدخل موضحاً فيه ان الكلام الذي تبادل منه في بداية المؤتمر وصف بالتشدد مشيراً بأن كلمة لم يخرج عن

الحقائق والوقائع المجردة كما هي^(١٨٢)، وأشار بقوله: (ان رئيس حكومة إسرائيل لم يذكر في خطابه ابدأ قرارى مجلس الامن رقم ٢٤٢ و٣٣٨ وهذا يعني انه ينسف الاساس الذي عقد المؤتمر على اساسه المؤتمر، كما كان يشكل رفضا للدعوة التي وجهها راعيا المؤتمر الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي عندما اكدا ان يعقد المؤتمر على اساس القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨)^(١٨٣) وفي خطابه اشار لشامير بأنه آخر شخص يحق له التكلم عن الإرهاب واطهر صور قديمة لشامير عندما كان عمرة ٣٢ عاما التي سلمها اياه وليد المعلم السفير السوري في الولايات المتحدة من صحيفة بريطانية نشرت في عام ١٩٤٨ على انها صورته وزعت في أوروبا في ذلك الوقت، بأنه مطلوب للعدالة البريطانية باعتباره عضوا في العصابات الصهيونية الارهابية ، وأشار فاروق الى ما مكتوب تحتها التي كان فيها شامير إرهابيا وساهم في قتل الكثير من الأبرياء المدنيين، مبيناً ان شامير هو معترفا رسميا بذلك وانه ساهم في اغتيال وسيط الأمم المتحدة الكونت فولك برنا دوت^(١٨٤) عام ١٩٤٨ وهو يقتل وسطاء السلام ايضا^(١٨٥) .

وقد دعا فاروق الشرع الوفود المشاركة في المفاوضات الى قاعة أخرى عرض فيها الوثيقة التي أظهرت صورة قديمة لإسحاق شامير كتب تحتها (مطلوب القبض عليه لممارسة الإرهاب) ، وقد وقفت الوفود العربية ومن ضمنها الوفد الأردني الى جانب سورية في ذلك الموقف^(١٨٦) .

واستطاع فاروق بنكائه خلال ذلك ان يكشف عن الارهاب الذي تمارسه اسرائيل ضد سورية مشيرا ان اسرائيل خطفت طائرة مدنية سورية في عام ١٩٥٤ كانت تنقل ركابا مدنيين بين القاهرة ودمشق وكذلك اسقطت طائرته لبيبة عام ١٩٧٣ وقتلت اكثر من مائة راكب مدني فضلا عن انها خطفت طائرة سورية وعلى متنها وفد سياسي سوري ولولا ان سارعت سوريا لتقديم شكوى لمجلس الامن واثارة القضية لما اطلقت سراح الطائرة^(١٨٧) .

تأجج المجتمعون في المؤتمر وتباين الغضب والاستياء على أوجه أعضاء الوفد الإسرائيلي وتعرض فاروق الشرع لحملة اعلامية عاتية في الولايات المتحدة وإسرائيل في بعض الصحف الغربية والإسرائيلية على اثر تعرضه لإسحاق شامير واتهامه بالإرهاب الا انها كانت ردود فعله إزاء الأسلوب والاستفزاز الذي اتبعه شامير ضد سورية^(١٨٨) .

وتخطيا للنزاع الواقع بين الطرفين انهى بيكر افتتاح المؤتمر بكلمته تحدث فيها عن حيوية مؤتمر مدريد بكسرة حواجز الاتصال بين العرب واسرائيل، اذ اعلن ومن دون بيان رسمي انتهاء الصراع العربي الاسرائيلي على صيغة الحرب وبدء هذا الصراع على هيئة المفاوضات^(١٨٩) .

وعلى أي حال مهما كانت المناورة السياسية بين الإسرائيليين والسوريين ان الوفد الاسرائيلي لم يفهم ان السوريين لم يعترفوا بحق اسرائيل في الوجود.

بعد ان تمت تهدئة الاطراف على اساس ان الحدة التي ظهرت في خطابات المؤتمرين ماهيه الا تعبر عن دخول حقيقي في لب المسائل العالقة, الا انه ظهرت ازمة اخرى وفق ما اقترحتة الولايات المتحدة على ان تجتمع الوفود في اماكن مختلفة, الا ان سورية رفضت ذلك وبشكل قاطع على لسان وزير خارجيتها فاروق الشرع الذي هدد بعدم المشاركة في المفاوضات واعلم طائرته بأن تكون جاهزة للعودة الى دمشق(١٩٠).

جراء ذلك طلب وزير الخارجية اللبناني فارس بويز من نضيرة الامريكي جيمس بيكر ان تتخلى بلادة عن هذا الاقتراح الذي سيدفع بعدد من الدول العربية وخاصة سورية ولبنان الى مقاطعة المفاوضات مقترحا عليه ان تجري المفاوضات في مبنى واحد في وزارة الخارجية الاسبانية ولكن في طوابق مختلفة بما يسمح للوفود العربية بالتنسيق في ما بينها, وافق بيكر على هذا الاقتراح لكن بشرط موافقة سوريه(١٩١).

ازاء ذلك اخبر وزير الخارجية اللبناني بويز فاروق الشرع بالتطورات الجديدة فوافق عليها وتم الاتفاق على ان تكون المفاوضات الثنائية بين الوفود العربية والوفد الاسرائيلي في مبنى وزارة الخارجية الاسبانية وكانت موافقه بمثابة الدخول مباشرة الى المحادثات السورية -الاسرائيلية والتي بدأت في ٣ تشرين الثاني ١٩٩١ في قصر بارسنت وسط مدريد, اذ كان الوفد السوري برئاسة موفق العلاف لمواجهة الوفد الاسرائيلي برئاسة يوسي بن اهارون الذي مدح سورية في مناقشاته مؤكدا بانها مركز القرار العربي وقائدة الموقف العربي وان احلال السلام بين سورية واسرائيل هو الضمان الرئيسي لإحلال السلام في المنطقة, فقد فوجئ السوريين بهذه البداية, الا انه تكلم فيما بعد معلنا ان اسرائيل تأتي الى المفاوضات على اساس مبادرة اسحاق شامير المنبثقة عن اتفافي كامب ديفيد, مما ساهم في تأجج الموقف وعلان الوفد السوري بأن سورية لن تأتي الى هذه المفاوضات الا من اجل الحصول على تعهد اسرائيلي بالانسحاب الكامل من الاراضي العربية المحتلة وليس الجولان فقط, وحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني, فضلا عن ضرورة تنفيذ قرار ٢٤٢ و٣٣٨(١٩٢).

ونظر لما احاطت المفاوضات من مناقشات اكد فاروق الشرع مشيرا الى وصف الوفد الاسرائيلي على انه تحدث عن كل شيء الا عن الارض بينما تحدث الوفد السوري عن كل من السلام والارض ودافع عن موقف بلادة الذي طالما اتهم بالتشدد وازداد قائلًا ((لا احد يستطيع ان يتهم بالتشدد من يتمسك بالشرعية الدولية ((١٩٣).

وفي ٢٢ تشرين الثاني اقترحت الولايات المتحدة على الاطراف المشاركة في مؤتمر مدريد استئناف الجولة الثنائية من المفاوضات في ٤ كانون الاول ١٩٩١ في مبنى وزارة الخارجية الامريكية في واشنطن, وافقت الاطراف العربية جميعها على ذلك الا ان الطرف الاسرائيلي اخر اعلان موافقته الى ٢٧ تشرين الثاني ١٩٩١(١٩٤).

وفي بداية الجولة الثالثة في واشنطن بدأت معركة سياسية بين الوفدين السوري والاسرائيلي لرفض السوريين القبول بالوجود الاسرائيلي خاصة بعد ان بين عضو الوفد الإسرائيلي خريطة تدرس في المدارس السورية لا تبين الوجود الاسرائيلي وكذلك اصرار الوفد السوري برئاسة حيدر العلاف على الانسحاب الإسرائيلي من الجولان واستمرت المناقشات حتى استغرب الجانب السوري من اصرار اسرائيل على اعتبار قرار ٤٢٤ يطالب السوريين بالانسحاب من الاراضي الاسرائيلية المحتلة بالقوة^(١٩٥).

عقدت المفاوضات المتعددة الأطراف في موسكو في ٢٨ كانون الثاني ١٩٩٢ في اطار مؤتمر سلام الشرق الاوسط حيث كرست لمناقشة قضايا المنطقة الاقليمية مثل التنمية الاقتصادية، فرضت سورية ولبنان المشاركة فيها^(١٩٦) التي تمسكت بموقفها من مسألة الاشتراك في تلك المفاوضات بضرورة تحقيق تقدم ملموس في المحادثات الثنائية العربية الاسرائيلية قبل الانشغال لبحث القضايا الاقليمية في اطار المحادثات متعددة الاطراف^(١٩٧).

واعلن الوفد السوري انه غير ملزم في حضور المفاوضات المتعددة الاطراف ١٩٩٢، وكشف فاروق الشرع للمرة الاولى ان رسالة التطمينات الامريكية التي ارسلت الى سورية لم تنص على الدعوة الى مفاوضات متعددة الاطراف مؤكداً ان دمشق لا تعارض المفاوضات المتعددة الاطراف من حيث المبدأ لكنها تعترض على توقيتها وعلى بدئها قبل التزام إسرائيل مضمون دولياً بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة، وعدم حدوث اي تقدم في المفاوضات الثنائية يشجعها على الدخول في المفاوضات المتعددة الاطراف، وهو ما كان مصدر خلاف سوري-مصري إذ رأت مصر ان في حضور المفاوضات المتعددة الاطراف فرصة لتأكيد أهمية التفاعل والترابط وديناميكية عملية السلام^(١٩٨).

وفي نهاية كانون الثاني انعقد مؤتمر موسكو للمفاوضات حول التعاون الاقليمي بمشاركة دولية واسعة وبغياب كل من سوريا وفلسطين ولبنان الذي عبر فيه جيمس بيكر بأنها ليست بديلاً عن المفاوضات الثنائية المتعثرة في واشنطن، وفيما انبثق عن هذه المفاوضات زيادة التعاون بين الدول الخليجية وإسرائيل، وبذلك اعلن فاروق الشرع ان عدم مشاركة لبنان وسورية والفلسطينيين وهي الأطراف المعنية مباشرة باستعادة أراضيهم المحتلة في مفاوضات موسكو الإقليمية المتعددة الأطراف كفيل بتخفيف حجم الخسائر في الجانب العربي وبإعادة تركيز الجهود الدولية على تنفيذ قرارات الامم المتحدة التي عقد على أساسها مؤتمر السلام في مدريد^(١٩٩)، وقد اعتبر وزير الخارجية السوري أن بحث مسائل التعاون الاقليمي بين الدول العربية وبين إسرائيل قبل تحقيق الانسحاب الإسرائيلي لا يمكن اعتباره إلا محاولة لاسترضاء المعتدي ومكافأة له على عدوانه واحتلاله^(٢٠٠).

وفي حزيران ١٩٩٢ جرت الانتخابات الإسرائيلية المبكرة وفاز فيها حزب العمل بأغلبية المقاعد وشكل إسحاق رابين وزارته في ١٣ تموز ١٩٩٢^(٢٠١)، وبذلك لم يكن لدى سورية في هذه الأونة ماهية السياسة التي

تتبعها إسرائيل في المفاوضات إذ كانت الصورة السياسية والعسكرية لرابين معادية لأي عملية سلام مع سورية ومما ساهم في توضيح نوايا تلك السياسة ما أشار إليه وزير الخارجية الأمريكية جيمس بيكر في زيارته إلى دمشق في ٢٢ تموز ١٩٩٢ موضحاً نواياً ومطالب رابين التي بينها في زيارته لواشنطن وقدم صورته إيجابية عن توجهات الحكومة الإسرائيلية الجديدة وتأكيداً على توجيه رسائل إلى الرأي العام الإسرائيلي تعزز اتجاهات رابين السلمية الجديدة التي ينوي العمل وفقها^(٢٠٢).

وعلى غرار ذلك عقد اجتماعاً لوزراء خارجية دول الطوق العربية بمشاركة الأمينين العالمين لمجلس التعاون لدول الخليج العربي واتحاد المغرب العربي والتي كان لفاروق الشرع الدور الرئيسي فيها في دمشق في ٢٤ تموز ١٩٩٢ الذي اصدر بياناً يمثل رسالته علنية للحكومة الإسرائيلية تنص على استعداد الدول العربية لتوقيع اتفاقات سلام مع إسرائيل إذا انسحبت من الأراضي العربية المحتلة كافة وإعادة الحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني والسماح بعودة اللاجئين وحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني^(٢٠٣).

استمرت جولات مؤتمر مدريد بالانعقاد بين الحين والآخر التي لن تحقق رغبة سورية في حل شامل ودائم للصراع العربي الإسرائيلي وصولاً إلى الجولة السادسة التي لوحث دمشق بتأجيل موعدها، نتيجة السياسة الأمريكية التي اتبعتها مع إسرائيل بمنحها إياها القروض التي كانت عاقبة فترة طويلة من دون الوصول إلى تعهد بوقف الاستيطان، وصعدت لهجتها وعدائها للولايات المتحدة الأمريكية متهمتها بعدم الاهلية لممارسة دور الوسيط بين الأطراف المتفاوضة^(٢٠٤).

ساهمت هذه الحقيقة إلى المحاولة الأمريكية في كسب الجانب السوري من أجل عودتها في حضور المفاوضات الثنائية في موعدها فقد بعث وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر برسالة إلى فاروق الشرع مؤكداً فيها التزامه الشخصي في تحقيق تقدم في محادثات السلام الثنائية^(٢٠٥).

وفي ٢٢ اب ١٩٩٢ وصل وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر إلى دمشق وتناقش مع فاروق الشرع من أجل إطلاق الجولة السادسة من مفاوضات السلام بعد أن اطلع على معالم السياسة الإسرائيلية الجديدة، فقد طرح فاروق الشرع مآثر زيارة اسحاق رابين لواشنطن وما منحه من ضمانات القروض لإسرائيل وأشار قائلاً: ((ان منح القروض من دون شروطها بوقف الاستيطان التام لإسرائيل على الأقل ضماناً أمريكية للإبقاء على التفوق النوعي لإسرائيل وحياء للتحالف الاستراتيجي الأمريكي معها))، كما دعا إلى مطالبة الولايات بأعادته تأكيداً والتزامها للوعود التي قطعتها والتي أدت إلى عقد مؤتمر السلام في مدريد للتواصل إلى سلام عادل وشامل^(٢٠٦).

وعلى اثر ذلك وأقمت سورية وحضرت الجولة السادسة من مفاوضات السلام التي استمرت من ٢٤ آب إلى ٢٤ أيلول وشملت خمسة عشر جلسة بين الوفدين السوري والإسرائيلي التي طالبت فيها سورية بنفس المطالب التي حاول ادوارد دجير جيان^(٢٠٧) مساعد وزير الخارجية الأمريكية الاجتماع برؤساء الوفود عدة

مرات ليشرح لهم الموقف السوري الذي اعلنه فاروق الشرع لوزير الخارجية الامريكي الجديد لورنس ايغلبرغر الا وهو استعداد سورية للسلام الشامل في مقابل الانسحاب الاسرائيلي من كل الاراضي العربية المحتلة وهو ما اكده رئيس الوفد السوري^(٢٠٨).

وفي الختام ان ما آلت الية نتائج الجولة السادسة من المفاوضات كانت مبشرة رغم انها لم تحقق شيء على ارض الواقع فقد شهدت تقديم حلول وحلول مضادة بين الطرفين لتحريك الموقف والخروج من الطريق المسدود وقد اصبحت اطراف التفاوض حولها مما جعل الادارة الامريكية تستنفر جهودها ما امكن , لكن المسيرة السلمية كانت على موعد من التجميد الجزئي بسبب انشغال الادارة الامريكية في الانتخابات الرئاسية الامريكية مما جعل دور الوسيط الامريكي يتعرض للاهتزاز ولا يمارس تأثيره بشكل فعال في تحقيق اختراق على الاقل في المسار الاسرائيلي السوري^(٢٠٩).

وفقا لما تقدم ان الدور السياسي لفاروق الشرع اتسم خلال المدة ١٩٩٠-١٩٩٢ اتسم بالبحث عن السلام وتحقيقه لاسيما بعد الاحتلال العراقي للكويت وفي مفاوضات السلام لمؤتمر مدريد ,مطالبيا بتحقيق التوازن في المنطقة العربية وعدم الاعتداء من قبل اي دولة عربية لشقيقتها ,كما اراد ان تكون الدول العربية معاضدة في الدفاع عن احدى الدول العربية اذ تعرضت للهجوم به من قبل اي دولة اخرى وعدم السماح للتدخل الاجنبي هذا بالنسبة للموقف من الاحتلال العراقي للكويت, فيما اتصف دورة في مفاوضات مؤتمر مدريد بمطالبتها بالانسحاب الإسرائيلي الكامل من جميع الاراضي العربية وتنفيذ قراري ٢٤٢ و٣٣٨ وحل دائم للصراع العربي الاسرائيلي الا ان التهاون الاسرائيلي واتباعها اساليب التهذئة دون جدوى والمراوغة في سبيل تحقيق غاياتها ساهمت في انتهاء جلسات مؤتمر مدريد دون الوصول الى حل بين الاطراف المتنازعة.

الخاتمة

يعد فاروق الشرع الذي كان من مواليد مدينة درعا، سياسي سوري شغل منصب وزير خارجية سوريا عام ١٩٨٤، وبقي في المنصب لمدة ٢٢ سنة وعرف بالرجل الأيديولوجي الذي يحسن في السياسة الخارجية، ويوصف بأنه خريج مدرسة حافظ الأسد السياسية والفكرية، أنه عبقرى في العلاقات العامة، ويصفه نظراؤه وزراء الخارجية العرب والأجانب بالمتحدث البارِع، الجميع يتذكر الدور الذي لعبه ابان الحرب العراقية الإيرانية عندما اشتد اوزارها منتصف الثمانينات وقد استطاع اقناع محاوريه بتوازن الموقف السوري الذي رفض منطق الحرب بين دول المنطقة التي تجمعها روابط العروبة و الاسلام ، ولعل المشهد الذي سجل له في الذاكرة العربية، في ٣٠ تشرين الأول ١٩٩١ في مؤتمر مدريد للسلام عندما قام بخطوة ذكية استغل فيها وجود الصحافة العالمية والعربية وبعض الزعماء العرب والغربيين والسياسيين الامريكيين والسوفيات آنذاك وبث وقائع المؤتمر للعالم وبوجود رئيس وزراء إسرائيل السابق اسحق شامير وعرض صورة وثائقية من صحيفة عربية قديمة اظهرت صورة اسحاق شامير على انه مطلوب كمجرم وارهابي أيام شبابه بجريمة قتل المفاوضات

الأممي فولك بيرنادوت خلال حرب ١٩٤٨، في الوقت الذي يدعي الإسرائيليون اعلان الحرب على ما يسمونه الارهاب واتهام العرب وسوريا به وقال امام الجميع ان زعيم الإسرائيليين كان ارهابياً دولياً ومطلوباً .
هوامش البحث

^١ مجلة المعرفة على الموقع:

www.marefa.org

^٢ علي سعادة ,فاروق الشرع يعاد إلى الحياة.. هل من جديد؟, مجلة عربي, ٣ ديسمبر ٢٠١٧, على الموقع :

<https://arabi21.com/story/1053510>

^٣ فاروق الشرع ,مذكرات وشهادات ,المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات ,بيروت , ٢٠١٥, ص ١٨.

^٤ علي سعادة, المصدر السابق, على الموقع

<https://arabi21.com/story/1053510>

^٥ فاروق الشرع ,المصدر السابق, ص ٢٣.

^٦ جمال عبد الناصر :عسكري ورجل دولة مصري من مواليد ١٥ كانون الثاني ١٩١٨, في بلدة الخطاطبة , تنقل في مرحلة التعليم الأولية بين العديد من المدارس الابتدائية, التحق بالكلية الحربية عام ١٩٣٧ وفي عام ١٩٣٨ رقي إلى رتبة ضابط في الجيش , وفي عام ١٩٤٠ نقل إلى السودان برتبة ملازم أول , وفي عام ١٩٤٢ (رائد) وفي عام ١٩٥١ منح رتبة البكباشي (مقدم) , وفي ٢٤ شباط تولى رئاسة مجلس الوزراء , واستطاع تأمين قناة السويس ليتمكن من بناء السد العالي, قاد مصر في العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦, حقق الوحدة مع سورية عام ١٩٥٨ واصبح رئيساً للجمهورية العربية المتحدة حتى الانفصال عام ١٩٦١ ودخلت بلاده في حرب حزيران ١٩٦٧ مع الكيان الصهيوني. للمزيد من التفاصيل ينظر: بثينة عبدالرحمن التكريتي ,جمال عبدالناصر نشأة وتطور الفكر الناصري دراسة تاريخية, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت, ٢٠٠٠ .

^٧ فاروق الشرع ,المصدر السابق, ص ٢٣ .

^٨ المصدر نفسه, ص ٢٨.

^٩ المصدر نفسه.

^{١٠} قناة النهار اللبنانية, فاروق الشرع من الاسد الى العزل , ٩ تموز ٢٠١٥ على الموقع:

<http://tv.annahar.com>

^{١١} حافظ الأسد : ولد عام ١٩٣٠ في قرية القرداحة, تطوع في الكلية العسكرية وتخرج منها عام ١٩٥٥ برتبة ملازم طيار شارك في انقلاب عام ١٩٦٦, وفي ١٢ آذار عام ١٩٧١ انتخب رئيساً للجمهورية وتوفي في ١٠ حزيران ٢٠٠٠. للمزيد من التفاصيل ينظر: فضيلة حسن عبد الحسين الجبوري , حافظ أسد ١٩٧٠ - ١٩٧٣, أطروحة دكتوراه غير منشورة , معهد التاريخ العربي والتراث العلمي , بغداد , ٢٠١١ ؛ د. ع. و. و , ملف العالم العربي , سورية - سير وتراجم , س-١ / ١٩٠١ .

<https://www.aljazeera.net>

^{١٢} فاروق الشرع ,المصدر السابق, ص ٢٨؛ موسوعة الجزيرة , على الموقع:

Texto actualizado hasta 1/1/2013,p1

^{١٣} حياة فاروق الشرع على الموقع:

<http://tv.annahar.com>

^{١٤} جريدة النهار, المصدر السابق, على الموقع

^{١٥} باسم ریحان مغماس الشيمساوي, الموقف السعودي من الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥-١٩٨٩), رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية, جامعة ذي قار, ٢٠١٣, ص ١٧٤.

^{١٦} المعرفة, المصدر السابق, على الموقع:

www.marefa.org

^{١٧} للمزيد من التفاصيل عن الحرب الاهلية اللبنانية ينظر :احمد جمعة الحميد ، موقف الجمهورية السورية من الحرب الأهلية في لبنان ١٩٧٥-١٩٨٣ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية -جامعة الموصل ، ٢٠١٢ .

^{١٨} - فاروق الشرع ,المصدر السابق ,ص٢٩ .

<https://arabi21.com/story/1053510>

^{١٩} - علي سعادة, المصدر السابق, على الموقع:

^{٢٠} - عبد الرؤوف الكسم: ولد في دمشق عام ١٩٣٢ من عائلة سنية متوسطة الحال انضم الى حزب البعث عام ١٩٤٩ وانتسب الى كلية الفنون في جامعة دمشق عام ١٩٥٣ وبعد حصوله على شهادته الجامعية ذهب الى جنيف ونال شهادة الدكتوراه في فن وتخطيط المدن عام ١٩٦٣ وفي ٩ كانون الاول ١٩٨٠ اطلب منة الرئيس الاسد تشكيل حكومة جديدة وكان امينا وعمل على حل المشاكل الداخلية للبلاد وفي عام ١٩٨٤ قام بتشكيل وزارته الثانية للمزيد من التفاصيل ينظر .د.ع.و, ملف العالم العربي ,سير وتراجم,س-١/١٩٠٩ .

^{٢١} فاروق الشرع ,المصدر السابق ,ص٥٧ .

^{٢٢} اتفاقية كامب ديفيد : وهي التي تم التوقيع عليها في ١٧ أيلول ١٩٧٨ قبل الرئيس المصري أنور السادات ورئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن وبحضور الرئيس الأمريكي وأكد على ضرورة تحقيق السلام وفقاً لروح المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة وقرارات مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ وتعهدت مصر وإسرائيل بعدم اللجوء إلى القوة لتسوية النزاعات بل يتم تسويتها بالطرق السلمية وطالبت المعاهدة بإقامة علاقات طبيعية بين الدول التي هي في حالة سلام وطالبت كذلك بإلغاء المقاطعة الاقتصادية العربية لإسرائيل, جيمي كارتر وقد مثل هذا الاتفاق الإطار العام للسلام في الشرق الأوسط . للتفاصيل ينظر: شريف جويد العلوان ,تسوية كامب ديفيد ومستقبل الصراع العربي الصهيوني ,دار واسط للنشر ,بغداد ,١٩٨٢, ص٢٤٥ .

^{٢٣} فاروق الشرع ,المصدر السابق ,ص٦٤ .

^{٢٤} عبد الحلیم خدام:- سياسي سوري ، ولد في بانياس بمحافظة طرطوس ١٩٣٢ حيث أتم تحصيله الثانوي فيها ثم التحق بجامعة دمشق فنال اجازة بالحقوق ، انتسب الى حزب البعث في الخمسينات وعمل عضواً في قيادة شعبة بانياس، تدرج في المناصب الحزبية ليعين بعد ذلك وزيراً للاقتصاد عام ١٩٦٩ ثم وزيراً للخارجية منذ العام ١٩٧٠، تولى الملف اللبناني حتى عام ١٩٩٨، انشق عن نظام بشار الاسد في عام ٢٠٠٥ ، للمزيد ينظر: رؤى وحيد عبدالحسين ,عبدالحليم خدام ودورة السياسي في سورية ١٩٣٢-١٩٨٩ ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة ذي قار ، ٢٠١٧ .

^{٢٥} القرار ٢٤٢ وهو الذي وافق عليه مجلس الأمن وأصدره في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ حيث جاء في مقدمته عدم القبول بالاستيلاء على أراضي بواسطة الحرب والحاجة إلى العمل من اجل سلام دائم تستطيع كل الدول ان تعيش فيه بأمان، وقد جاء في احد بنوده أيضاً على انسحاب القوات (الإسرائيلية) من الأراضي التي احتلتها بعد عام ١٩٦٧ ولم يرد بيان عن انسحاب القوات (الإسرائيلية) من الأراضي التي احتلتها قبل ١٩٦٧ وهذا يعني اعتراف غير مباشر بحدود ما قبل حرب ١٩٦٧ . ينظر: وليم توماس مالميسون وسالي مالميسون ، تحليل لقرارات الأمم المتحدة الرئيسة المتعلقة بقضية فلسطين من وجهة نظر القانون الدولي ، نيويورك ، ١٩٧٩ ، ص٥٢ .

^{٢٦} -فاروق الشرع ,المصدر السابق ,ص٦٥ .

^{٢٧} -المصدر نفسه

^{٢٨} للمزيد عن الحرب العراقية الايرانية ينظر.اسلام محمد عبد ربة , الحرب العراقية-الايرانية (١٩٨٠-١٩٨٨), رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب الجامعة الاسلامية -غزة ، ٢٠١٥ .

٢٩ - الملك حسين : ملك المملكة الأردنية وحفيد الملك عبد الله بن الحسين , ولد في عمان في ١٤ تشرين الثاني عام ١٩٣٥ , تولى العرش بعد تخلي والده عنه نتيجة لظروفه الصحية , حقق إنجازات عديدة بعد تسلمه سلطاته الدستورية منها تعريب الجيش الأردني وتخليصه من قيادته الأجنبية , وإنشاء الاتحاد العربي الهاشمي الذي انهار بقيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق , كما وقع حلفاً دفاعياً مع مصر عام ١٩٦٧ , وشارك في حرب تشرين عام ١٩٧٣ بإرساله احد ألوية الجيش الأردني إلى سورية . ينظر : رولان دالاس ، الحسين حياة على الحافة تاريخ ملك ومملكة ، ترجمة جولي صليبا ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠١ ، ص ٢١ - ٢٨ .

٣٠ فاضل عبدالرحيم عبدالكريم الأسدي ، العلاقات الإيرانية السورية ١٩٧٩ - ١٩٨٨ ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ٢٠١٣ ، ص ٧٦ ؛ فاروق الشرع ، المصدر السابق ، ص ٦٦ .

٣١ جريدة الثورة ، دمشق ، العدد ٥٣٩٢ ، ١١ أيلول ١٩٨٠

٣٢ فاروق الشرع ، المصدر السابق ، ص ٦٦ .

٣٣ عباس فنجان ابراهيم ، العلاقات السعودية السورية بحث منشور -مجلة ابحات البصرة ، للعلوم الانسانية ، المجلد ٤٣ ، السنة ٢٠١٨ ، ص ٧٦ .

٣٤ رونالد ريغان :- الرئيس الأربعون للولايات المتحدة الأمريكية من مواليد ١٩١١ في مدينة تامبيكو ايلينوي الأمريكية ، درس الاقتصاد وعلم الاجتماع ، رشح للانتخابات الرئاسية عام ١٩٧٦ لكنه فشل ، ورشح مرة أخرى لعام ١٩٨١ ، وحقق فوزاً ساحقاً على المرشح جيمي كارتر انتهت رئاسته عام ١٩٨٩ وتوفي في ٥ حزيران ٢٠٠٤ . للمزيد من التفاصيل ينظر :

Winston Groom , Ronald Regan our 40th president , published by the united stated by Regenery public shying , washing ton , 2007.p.1-47.

٣٥ الكسندر هيغ : سياسي وعسكري أمريكي ولد في عام ١٩٢٤ في مدينة فيلادلفيا ، تخرج من العسكرية الأمريكية عام ١٩٤٧ ، التحق بجامعة جورج تاون تدرج في المناصب العسكرية ، فعين مساعداً لوزير الدفاع الأمريكي عام ١٩٦٤ ، ثم رقي إلى رتبة عميد عام ١٩٦٩ ثم إلى رتبة ميجر جنرال عام ١٩٧٢ ، وعين قائداً أعلى لقوات الحلفاء في أوروبا وقائداً للقوات الأمريكية في الوقت ذاته ، لكنه استقال من منصبه هذا بفعل رفضه المفاوضات مع الاتحاد السوفيتي للحد من انتشار الأسلحة النووية وخلافاته مع وزير الدفاع والمبعوث الأمريكي إلى الشرق الأوسط فيليب حبيب أثناء عملية غزو لبنان عام ١٩٨٢ . ينظر :

Peter B .Levy , Encyclopedia of the Reagan-Bush years Reen wood publishing , New York , 1996 , p.183.

٣٦ د.ع.و. ملف العالم العربي ، لبنان -سياسة، ل-١١٠٢/٤ .

٣٧ فليب حبيب (١٩٢٠-١٩٩٢) :- دبلوماسي أمريكي من أصل لبناني ولد في مدينة نيويورك ، حصل على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد عام ١٩٥٢ من جامعة كاليفورنيا عمل في وزارة الخارجية الأمريكية ، عين مساعداً لوزير الخارجية لشؤون شرق آسيا ١٩٧٤-١٩٧٦ ثم نائباً لوزير الخارجية ١٩٧٦-١٩٧٨ ، وأوفده الرئيس رونالد ريغان عام ١٩٨١ لنزع فتيل الأزمة بين سورية وإسرائيل ونجح في مهمته ، وعقب الاجتياح الإسرائيلي الثاني للبنان عام ١٩٨٢ بذل مساعي ناجحة لوقف إطلاق النار بين الجانبين . للمزيد من التفاصيل ينظر جريدة النهار ، العدد ١٤٥٩٥ ، ٨ أيار ١٩٨١ .

٣٨ زينب حيدر عبد الحسني ، الياس سركيس ودورة الاقتصادي والسياسي في لبنان ١٩٢٤-١٩٨٥ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة ذي قار ، ٢٠١٤ ، ص ٢١٤ .

٣٩ مركز دراسات الوحدة العربية ، يوميات ووثائق الوحدة العربية لعام ١٩٨٢ ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ١٧٨ .

٤٠ فاروق الشرع ، المصدر السابق ، ص ٧٧ .

- ٤١ نشوان خزل رشيد ياد كار الكاكائي ، موقف الجمهورية العربية السورية من الحرب الأهلية في لبنان ١٩٨٢-١٩٩٠ ، رسالة ماجستير غير منشوره، كلية التربية ، جامعة تكريت ، ٢٠١٣، ص٩١.
- ٤٢ فاروق الشرع ،المصدر السابق ،ص٨٧.
- ٤٣ المصدر نفسه، ص٨٨
- ٤٤ مركز دراسات الوحدة العربية، يوميات ووثائق الوحدة العربية لعام ١٩٨٣، و ٦٦، بيروت، ص ٥٠٤.
- ٤٥ باترك سيل ، الاسد الصراع على الشرق الاوسط ، ط ١١ ، شركة المطبوعات للتوزيع ، بيروت ، ٢٠١٠ ، ص٦٧٥؛ عمار فاضل حمزة ،العلاقات الامريكية اللبنانية وتداعيات احداث الحادي عشر من ايلول ،مجلة ص والقرآن ذي الذكر، العدد الثاني، قسم الدراسات والبحوث في مؤسسة وارث الثقافية،ص٦٢.
- ٤٦ جيمي كارتر: ولد في تشرين الاول ١٩٢٤ سياسي أمريكي شغل منصب الرئيس التاسع والثلاثين للولايات المتحدة بين عامي ١٩٧٧ إلى ١٩٨١، انضم كارتر إلى البحرية الأمريكية بعد تخرجه من المدرسة الثانوية، وعمل في الغواصات النووية غادر البحرية في عام ١٩٥٣ ،خدم كارتر في مجلس الشيوخ في ولاية جورجيا من عام ١٩٦٣ إلى ١٩٦٧، وفاز في انتخابات حاكم جورجيا في عام ١٩٧٠، شغل منصب الحاكم من ١٩٧١ إلى ١٩٧٥، فاز بترشيح الحزب الديمقراطي في تلك الانتخابات، للمزيد ينظر: اودو زاوتر ، رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية من ١٧٨٩ حتى اليوم ، دار الحكمة - لندن ، ٢٠٠٦، ص٢٧٥-٢٧٨.
- ٤٧ فاروق الشرع، المصدر السابق، ص٩٨.
- ٤٨ محمد عزيز شكري : من مواليد دمشق عام ١٩٣٧ حصل على درجة الدكتوراه في علم القانون من جامعة كولمبيا في نيويورك ١٩٦٤ ،عمل مستشاراً قانونياً في وزارة الخارجية السورية (١٩٧٧-١٩٨٣) شارك في العديد من المؤتمرات واللجان الدولية حيث عمل مستشاراً قانونياً لجامعة الدول العربية لفترة طويلة ،إضافة الى العديد من الكتب والمؤلفات القانونية التخصصية المتعلقة بالصراع العربي -الإسرائيلي .ينظر. رضوان زيادة، السلام الداني المفاوضات السورية- الإسرائيلية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٥، ص٣١٨.
- ٤٩ فاروق الشرع، المصدر السابق، ص٩٨.
- ٥٠ فليب ابو عقل، هل تستطيع قمة الجميل الاسد تطويق تطورات الصيف الدراماتيكي؟، بحث منشور ،دمشق، الاسبوع العربي ١٦، نيسان ١٩٨٤، ص١٠.
- ٥١ و. أ. س ، دار البعث ، جريدة البعث، ٨/٣/١٩٨٧.
- ٥٢ جريدة الانوار (بيروت)، العدد ٨٧٠٢، ٧ نيسان ١٩٨٥.
- ٥٣ اذ لاقى تعيينه في هذا المنصب معارضة من قبل حكمت الشهابي وزير الدفاع ونائب الرئيس عبدالحليم خدام الذي كان يريد ان يحتفظ بهذا المنصب إضافة الى منصبه فضلا عن وصفة بالراديكالية مقترحا بان وزارة الاعلام أولى به التي رفضها فاروق الشرع مؤكداً استحالة إرضاء كل الناس اثناء العمل في هذه الوزارة الا ان الرئيس الأسد كان محترماً إصرار ورفض فاروق الشرع فوافق على توليه منصب وزارة الخارجية للمزيد ينظر: فاروق الشرع، المصدر السابق، ص١٠٩.
- ٥٤ - عدنان ابو عودة ،يوميات عدنان ابو عودة ١٩٧٠-١٩٨٨، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ،بيروت ،٢٠١٨، ص٧٣؛ناصر محمد الزمل، موسوعة احداث القرن العشرين ١٩٨١-١٩٩٠، ج٩، مكتبة العبيكان ،د.ت.د.م، ص١٥٠.
- ٥٥ - ناهض حتر، بهدوء | مع فاروق الشرع في مذكراته؛ أولاً: «لغز الأسد» مجلة الاخبار، العدد ٢٥٤٥ الاربعاء ١٨ آذار ٢٠١٥ على الموقع: <http://www.al-akhbar.com/node/228565>
- ٥٦ نبيل خليفة : الاستراتيجيات السورية و(الإسرائيلية) والأوربية حيال لبنان ، دار بيبيلوس ، لبنان ، ١٩٩٣، ص ١٧٠.

^{٥٧} مركز دراسات الوحدة العربية، يوميات ووثائق الوحدة العربية لعام ١٩٨٤ و ١٤٦، بيروت، ص ٧١٩؛ مجلة المستقبل، باريس، العدد ٤٠٩، ٢٢ / ١٢ / ١٩٨٤، ص ٥٥.

^{٥٨} مركز دراسات الوحدة العربية، يوميات ووثائق الوحدة العربية لعام ١٩٨٥، ٣١، بيروت، في ١٨ شباط ١٩٨٥، ص ٤٢١.

^{٥٩} يوميات ووثائق الوحدة العربية عام ١٩٨٥، ١٣٧، ص ٧٣٧؛ جريدة الحوادث، لندن، العدد ١١٥١، ١٨ تشرين الأول ١٩٨٥.

^{٦٠} مجلة المستقبل، العدد ٦٣٣، ٢٨ كانون الثاني ١٩٨٩، ص ٣٤؛ يوميات ووثائق الوحدة العربية لعام ١٩٨٥ و ٩٠، ص ٥٦٣

^{٦١} المصدر نفسه

^{٦٢} اتفاق عمان: وهو الاتفاق الذي توصل اليه كل من ياسر عرفات مع الملك حسين في ٧ شباط ١٩٨٥ الذي اتفقت فيه حكومة المملكة الأردنية الهاشمية ومنظمة التحرير الفلسطينية على مواصلة السير معاً نحو تحقيق تسوية سلمية لقضية الشرق الأوسط المتمثلة في الاحتلال الإسرائيلي للأراضي السورية والفلسطينية والأردنية وفق الأسس والمبادئ التالية:

١- الأرض مقابل السلام كما ورد في قرارات مجلس الأمن.

٢- حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني في إطار اتحاد أردني - فلسطيني (فيدرالي).

٣- وعلى هذا الأساس تجري مفاوضات في ظل مؤتمر دولي تحضره الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي، وسائر أطراف النزاع، بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية، الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني. وتكون المشاركة الأردنية - الفلسطينية على قدم المساواة بوفد مشترك.

٤- حل قضية اللاجئين الفلسطينيين حسب قرارات الأمم المتحدة، للمزيد ينظر: خالد الحسن، الاتفاق الأردني الفلسطيني للتحرك المشترك (عمان ١١/٢/١٩٨٥م) في ضوء القواعد الأساسية للقرار والتحرك، دار الجليل للنشر، عمان، ١٩٨٥م، ص ١٢٩.

^{٦٣} يوميات ووثائق الوحدة العربية لعام ١٩٨٥، ١٣٧، ص ٧٣٧؛ جريدة الحوادث، لندن، العدد ١١٥١، ١٨ تشرين الأول ١٩٨٥.

^{٦٤} ان سورية كانت متيقنه تماماً بان الولايات المتحدة الأمريكية تعمل على الحد من جهودها الرامية الى تفكيك الإتفاق الأردني - الفلسطيني. ينظر:

F.O.39\4138.Mr.Ferglison, Confidential Report from B. E in Damascus to F.O.No. 24, 16 March,1985.

^{٦٥} رزان محمد نعمان الريماوي، العلاقات الفلسطينية السورية ١٩٨١-٢٠٠٩، كلية الدراسات العليا، جامعة بيرزنت، فلسطين، ٢٠١٩، ص ٨٥.

^{٦٦} عمر الحضرمي، العلاقات الأردنية . . . السعودية، دار مجدلاوي، عمان، ٢٠٠٣، ص ٤٦.

(67)-F.O.39\4138,Mr.Tomkys, Confidential Report from B. E in Damascus to F.O, No. 405
28 October,1985, p. 15.

(68)-F.O.39\4138.M.r.C.W Long, Confidential Report from B. E in Amman to F.O,No.503
21April 1985

^{٦٩} سمير ججعج - سياسي لبناني ومقاتل كتائب، ولد عام ١٩٥٢، درس الطب في جامعة القديس يوسف عام ١٩٧٢ ولم يتابع إذ تفرغ للحرب في لبنان ضمن القوات اللبنانية، قاد القوة التي ارتكبت مجزرة اهدن عام ١٩٧٨، وقاد القوات اللبنانية في حرب الجبل عام ١٩٨٣، عام ١٩٨٥، وفي عام ١٩٨٩ دخل في حرب مكشوفة مع العماد ميشال عون. للمزيد ينظر: احمد عبد

الحسين النصر الله ، حزب الله ودوره السياسي في لبنان ١٩٨٢-١٩٨٩، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات التاريخية ، جامعة البصرة، ٢٠١٠. ص ١١١.

^{٧٠} فاروق الشرع ،المصدر السابق،ص ١٢٠

^{٧١} غازي كنعان :ولد في قرية بحمرا القريبة من القرداحة سنة ١٩٤٢ ، وتربطه مع حافظ أسد علاقات عائلية قوية وأواصر قربي، وقد كان من ضمن القادة العسكريين المشاركين في حرب ١٩٧٣ ،عين رئيساً لفرع الاستخبارات في حمص سنة ١٩٨٢ ، وكان برتبة نقيب، ثم عين رئيساً لفرع الأمن والاستطلاع في لبنان في تموز ١٩٨٣ ، وبهذه الصفة كان له شأن في الأمور السياسية اللبنانية، فقام على تأسيس مراكز للاستخبارات السورية ويعزا إليه الفضل في إحكام السيطرة السورية على لبنان، وعين رئيساً لفرع الأمن السياسي في سورية في أكتوبر ٢٠٠٢ ، ثم وزيراً للداخلية في أكتوبر ٢٠٠٤ ، وفي الثاني عشر من شهر أكتوبر ٢٠٠٥ أعلن الإعلام السوري انتحار اللواء غازي كنعان. ينظر. بشير زين العابدين ، الجيش والسياسة في سورية ١٩١٨-٢٠٠٠، دار الجابية ،لندن ، ٢٠٠٨ . ص ٤٨٩-٤٨٧.

^{٧٢} - فاروق الشرع ،المصدر السابق،ص ١٢٠

^{٧٣} - المصدر نفسه،ص ١٢١.

^{٧٤} -للاطلاع على نص الاتفاق ينظر: وثائق الحرب اللبنانية لعام ١٩٨٦ ، ص ٢٦١-٢٦٧ .

^{٧٥}-وفيق صالح ناصر، دور جامعة الدول العربية في ابرز قضايا العرب السياسية من حرب تشرين ١٩٧٣ حتى مشروع اصلاح الجامعة ٢٠٠٣، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة دمشق، ٢٠٠٦ ، ص ١٥٠-١٥١ .

^{٧٦} فاروق الشرع ،المصدر السابق،ص ١٢٧.

^{٧٧} وثائق الحرب اللبنانية لعام ١٩٨٦، يوميات صور وثائق ، المركز العربي للأبحاث والتوثيق ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ٢٩٢.

^{٧٨} -المصدر نفسه.

^{٧٩} ناجي الغريري وشفاء حاتم شلاكة، العلاقة بين العراق وسوريا خلال الحرب العراقية الايرانية ١٩٨٠-١٩٨٨، بحث منشور مجلة كلية الآداب جامعة الكوفة، ص ٢٠٣؛ عارف خلف البياتي، المصدر السابق، ص ١٧٨

^{٨٠} مصطفى جبار جاسم الطائي، العلاقات الإيرانية - السعودية (دراسة في ابرز العوامل والقضايا المؤثرة)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية -جامعة بغداد ، ٢٠٠٥، ص ٥٧.

^{٨١} فداء يوسف ابو الجزر ،العلاقات الايرانية السعودية وانعكاساتها على دول الجوار العربي ١٩٩٧-٢٠٠٥، جامعة غزة كلية الآداب للعلوم الانسانية، ٢٠١٤، ص ٢٥.

^{٨٢} علي حسين خامنئي : ولد في ١٥ تموز ١٩٣٩ في مدينة مشهد ، التحق بمدرسة (دار التعليم ديانتي) لإكمال دراسته الابتدائية ، التحق بالحوزة العلمية ، وفي ١٩٥٧ حاول نقل دراسته إلى الحوزة العلمية في العراق ، واستمرت دراسته حتى عام ١٩٦٤ وفي سنة ١٩٦٢ انخرط في التنظيمات المناوئة للنظام ، مما اضطرت الحكومة الإيرانية إلى اعتقاله ستة مرات خلال الفترة ١٩٦٢ . . . ١٩٧٥ بسبب المناوئة لها وبعد الثورة التي حصلت عام ١٩٧٩ في إيران وعودة الخميني من باريس ، شكل الخميني مجلس شوري وكان خامنئي احد أعضاء هذا المجلس وتولى عدة مناصب في الدولة ، ومنها منصب رئيس الجمهورية (١٩٨١-١٩٨٩) أصبح المرشد الأعلى للثورة الإسلامية في إيران في ١٩٨٩ . للمزيد ينظر : إبراهيم محمد جبار الويس، حركة أمل ودورها السياسي في لبنان ١٩٧٥ - ١٩٨٩، رسالة ماجستير غير منشوره، كلية التربية للبنات ، جامعة البصرة ، ٢٠١٤، ص ١٨٧.

^{٨٣} عبدالحليم خدام ، التحالف السوري الإيراني والمنطقة ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠١٠، ص ٨٠

^{٨٤} المصدر نفسه.

- ^{٨٥} ناجي الغريزي وشفاء حاتم شلاكة انتصار دوشي عبد الزهرة ، المصدر السابق،ص٩٤؛ عبد الحليم خدام ،المصدر السابق،ص٩٩.
- ^{٨٦} عبدالحليم خدام ،المصدر السابق، ص١٠٠.
- ^{٨٧} ناجي الغريزي وشفاء حاتم شلاكة، المصدر السابق ،ص٢٠٤.
- ^{٨٨} صحيفة الراي العام ،(الكويت)، العدد٨١٧٦،في ٢٥ آب ١٩٨٦
- ^{٨٩} ايلي سالم: سياسي لبناني ، حاصل على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة هويكنز ١٩٥٣ ، عمل استاذا في الجامعة نفسها ١٩٥٦-١٩٦٢ ، ثم أستاذا في الجامعة الامريكية في بيروت الى عام ١٩٨٢ عين وزيرا للخارجية حتى عام ١٩٨٤ ، بعدها اصبح مستشار الرئيس امين الجميل للشؤون الخارجية ١٩٨٤-١٩٨٨ ، ثم اصبح رئيس المركز اللبناني للدراسات ورئيس جامعة البلمند . ينظر : ايلي سالم ، الخيارات الصعبة دبلوماسية البحث عن مخرج ، ترجمة :ميخايل خوري ، مراجعة احمد حاطوم ، ط٤ ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٣.
- ^{٩٠} باسم ريحان مغامس ،المصدر السابق،ص١٧٦.
- ^{٩١} غابي ابو عتمه ،لقمه اللبنانية -السورية في عام ١٩٨٧،مجلة الكفاح العربي ،العدد ٤٤٥،بيروت ،١٩ كانون الثاني ١٩٨٧،ص١٦؛ مجلة الاسبوع العربي ،العدد١٩،١٤٢٣ كانون الثاني ١٩٨٧.
- ^{٩٢} وثائق الحرب اللبنانية لعام ١٩٨٧ ، المركز العربي للأبحاث والتوثيق ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص٢٤١ .
- ^{٩٣} غابي ابو عتمه ،المصدر السابق،ص١٩.
- ^{٩٤} رفيق الحريري (١٩٤٤ - ٢٠٠٥) ولد عام ١٩٤٤ في صيدا ، انهى تعليمه الثانوي عام ١٩٦٤ ، التحق بالجامعة العربية ببيروت وحصل على اجازة العلوم التجارية ،عام ١٩٦٥ ، اصبح المبعوث الشخصي للملك فهد ،شارك في الكثير من المشاريع التي وضعت من اجل انتهاء الحرب الاهلية اللبنانية ، تولى رئاسة الوزراء في لبنان عام ١٩٩٢ اشغل هذا المنصب لست سنوات متتالية بين عامي ١٩٩٢ و١٩٩٨ ، شكل ثلاث حكومات في تلك الفترة ،استقال من منصبه عام ٢٠٠٤ ،اغتيل في عام ٢٠٠٥.للمزيد ينظر : حسين علي كردي حمود الجبوري، رفيق الحريري ودوره الاقتصادي والسياسي في لبنان ١٩٤٤-٢٠٠٥،كلية التربية/ جامعة تكريت، رسالة ماجستير غير منشورة،٢٠١١.
- ^{٩٥} عبد الله بوحيب ، الضوء الاصفر السياسة الامريكية تجاه لبنان ، ط٧ ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص١١٥.
- ^{٩٦} و.أس ، دار البعث ، جريدة السفير ، العدد ٤٥٣٢ ، ١٣ كانون الثاني ١٩٨٧ .
- ^{٩٧} باسم ريحان مغامس ، المصدر السابق،ص١٧٧.
- ^{٩٨} فاروق الشرع ،المصدر السابق،ص١٢٩.
- ^{٩٩} ظافر الحسن ، الدبلوماسية اللبنانية معايشة شخصية ، المجلد الاول ، الازمة اللبنانية من الشرفة السعودية ١٩٧٨-١٩٨٢ ، دار النهار، بيروت ، ٢٠١١ ، مج٣ ، ص٥٥-٥٦ .
- ^{١٠٠} عبد الرؤوف سنو ، حرب لبنان ١٩٧٥-١٩٩٠ تفكك الدولة وتصعد المجتمع ، المجلد الاول، مفارقات السياسة والنزاعات المسلحة والتسوية ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٨ ، ص٦٧٣-٦٧٤ .
- ^{١٠١} باسم ريحان مغامس ، المصدر السابق،ص١٧٩.
- ^{١٠٢} سلام كريم عبد الحسين الشويلي، العلاقات السياسية السورية .الأردنية (١٩٧٩ . ١٩٩٤)، رسالة ماجستير غير منشوره، كلية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة ذي قار ، ٢٠١٩،ص١٥٢.

١٠٣ هنري لورنس ، اللعبة الكبرى (الشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية)، ترجمة محمد مخلوف، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، الرياض ، ١٩٩٢ ، ص ٣٨٥ - ٣٨٦ .

١٠٤ مجلة التضامن ، العدد ١٨٥ ، ٣١ تشرين الثاني ١٩٨٧ ، ١٥ .

(105)- Moshe Maoz , From conflict to peace (Israel's relation with Syria), Middle East Journal, Vol.53 , No.3 , 1999, p.41.

١٠٦ دنيا مهدي فوائد الاعظمي ، العلاقات العراقية - الأردنية ١٩٩١ - ٢٠٠٣ دراسة في معطيات التقارب والتكامل ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب والعلوم ، جامعة الشرق الأوسط ، الاردن ، ٢٠١٨ ، ص ٤٠ .

١٠٧ طارق عزيز : ولد عام ١٩٣٦ في محافظة الموصل لعائلة مسيحية من أصل اشوري ، حصل على شهادة البكالوريوس في الإعلام من كلية الآداب جامعة بغداد عام ١٩٥٨ ، هرب عام ١٩٦٣ الى سورية بعد إنقلاب عبد السلام عارف ، عمل في مطبعة البعث بدمشق حتى عام ١٩٦٦ ، عاد الى العراق بعد سيطرة البعث على السلطة عام ١٩٦٨ ، أشرف على تحرير مجلة وعي العمال ، عُين عام ١٩٦٩ رئيساً لتحرير جريدة الثورة العراقية ، في عام ١٩٧٤ تولى منصب نائب رئيس مكتب الثقافة والإعلام القومي ، أُنتخب عضواً في القيادة القطرية لمجلس قيادة الثورة ، بعد تنحي احمد حسن البكر عن رئاسة الجمهورية في عام ١٩٧٩ أصبح نائباً لرئيس الوزراء وزيراً للخارجية عام ١٩٨٢، أصبح نائباً لرئيس الوزراء عام ١٩٩١ بقي بذلك المنصب الى عام ٢٠٠٣ إذ حكم عليه بالإعدام في ٢٦ تشرين الأول ٢٠١٠ . للمزيد ينظر: حسن لطيف الزبيدي ، موسوعة السياسة العراقية ، العارف للمطبوعات ، بيروت ، ٢٠١٣ ، ص ٣٥٤ .

١٠٨ سليمان موسى ، تأريخ الأردن في القرن العشرين ١٩٥٨-١٩٩٥، ج٢، مكتبة المحتسب، عمان، ١٩٩٦، ص ١٣٧-١٣٨، ص ٤٧٩ - ٤٨٠ .

١٠٩ سلام كريم عبد الحسين الشويلي، المصدر السابق، ص ١٥٩ .

١١٠ احمد فاضل، العلاقات الإيرانية - السورية ١٩٩٠ - ٢٠٠٣ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٥ .

١١١ مصطفى الجوني ، ترسيم الحدود اللبنانية السورية الفلسطينية وابعادها السياسية والاقتصادية والعسكرية، دار الحجة البيضاء ، بيروت ، ٢٠٠٧، ص ٢٩٤ .

١١٢ فاروق الشرع، المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

١١٣ للاطلاع على نص وثيقة الوفاق الوطني ينظر: مركز دراسات الوحدة العربية ، يوميات ووثائق الوحدة العربية ١٩٨٩ - ١٩٩٢ ، بيروت ، ، ١٩٩٥ ، ، و ١٠ ، ص ٦٥٧-٦٦٢ .

١١٤ ظافر الحسن ، المصدر السابق . ، مج ٣ ، ص ٥٥-٥٦ .

١١٥ جريدة اليوم ، (الرياض) ، العدد ٥٩٨٣ ، ١٠ تشرين الثاني ١٩٨٩ .

١١٦ كريمة زهدي القصاص ، الاحتلال العراقي للكويت (١٩٩٠-١٩٩١)، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١٦، ص ٤١ .

١١٧ فاروق الشرع، المصدر السابق، ص ٢٠٧ .

١١٨ المصدر نفسه

١١٩ المصدر نفسه.

١٢٠ عادل رضا، التاريخ لا تحركه الصدفة قراءة في فكر الاسد ، دار اخبار اليوم القاهرة، د.ت. ، ص ٣٥٥ .

- ١٢١ فاروق الشرع, المصدر السابق,ص٢٠٧.
- ١٢٢ نهلة محجوب احمد ,حرب الخليج الثانية والعلاقات العراقية الامريكية , رسالة ماجستير غير منشورة ,كلية الاقتصاد والعلوم الاجتماعية -جامعة الخرطوم ,٢٠٠٣,ص٦٣.
- ١٢٣ فاروق الشرع, المصدر السابق,ص٢٠٨-٢٠٩.
- ١٢٤ المصدر نفسة.
- ١٢٥ حسن ابراهيم ,الصراع الدولي في الخليج العربي الغزو العراقي للكويت , عين للدراسات والبحوث الامارات العربية المتحدة,١٩٩٦, ص٩٧.
- ١٢٦ محمد الرميحي ,اصداء حرب الكويت ردود الفعل الدولية على الغزو وما تلاه ,دار الساقى ,بيروت, ١٩٩٤,ص٣٥٥.
- ١٢٧ فتحي محمد الكلوت, اثر العملية السلمية في الشرق الاوسط على العلاقات السياسية المصرية السورية ١٩٧٧-٢٠٠٤, رسالة ماجستير غير منشورة ,كلية الاداب والعلوم الانسانية _جامعة غزة ,٢٠١٢, ص١٠٣؛ فاروق الشرع, المصدر السابق, ص٢٠٧.
- ١٢٨ عباس فنجان صدام, المصدر السابق,ص٧٧؛نهلة محجوب احمد ,المصدر السابق, ص٦٤.
- ١٢٩ دعاء نوري فليح , العلاقات العراقية - السورية ١٩٩٠-٢٠١١, رسالة ماجستير غير منشورة , كلية العلوم السياسية , جامعة بغداد ,١٩٩٧, ص٧٨.
- ١٣٠ فاروق الشرع, المصدر السابق,ص٢١١.
- ١٣١ نهلة محجوب ,المصدر السابق,ص٦٦؛عباس فنجان ,المصدر السابق,ص٧٨.
- ١٣٢ عادل رضا, المصدر السابق,ص٣٧٩.
- ١٣٣ حمد سعيد الشامسي , العلاقات العربية العربية في التاريخ الحديث والمعاصر مجلس التعاون الخليج العربي نموذجاً, أطروحة دكتوراه غير منشورة, كلية العلوم الانسانية-جامعة بيروت العربية,٢٠١٦,ص٢٧٥.
- ١٣٤ جيف سيمونز ,التكامل بالعراق العقوبات والقانون والعدالة ,مركز دراسات الوحدة العربية ,بيروت ,١٩٩٨,ص٢٩٥.
- ١٣٥ فاروق الشرع, المصدر السابق,٢٢٥.
- ١٣٦ فاروق الشرع, المصدر السابق,٢٢٥.
- ١٣٧ المصدر نفسة.
- ١٣٨ المصدر نفسة , ص٢٢٧.
- ١٣٩ مصطفى جوني, المصدر السابق,ص٢٨٧.
- ١٤٠ عادل رضا,المصدر السابق ,ص٤٧٨.
- ١٤١ كمال ديب , تاريخ سوريه المعاصر من الانتداب الفرنسي إلى صيف ٢٠١١,دار النهار ,بيروت ,٢٠١١,ص٦٤٧.
- ١٤٢ ضم اعلان دمشق عدد من المبادئ الهامة ابرزها بناء نظام عربي جديد ينظر لامن القومي العربي بالمفهوم الشامل الذي ليس يعني مجرد وضع الترتيبات الامنية والعسكريه وانما التنسيق السياسي ,و العمل بموجب ميثاق الجامعة العربية والامم المتحدة والمواثيق العربية واحترام وتعزيز الروابط التاريخية وعلاقات حسن الجوار والالتزام باحترام وحدة الاراضي والسلامة الاقليمية والمساواة في السيادة وعدم الاستيلاء على الاراضي بالقوة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول وتضمن تحقيق حل عادل للنزاع العربي الصهيوني للمزيد من التفاصيل ينظر:عادل رضا,المصدر السابق,ص٣٧٩-٣٩٠؛ حمد سعيد الشامسي,المصدر السابق,ص٢٧٥.
- ١٤٣ عادل رضا,المصدر السابق,ص٣٨٠.

- ^{١٤٤} عباس فنجان صدام ،المصدر السابق،ص٧٨.
- ^{١٤٥} فاروق الشرع،المصدر السابق،ص٢٢٨.
- ^{١٤٦} عباس فنجان صدام ،المصدر السابق،ص٧٨.
- ^{١٤٧} جيمس أديسون بيكر: ولد السياسي الأمريكي في ٢٨ أبريل ١٩٣٠ ، وهو سياسي ومحامي ، عمل في منصب رئيس موظفي البيت الأبيض ووزير الخزانة في عهد الرئيس رونالد ريجان ، ثم أصبح وزير الخارجية ورئيس أركان البيت الأبيض وقت إدارة الرئيس جورج بوش الأب، عمل كمبعوث للأمم المتحدة في الصحراء الغربية ، ومستشار لشركة إنرون ، وقام بإدارة الفريق القانوني للرئيس جورج دبليو بوش خلال فرز الأصوات في ولاية فلوريدا بعد الانتخابات عام ٢٠٠٠م ، كما شغل منصب الرئيس المشارك لمجموعة دراسة العراق ، التي كونها الكونجرس لدراسة غزو العراق ، ويعمل بيكر الآن في مشروع العدالة الاجتماعية ومجلس قيادة المناخ ، وأطلق اسمه على معهد جيمس بيكر الثالث للسياسة العامة في جامعة رايس .للمزيد ينظر. سياسية الدبلوماسية ، مذكرات جيمس بيكر ، ترجمة مجيد مهدي شرشر، القاهرة ٢٠٠٢.
- ^{١٤٨} فاروق الشرع،المصدر السابق،ص٢٣٠.
- ^{١٤٩} جيمس بيكر،المصدر السابق،ص٤٠٤.
- ^{١٥٠} المصدر نفسه،ص٢٣٠.
- ^{١٥١} رزان محمد نعمان الريماوي ،المصدر السابق،ص٦٥.
- ^{١٥٢} ايد نوري صبار الراوي، واقع العلاقات السورية -اللبانية وافاقها المستقبلية ١٩٧٦-٢٠٠٣ دراسة سياسية تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية،٢٠٠٦ص٨٨.
- ^{١٥٣} احمد ثابت ، سوريا والازمه فرص المكاسب الإقليمية والدولية ،مجلة السياسة الدولية ، القاهرة العدد ١٠٣ ، ، ١٩٩١ ، ص٥٧، عبد الله التركماني الدور الجديد للنظام السوري في التسوية ، مجله شؤون مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٩٩٤ ، العدد (٢) صفح ١٦ .
- ^{١٥٤} جيرالد رودولف فورد : هو سياسي أمريكي شغل منصب الرئيس الثامن والثلاثين للولايات المتحدة من عام ١٩٧٤ إلى ١٩٧٧ في أعقاب استقالة ريتشارد نيكسون، بسبب فضيحة ووتر غيت العام ١٩٧٤ ، هو أول شخص يتولى منصب نائب الرئيس ثم الرئيس من دون ترشيح وانتخاب. و استخدم صلاحياته الفيدرالية ليمنح عفوا عن كل الجرائم التي ارتكبتها نيكسون في عهده. ، وقد كانت مدة رئاسته من ١٩ اب ١٩٧٤ إلى ٢٠ كانون الثاني ١٩٧٧.للمزيد ينظر: اودو زاوتر ،المصدر السابق،ص٢٧٠-٢٧٤.
- ^{١٥٥} عارف محمد خلف ، السياسة الأمريكية حيال سوريه في ظل الرئيس بشار الأسد ، بحث منشور في مجلة السياسة الدولية ، الجامعة المستنصرية سنة ٢٠٠٦ ،الإصدار الثالث،ص ١٧٨
- ^{١٥٦} فارس تركي محمود ،السياسة الأمريكية تجاه سوريا (١٩٩١ -٢٠٠٥) ، بحث منشور ، مركز الدراسات الإقليمية ، جامعة الموصل العدد (٥) ، ص ١٢ .
- ^{١٥٧} فاروق الشرع ،المصدر السابق،ص٢٣٥-٢٣٦.
- ^{١٥٨} مسعود الخوند ، الموسوعة التاريخية الجغرافية (معالم -وثائق-موضوعات-زعماء)، ج ١، بيروت ، ٢٠٠٥، ص١٣٨.
- ^{١٥٩} وثائق عربية ،مجلة الدراسات الفلسطينية ،العدد ٧ ،صيف ١٩٩١،المجلد ٢،ص٧.
- ^{١٦٠} فاروق الشرع، المصدر السابق،ص٢٣٥-٢٣٦.
- ^{١٦١} مصطفى الجوني، المصدر السابق ، ص ٢٨٨.
- ^{١٦٢} فاروق الشرع، المصدر السابق،ص٢٣٩.

١٦٣ المصدر نفسه.

١٦٤ جيمس بيكر ، المصدر السابق، ص ٦٢.

١٦٥ جريدة الدستور ، العدد ٨٦٢٧ ، ٢٢ تشرين الأول ١٩٩١ .

١٦٦ جريدة الدستور ، العدد ٨٦٢٨ ، ٢٣ تشرين الأول ١٩٩١ .

١٦٧ محمد خليفة ، السلام الفتاك ، سلام اشد هولاً من الحرب ، د. م ، ١٩٩٥ ، ص ٣٧-٣٩ .

١٦٨ هاشم عثمان،المصدر السابق،ص٢٨٨.

169-Carol Migdalovitz, The middle East peace talks, Congressional research service The library of congress, U.S.A, 2006, P8.

١٧٠ رضوان زيادة، المصدر السابق، ص ٢٧٧

١٧١ فارق الشرع، المصدر السابق، ص ٢٥٠

١٧٢ امانى هانى عبد عطا الله، السياسة الاسرائيلية تجاة الصراع في سوريا ٢٠١١-٢٠١٣، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب والعلوم الانسانية - جامعة الازهر غزة، ٢٠١٥، ص ٥١.

١٧٣ وثائق مؤتمر مدريد، مجلة الدراسات الفلسطينية العدد الثامن، المجلد الثاني، خريف، ١٩٩١، ص ١-٥؛ فاروق الشرع، المصدر السابق، ص ٢٥٠

١٧٤ المصدر نفسه.

١٧٥ حاتم خليل احمد السطري، مشاريع التسوية السياسية الرسمية للصراع العربي الاسرائيلي في مجلة شؤون فلسطينية ١٩٧١-١٩٩٣، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب - جامعة الاسلاميه غزة، ٢٠١٦، ص ٢١١.

١٧٦ هاشم عثمان، تاريخ سورية الحديث عهد حافظ الاسد ١٩٧١-٢٠٠٠، رياض الريس للنشر، بيروت، ٢٠١٤ ، ص ٢٩٩-٣٠٠

١٧٧ وثائق مؤتمر مدريد، نص كلمة وزير الخارجية السوري فاروق الشرع في جلسة الردود ١/١١/١٩٩١، المركز اللبناني للبحوث والتوثيق والاعلام، رقم الوثيقة ١١٦، اعداد خليل حسين ، ص ١٣٠.

١٧٨ هاشم عثمان ، تاريخ سورية الحديث عهد حافظ الأسد ١٩٧١ - ٢٠٠٠ ، ط ، بيروت ، دار الرشيد ، ٢٠١٤ رضوان زيادة ، المصدر السابق، ص ٢٨١.

١٧٩ وثائق مؤتمر مدريد، رقم الوثيقة ١١٦، ص ١٣١.

١٨٠ عمرو موسى ، كتابية عمرو موسى الشأن والدبلوماسية ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠١٧، ص ٢٣٠.

١٨١ رضوان زيادة ، المصدر السابق، ص ٢٨٢.

١٨٢ فاروق الشرع، المصدر السابق، ص ٢٥٠

١٨٣ وثائق مؤتمر مدريد، رقم الوثيقة ١١٦ ، ص ١٣١.

١٨٤ الكونت برنادوت : سويدي الاصل سياسي ودبلوماسي دولي عين وسيطا للامم المتحدة بين العرب والصهاينة في ٢٠ ايار ١٩٤٨ بعد انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين واغتالة العصابات الصهيونية لانه عارض بعض الاراضي الفلسطينية الى

الدولة الصهيونية المقترحة في قرار التقسيم الصادر في تشرين الثاني ١٩٤٧، ينظر حاتم خليل احمد السطري، المصدر السابق، ص ١١٢.

١٨٥ محمد منصور أبو ركة، السياسة الخارجية الأردنية تجاه القضية الفلسطينية ١٩٨٢-

١٩٩٤ ، رسالة دكتوراه غير منشورة، القاهرة، معهد البحوث والدارسات العربية، ٢٠١٥ ، ص ١٦٢؛ رضوان زيادة ، المصدر السابق، ص ٢٨٣.

- ١٨٦ موشيه ما عوز , سورية واسرائيل من الحرب الى صناعة السلام , ترجمة لينا وهيب , دار الجليل للنشر , عمان , ١٩٩٧
ص ٢١٨
١٨٧ وثائق مؤتمر مدريد, رقم الوثيقة ١١٦ , ص ١٣١.
- ١٨٨ فاروق الشرع ,المصدر السابق,ص٢٥٢؛رضوان زيادة, المصدر السابق,ص٢٨٣.
- ١٨٩ حاتم خليل احمد السطري ,المصدر السابق, ص٢١٢؛رضوان زيادة, المصدر السابق,ص٢٨٤.
- ١٩٠ المصدر نفسه,ص٢٨٧.
- ١٩١ جورج بكاسيني ,الجولات الضائعة :قصة المفاوضات اللبنانية –الاسرائيلية من مدريد الى واشنطن محاضر ووثائق الفرات للنشر,بيروت,٢٠٠١,ص٢١.
- ١٩٢ وثائق مؤتمر مدريد ,مجلة الدراسات الفلسطينية العدد,الثامن,المجلد الثاني ,خريف,١٩٩١,ص١-٥.
- ١٩٣ رضوان زيادة ,المصدر السابق,ص ٢٩٧.
- ١٩٤ المصدر نفسه.
- ١٩٥ مصطفى جوني,المصدر السابق,ص٢٩٠
- ١٩٦ وثائق مؤتمر مدريد ,مجلة الدراسات الفلسطينية العدد,الثامن,المجلد الثاني ,خريف,١٩٩١,ص١-٥؛
- ١٩٧ حاتم خليل السطري ,المصدر السابق,ص٢٢٧.
- ١٩٨ المصدر نفسه.
- ١٩٩ جريد النهار , بيروت , العدد ١٨٣٤٤٤ , ٢٩ كانون الثاني ١٩٩٢.؛مصطفى جوني,المصدر السابق, ص٢٩٢.
- ٢٠٠ رضوان زيادة , المصدر السابق , ص٣٠٢.
- ٢٠١ بثينة شعبان , عشرة اعوام مع الاسد , ص ١٠٧ .
- ٢٠٢ رضوان زيادة , المصدر السابق , ص٣٠٢.
- ٢٠٣ فاروق الشرع ,المصدر السابق ,ص٢٦٤.
- ٢٠٤ رضوان زيادة,المصدر السابق,ص٣٠٣
- ٢٠٥ المصدر نفسه.
- ٢٠٦ فاروق الشرع ,المصدر السابق,ص٢٦٦.
- ٢٠٧ ادوار دجير جيان :امريكي من اصل ارمني في نيويورك لابوين هاجرا من لبنان وعمل سفيرا في الولايات المتحدة في سوريا والية ترجع جهود تحسين العلاقات الامريكية –السورية بشكل رئيسي وبخاصة انه كان على علاقة حسنة مع الاسد ينظر.رضوان زيادة , المصدر السابق,ص٣٢٧.
- ٢٠٨ رضوان زيادة ,المصدر السابق,ص٣٢٥.
- ٢٠٩ المصدر نفسه , ص٣٢٧.

References

اولا: الوثائق الغير المنشورة

وثائق وزارة الخارجية البريطانية

1-F.O.39\4138,Mr.Tomkys, Confidential Report from B. E in Damascus to F.O, No. 405, 66
-October,1985.

2-F.O.39\4138.Mr.Ferglison, Confidential Report from B. E in Damascus to F.O ,No. 24, 16 March,1985.

ثانيا: الوثائق المنشورة

أ ملف العالم العربي

١- د. د. ع. و , ملف العالم العربي , سورية - سير وتراجم , س-١ / ١٩٠١ .

٢- د.ع, ملف العالم العربي, لبنان -سياسة, ل-٤/١١٠٢

ب يوميات ووثائق الوحدة العربية

١-مركز دراسات الوحدة العربية, يوميات ووثائق الوحدة العربية لعام ١٩٨٢ , بيروت , ١٩٨٣ .

٣-مركز دراسات الوحدة العربية, يوميات ووثائق الوحدة العربية لعام ١٩٨٣ , و٦٦, بيروت, ١٩٨٤ .

٤-مركز دراسات الوحدة العربية, يوميات ووثائق الوحدة العربية, لعام ١٩٨٥ , و٣١, بيروت ١٩٨٦ .

٥-مركز دراسات الوحدة العربية, يوميات ووثائق الوحدة العربية لعام ١٩٨٥ , و١٣٧, بيروت , ١٩٨٦ .

٦-مركز دراسات الوحدة العربية ,يوميات ووثائق الوحدة العربية لعام ١٩٨٩ -١٩٩٢ , بيروت , , ١٩٩٥ .

ج وثائق الحرب اللبنانية

١- وثائق الحرب اللبنانية لعام ١٩٨٦ , يوميات صور وثائق , المركز العربي للأبحاث والتوثيق , بيروت , ١٩٨٧ .

٢-وثائق الحرب اللبنانية لعام ١٩٨٧ , يوميات صور وثائق , المركز العربي للأبحاث والتوثيق , بيروت , ١٩٨٨ .

ح-وزارة الاعلام السورية

١- و. أ. س , دار البعث قسم التوثيق والمعلومات , جريدة السفير , العدد ٤٥٣٢ , ١٣ / ١ / ١٩٨٧ .

٢- و. أ. س , دار البعث قسم التوثيق والمعلومات, العدد جريدة البعث, ٨/٣/١٩٨٧ .

ثالثا: الرسائل والاطاريح الجامعية

١-إبراهيم محمد جبار الويس, حركة أمل ودورها السياسي في لبنان ١٩٧٥ - ١٩٨٩, رسالة ماجستير غير منشوره, كلية التربية للبنات , جامعة البصرة , ٢٠١٤ .

٢-احمد عبد الحسين النصر الله , حزب الله ودوره السياسي في لبنان ١٩٨٢-١٩٨٩, رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الدراسات التاريخية , جامعة البصرة, ٢٠١٠ .

٣-احمد جمعة الحميد , موقف الجمهورية السورية من الحرب الأهلية في لبنان ١٩٧٥-١٩٨٣ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية , جامعة الموصل , ٢٠١٢ .

٤-أحمد فاضل جاسم, العلاقات الإيرانية - السورية ١٩٩٠ - ٢٠٠٣ , أطروحة دكتوراه غير منشورة ,المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية , الجامعة المستنصرية , ٢٠٠٤ .

٥-اسلام محمد عبد ربة , الحرب العراقية-الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨),رسالة ماجستير غير منشورة ,كلية الآداب الجامعة الإسلامية -غزة , ٢٠١٥ ..

- ٦- ايداد نوري صبار الراوي, واقع العلاقات السورية -اللبنانية وافاقها المستقبلية ١٩٧٦-٢٠٠٣ دراسة سياسية تحليلية, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية, ٢٠٠٦.
- ٧- باسم ریحان مغامس الشيمساوي, الموقف السعودي من الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥-١٩٨٩), رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية, جامعة ذي قار, ٢٠١٣.
- ٨- حمد سعيد الشامسي, العلاقات العربية العربية في التاريخ الحديث والمعاصر مجلس التعاون الخليج العربي نموذجا, أطروحة دكتوراه غير منشورة, كلية العلوم الانسانية-جامعة بيروت العربية, ٢٠١٦.
- ٩- حسين علي كردي حمود الجبوري, رفيق الحريري ودوره الاقتصادي والسياسي في لبنان ١٩٤٤ - ٢٠٠٥, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية -جامعة تكريت, ٢٠١١.
- ١٠- دعاء نوري فليح, العلاقات العراقية - السورية ١٩٩٠-٢٠١١, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية العلوم السياسية, جامعة بغداد, ١٩٩٧.
- ١١- دنيا مهدي فوائذ الاعظمي, العلاقات العراقية - الأردنية ١٩٩١ - ٢٠٠٣ دراسة في معطيات التقارب والتكامل, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الآداب والعلوم, جامعة الشرق الأوسط, الاردن, ٢٠١٨.
- ١٢- رؤى وحيد عبد الحسين, عبد الحليم خدام ودوره السياسي في سورية ١٩٣٢-١٩٨٩, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية للعلوم الانسانية, جامعة ذي قار, ٢٠١٧.
- ١٣- رزان محمد نعمان الريماوي, العلاقات الفلسطينية السورية ١٩٨١-٢٠٠٩, كلية الدراسات العليا, جامعة بيرزنت, فلسطين, ٢٠١٩.
- ١٤- زينب حيدر عبد الحسين, الياس سركيس ودوره الاقتصادي والسياسي في لبنان ١٩٢٤-١٩٨٥, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية, جامعة ذي قار, ٢٠١٤, ص ٢١٤.
- ١٥- سلام كريم عبد الحسين الشويلي, العلاقات السياسية السورية . الأردنية (١٩٧٩ . ١٩٩٤), رسالة ماجستير غير منشوره, كلية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة ذي قار, ٢٠١٩, ص ١٥٢.
- ١٦- فتحي محمد الكحلوت, اثر العملية السلمية في الشرق الاوسط على العلاقات السياسية المصرية السورية ١٩٧٧-٢٠٠٤, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الاداب والعلوم الانسانية _جامعة غزة, ٢٠١٢.
- ١٧- فاضل عبدالرحيم عبدالكريم الأسدي, العلاقات الإيرانية السورية ١٩٧٩ - ١٩٨٨, رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب, جامعة البصرة, ٢٠١٣.
- ١٨- فضيلة حسن عبد الحسين الجبوري, حافظ أسد ١٩٧٠ - ١٩٧٣, أطروحة دكتوراه غير منشورة, معهد التاريخ العربي والتراث العلمي, بغداد, ٢٠١١.

- ١٩- فداء يوسف ابو الجزر ,العلاقات الايرانية السعودية وانعكاساتها على دول الجوار العربي ١٩٩٧-٢٠٠٥, كلية الآداب للعلوم الانسانية -جامعة غزة, ٢٠١٤
- ٢٠- كريمة زهدي القصاص, الاحتلال العراقي للكويت (١٩٩٠-١٩٩١), رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الآداب -الجامعة الإسلامية بغزة, ٢٠١٦,
- ٢١- مصطفى جبار جاسم الطائي, العلاقات الإيرانية - السعودية (دراسة في ابرز العوامل والقضايا المؤثرة), رسالة ماجستير غير منشورة, كلية العلوم السياسية -جامعة بغداد , ٢٠٠٥.
- ٢٢- محمد منصور أبو ركة, السياسة الخارجية الأردنية تجاه القضية الفلسطينية ١٩٨٢-١٩٩٤, رسالة دكتوراه غير منشورة, القاهرة, معهد البحوث والدراسات العربية, ٢٠١٥
- ٢٣- نشوان خزعل رشيد يادكار الكاكائي , موقف الجمهورية العربية السورية من الحرب الأهلية في لبنان ١٩٨٢ - ١٩٩٠, رسالة ماجستير غير منشوره, كلية التربية , جامعة تكريت , ٢٠١٢.
- ٢٤- نهلة محجوب احمد ,حرب الخليج الثانية والعلاقات العراقية الامريكية , رسالة ماجستير غير منشورة ,كلية الاقتصاد والعلوم الاجتماعية -جامعة الخرطوم, ٢٠٠٣.
- ٢٥- وفيق صالح ناصر, دور جامعة الدول العربية في ابرز قضايا العرب السياسية من حرب تشرين ١٩٧٣ حتى مشروع اصلاح الجامعة ٢٠٠٣, رسالة ماجستير غير منشورة ,كلية الآداب والعلوم الانسانية, جامعة دمشق, ٢٠٠٦.

ثالثا: الكتب العربية والمعربة

١. أحمد نوري النعمي, السياسة الخارجية الايرانية ١٩٧٩-٢٠١١, دار الجنان للنشر ,الخرطوم ,د.ت .
٢. اودو زاوتر , رؤساء الولايات المتحدة الامريكية من ١٧٨٩ حتى اليوم , دار الحكمة , لندن , ٢٠٠٦
٣. ايلي سالم , الخيارات الصعبة دبلوماسية البحث عن مخرج , ترجمة :ميخايل خوري , ط٤ , شركة المطبوعات للتوزيع والنشر , بيروت , ٢٠٠٣ .
٤. باترك سيل , الاسد الصراع على الشرق الاوسط , ط١١ ,شركة المطبوعات للتوزيع , بيروت , ٢٠١٠ .
٥. بئينة عبدالرحمن التكريتي , جمال عبد الناصر نشأة وتطور الفكر الناصري دراسة تاريخية, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت, ٢٠٠٠.
٦. بشير زين العابدين , الجيش والسياسة في سورية ١٩١٨ - ٢٠٠٠, دار الجابية ,لندن , ٢٠٠٨ .
٧. جورج بكاسيني ,الجولات الضائعة :قصة المفاوضات اللبنانية -الاسرائيلية من مدريد الى واشنطن محاضر ووثائق الفرات للنشر,بيروت, ٢٠٠١.
٨. جيف سيمونز ,التنكيل بالعراق العقوبات والقانون والعدالة ,مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت , ١٩٩٨.
٩. جيمس بيكر , سياسية الدبلوماسية , مذكرات جيمس بيكر , ترجمة مجيد مهدي شرشر , القاهرة ٢٠٠٢.
١٠. حسن ابراهيم ,الصراع الدولي في الخليج العربي الغزو العراقي للكويت , عين للدراسات والبحوث الامارات العربية المتحدة, ١٩٩٦ .
١١. حسن لطيف الزبيدي , موسوعة السياسة العراقية , العارف للمطبوعات , بيروت , ٢٠١٣

١٢. رضوان زيادة، السلام الداني المفاوضات السورية- الإسرائيلية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٥.
١٣. سليمان موسى ، تأريخ الأردن في القرن العشرين ١٩٥٨-١٩٩٥، ج٢، مكتبة المحتسب، عمان، ١٩٩٦، ص١٣٧-١٣٨.
١٤. شريف جويد العلوان ،تسوية كامب ديفيد ومستقبل الصراع العربي الصهيوني ،دار واسط للنشر ،بغداد ،١٩٨٢.
١٥. ظافر الحسن ، الدبلوماسية اللبنانية معايشة شخصية ، المجلد الاول ، الازمة اللبنانية من الشرفة السعودية ١٩٧٨-١٩٨٢، دار النهار، بيروت ، ٢٠١١ .
١٦. عادل رضا، التاريخ لا تحركه الصدفة قراءة في فكر الاسد ،دار اخبار اليوم القاهرة ،ص .د.ت.
١٧. عبد الرؤوف سنو ، حرب لبنان ١٩٧٥-١٩٩٠ تفكك الدولة وتصعد المجتمع ، المجلد الاول، مفارقات السياسة والنزاعات المسلحة والتسوية ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٨ .
١٨. عمر الحضرمي ، العلاقات الأردنية السعودية ، دار مجدلاوي ، عمان ، ٢٠٠٣.
١٩. عبد الله بوحبيب ، الضوء الاصفر السياسة الامريكية تجاه لبنان ، ط٧ ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٧
٢٠. عدنان ابو عودة ،يوميات عدنان ابو عودة ١٩٧٠-١٩٨٨،مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ،بيروت ،٢٠١٨، .
٢١. عمرو موسى ، كتابية عمرو موسى الشأن والدبلوماسية ،دار الشروق ،القاهرة ،٢٠١٧.
٢٢. فاروق الشرع ،مذكرات وشهادات ،المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات ،بيروت،٢٠١٥.
٢٣. كمال ديب ، تاريخ سوريه المعاصر من الانتداب الفرنسي إلى صيف ٢٠١١ ، دار النهار ،بيروت ،٢٠١١.
٢٤. مصطفى الجوني ،ترسيم الحدود اللبنانية السورية الفلسطينية وابعادها السياسية والاقتصادية والعسكرية، دار الحجة البيضاء ،بيروت ،٢٠٠٧.
٢٥. موشيه ما عوز ، سورية واسرائيل من الحرب الى صناعة السلام ، ترجمة لينا وهيب ، دار الجليل للنشر ، عمان ، ١٩٩٧.
٢٦. محمد خليفة ، السلام الفتاك ، سلام اشد هولاً من الحرب ، د٠ م ، ١٩٩٥.
٢٧. نبيل خليفة ، الاستراتيجيات السورية و(الإسرائيلية) والأوربية حيال لبنان ، دار بيبيلوس ، بيروت ، ١٩٩٣.
٢٨. هاشم عثمان ، تاريخ سوريه الحديث عهد حافظ الأسد ١٩٧١ - ٢٠٠٠ ، دار الرشيد ، بيروت ، ، ٢٠١٤.
٢٩. هنري لورنس ، اللعبة الكبرى(الشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية)،ترجمة محمد مخلوف، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، الرياض ، ١٩٩٢،
٣٠. وليم توماس مالميسون وسالي مالميسون ، تحليل لقرارات الأمم المتحدة الرئيسة المتعلقة بقضية فلسطين من وجهة نظر القانون الدولي ، نيويورك ، ١٩٧٩ .
- رابعا:الكتب الإنكليزية:

1-Winston Groom ,Ronald Regan our 40th president , published by the united stated by Regenery public shying , washing ton , 2007.p.1-47.

2-Peter B .Levy , Encyclopedia of the Reagan-Bush years Reen wood publishing , New York , 1996 , p.183.

3-Moshe Maoz , From conflict to peace (Israel's relation with Syria),Middle East 100

Journal, Vol.53 ,No.3 ,1999,p.41.

4-Carol Migdalovitz, The middle East peace talks, Congressional research service The library of congress, U.S.A, 2006, P8.

خامسا: البحوث المنشورة:

١. أحمد ثابت , سوريا والازمه فرص المكاسب الإقليمي والدولية ,مجلة السياسة الدولية , القاهرة العدد ١٠٣ , ١٩٩١ , ص٥٧.
٢. عارف محمد خلف , السياسة الامريكية حيال سوريه في ظل الرئيس بشار الأسد , بحث منشور في مجلة السياسة الدولية , الجامعة المستنصرية , ٢٠٠٦ .
٣. عباس فنجان ابراهيم, العلاقات السعودية السورية بحث منشور-مجلة ابحات البصرة, للعلوم الانسانية, المجلد ٤٣ , ٢٠١٨ .
٤. عبد الله التركماني الدور الجديد للنظام السوري في التسوية , مجله شؤون مجلة السياسة الدولية , العدد ٢ , ١٩٩٤ .
٥. عمار فاضل حمزة ,العلاقات الامريكية اللبنانية وتدايعات احداث الحادي عشر من ايلول ,مجلة ص والقرآن ذي الذكر, العدد الثاني, قسم الدراسات والبحوث في مؤسسة وارث الثقافية .
٦. غايي ابو عتمه , القمه اللبنانية -السورية في عام ١٩٨٧, مجلة الكفاح العربي , العدد ٤٤٥ , بيروت , ١٩ كانون الثاني ١٩٨٧
٧. فارس تركي محمود , السياسة الامريكية تجاه سوريا (١٩٩١ - ٢٠٠٥) , مركز الدراسات الإقليمية , جامعة الموصل العدد (٥) .
٨. فليب ابو عقل, هل تستطيع قمة الجميل الاسد تطويق تطورات الصيف الدراماتيكي ؟, بحث منشور , دمشق, الاسبوع العربي , ١٦ نيسان ١٩٨٤ .
٩. مركز الدراسات الفلسطينية , وثائق مؤتمر مدريد , مجلة الدراسات الفلسطينية العدد, الثامن, المجلد الثاني , خريف, ١٩٩١ .
١٠. ناجي الغريري وشفاء حاتم شلاكة, العلاقة بين العراق وسوريا خلال الحرب العراقية الايرانية ١٩٨٠-١٩٨٨ , بحث منشور ,مجلة كلية الآداب جامعة الكوفة.

سادسا: الدوريات

- ١- جريد الثورة , (دمشق) , العدد ٥٣٩٢ , ١١ أيلول ١٩٨٠ .
- ٢- جريدة النهار(بيروت) , العدد ١٤٥٩٥ , ٨ آيار ١٩٨١ .
- ٣- جريدة الحوادث , (لندن) , العدد ١١٥١ , ١٨ تشرين الأول ١٩٨٥ .
- ٤- جريدة الانوار (بيروت), العدد ٨٧٠٢ , ٧ نيسان ١٩٨٥ .
- ٥- جريد النهار , (بيروت) , العدد ١٨٣٤٤٤ , ٢٩ كانون الثاني ١٩٩٢ .
- ٦- جريدة اليوم , (الرياض) , العدد ٥٩٨٣ , ١٠ تشرين الثاني ١٩٨٩ .
- ٧- صحيفة الراي العام , (الكويت), العدد ٨١٧٦ , في ٢٥ آب ١٩٨٦
- ٨- جريدة الدستور , العدد ٨٦٢٧ , ٢٢ تشرين الأول ١٩٩١ .

سابعا: المجلات

- ١-المستقبل, باريس, العدد ٤٠٩ , ٢٢ / ١٢ / ١٩٨٤ .
- ٢-المستقبل , العدد ٦٣٣ , ٢٨ كانون الثاني ١٩٨٩ .
- ٣-مجلة التضامن , العدد ١٨٥ , ٣١ تشرين الثاني ١٩٨٧ .

ثامنا:المواقع الالكترونية

١-مجلة المعرفة ,على الموقع:

www.marefa.org

٢-علي سعادة ,فاروق الشرع يعاد إلى الحياة.. هل من جديد؟,مجلة عربي,٣ديسمبر٢٠١٧,على الموقع :

<https://arabi21.com/story/1053510>

٣-قناة النهار اللبنانيه, فاروق الشرع من الاسد الى العزل ,٩تموز ٢٠١٥ على الموقع:

<http://tv.annahar.com>

٤-موسوعة الجزيرة ,على الموقع:

<https://www.aljazeera.net>

٥- ناهض حتر, بهدوء | مع فاروق الشرع في مذكراته؛ أولاً: «لغز الأسد» مجلة الاخبار, العدد ٢٥٤٥ الاربعاء ١٨ آذار ٢٠١٥ على الموقع:

<http://www.al-akhbar.com/node/228565>

موقف حكومة الهند البريطانية من نشاط المكتب العربي في بلاد ما بين النهرين ١٩١٦ - ١٩٢٠

أ.م. د. حسام علي محسن
كلية الآداب جامعة ذي قار

تقديم :

يتمحور هذا البحث حول مسألة أساسية غاية في الأهمية، القيت بظلالها على السياسة البريطانية تجاه بلاد ما بين النهرين ، وهي الخلاف الحاد بين المكتب العربي في القاهرة بوصفه مؤسسة استخباراتية بريطانية عنيت بشكل اساسي بشؤون المنطقة العربية ، وتحديد المشرق العربي ، وبين حكومة الهند البريطانية التي عهدت إليها الحكومة المركزية في لندن بإدارة شؤون بلاد ما بين النهرين إبان الاحتلال البريطاني لهذه البلاد ابتداء من عام ١٩١٤ . ان هذا الخلاف نتج من تباين رؤى كل من المكتب العربي وحكومة الهند البريطانية، فبينما كان المكتب العربي يسعى إلى إقامة حكومة عربية في منطقة المشرق العربي تحتل فيها بلاد ما بين النهرين مركز الصدارة ويتزعمها أشرف الحجاز ، كانت حكومة الهند البريطانية على النقيض من ذلك وترى أن الإدارة البريطانية المباشرة لبلاد ما بين النهرين هو الأسلوب الانجع لحكم هذه البلاد فسعت إلى ربطها بالهند وعدت هذه البلاد جزءا من إقليم البنجاب الهندي .

اتخذ هذا الخلاف صورا عديدة ، وتفاقم بمواقف حيث يجب أن يكون لكلا الطرفين رؤية واضحة لمعالجة هذا الموقف او ذلك .

عالج البحث مجموعة هذه المواقف والقى الضوء على أسباب الخلاف ، بدءا من محاولة المكتب العربي استغلال النقمة العربية ضد العثمانيين لإشعال ثورة في العراق ، مروراً بالخلاف الحاد بين الطرفين حول السبل الكفيلة لإنقاذ الحامية البريطانية التي حاصرتها قوات خليل باشا في الكوت عام ١٩١٦ ، ثم عالج البحث الاجراءات المضادة لرؤية المكتب العربي حول مستقبل بلاد ما بين النهرين ، وتناول أيضا موقف الجانبان من بيان الجنرال مود ، وانتهى البحث إلى التركيز على اثر الثورة العربية الكبرى في الحجاز ١٩١٦ على خلافات الجانبين بشأن بلاد ما بين النهرين .

١- سعي المكتب العربي لإشعال ثورة في بلاد ما بين النهرين وموقف حكومة الهند البريطانيّة.
اتسم نشاط المكتب العربي في شؤون بلاد ما بين النهرين بالضعف ، بسبب شكوك حكومة الهند البريطانية ومحاولتها وضع العراقيل والمحددات أمام هذا النشاط ، الذي كان يهدف إلى سحب السيطرة على شؤون بلاد ما بين النهرين منها ، لقد كانت حكومة الهند البريطانية متخوفة من خسارة سلطتها العامة في تلك البلاد . لأن تشجيع المكتب العربي للثورة العربية كان يهدد بقيام دولة عربية على جناح الهند تعترض خطوط مواصلاتها ، وتتضمن أجزاء من بلاد ما بين النهرين ، وهذا ما كانت غير مستعدة لقبوله^(١).

تجلت معارضة حكومة الهند البريطانية لمخططات المكتب العربي في بلاد ما بين النهرين في مناسبات عدة . ففي آذار ١٩١٦ أعدّ كلايتون خطة مع عزيز علي المصري ومحمد شريف الفاروقي للسفر إلى بلاد ما بين النهرين والاتصال بالقبائل العربية الساخطة على

الدولة العثمانية ، والخلايا القومية العربية السرية في الجيش العثماني لتأمين الدعم للجيش البريطاني من أجل تخفيف وطأة الحصار المفروض على القوات البريطانية في الكوت^(٢) .

والواضح ان سبب اختيار المصري وزميله الفاروقي لهذه المهمة ، يعود إلى كونهما من ضباط جمعية العهد ، وترابطهما علاقات وطيدة مع بعض الضباط العراقيين المنتمين لهذه الجمعية ، فضلاً عن ان عزيز المصري سبق له ان تقدم بمقترح إلى مكتب استخبارات القاهرة في آب عام ١٩١٤ ، بتفويض من الإدارة المركزية لجمعية العهد فرع بغداد ، يقضي بدعم بريطانيا لثورة عربية أما في العراق أو في مكان آخر من البلدان العربية تهدف إلى تأسيس حكومة عربية مستقلة عن الدولة العثمانية^(٣) . ومن أجل تنفيذ ذلك ، طلبت الحكومة البريطانية من قواتها في بلاد ما بين النهرين تسهيل مهمة المصري والفاروقي ، لكن رد الجنرال ليك ، القائد العام لحملة ما بين النهرين ، كان مثبطاً لآمال المكتب العربي . ومما جاء فيه : "[...] يبدو لنا من وجهة النظر السياسية ان آراءهما ومخططاتهما السياسية هي بدرجة من التقدم بحيث انها لا تصلح زاداً مأمون العاقبة لسكان الأراضي المحتلة ، كما ان وجودهما في أية مدينة عراقية سيكون برأينا غير مرغوب فيه ومدعاة إلى عدم الارتياح"^(٤) .

ويرى الباحث غسان العطية ان عدم موافقة سلطات الاحتلال في بلاد ما بين النهرين على استقبال المصري والفاروقي ، يرجع إلى ان هذه السلطات كانت تسعى للحوول دون أية محاولة من المكتب العربي للاشتراك في الأحداث التي كانت تجري في بلاد ما بين النهرين^(٥) . وذلك لإدراك هذه السلطات انه يدعم هذا المخطط ، الأمر الذي كانت تعدّه خطيراً بما فيه الكفاية لإحباط أية محاولة منها لضم بلاد ما بين النهرين لحكومة الهند البريطانية . وهو الذي جعل هذه السلطات ترفض مهمة المصري والفاروقي .

٢- الخلاف بين المكتب العربي وحكومة الهند البريطانيّة بشأن حصار الحامية البريطانية في الكوت ١٩١٥

كما شهد شهر نيسان من العام نفسه موقفاً آخراً للخلاف بين المكتب العربي وإدارة حكومة الهند البريطانية في بلاد ما بين النهرين ، عندما عهد اللورد كتشنر ، وزير الحرب البريطاني ، إلى المكتب العربي بمهمة فك الحصار عن القوات البريطانية في الكوت^(٦) . عن طريق الدخول في مفاوضات مع خليل باشا قائد القوة العثمانية التي حاصرت تلك المدينة^(٧) ، وبناءً على ذلك بادر المكتب العربي إلى تكليف ويندهام ديدز ، للقيام بهذه المهمة ، لكونه يجيد اللغة التركية ، ويحتفظ بعلاقات صداقة متينة مع كثير من القادة العثمانيين . غير ان ديدز رفض القيام بذلك لقناعته بان سلطات بلاد ما بين النهرين البريطانية سترفض المهمة ، كما رفضت مهمة عزيز المصري من قبل^(٨) . ثم عهد المكتب العربي بالمهمة إلى جورج لويد ، إلا انه رفضها هو الآخر بسبب جهله في قضايا التفاوض كما أدي^(٩) . بعد ذلك وباقتراح من ويندهام ديدز تم تكليف كل من لورنس^(١٠) واوبري هربرت للقيام بهذه المهمة^(١١) . ولم يكن اختيار هاتين الشخصيتين عشوائياً ، بل ان اوبري هربرت كان دبلوماسياً بارعاً ، ويجيد اللغة التركية ، كما ان لورنس كان يحظى بثقة المكتب العربي بوصفه مفاوضاً بارعاً ، وذو معرفة ثرة بأحوال البلاد العربية^(١٢) . لكنه رأى ان في اختياره سبباً آخر ، وهو قيامه بمهمة مماثلة في مدينة ارضروم حيث وضع قائد القوات الروسية على تماس مباشر مع الضباط العرب المتمردين فيها ، وانه سيفعل الشيء نفسه في الكوت^(١٣) .

من جهة أخرى حاول المكتب العربي استغلال تكليفه الرسمي بهذه المهمة ، لتنفيذ مخططة السابق مع عزيز علي المصري ومحمد شريف الفاروقي ، فأجرى معهما مقابلات عدة بعد أن أضيف اليهما عبد الرحمن الشهبندر ، وأخبر لورنس من قبل ويندهام ديدز في ٢٦ آذار عام ١٩١٦ بأنه تقرر سفر هذه المجموعة إلى بلاد ما بين النهرين ، بعد سفره مباشرة ، وتم أطلاعه بأن عزيز علي المصري ذو تأثير كبير على الضباط العراقيين ، كما أضيف نوري السعيد لهذه المجموعة لكونه يتسم بالاعتدال حسب وجهة نظر ديدز ، وكانت التعليمات

التي صدرت إلى لورنس تقضي بأن يعتمد على عبد الرحمن الشهبندر في التأثير على باقي أعضاء المجموعة المرافقة له ، إذ وصفه كلايتون بالسند الأكبر للمكتب العربي^(١٤) .

وقبل وصول لورنس إلى البصرة ، بعثت رئاسة الأركان الإمبراطورية برقية سرية إلى الجنرال ليك قائد القوات البريطانية في بلاد ما بين النهرين ، في ٢٩ آذار عام ١٩١٦ حملت أوامر تقضي بتسهيل مهمة لورنس ، وتوفير مبلغ مليون جنيه لرشوة القائد العثماني خليل باشا ، فضلاً عن العثور على وسيط من أهالي البصرة لمرافقة لورنس^(١٥) . كما شددت رئاسة الأركان الإمبراطورية على عدم الإفصاح عن رغبة الحكومة البريطانية بتقديم الرشوة ، وان يخبر ضباط حملة بلاد ما بين النهرين ، ان مهمة لورنس واوبري هيربرت هي من أجل الحصول على المعلومات الاستخباراتية ، وبخاصة تجميع الخرائط للمكتب العربي^(١٦) .

وفي الواقع ، إن لورنس كلف بمهام عدة ، ففضلاً عن تقديم الرشوة لخليل باشا ، كلف بالبحث عن إمكانية قيام ثورة عربية في بلاد ما بين النهرين لخلق المتاعب للعثمانيين من أجل تخفيف الضغط عن القوات البريطانية المحاصرة في الكوت^(١٧) . كما سعى المكتب العربي من خلال مهمة لورنس إلى إيجاد نوع من التوافق والانسجام في التخطيط الاستراتيجي البريطاني بين حكومة الهند البريطانية والمكتب العربي^(١٨) .

وصل لورنس إلى البصرة ، التي استقبل فيها من قبل جيروترودوبيل حيث مكث فيها ثلاثة أيام أثمرت عن توطيد علاقته بها^(١٩) . وكتبت في ٩ نيسان عام ١٩١٦ عن لقائها به قائلة : "... لقد دبت بيننا الحياة في هذا الأسبوع بظهور لورنس الذي بعث كضابط اتصال من مصر ، وجرت بيننا أحاديث شيقة ، ووضعنا خطاً هائلة لحكم الكون"^(٢٠) . وإذا كان لورنس نجح فعلاً بالتقرب من المس بيل ، فانه فشل في محاولة التقرب من السير بيرسي كوكس ، فلم يتفق الاثنان على فكرة التحريض على قيام ثورة في بلاد ما بين النهرين ضد القوات العثمانية ، وأبدى كوكس رفضه القاطع لقدم عزيز علي المصري ورفاقه للقيام بتلك المهمة^(٢١) . كما رفض فكرة المكتب العربي بشأن استخدام السيد طالب النقيب، الذي كان منفيًا في الهند ، لقيادة تحرك ثوري عربي ضد العثمانيين^(٢٢) . وكان لورنس يرى في عدم الاستفادة من السيد طالب النقيب في المدة التي تلت الاستيلاء على البصرة خطأً كبيراً نتيجة للنفوذ الكبير الذي كان يمتلكه ، والذي كان بإمكان بريطانيا استغلاله وتسخيره بإعلان ثورة عربية في بلاد ما بين النهرين بالتعاون مع الضباط العرب الموجودين ضمن القوات العثمانية^(٢٣) .

والأهم من ذلك ، ان كوكس رفض بشدة تقديم الرشوة إلى خليل باشا ، وعده عملاً مشيناً لأنه اعتقد ان تقديم المال في مثل هذه الظروف لا يخدم الأهداف التي تعمل بريطانيا على تحقيقها في المنطقة^(٢٤) . وبخاصة ان جهاز الدعاية العثماني كان يصف بريطانيا بـ "أمة أصحاب الدكاكين"^(٢٥) . وكان كوكس يعتقد ان من الأجدى ان تقدم هذه الأموال للقائد المحاصر وقواته ، الأمر الذي بدأ به هو فعلاً عندما طلب من فيلبي القيام بجمع الأموال من السكان لتقديمها إلى الجنرال طاونزند^(٢٦) . وعلى وفق هذه الاعتبارات التي جعلت برسي كوكس يرفض مهمة تقديم الرشوة للعثمانيين . وأكملت مهمة مرافقة لورنس إلى الكولونيل بيچ (Colonel Beach)^(٢٧) . ويظهر ذلك من برقية بعث بها كوكس إلى الأخير في ٧ نيسان عام ١٩١٦ أعلن فيها رفضه التام لتلك المهمة التي أراد المكتب العربي تنفيذها في بلاد ما بين النهرين ، ومما جاء فيها : "[...] من المؤكد جداً ان المشروع المطروح سينكشف عاجلاً أو آجلاً ، خاصة إذا ثبت فشله ، وانا لا استطيع كمسؤول سياسي في حكومة الهند أن اقرن نفسي به"^(٢٨) .

ويبدو ان هذا الخلاف بين كل من برسي كوكس ولورنس تحول إلى خصومة بين الرجلين ، لم تبددها بينهما حتى الوساطة التي قام بها هنري دوبس (Henry Dobbs)^(٢٩) ، وقد فشل الأخير فيها. والواضح ان الرجلين كانا على طرفي نقيض ، فهما يمثلان اتجاهين مختلفين في السياسة البريطانية . الأمر الذي جعل لورنس يتهم كوكس بالجهل في موضوع الجمعيات العربية السرية والسياسات العثمانية^(٣٠) . ويبدو ان هذا الاتهام كان انفعالياً لأن

لورنس في رأي سابق له ذكر ان برسي كوكس من أكثر العاملين في الدائرة السياسية في البصرة منطوية وفهماً للأمور وتقارباً إلى حد ما مع مدرسة القاهرة^(٣١) . غير انه لا يعبر أهمية لاستخدام العرب كوسيلة من وسائل تثبيت النفوذ البريطاني في بلاد ما بين النهرين شأنه في ذلك ، شأن دعاة المدرسة الهندية .

بدأ لورنس تنفيذ خطط المكتب العربي. وهي : " البحث عن وسيط من أهالي البصرة من أجل تسهيل مهمة فك الحصار عن طاونزند " ، حسب ما جاء في نص البرقية المرسلة إلى الجنرال ليك^(٣٢) ،

وعليه التقى بسليمان فيضي^(٣٣) ، ومع التسليم بأمر اللقاء^(٣٤) ، غير أنه ليس ثمة دليل وثائقي عن ما دار خلاله ، ما عدا ما تركه لنا فيضي في مذكراته بأن لورنس طلب منه إعلان " الثورة " ضد الوجود العثماني في بلاد ما بين النهرين ، بقوله : " [...] واني مفوض من الحكومة على إيجاد تلك الثورة وبذل كل ما يلزم من المال وال سلاح وغيرهما للقيام بهذا العمل ، وبالأخص اتخاذ جميع الوسائل والأسباب المقيضة لنجاح ذلك ، وبناءً على اعتمادي على مقدرتك ونشاطك [...] ارجو ان تقوم أنت بترتيب هذه الثورة وان تتصدى لها وتعمل فعلاً على إشغالها وإدارتها "^(٣٥) . وأدعى فيضي أنه رفض ما جاء به لورنس متذرعاً بكونه رجل حضري لا تسنده عشيرة ، ولا زعامة تقليدية ، وانه لم يكن معادياً للعثمانيين . كما ذكر أنه رشح السيد طالب النقيب بديلاً عنه ، غير ان لورنس رفض الاتفاق مع النقيب لمعرفته بالموقف غير الودي لسلطات بلاد ما بين النهرين تجاهه ، الأمر الذي جعل فيضي يشرح أحمد باشا الصانع ، وهو من وجهاء البصرة ، للقيام بهذه المهمة^(٣٦) . غير ان لورنس لم يذكر في التقرير الذي رفعه إلى كلايتون في ٩ نيسان عام ١٩١٦ ما يشير صراحة إلى أمر الثورة أو لقائه بفيضي . ومما كتبه في هذا التقرير : " كنت أتفحص الحزب القومي العربي [...] انه يضم حوالي اثني عشر عضواً ، كان في السابق يتكون من السيد طالب [النقيب] وبعض أتباعه ، أن أهالي البصرة الآخرين هم أما من نجد يهتمون بوسط الجزيرة العربية فقط ويصنفون مع الجزيرة العربية من الناحية السياسية ، أو [فلاحين] من المهتمين بأشجار النخيل أو [إيرانيين] . لا توجد مشاعر عربية "لديهم" وبالنسبة لنا فالمكان يمكن إهماله "^(٣٧) .

وإذا كان لورنس لم يصرح في تقريره بشيء عن أمر الثورة المفترضة ، فما الذي جعل فيضي يقدم على هذا الإدعاء ؟ . لقد ذهب الباحث حميد أحمد حمدان التميمي في معرض إجابته على هذا التساؤل إلى القول ان فيضي فهم ما جاء به لورنس فهماً مبالغاً فيه . فالأخير تعمد الإبهام في مطلبه ، ولم يكن يقصد القيام بثورة شاملة ضد الوجود العثماني بقدر ما كان يقصد ان تقوم هناك حركة من الضباط العرب لتخفيف الضغط على حامية الكوت المحاصرة ، وهذه الحركة كانت بحاجة إلى وسيط^(٣٨) . والواقع ان فكرة القيام بثورة في بلاد ما بين النهرين كانت مدرجة ضمن مهمة بعثة لورنس كما بينا سابقاً ، الا ان اقتناع لورنس بعدم وجود شخصية قادرة على القيام بهذه الثورة جعله يصرف النظر عن الحديث بشأنها ، واقتصر مهمته على البحث عن وسيط يمهد للاتصال بالضباط العرب العاملين في الجيش العثماني بغية فك الحصار عن حامية الكوت . ويظهر من البرقية التي بعث بها الجنرال ليك في ١٦ نيسان عام ١٩١٦ ، ان لورنس فشل أيضاً في إيجاد وسيط مناسب لتحقيق ما جاء من أجله ، وجاء في هذه البرقية : " [...] أجرى لورنس مباحثات سرية مع سليمان [فيضي] [...] كما تحادث مع شخص آخر من حاشية طالب القدماء ، ولكنه وجد ان كليهما متوتر الأعصاب [...] فلاهما ولا أي من أسرى الحرب أو من الذين تركوا الجيش [العثماني] [...] مناسيبين للعمل كوسطاء "^(٣٩) .

ولما لم ينجح لورنس في العثور على "وسيط" مناسب ، قرر التوجه إلى جبهة القتال بنفسه في محاولة مباشرة لفك الحصار عن قوات الجنرال طاونزند عن طريق تقديم الرشوة إلى خليل باشا . وكان الجنرال طاونزند من جانبه قد أرسل رسالة إلى القادة العثمانيين ، في ٢٦ نيسان عام ١٩١٦ ، طلب فيها هدنة لمدة عشرة أيام لغرض بدء المفاوضات بين الجانبين ،

استناداً إلى أوامر تلقاها من الجنرال ليك ، خولته بإجراء المفاوضات . لكنه لم يفلح في إقناع القادة العثمانيين برفع الحصار عن قواته ، على الرغم من عرضه تقديم مبلغ الرشوة المتفق عليه^(٤٠) . وأبلغ الجنرال ليك في البصرة بأن أنور باشا ، وزير الحربية العثماني ، طلب من خليل باشا رفض العرض البريطاني ، والإصرار على استسلام حامية الكوت من دون شروط^(٤١) .

فاقترح الجنرال ليك زيادة المبلغ إلى مليوني جنيه ، مع تقديم عدد من الأسرى العثمانيين مساوياً لعدد أفراد الحامية المحاصرة في الكوت^(٤٢) .

كان لورنس ورفيقه (اوبري هيربرت والكولونيل بيچ) خلال مدة المفاوضات على مقربة من خطوط القتال يراقبون سيرها فتلقى بريقة من قيادة الجنرال ليك في البصرة ، تطلب منه المباشرة بالمفاوضات بدلاً عن الجنرال طاونزند وتقديم العرض الجديد إلى خليل باشا^(٤٣) . ويبدو ان القيادة المذكورة لم تكن على ثقة تامة بلورنس ورفيقه ، على الرغم من ان تكليفهم صدر من وزارة الحرب البريطانية ، لذلك لم تسمح لهم بالمباشرة في المفاوضات ، إلا بعد ان أدركت فشل الجنرال طاونزند بإقناع القادة العثمانيين بشروطه .

ومهما يكن من أمر ، فقد وصل الوفد المفاوضات إلى المواقع العثمانية في ٢٩ نيسان عام ١٩١٦ ، وفي اليوم نفسه اجتمع بخليل باشا ، الذي كان مُمسكاً بجميع الأوراق على حد تعبير لورنس^(٤٤) . فرفض العرض الجديد ، وتمسك باستسلام حامية الكوت دون شروط . عندها أيقن المكتب العربي صلابة خليل باشا فتم تحويل مجرى المفاوضات باتجاه البحث في مصير الأسرى البريطانيين من الجرحى ، ومصير العرب من سكان الكوت ، فضلاً عن مصير الجنرال طاونزند شخصياً^(٤٥) . وفي هذه المسائل الثلاث كان نجاح الوفد المفاوضات محدوداً ، حيث وافق خليل باشا على مبادلة الأسرى البريطانيين من الجرحى ، بأسرى عثمانيين من الأصحاء ، واشترط مبادلة البريطانيين بالأتراك ، والهنود بالعرب ، ثم غير موقفه وأكد على عدم موافقته على دخول الجنود العرب من الأسرى لدى البريطانيين كجزء من شروط التبادل ، لكونه قرر إعدامهم^(٤٦) . وعندما انتقل لورنس للبحث في مصير سكان الكوت ، الذين اظهروا مشاعر الصداقة نحو بريطانيا – على حد قوله – أجابه خليل باشا أن لا نية لديه للتشدد في هذا الأمر ، غير انه لم يلتزم بتعهده فأعدم عدداً من سكان الكوت بعد دخوله المدينة^(٤٧) . ولم يبق لدى الوفد البريطاني غير التأكد من حسن نية معاملة الجنرال طاونزند ، الأمر الذي وافقهم عليه خليل باشا بقوله : " ان الجنرال سيكون بخير " ^(٤٨) .

وبينما كانت المفاوضات مستمرة أصدر طاونزند أوامره بتدمير المدفعية الثقيلة الموجودة في الكوت ، بعدما أدرك ان لا جدوى من المفاوضات وأخذت الأعلام البيضاء ترفع من على خنادق القوات البريطانية ، ودخلت القوات العثمانية إلى الكوت في اليوم نفسه الذي بدأت فيه مفاوضات

أعضاء المكتب العربي مع خليل باشا . وانتهت به أيضاً^(٤٩) .

وعلى الرغم من فشل المكتب العربي في إتمام هذه المهمة ، غير ان ما آلت إليه الأمور فيما بعد صبت في صالحه ، فقد آلت الكارثة العسكرية إلى تغييرات جذرية كان من بينها انتقال سلطة الإشراف العام على حملة بلاد ما بين النهرين من حكومة الهند البريطانية إلى وزارة الحرب في لندن^(٥٠) .

أثبتت بعثة المكتب العربي إلى بلاد ما بين النهرين انها بعثة مدعاة لمزيد من الخلاف ، إذ بذرت بذور الخصومة المرة بينه وبين سلطات الاحتلال البريطاني في تلك البلاد ، إلى درجة أنها " تركت تأثيرات جديده على السياسة البريطانية في الشرق الأوسط " ^(٥١) ، فقد عمل لورنس بشكل دؤوب لعرقلة أي اتصال بين المكتب العربي وحكومة الهند البريطانية ، ولم يعمل جهده لتقريب وجهات النظر والعمل بين الاثنين ، وقد وصف بأنه في مهمته كان " سيء الحظ من البداية إلى النهاية " ^(٥٢) ، وبعد عودته إلى القاهرة في بداية شهر حزيران عام ١٩١٦ أقدم على تقديم تقرير لاذع ، عن رحلته تلك . فصّل فيه ما اعتبره ظروفاً مروعة على جبهة

بلاد ما بين النهرين ، وانتقد بشكلٍ سافر الحملة العسكرية البريطانية ابتداءً من التخطيط "اللوجستي" ، مروراً بشؤون الاستخبارات ، ولم تسلم من انتقاده حتى الأحجار المستعملة في الطباعة الحجرية ، ونظام رسو السفن على الأرصفة النهرية ، وكفاءة الرافعات العاملة في تفرغ السفن ، وأسلوب إدارة سكك الحديد^(٥٣) .

٣- إجراءات حكومة الهند البريطانية لمنع تدخل المكتب العربي في شؤون بلاد ما بين النهرين

وكان من الطبيعي ان تواجه حكومة الهند البريطانية هذا الانتقاد من لندن لورنس بمجموعة من الإجراءات من أبرزها محاولة اللورد شيلمسفورد (Lord Chelmsford) تحديد نشاط فرع المكتب العربي في البصرة ، وبخاصة فيما يتعلق بشؤون الدعاية ، التي اعتبرتها حكومة الهند البريطانية انها دعاية تحريضية ضدها^(٥٤) . فاقترح في ٨ أيار ١٩١٦ ان تكون المس بيل ، هي مراسل المكتب العربي ، بدلاً من الميجور بليكر (Major Blaker) ، كما أوصى بدعم وظيفتها الجديدة من قبل سلطات الاحتلال في بلاد ما بين النهرين^(٥٥) . الأمر الذي حظي بموافقة برسي كوكس - رئيس الضباط السياسيين - ، بعد ان شدّد على ضرورة ان يكون المراسل تحت سيطرته إلى حد ما ، إذا ما رغب بالحصول على المعلومات من مكتبه ، وفسر جورج لويد موقف كوكس هذا بأنه نتيجة للمخاوف التي انتابت حكومة الهند البريطانية من نشاطات المكتب العربي^(٥٦) .

ولم يقتصر هذا الموقف المتشنج على اللورد شيلمسفورد ، بل ان آرثر هيرتزل انتقد نشاطات المكتب العربي ، في اليوم التالي لتوصية اللورد شيلمسفورد ، قائلاً : " [...] موقع المكتب العربي وكل ما يرتبط به غير مرضي [...] ان غضب الجنرالات في بلاد ما بين النهرين من ألعيب المكتب العربي الحمقاء والاستفزازية كانت في درجة الغليان [...] التجربة جعلت من محاولة معالجة شؤون بلاد ما بين النهرين من خلال القاهرة ، بدون استشارة سابقة ، أمراً مرفوضاً"^(٥٧) .

وعلى الرغم من هذه الانتقادات ، واصل المكتب العربي محاولاته للتأثير في شؤون بلاد ما بين النهرين ، فبعث جورج لويد في شهر أيار عام ١٩١٦ ليلتحق بهيئة موظفي برسي كوكس في البصرة ، وبقي فيها أكثر من شهرين . وهناك استلم برقية من حكومة الهند البريطانية طلبت منه ان يصبح مراسل المكتب العربي في البصرة ، غير انه اعتذر عن قبول هذا المنصب ، متذرعاً بقلّة خبرته بالشؤون العربية ، وعدم إجادته للغة العربية ، وعزّز مكانة المس بيل باعتبارها الشخصية المناسبة للقيام بهذا العمل^(٥٨) .

ويبدو ان موقف حكومة الهند هذا ناتج من شكوكها بنشاط المس بيل ، في موقعها الجديد ، لاسيما وانها استعملت هذا الموقع لإيصال المعلومات الاستخباراتية إلى القاهرة ، من دون معرفة سلطات بلاد ما بين النهرين ، عن طريق سفن نقل الجنود لتفادي رقابة الاستخبارات العسكرية لحملة بلاد ما بين النهرين^(٥٩) .

ولما كان جورج لويد قد كلف من قبل المكتب العربي بدراسة الآفاق المستقبلية للتجارة البريطانية في بلاد ما بين النهرين ، استناداً إلى خبرته في هذا المجال^(٦٠) ، فإنه قدم تقريراً إلى المكتب العربي ذكر فيه ان على بريطانيا ان تهيأ نفسها للتنمية الاقتصادية في المنطقة في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى^(٦١) . وأوصى ان يوسع المكتب العربي أنشطته لتصبح نوعاً من متحف حديث للمعرفة الاقتصادية في بلاد ما بين النهرين ، أكثر من أية منطقة أخرى ، وكان من رأيه ان التغلغل الاقتصادي والهيمنة على الأسواق ، هما الكفيلان بالحراك السياسي في المنطقة^(٦٢) . وأكد ان على بريطانيا ان تبدأ بالتخطيط منذ الآن ، عن طريق المصادر الثقافية

المتوافرة في المكتب العربي ، في توفير أفضل السبل ذات الصبغة التجارية لتعزيز مصالحها في هذه المنطقة^(٦٣) .

ان مفهوم جورج لويد لدور المكتب العربي يوضح أولويات الرجل ، فهو لم يكن مهتماً بالشؤون العربية ، بقدر ما كان ، اقتصادياً ، لذلك فإنه وجه نظريه إلى منظور اقتصادي لم يكن ضمن أولويات المكتب العربي ، التي كانت تهدف إلى هزيمة العثمانيين في الحرب ، لذلك عدّ المكتب العربي أفكاره سابقة لأوانها ، وتفاؤله من دون مبرر^(٦٤) .

ولم يهمل جورج لويد توجيه النقد إلى حملة بلاد ما بين النهرين ، فقد كان كسابقه لورنس ناقداً لاذعاً لنظام الاتصالات " السيء " ، والقيادة " الحمقاء " ، وانعدام التجهيز ، فضلاً عن انتقاده لأجواء الفوضى التي تخيم على إجراءات النقل والترحيل^(٦٥) . غير أنه ، على خلاف لورنس ، لم يلق امتعاضاً من سلطات حكومة الهند البريطانية في بلاد ما بين النهرين ، بل على العكس من ذلك ، فإنه حصل على مساندة بعض الشخصيات المؤثرة ، أبرزهم كان أرنولد ولسن الذي قال عن زيارته : "[...] نظر إلى مشكلات بلاد ما بين النهرين نظرة محايدة بعيدة عن التحيز ، ومن دون رغبة في الإدلاء بأراء قاطعة"^(٦٦) . كما اثنت المس بيل على جهوده معتبرة إياها مساعدة قيمة للسلطات البريطانية في بلاد ما بين النهرين^(٦٧) . وكان من نتيجة هذا الموقف الإيجابي اتجاهه ، ان أقدمت حكومة الهند البريطانية على إرسال بعثة تجارية إلى بلاد ما بين النهرين على وفق التوصيات التي قدمها في تقاريره^(٦٨) .

اعتبر المكتب العربي إدارة بلاد ما بين النهرين بأسلوب حكومة الهند البريطانية أمراً خطيراً^(٦٩) . فكتب مارك سايكس ، المعبر عن وجهة النظر السياسية للمكتب ، في عام ١٩١٦ محذراً من ان ترك العمل لحكومة الهند البريطانية ، دونما رقيب ، سيحمل معه الأفكار القديمة عن السود والبيض ، وليس بالإمكان ان يحكم العرب بنهج السود والبيض^(٧٠) .

٤- الخلاف بين المكتب العربي وحكومة الهند البريطانية حول بيان الجنرال مود ١٩١٧ .

وفي الواقع ، فإن هذا الخلاف تبلور بشكل أوضح في البيان الذي أذاعه السير ستانلي مود^(٧١) (Sir F. Stanley Maude) على أهالي بغداد بعد احتلالها ، في ١٩ آذار ١٩١٧ . وكان هذا البيان قد أعدّ من قبل مارك سايكس ، ونشر باسم وزارة الحرب ، بدلاً من بيان برسي كوكس^(٧٢) ، الذي طلبت الحكومة البريطانية عدم إذاعته بانتظار تعليمات جديدة منها^(٧٣) .

كان احتلال بغداد في ١١ آذار ١٩١٧ ، ميداناً جديداً للخلاف بين المكتب العربي وحكومة الهند البريطانية . فالنجاح الذي حققته القوات البريطانية باحتلالها بغداد ، طرح تساؤلاً مهماً عما يجب عمله بالولايات العثمانية التي احتلها الجيش . وكانت حكومة الهند البريطانية تستهدف طوال الوقت ان تكون ولايتا بغداد والبصرة ضمن إطار نفوذها^(٧٤) .

أثار بيان سايكس معارضة سلطات الاحتلال البريطاني لبلاد ما بين النهرين ، فقد اعترض الجنرال مود - رغم إذاعته للبيان - على ما جاء فيه واصفاً إياه بأنه : " لم يكن ضرورياً ، كما أنه غير ملائم من كافة الوجوه "^(٧٥) . على اعتبار ان الأمر الجوهري لسلطات الاحتلال هو إقامة إدارة بريطانية لحفظ الأمن ، ما دامت الحرب مستمرة ، فضلاً عن ان البيان - حسب رأي مود - يعرضه نوعاً من الحكم الذاتي على عرب بغداد لم ينتبه إلى حقيقة أن غالبية سكان المدينة حسب ما زعمه ليسوا عرباً بل يهوداً^(٧٦) . أما أرنولد ولسن فانتقد البيان واصفاً إياه بأنه : " حُرر في لندن من قبل رحالة عاطفي ولم يبحث في فحواه أو محتواه أو في التعابير الواردة فيه "^(٧٧) .

اتفق المكتب العربي مع حكومة الهند البريطانية في معارضتهما لبيان سايكس ، غير أنهما اختلفا في منطلق كل منهما لهذه المعارضة ، ففي الوقت الذي عارضت فيه حكومة الهند البريطانية الإشارات الواردة في البيان والتي تعطي للعرب " وعداً بحكم ذاتي " ، فإن المكتب العربي ، في القاهرة ، عارض البيان لأنه ساوى بين النفوذ البريطاني في بغداد والنفوذ الفرنسي في سورية . إذ قال كلايتون : " ان التصريح يمثل دهاءً سياسياً لطمأنة الشريف

حسين ، غير أنه ليس سوى محاولة لتقييد خطط المكتب العربي الخاصة بسورية^(٧٨) . وكان فيليب كرافيز قد انتقد البيان بقوله : " ان البيان أعطى انطباعاً عاماً غامضاً بأن الحلفاء ينظرون بعين الرضا إلى نوع من الوحدة العربية"^(٧٩) .

وفي شهر حزيران ١٩١٧ افتتح المكتب العربي فرعه الجديد في بغداد ، بعد أن نُقل من البصرة ، لأن بغداد أصبحت قاعدة للسيطرة البريطانية في بلاد ما بين النهرين . وحددت مهام الفرع الجديد بتهيئة الوكلاء للاشتغال خلف خطوط الجيش العثماني استعداداً لهجوم الجنرال النبي على سورية^(٨٠) . والواضح ان اقتصار عمل فرع بغداد للمكتب العربي على الاشتغال في جهود إنجاح حملة النبي على سورية يعطي انطباعاً واضحاً عن مدى المعارضة الهندية لأنشطة المكتب العربي في بلاد ما بين النهرين.

٥- أثر الثورة العربية الكبرى في خلاف المكتب العربي وحكومة الهند بشأن بلاد ما بين النهرين .

وعلى الرغم من هذا التحديد لنشاط المكتب العربي ، غير أنه كان فاعلاً في التأثير على الحكومة البريطانية بشأن الأمور في بلاد ما بين النهرين ، وكان هذا التأثير مرتبطاً بالثورة العربية الكبرى ، والوعود المقدمة إلى الشريف الحسين ، لأن تجاوز تلك الوعود بشكل واضح يعني تراجعاً لعمليات الثورة العربية ، الأمر الذي لم تكن الحكومة البريطانية مستعدة لتحمله . غير ان هذا التأثير بدأ يتلاشى بحلول شهر آب من العام نفسه ، وذلك لسببين الأول يتعلق بنجاح كل من برسي كوكس وارانولد ولسن في إقامة الإدارة المدنية ببغداد ، أما الثاني ، فكان مرده إقدام حكومة روسيا السوفيتية على فضح اتفاقية سايكس-بيكو وما تلى ذلك من نشاط دعائي للحكومة العثمانية بين العرب لحثهم على نبذ التحالف مع بريطانيا^(٨١) .

ونظراً لذلك اقترح الجنرال ونكت ، بدفع من أعضاء المكتب العربي ، إصدار تصريح جديد لطمأنة الشريف الحسين بن علي ، يوضح ان بريطانيا لن تتخلى عن وعودها للعرب ، وانها لن تؤيد احتلالاً دائماً لبلاد ما بين النهرين ، عدا ولاية البصرة ، وان التدخل البريطاني سيكون مقتصرأ على المساعدة والحماية ، لاسيما وان ظروف الحرب تغيرت بانسحاب روسيا منها^(٨٢) ودخول الولايات المتحدة الأمريكية فيها^(٨٣) مما جعل بريطانيا قادرة على التخلي عن اتفاقية سايكس بيكو حسب رأي مارك سايكس الذي كان تواقاً لذلك بعد ان ارتبطت الاتفاقية منذ البداية بأسمه . ومن الجدير بالذكر ان الأمر لم يكن مقتصرأ على سايكس ، بل ان لويد جورج ، رئيس الحكومة البريطانية ، وصف الاتفاقية بانها "اتفاقية سخيفة"^(٨٤) . وأوضح في خطاب له ، في ٥ كانون الثاني عام ١٩١٨ ، ان المناطق العثمانية المختلفة بما فيها بلاد ما بين النهرين: "مؤهلة للاعتراف بكياناتها الوطنية المستقلة"^(٨٥) ويستنتج من ذلك ان لندن باتت لا تميل إلى إلحاق تلك البلاد بحكومة الهند البريطانية^(٨٦) .

من ناحية أخرى نظرت لجنة الشرق الأوسط في مسألة تأثير هذه التطورات الجديدة على سياستها في بلاد ما بين النهرين . ففي ٩ شباط عام ١٩١٨ طلبت اللجنة حضور برسي كوكس إلى القاهرة للتداول بشأن كيفية التوفيق بين السياسة البريطانية تجاه بلاد ما بين النهرين والتطورات الدولية الجديدة ، على ان لا يخرج ذلك عن إطار الإشراف البريطاني على المناطق التي تحتلها^(٨٧) . وغادر كوكس بغداد في ٤ آذار ١٩١٨ ، وعند وصوله إلى السويس بمصر تلقى برقية من الحكومة البريطانية تدعوه للتوجه إلى لندن للتباحث ، غير أنه عقد قبل مغادرته اجتماعاً في ٢٣ آذار عام ١٩١٨ حضره أبرز أعضاء المكتب العربي ومنهم كلايتون ، وهو غارث ، وكورنواليس ، وجاكوب ، ومثل هذا الاجتماع لقاءً مباشراً بين سياسي المكتب العربي وحكومة الهند البريطانية في بلاد ما بين النهرين وقد حصل لأول مرة على هذه المستوى^(٨٨) . ففي ردٍ على سؤال قدمه كلايتون بشأن مدى السيطرة البريطانية على بلاد ما بين النهرين ، أجاب برسي كوكس أن الأمر الجوهرى في هذه السيطرة هي ان تكون سيطرة مالية وإدارية تامة ، تخلو من أية صيغة عثمانية على الإطلاق ، في حال تم الاتفاق على قيام واجهة إدارية عربية^(٨٩) . وهذا يتناقض طبعاً مع الوعود التي منحتها القاهرة للشريف الحسين والتي

كان المكتب العربي يتبناها ، لذلك لم يسفر هذا الاجتماع عن تذليل للخلافات بين الجانبين ، إذ تجددت في اجتماعات اللجنة الشرقية^(٩٠) ، التي كان عليها التعرف على آراء المكتب العربي ، فاستغلت وجود لورنس في لندن ووجهت اليه الدعوة لحضور اجتماعاتها في تشرين الثاني ١٩١٨ ، باعتباره عضواً فاعلاً في المكتب العربي ، فضلاً عن كونه كان أحد أكثر الشخصيات البريطانية خبرة ودراية بالشؤون العربية الأمر الذي يؤهله لتقديم المقترحات التي يراها مناسبة بشأن بلاد ما بين النهرين^(٩١) .

تمحورت اقتراحات لورنس أمام اللجنة الشرقية ، على الأمير فيصل في المقام الأول ، فقد استهل حديثه بقوله ان فيصلاً تعاون تعاوناً وثيقاً في الحرب مع الجنرال اللنبي ، ووصفه بأنه أمين ومستقيم وذو مقدرة كبيرة ، وانه ميال للبريطانيين^(٩٢) . ثم اقترح ضرورة وضع بلاد ما بين النهرين تحت الانتداب البريطاني ، وان تشكل فيها حكومتان ، الأولى هي حكومة بلاد ما بين النهرين العليا ، وتكون تحت حكم الأمير عبد الله ، وحكومة بلاد ما بين النهرين السفلى ، وتكون تحت سلطة الأمير زيد . ويجب ان تكون الحدود بين بلادي ما بين النهرين العليا والسفلى الممتدة من نقطة التقاء نهر الزاب الأعلى بنهر دجلة ، إلى عانه عبر نهر الفرات ، ومنها إلى بيرجك . وسوف يشكل نهر الفرات حداً فاصلاً بين الحكومتين . أما الحدود الشمالية فسوف تمتد خلال اورفة وديار بكر حتى نهر دجلة ، وتكون عاصمتها الموصل ، أو رأس العين^(٩٣) . ودعم هو غارث مقترحات لورنس في مذكرة رفعها إلى اللجنة الشرقية في ١٥ تشرين الثاني ١٩١٨ توصي بفصل العراق الشمالي عن ولايتي بغداد والبصرة ، وان تؤسس دولة في الموصل^(٩٤) .

ومن الواضح ان المقترحات التي قدمها لورنس ، والتوصيات التي رفعها هو غارث كانت رداً على سياسة حكومة الهند البريطانية في بلاد ما بين النهرين ، فضلاً عن انها هدفت إلى إفراغ اتفاقية سايكس- بيكو من مضمونها بمنح ولاية الموصل لبريطانيا^(٩٥) . ومهما كان الهدف من المقترحات ، فانها قوبلت بمعارضة سلطات الاحتلال في بلاد ما بين النهرين ، إذ وجد ارنولد ولسن ، في رسالة إلى اللجنة الشرقية في ٢٠ تشرين الثاني عام ١٩١٨ ، بان مقترحات لورنس عاجزة عن فهم تطورات الأوضاع في بلاد ما بين النهرين . وحذر من انسياق الحكومة البريطانية وراء مشورة المكتب العربي في القاهرة ، والتي نعتها بأنها "مشورة غير عملية مطلقاً"^(٩٦) . وهي عبارة عن "نفاق دبلوماسي"^(٩٧) . وذهب ولسن إلى ابعاد من هذا بقوله ، ان قدوم أبناء الشريف الحسين لحكم بلاد ما بين النهرين ليس من مصلحة بريطانيا ولا من مصلحة أهالي البلاد . وان تقسيم العراق إلى شمالي وجنوبي لا تجيزه الأحوال الاقتصادية والسياسية السائدة في البلاد ، حيث ان ولايات الموصل وبغداد والبصرة كلها كانت بالأساس وحدة واحدة ، ويجب ان تدار من الحكومة البريطانية بشكل مباشر^(٩٨) . كما أوصى بالأخذ بمشروع برسي كوكس الذي قدمه في ١٥ نيسان عام ١٩١٨ أمام اللجنة الشرقية^(٩٩) .

واللافت للنظر ان مقترحات المكتب العربي لم تلق رواجاً لدى اللجنة الشرقية ، مما اضطره إلى تعديلها بترك فكرة الدولتين ، وتوحيد بلاد ما بين النهرين الشمالية والجنوبية في دولة واحدة يكون على رأسها أمير هاشمي . لكن ارنولد ولسن عارض ذلك بشدة أيضاً^(١٠٠) ، متذرعاً بأن سكان بلاد ما بين النهرين لا يفضلون أميراً هاشمياً ، كما جوبه هذا المقترح بمعارضة ارثر هيرتزل ، الوكيل المساعد لوزارة شؤون الهند ، بحجة انه يرضي الهاشميين على حساب المصالح البريطانية^(١٠١) .

وعلى أثر هذا الشد والجذب بين المكتب العربي وحكومة الهند البريطانية ، فإن الحكومة البريطانية لم تلزم نفسها بسياسة معينة تجاه بلاد ما بين النهرين ، غير ان اندلاع ثورة ١٩٢٠ فيها أعطت بريطانيا أسباباً وجيهة لإعادة النظر في سياستها السابقة ، تلك السياسة التي لم يكن للمكتب العربي دور فيها ، فلم يعر اهتماماً كافياً للثورة في بلاد ما بين النهرين على حد قول ارنست مين^(١٠٢) (Ernest Main).

إلا أن ما آلت إليه هذه الثورة من نتائج، ولاسيما التكاليف المادية الباهظة لمكافحتها في وقت كانت فيه لندن تعاني من مشاكل مالية جمة فرضتها طبيعة التزامات بريطانيا بالحرب ، جعل بريطانيا تميل إلى رؤية المكتب العربي حول العراق وتستبعد بشكل تام رؤية حكومة الهند ، وهذا ما تجلّى بنقل الإشراف على شؤون العراق من وزارة شؤون الهند إلى وزارة المستعمرات الأمر الذي افضى إلى عقد مؤتمر القاهرة عام ١٩٢١ والموافقة على تنصيب الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق .

الهوامش:

1- (1)Elizabeth Monroe , Philby of Arabia , (London : Faber and Faber , 1973) , P.47 ; Bruce Westrate , Arab Bureau : British Policy in the Middle East 1916-1920 , (U.S.A. , Pennsylvania Stats University press , 1992) , p.81.

(٢) حميد أحمد حمدان التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤ - ١٩٢١ ، (بغداد : مطبعة الارشاد ١٩٧٩) ، ص ٥٦٣ .

(٣) غسان العطية ، العراق نشأة الدولة ١٩٠٨-١٩٢١ ، ترجمة : عطا عبد الوهاب ، (لندن : دار اللام ، ١٩٨٨) ، ص ١٣٨ . ومن الجدير بالذكر ان مكتب استخبارات القاهرة كان تحت إدارة كلايتون ، الذي أصبح فيما بعد مديراً للمكتب العربي لذلك أخذ على عاتقه تنفيذ مقترح المصري . وللمزيد من التفاصيل عن اتصالات المصري المبكرة بالبريطانيين . ينظر : زينب خالد حسين الساعدي، المصدر السابق ، ص ١٠٩-١٢٧ .

(٤) نقلاً عن : المصدر نفسه ، ص ١٤٠ .

(٥) غسان العطية ، المصدر السابق ، ص ١٤٠ .

(٦) حوصرت الحامية البريطانية في الكوت لمدة خمسة أشهر ابتداءً من كانون الأول عام ١٩١٥ حتى أواخر نيسان عام ١٩١٦ . وكانت القوات البريطانية بقيادة الجنرال تشارلس طاونزند (General C. Townshend) قد اضطرت إلى الانسحاب إلى الكوت بعد هزيمتها في معركة سلمان باك ، في طريق تقدمها لاحتلال بغداد . للتفاصيل ينظر :

F. W. G. Sandes , In Kut and Captivity (London : N. P , 1919) ; Ronald Miller , Kut : The death of An Army (London : Seckerand Warbury , 1969) .

(٧) قدم اقتراح الدخول في المفاوضات من قبل الجنرال طاونزند على أساس " الوعد الصادق " ، على ان تغادر القوة المحاصرة ميدان القتال وتتعهد بان لا تحارب العثمانيين حتى نهاية الحرب ، مقابل التنازل عن الأسلحة الثقيلة وتقديم مبلغ مليون جنيه ذهبي زيدت فيما بعد إلى مليوني جنيه . ينظر : حميد أحمد حمدان التميمي ، المصدر السابق ، ص ٥٦٤ .

(8)Bruce Westrate , Op. Cit. , P.88 .

(9)John Presland , Op. Cit. , P.251 .

(١٠) عندما كلف لورنس بهذه المهمة ، لم يكن ضمن كادر المكتب العربي بشكل رسمي ، بل كان يعمل ضمن طاقم مكتب استخبارات القاهرة ، في قسم الخرائط . ينظر : Bruce Westrate , Op. Cit. , P.88 .

(11)John Presland , Op. Cit. , P.251 .

(١٢) حسام علي محسن المدامغة ، لورنس والقضية العربية ١٨٨٨ - ١٩٣٥ ، (دمشق دار الأوائل للنشر والخدمات الطباعة ،

(١٣) فيليب نايتلي وكولن سمبسون، المخفي من حياة لورنس العرب ، ترجمة : ايلي لاوند وابراهيم العابد ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧١ ص ٥٢ . ومن الجدير بالذكر ان لورنس صرح بذلك لكاتب سيرته ليدل هارت (Liddle Hart) بقوله : " لقد وضعت الغرنادوق نيقولاس (Grand Duke Nicholas) [قائد القوات الروسية] على تماس مع بعض الضباط العرب المتمردين في ارضروم [...] لذلك ، فأن مجلس الحرب اعتقد بأنني سأفعل الشيء نفسه في بلاد الرافدين . ينظر : Ronald Miller , Kut : The death of An Army , (London : Secker and Warbury , 1969), P.252 . (١٤) باسل سليمان فيضي (تحقيق وتقديم) ، مذكرات سليمان فيضي من رواد النهضة العربية في العراق ، (بغداد : مطبعة الأديب البغدادية المحدودة ، ٢٠٠٠) ؛ سليمان موسى ، الحركة العربية ... ، ص ١٦٦ .

(١٥) فيليب نايتلي وكولن سمبسون ، المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(16) Briton Cooper Busch , Britain , India , and the Arabs 1914-1921 , (Berkeley : University of California press , 1971). , P.102 .

(١٧) بوندرافسكي ، سياستان إزاء العالم العربي ، ترجمة : خيرى الضامن ، (موسكو : دار التقدم ، ١٩٧٥) ، ص ٨٥ ؛ وميض جمال عمر نظمي ، ثورة ١٩٢٠ : الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية الاستقلالية في العراق ، ط ٢ ، (بغداد : المكتبة العالمية ، ١٩٨٥) ، ص ١١٠ .

(18) Lady Francis Bell , Op. Cit. , Vol.1 , P.372 ;

(19) Malcolm Brawn , Op. Cit. , P.83 .

(٢٠) نقلاً عن : ريتشارد الدنجتون ، لورانس في البلاد العربية ، ترجمة: محمد عزت موسى ، (القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٦) ، ص ١٥٢ .

(21) T. N. A. , F.O. , 882/15 , PNA 16/2 , Lawrence to Intrusive , 8 April 1916 ;

سليمان موسى ، الحركة العربية سيرة المرحلة الاولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨-١٩١٤ ، (بيروت دار النهار للنشر ، ١٩٧٠) ، ص ١٦٦-١٦٧ .

(22) Briton Cooper Busch , Op. Cit. , P.124 ;

حميد أحمد حمدان التميمي ، المصدر السابق ، ص ٥٦٧-٥٦٨ .

(23) Elizabeth Monroe , Philpy of Arabia , (London : Faber and Faber , 1973), P.52 .

(24) H. V. F. Winston , Gertrude Bell , P. 176 ;

وينظر أيضاً : حميد أحمد حمدان التميمي ، المصدر السابق ، ص ٥٦٤-٥٦٥ ؛ منتهى عذاب ذويب برسي كوكس ودوره في السياسة العراقية ، ريادة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٥ ، ص ٧٢ .

(25) Briton Cooper Busch , Op. Cit. , P.103 .

(٢٦) سحر عباس خضير ، المصدر السابق ، ص ٥١ .

(27) Philpe Graves , The Life of Sir Percy Cox , (London : N. P. , 1941) , P.199

حميد أحمد حمدان التميمي ، المصدر السابق ، ص ٥٦٤-٥٦٥ .

(28) Quoted in : T. N. A. , F.O. 882/15 , PNA 16/2 , Lawrence to Intrusive , 8 April 1916 ; Philpe Graves , Op. Cit. , P. 200-201 ;

باسل سليمان فيضي ، المصدر السابق ، ص ٢١٨ .

(٢٩) هنري كونوي روبرت دويس (١٨٧١-١٩٣٤) : ولد بلندن ، وتلقى تعليمه بجامعة أكسفورد ، دخل الحياة العملية

سكرتيراً في حكومة الهند البريطانية للمدة من ١٨٩٦ حتى عام ١٩١٤ ، شارك في الحملة البريطانية على بلاد ما بين النهرين وأشرف على شؤون الواردات ، والتعليم ، والأوقاف . تولى منصب المندوب السامي للعراق عام ١٩٢٣ حتى عام ١٩٢٩ . للتفاصيل ينظر : انعام علي مهدي سلمان ، أثر هنري دويس في السياسة العراقية ١٩٢٣-١٩٢٩ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٧ ؛ وكذلك بشأن وساطة هنري دويس في الخصومة بين لورنس وبرسي كوكس ينظر : المصدر نفسه ، ص ٣١ .

(٣٠) حسام علي محسن المدامغة ، المصدر السابق ، ص ٥٠ .

(٣١) حميد أحمد حمدان التميمي ، المصدر السابق ، ص ٥٦٧ .

(٣٢) باسل سليمان فيضي ، المصدر السابق ، ص ٢٢٩ .

(٣٣) سليمان فيضي (١٨٨٥-١٩٥١) : حقوقي وأديب ولد بالموصل ، وتعلم بالأعدادية العسكرية ببغداد ، أصدر جريدة الايقاظ في البصرة عام ١٩٠٩ ، وانتخب عام ١٩١٤ نائباً عن البصرة في مجلس المبعوثان العثماني ثم عمل مدرساً في مدرسة الحقوق ببغداد للمدة من ١٩٢٠ إلى ١٩٢٢ . وفي عام ١٩٣٥ أصبح عضواً في محكمة استئناف بغداد ، ثم نائباً عن البصرة في مجلس النواب العراقي . للتفاصيل ينظر : خولة طالب لفته ، سليمان فيضي ودوره السياسي والثقافي والاجتماعي في العراق ١٨٨٥-١٩٥١ ، (بغداد : مطبعة الأديب ، ٢٠٠٣) .

(٣٤) نشرت الباحثة خولة طالب لفته أمر استدعاء سليمان فيضي إلى دائرة الاستخبارات العسكرية في العشار ، وكان ذلك عام ١٩٩٨ في رسالتها للماجستير عن سليمان فيضي . ينظر : المصدر السابق ، ص ٢٧٧-٢٧٨ ، والملحقان ٤ و ٥ . ثم نشر باسل سليمان فيضي الوثيقة نفسها التي نشرتها الباحثة أعلاه في تحقيقه لمذكرات والده عام ٢٠٠٠ . ينظر : المصدر السابق ، ص ٢٣٦-٢٣٩ .

(٣٥) نقلاً عن : باسل سليمان فيضي ، المصدر السابق ، ص ٢٢٩ .

(٣٦) المصدر نفسه .

(٣٧) نقلاً عن : المصدر نفسه ، ص ٢١٩ .

(٣٨) باسل سليمان فيضي ، المصدر السابق ، ص ٥٧٠ .

(٣٩) نقلاً عن : المصدر نفسه ، ص ٢١٩ .

(٤٠) ارندل تي ولسن ، بلاد ما بين النهرين بين ولائتين ، ط ٢ ، تعريب : فؤاد جميل ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩١) ، الجزء الأول ، ص ٢٠٩ .

(٤١) ارندل تي ولسن ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٩ ؛ Peter Hopkirk , Like Hidden Fire : The Plot to Bring Down The British Empire (London : John Murray , 1994) , P.215

(42) Briton Cooper Busch , Op. Cit. , P.102-105 ; Russell Braddon , Op. Cit. , P.250 ;

سليم طه التكريتي ، استسلام الحامية الانكليزية في الكوت، آفاق عربية ، بغداد ، العدد الثالث ، تشرين الثاني ١٩٧٧ ، ص ٥٣ .

(43) Peter Hopkirk , Op. Cit. , P.216 ;

حسام علي محسن المدامغة ، المصدر السابق ، ص ٥٤ .

(44) Malcolm Brawn , Op. Cit. , P.83 .

(45) Ronald Miller , Op. Cit. , P.276 .

(46) Ibid .

(٤٧) عبد المنعم الناصر ، المصدر السابق ، ص ٢٨ .

ويورد جعفر الخياط في إحدى توضيحاته على كتاب فصول من تاريخ العراق القريب للمس بيل ، قائمة طويلة باسماء من أعدمهم خليل باشا من أهالي الكوت . ينظر : المصدر المذكور ، (بيروت : د.ن ، ١٩٧١) ، ص ١٠١-١٠٢ .
(48)Quoted in : Ronald Miller , Op. Cit. , P.276 .

(٤٩) حسام علي محسن المدامغة ، المصدر السابق ، ص ٥٥ .
(٥٠) كاظم هاشم نعمه ، فيصل الأول والانكليز والاستقلال ، ط ٢ (بيروت : الدار العربية للموسوعات ، ١٩٨٨) ، ص ١٦ .
(51)Hubert Young , The Independent Arab , (London : Jhon Murray , N.D) . , P.72
(52)Ronald Miller , Op. Cit. , P.276 .

(٥٣) عبد المنعم الناصر ، المصدر السابق ، ص ٢٨ .
(54)Bruce Westrate , Op. Cit. , P.89 .

(55)H. V. F. , Winston , Gertrude Bell , P.176 .

(56)Ibid. , P.178 .

(57)H. V. F. , Winston , Gertrude Bell , P.177 .

(58)Bruce Westrate , Op. Cit. , P.90.

(59)T. N. A. , F. O 882/13 , MES 16/6 , Bell to Hogarth , 20 My 1916 ;

وكان من نتيجة الشكوك ان عمد برسي كوكس في شهر أيلول ١٩١٦ إلى نقل المس بيل للعمل في المكتب السياسي بصفة " مساعد ضابط سياسي " . وكانت بيل ترى ان منحها هذا المنصب كان بدافع إحكام السيطرة على نشاطاتها . ينظر : اليزابيث برغوين ، جيرتروودبيل : من أوراقها الشخصية ١٩١٤-١٩٢٦ ، ترجمة : نيمير عباس مظفر ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠٢) ، ص ١١٦ .

(60)Jhon Charmley , Lord Lioyd and the decline of the British Empire , (London : Weidefeld and Nicolson , 1986), Op. Cit. , P.16;

(61)Bruce Westrate , Op. Cit. , P.86.

(62)Ibid. , P. 88 .

(63)T. N. A. , F. O. 882/6 , HRG 16/8 , Report by George Lloyd , 1916 , P.3 .

(64)Bruce Westrate , Op. Cit. , P.88.

(٦٥) اليزابيث برغوين ، المصدر السابق ، ص ٨٤ .

(٦٦) نقلاً عن : ارند تي ولسن ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ٣٠٧ .

(67)John Sharmely , Op. Cit. , P.53.

(٦٨) ارند تي ولسن ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ٣٠٧ .

(٦٩) ديفيد فرومكين ، سلام م ابعده سلام : ولادة الشرق الأوسط ١٩١٤ - ١٩٢٢ ، ترجمة : اسعد كامل الياس ، (بيروت : دار رياض الريس للكتب والنشر ، ١٩٩٢) ، ص ٣٤١ .

(٧٠) المصدر نفسه ، ص ٣٤١-٣٤٢ .

(٧١) ستانلي مود (١٨٦٤-١٩١٧) : قائد عام بريطاني في بلاد ما بين النهرين للمدة من ١٩١٦-١٩١٧ ، اختير من قبل رئيس هيئة الأركان العامة الإمبراطورية كقائد للقوات البريطانية في بلاد ما بين النهرين في آب عام ١٩١٦ لتفادي إحراج القوات البريطانية في الكوت . توفي في ١٨ تشرين الثاني عام ١٩١٧ نتيجة لإصابته بمرض الهيضة (الكوليرا)

. ينظر :

J. M. Bourne , Op. Cit. , P. 199 .

(٧٢) للاطلاع على نصي بياني مارك سايكس وبرسي كوكس ينظر : حميد أحمد حمدان التميمي ، المصدر السابق ، ص ٥٧٦-٥٧٨ .

(73) Briton Cooper Busch , Op. Cit. , P.136 ;

حميد أحمد حمدان التميمي ، المصدر السابق ، ص ٥٧٦ .

(٧٤) يلاحظ ان حكومة الهند البريطانية كانت تخطط لذلك حتى قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى ففي آذار عام ١٩١٤ كتب ارنولد ولسن مبيناً ضرورة ضم بلاد ما بين النهرين بوصفها مستعمرة لحكومة الهند البريطانية ، لكي تقوم بإدراتها وزراعة سهولها الواسعة بالتدريج وتوطين أجناس من سكان البنجاب المحاربين فيها ، ونظراً لذلك أقدمت تلك الحكومة ايضاً على إصدار قانون المناطق العراقية المحتلة في ١ آب عام ١٩١٥ (Iraq Occupied Territorien Code) ، كما أدخلت العملة الهندية "الروبية" في التعاملات الاقتصادية ، واستخدمت نظام للشرطة على غرار ما مطبق في الهند ، كما وضعت نظام دعاوى العشرات الجزائية والمدنية في شباط عام ١٩١٦ والذي كتبه هنري دويس. ينظر : ابراهيم خليل العلاف ، ثورة ١٩٢٠ الوطنية القومية في العراق ، بحث منشور في كتاب : المفصل في تاريخ العراق ، (بغداد : بيت الحكمة ، ٢٠٠٢) ، ص ١٩٣ ، ١٨٥-١٨٧ ؛ فاضل الربيعي ، ما بعد الاستشراق : الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونياليات البيضاء (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٧) ، ص ٦٩ .

(٧٥) حميد أحمد حمدان التميمي ، المصدر السابق ، ص ٥٧٨ .

(٧٦) ديفيد فرومكين ، المصدر السابق ، ص ٣٤٢ .

(٧٧) ارنلدي ولسن ، المصدر السابق ، الجزء الثاني ، ص ٣٣ .

(78) Bruce Westrate , Op. Cit. , P.155.

(79) Philpe Graves , Op. Cit. , P.218 ;

غسان العطية ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

(80) T. N. A. , F. O 882/18 , Tu 17/5 , Telegram from Arbur Cairo to Arbur Baghdad , No.975 , 16 July 1917.

(٨١) غسان العطية ، المصدر السابق ، ص ٢١٢ .

(٨٢) في شباط عام ١٩١٧ سقط النظام القيصري في روسيا بسبب فشله في إدارة الحرب ، وألغت حكومة مؤقتة فيها برئاسة كيرنسكي ، لكنها قررت الاستمرار في الحرب إلى جانب دول "الوقاق الودي" ، لهذا ساعد الألمان لينين من أجل العودة إلى روسيا ، وكان الأخير من الداعين لإنهاء الحرب ، وتمكن في ٢٦ تشرين الأول عام ١٩١٧ من إسقاط الحكومة المؤقتة ، وفي اليوم نفسه أعلن مرسوم السلام الذي دعا فيه الحكومات والشعوب إلى سلام عادل ، وفي آذار عام ١٩١٨ ، وعلى الرغم من عدم استجابة الحلفاء لدعوته وقعت حكومته اتفاقية بريست ليتوفسك مع ألمانيا ، وخرجت بذلك روسيا السوفيتية من الحرب . للمزيد من التفاصيل ينظر : جورج سكولوف ، روسيا بين ١٨١٥-١٩٩١ ، ترجمة : انطوان حمصي ، (دمشق : منشورات وزارة الثقافة ، ١٩٩٩) ، الجزء الأول ، القسم الثاني ، ص ٣١٦-٣٢٩ .

(٨٣) اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية موقف الحياد من الحرب العالمية الأولى حتى نيسان عام ١٩١٧ حينما قررت الدخول فيها مدفوعة بأسباب عدة منها أقدام الحكومة الألمانية على استئناف حرب الغواصات في كانون الثاني عام ١٩١٧ ، واندلاع الثورة الروسية في آذار من العام نفسه مما نتج عنها انسحاب موسكو من الحرب . للتفاصيل ينظر : رياض الصمد ، المصدر السابق ، ص ٥٢-٥٥ .

(٨٤) نقلاً عن : غسان العطية ، المصدر السابق ، ص ٢١٥-٢١٦ .

(٨٥) نقلاً عن : المصدر نفسه ، ص ٢١٦ .

(٨٦) حميد أحمد حمدان التميمي ، المصدر السابق ، ص ٥٩٠ .

(٨٧) غسان العطية ، المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

(٨٨) حميد أحمد حمدان التميمي ، المصدر السابق ، ص ٥٩٢-٥٩٣ .

(89) Philpe Graves , Op. Cit. , P.239 ; Briton Cooper Busch , Op. Cit. , P. 156 ;

منتهى عذاب ذويب ، المصدر السابق ، ص ١١٤ .

(٩٠) اللجنة الشرقية : هي نتاج دمج أكثر من لجنة كانت الحكومة البريطانية قد ألفتها ، مثل اللجنة الإدارية لبلاد ما بين

النهرين ، التي دمجت مع لجنة وزارة الخارجية المعنية بشؤون روسيا ، واللجنة البيدائية (Interdepartmental

Committee) المشتركة المعنية بشؤون إيران . وتمت عملية الدمج هذه في شهر آذار عام ١٩١٨ تحت اسم اللجنة

الشرقية (Eastern Committee) ، وعهد برئاستها إلى اللورد كرزن . ينظر : حميد أحمد حمدان التميمي ، المصدر

السابق ، ص ٢٣٧ .

(٩١) حسام علي محسن المدامغة ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

(92) Timothy J. Paris , Britain , The Hashmites and Arab Rule 1920-1925 : The Sherifian Solution , (London : Frank Cass , 2003) .. , P.52 .

(93) T. N. A. , F. O. 371/4178 , 3503 , Telegram from Political Baghdad to Secerary of State for India , No. 10250 , 18 November 1918 ;

وكان لورنس قد وضع هذه المقترحات على خارطة قدمت إلى اللجنة الشرقية ، وقد حفظت في المتحف الحربي البريطاني

ولم يفرج عنها الا في عام ٢٠٠٦ . ينظر الملحق رقم (١٢) .

(٩٤) غسان العطية ، المصدر السابق ، ص ٢٢٥-٢٢٦ .

(٩٥) كاظم هاشم نعمة ، المصدر السابق ، ص ٨٠ .

(96) ارند تي ولسن ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ٣٥٤-٣٥٧ ؛ حسام علي محسن المدامغة ، المصدر السابق ،

؛ Briton Cooper Busch , Op. Cit. , P. 158 ، ص ١٣٦ ؛

(97) Ernest Main , Op. Cit. , P.63 .

(٩٨) غسان العطية ، المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

(٩٩) نصت المذكرة على تشكيل حكومة تدار من قبل المندوب السامي البريطاني ، بمساعدة مجلس وزراء يتكون نصفه من

العراقيين ، والنصف الآخر من البريطانيين مع انتخاب هيئة استشارية مكونة من بعض الشخصيات العراقية المرموقة تكون مهمتها

تقديم المساعدة للحكومة المقترحة . ينظر :

T. N. A. , F. O. 371/4148 , 4363 , Eastern Committee , Secret Miuntes of a meeting held at 1 , 27 November 1918 ;

وللمزيد من التفاصيل عن مذكرة برسي كوكس إلى اللجنة الشرقية والتي كانت بعنوان : "مستقبل بلاد ما بين النهرين" . ينظر

: حميد أحمد حمدان التميمي ، المصدر السابق ، ص ٥٩٤-٥٩٨ .

(١٠٠) كاظم هاشم نعمة ، المصدر السابق ، ص ٥٠ ؛ ومن الجدير بالذكر ان هذا الموقف تغير في المدة التالية ، فقد

أيد ولسن ترشيح الملك فيصل لعرش العراق ، وبرر موقفه هذا بأن بقاء فيصل في درعا ، بعد خروجه من سورية ،

سيثير اضطرابات مستمرة ضد الفرنسيين ، فضلاً عن معارضته تنصيب الأمير عبد الله لعرش العراق . ينظر : نجدة

فتحي صفوت ، عرش يبحث عن ملك ، آفاق عربية ، بغداد ، العدد الثاني عشر ، آب ١٩٧٨ ، ص ١٤-١٥ .

(١٠١) كاظم هاشم نعمة ، المصدر السابق ، ص ٥٠ .

(102) Op. Cit. , P.63 .

اجتماعية اللغة دراسة في رواية أفرح القبة لنجيب محفوظ

أ.م. د. محمد عبد كاظم
جامعة البصرة

Summary

The sociology of language represents a systematic approach that focuses on the present of the language and its possibilities with the influences of the past, researching the social function of language, and the transformations and variables that have occurred in life, which have significantly affected the overall sociolinguistic activity. And the behavior accompanying it, combining language and speaking in their social life; In its political, economic, and religious forms, and the development of structures that indicate the form of sociolinguistic communication.

Naguib Mahfouz's novels in general, and the joys of the dome in particular, are a depiction of life with a convincing proposition that matches Egyptian life and individual behavior, using his unique style to describe society from the inside, with its historical, intellectual, and political context, as he resorted to choosing specific words in expressing class Social, popular legacies, myths, the Egyptian neighborhood and the conditions of life in it, the abnormal behaviors, and in his language he depicted those relationships as a single interconnected line, in which he presented unique connotations in a fluent social Arabic language, with the introduction of colloquial terms that cannot be ignored for their influence and frequent use between Members of the

الملخص

تمثل اجتماعية اللغة مدخلا منهجيا يركز على حاضر اللغة وامكانياته مع مؤثرات الماضي ، بحثا في الوظيفة الاجتماعية للغة ، وما طرأ في الحياة من تحولات ومتغيرات ، أثرت بشكل ملحوظ على مجمل النشاط اللغوي الاجتماعي ، إنّ الداعي لهذا التوجه هو الرغبة في

فهم اللغة وعملها بين أفراد المجتمع ، وما يصاحبها من سلوك ، يجمع بين اللغة والتكلمين في حياتهم الاجتماعية ؛ بصورها السياسية ، و الاقتصادية ، و الدينية ، وتطور التراكيب التي تؤشر شكل التواصل الاجتماعي اللغوي .

وتعد روايات نجيب محفوظ عامة ، وأفراح القبة خاصة ، تصويراً للحياة بطرح مقنع ، يطابق الحياة المصرية ، وسلوك الفرد ، مستعينا بأسلوبه المتفرد في وصف المجتمع من الداخل ، بسياقه التاريخي ، والفكري ، و السياسي ، اذ لجأ الى اختيار الفاظ بعينها ، في التعبير عن الطبقة الاجتماعية ، والموروثات الشعبية ، و الخرافات ، والحارة المصرية وظروف العيش فيها ، و السلوكيات الشاذة ، وصوّر بلغته تلك العلاقات ؛ على انها خط واحد مترابط ، قدم فيه دلالات متفردة بلغة عربية اجتماعية فصيحة ، مع ادخال المصطلحات العامية التي لا يمكن تجاهلها لتأثيرها وكثرة استعمالها بين افراد المجتمع

المقدمة:

تحدث ديسوسير في بداية تأسيس اللغة عن ظاهرة (الحدث الكلامي)، ويرى أنّ اللغة هي كيان عام يختزل في بنيته محددات النشاط اللغوي والإنساني ،⁽¹⁾ و يتفاعل في مستويات متعددة ، من النطق و الكتابة وغيرها من النشاطات اللسانية. واللغة مهما تعددت صورها لا يمكن فصلها عن التأثير الاجتماعي ، بوصفها مظهراً من مظاهر الحركة والسلوك المصاحبين للنشاط البشري⁽²⁾ ، ولعل (بلونفيلد)، حين قدّم بنظريته السلوكية - التي مثلت ثورة على المناهج السائدة آنذاك ، يرى أنّ مرجع الاختلاف بين أفراد في المجتمع يعود إلى تعدد البيئات التي يعيشون فيها⁽³⁾، وأنّ سلوكهم هو انعكاس لتلك البيئة ، وللغة تنتجها هذه الجماعة البشرية ، إذ تتكون من رموز صوتية تتوارثها الأجيال من الآباء إلى الأبناء ، الهدف منها هو التواصل والتفاعل والتعلم ، أي أن اللغة هي نتاج مجتمع ، وظيفتها وصف الأشياء التي حولنا ، و التعبير عن المشاعر الانسانية ، وكذلك صناعة الافكار التي تنمو مع تطور انماط الحياة ، وتشكل انماط التحولات التي يتسم بها المجتمع ، لتقدم خطاباً يجمع بين الصور الذهنية وربطها مع الأشكال النطقية ، في اتساق دلالي ؛ يتحكم فيه تكوين المجتمع وتطوره ، فكرياً ومادياً .

اللغة هي تشكيل صوتي يتكون من مجموعة متشعبة من العلامات الدالة ، عمادها التأثير في مستعملها . ومن كلماتها صنعت الحضارات على مرّ التاريخ ، وما تبقى نقوشها عرّفنا شكل المجتمع في تلك الحضارات القديمة، وأنماط التعبير فيها ، فضلا عن العلاقات ، السياسية ، والاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية ، مع الإشارات التي تعين على تحليل الجذور التاريخية المشكلة لتلك للمجتمعات ، ويعد البحث في اللغات القديمة من أدقّ الوسائل التي يمكن من

خلالها تحديد سمات ذلك المجتمع البائد ، ويعود السبب في الاهتمام بلغة النقوش إلى ارتباط اللغة بمجتمعها وبحياة مستعمليها ، إذ تتطور بتطورهم ، تؤثر فيهم ، ويؤثرون بها^(٤) ويتجلى تأثير المجتمع على اللغة في التطور الدلالي ، وبفعل التطور الزمني ، وما له من تأثير في المكون الإدراكي ، إذ أصبحت الدلالة مرهونة بقيد الاستعمال ، سواء أكانت حسية أم تجريدية ، مع نشوء اتفاق بين مستعملي اللغة ؛ ممن يحملون مشتركات فكرية وثقافية واجتماعية على استعمال الفاظ وتراكيب خاصة تناسب حياتهم ، وحاجة الأفراد المتجددة لاشتقاق مفردات تناسب متطلباتهم ، و الابتعاد - ما أمكنهم ذلك - عن التداخل الدلالي والالتباس الذي يلزم اللغة في الاستعمال ، وما ينتج عنه من صعوبات في التواصل ، فالمجتمع بمكوناته المتنوعة ؛ يحتاج إلى مفردات وجمل وأساليب تقارب بين الأفراد ، وتقرب المعنى إلى أذهانهم بأنسب أداء من الألفاظ ، مع الإبقاء على ملامح التراث بما يتناسب والاستعمال الحديث ، وتنامي الرغبة في تطويع اللغة مع تغيير أساليب الحياة^(٥) اللغة بوصفها نظاماً إشارياً :

ترتبط اللغة في علاقة تبادلية مع متطلبات النشاط الإنساني عامة ، و تجعل السلوك اللغوي من المتحدث ، ممثلاً لفئة اجتماعية تتبع في تعاملاتها التفاعلية شكلاً مترابطاً ، لتكوّن من خلال المتراكم المعرفي المتوارث بين الأجيال ، لتبرز الذات مع التراث اللغوي المشترك المدون أو المنقول شفاهاً ، وبالتوازي مع الهوية الجمعية ، التي تحرك اللغة حسب المؤثرات التي تستعمل من أجلها اللغة ، فهناك من يحب ، ومن يكره ، لذا يكون الدور الأبرز للوظائف الكلامية التي تؤدّيها اللغة ، بالقياس إلى سلسلة النشاط الإنساني المنتظم ، وإلى تعدد المجموعات الاجتماعية . كما تلعب اللغة دوراً كبيراً تلاحم تلك المجموعات ، مثل العمال والطلبة ، و الاقليات و الحرفيين و الجماعات الدينية والمتقنين ، وغيرها من المكونات الاجتماعية ، أو ما يطلق عليه علم الاجتماع الشعبي ، أي كلّ ما له علاقة بالحياة اليومية تلعب اللغة فيه دوراً مهماً ، بوصفها جامعاً لكل تلك الفعاليات الاجتماعية^(٦) . والاشارة نتاج لغوي يعتمد على السياق ، بوصفه منظماً للكلمات وتعبيراتها ، و محدداً للدلالة ، يرتبط بالحالة الاجتماعية ، وبالمرجعيات اللغوية وغير اللغوية ، الداخلية و الخارجية مع ظروف القول . وبعد التطور الكبير في اللسانيات التداولية ، أصبح المجتمع هو من يصنع لغته ، لأنّه بدأ يحتاج إلى ما يُصنع به الحدث ، ولتشعب التفاصيل التي تشكل هذا الحدث الكلامي ، إذ بدأ يفكر في شكل التراكيب التي تناسب السياق التداولي ، وأصبح الكلام ليس الوسيلة الوحيدة للمشاركة ، بل أخذ المستعملون للغة يبحثون عن التأثير في المتلقي ، وصياغة اللغة لخلق فاعلية متميزة من هذا التأثير ، وصار التفاعل الاجتماعي - بكل تفاصيله - مؤثراً يفتح شهية الكتاب و المبدعين لتجميع الأفكار وتعبيراتها بما يعطي نصوصهم الإبداعية قيمة اجتماعية ، لأنّ ((معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة))^(٨) ، ويبرز دور المعجم اللغوي المخترن عند

أفراد المجتمع ؛ وما يرتبط به من أساليب تعبيرية تتسم بعدم الثبات ، مع تغير الأجيال في المجتمع ؛ وبما يستلزمه من اختيار للتراكيب التي تناسب المفاهيم و القيم و المعاني ، حينما يكون الهدف تمثيل ذلك المجتمع عن طريق الكلمات ، إذ لا يمكن لأي كاتب أن يكتب رواية ليس فيها لغة ، تصوّر التفاعلات الاتصالية الاسرية و الاجتماعية ، وما يرتبط بمستويات اللغة الروائية ، فنجيب محفوظ يقدم في رواية أفراح القبة لغة عربية فصحة بألفاظ عربية متناسقة ، لكنها لم تخرج عن السياق الاجتماعي المصري وما يمر به من مراحل تاريخية و اقتصادية تؤثر فيه ، إذ صور شخصيات الرواية وهم يتحدثون بلغة المجتمع وليس بلهجة الشارع الدارجة ، لأن الرواية لو كانت في لغة عامية لم توصل الى القارئ اعماق المجتمع المصري ، فقد جمع نجيب محفوظ في روايته أفراح القبة كل الامكانيات اللغوية التي توفرها الاساليب العربية ، للإفادة منها في عرض الأحداث بشكل جديد يناسب المتغير الاجتماعي ، وصار يغير لغته الأدبية التي تحاكي لغة الحياة ، في كل رواياته ، منذ روايته الأولى ، (همس الجنون) التي نشرت طبعها الأولى عام ١٩٣٨ ، ويبدو أنه محكوم بالظروف الإنسانية و الثقافية و الحضارية و الاجتماعية ، والكشف من خلال اللغة عما يحمله من أفكار و رؤى ، وتفاعل مع الشخصيات التي يقدمها ، مما انعكس على أسلوبه الروائي ، ووسائل انتاج المعنى ، والجمل و الأساليب التعبيرية المستعملة^(٩) ، مع الاشارات اللغوية و غير اللغوية ، والجمل القصيرة التي يمكنها ان توصل الى الدلالة ، مع ارتباط الجمل وما يقدمه معجم المستعمل اللغوي في النص ، الغاية منها إعادة بناء الواقع بلغة فنية .

الممارسة اللغوية و مرجعيات الخطاب

تعدّ الممارسة اللغوية من أهم أساسيات تكوين مرجعيات الخطاب و قواعد البناء النحوي ، لأنّ اللغة لا يمكن تفسيرها أو الحكم عليها دون ربطها بالاتجاهات المرجعية والفكرية يطرحها المجتمع ، ونوع الخطاب الذي يرتبط بهذا الاتجاه الفكري ، سواء أكان شكله دينياً أم سياسياً أم اقتصادياً أم غير ذلك ، والتدني في الممارسة اللغوية أو ارتفاعه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بحركة المجتمع الناطق بها زمانياً و مكانياً ، إذ برزت اللغة من كونها وسيلة للاتصال فقط ، الى اصل لكل النشاط الحضاري ، وتتحكم في طريقة التفكير و النظرة الى العالم ، فقد تكونت لغات لها مرجعياتها الخاصة ، مثل لغة الاعلام بكل مظاهره ، ولغة الثقافة و الفكر الاجتماعي ، وبقيت الممارسة اللغوية هي المحرك الدلالي بين مستعملي اللغة ، حسب نظم الحياة و المحيط ، من (البسطاء ، والمتقنين ، والمتخصصين) مع هذا التنوع أصبحت هناك ، لغة سهلة مقبولة ومفهومة ، ولغة ذات مستوى ثقافي عال ، ولغة أدبية راقية ، من أمثلتها رواية أفراح القبة ، بما قدمته من لغة عربية فصحة معاصرة ، تحمل أفكاراً ورسالة ، بلغة وسطية يتداولونها بينهم ، ويهدف الكاتب من استعمال هذه اللغة التي لا تكاد تنفصل عن سياقاتها الاجتماعية ، الى تحقيق أكبر قدر من الاستجابة وقوة التأثير ؛ في المتلقين الممارسين

لتلك اللغة ، أي ، أن تجعل من القارئ فاعلاً مع شخوص وأحداث الرواية ، يتشارك معهم الافكار ، الأمر الذي يؤشر تداخلاً كبيراً بين اللغة و بين الثقافة في الحياة الروحية لأفراد المجتمع، فهم يتحدثون بما يدور في أذهانهم من أفكار إذا أتاحت لهم الفرصة ، بما يحدده السلوك والمواقف و الأحداث ، وأمّا الباحث في الممارسة اللغوية فيبني رؤيته على الاستنتاج ، وتأثير السلوك الظاهر الذي يمكن ملاحظته . (١٠)

لغة الحوار

تتميز لغة الحوار في رواية أفراس القبة بقربها من حقيقة المجتمع المصري ، بعيدة عن المجاز كثيرا ، ويّضح لك من خلال اتساق الجمل التي تشكل البنية اللغوية للرواية ، وما نلاحظه فيها من تصوير للمجتمع ، اذ جمع المؤلف بين الأدبية التي بنيت عليها الرواية وبين ما هو ؛ لغة مجتمع ، توضّحت معالمها من خلال شخوص الرواية .

وبالدخول في المكونات اللغوية التي تشكل بنية الرواية ، نجد المؤلف يتقصد انتقاء الألفاظ والجمل التي تماثل ما في المجتمع المصري من استعمالات لغوية ، في معادلة بين ما هو سهل إدراك معناه بلغة عربية فصيحة ، وما هو بعيد عن لغة العوام ، وكذا يتميز الكاتب بالإطناب في تدوين الأحداث وسردها ، وهو يجمع بين نبض الشارع المصري وما يدور في عقول أبنائه من مؤثرات وأفكار تصنع أحداث القصة ، في جمل تتسم ببساطة الفاظها عندما تصور وقعا تعيشه الشخصيات .

((هل من جديد في الشقة يا حليلة ؟

فأجابت بصوت دسم :-

البحث عن الذهب اسهل

واندفعت متأثراً بانبهاري :

هل تبحثين عن شقة ؟

فأحنت رأسها بالإيجاب وهي تزرد رشفة شاي)) (١١)

تكوّن الحوار من مفردات تمثل اللغة التي يستعملها أفراد المجتمع المصري

(الشقة ، أنسة ، رشفة شاي) ، الشقة : ((جزء مستقل من البيت تنفرد جماعة بسكناه ، مسكن

يتألف من عدّة غرف ضمن بناية فيها عدد من المساكن)) (١٢) و ((الأنسة : الفتاة ما لم تتزوج))

(١٣) أمّا شرب الشاي فيعدّ من العادات الشعبيّة المصريّة المصاحبة للقاءات ، وهو المشروب

الأكثر شعبيّة ، وما يدور من حديث حول البحث عن السكن ، ما هو إلا إبراز لهوموم المجتمع

المصري وما يعانيه من أزمة في السكن ، نتيجة التحول الاقتصادي الذي مرّ به هذا المجتمع

في فترة السبعينات ، واختيار الألفاظ التي اعتاد المجتمع على تداولها في تلك الفترة من

أسماء وصفات وكنى : ((السيد كرم يونس ملقن الفرقة .. أنسة حليلة الكيش قاطعة التذاكر

((١٤) ، إنّ هذه الأسماء و الألقاب و الكنى ، تعيد رسم معالم النص المتفاعل بين مستعملي

اللغة المصرية ، لأن المسرح يمثل عنصرا للثقافة ، وهو مجتمع يقدم صورة للحالة السياسية والاجتماعية ، ومراة للمجتمع المصري وملامحه ، وبقي الانسان حاضرا فيه بكل أوضاعه وأحاسيسه وانفعالاته :

((غبت عنها راجعاً إلى فكرة طالما أثارتنني وهي كيف تزج الحكومة بنا في السجن من أجل أفعال ترتكبها هي جهاراً ؟ ألا تدير بيوتاً للقمار ؟ ألا تشجع المواخير المعدة للضيوف ؟ إنني معجب بسلوكها ولكني نائر على نظامها الظالم)) (١٥)

من المكونات الدلالية المتداولة في الرواية بكثرة كلمة (حكومة) ، تمثل رمزا للمشاكل التي يعاني منها المجتمع ، وهي صاحبة الحل ، و القادرة عليه ، ويتركز هذا المكون في الجمل التي ينفس فيها الشخص عن القلق و الاحلام في المدينة ، مع النقد الاجتماعي لها : ((تمرّ الساعات فلا تتبادل إلا كلمة واحدة. مثل حبات الفول السوداني. ما من زبون يجئ إلا ويشكو الغلاء والمجاري الطافحة والطابور المهلك أمام الجمعية الاستهلاكية. أبادله العزاء ...)) (١٦) في النص مجموعة المسميات (طفح المجاري) ، (الطابور المهلك اما الجمعية الاستهلاكية (، إن ضعف الاقتصاد المصري بسبب سياسة الانفتاح الاستهلاكي ، وتراجع الناتج المحلي في الصناعة والزراعة والاعتماد على الاستيراد ، وارتفاع الديون المترتبة على الحكومة (١٧)، أدى الى ارتفاع الأسعار وقلّة الخدمات المقدمة من الحكومة الى المجتمع ، وأكثر الأشياء مساسا بالمجتمع هو الغداء ، إذ يلجأ الناس الى الجمعيات الاستهلاكية و الوقوف في طوابير طويلة من أجل الحصول على المواد الغذائية المدعومة من الدولة ، وهذا الحال يأخذ حيزا كبيرا من تفكير الانسان المصري ، وهي المنفذ الوحيد للفقراء ، ولم يغفل عنها المؤلف ، في نصّه لأنها تشكل جزءا من مجتمع الرواية لديه . ((.. أنا خير منهم . أنا حرّ أنتمي إلى عصر سابق للدين وقواعد السلوك . لكنني محاصر في هذا المقلب بجيوش المنافقين . كلّ رجل وكلّ امرأة . مثل الدولة . لذلك تترككم للمجاري و الطوابير وتجدد عليكم بالخطب الرثانة ..)) (١٨) ومن الالفاظ التي المتداولة في المجتمع المصري وتكررت في الرواية كلمة (دور) وتعني الطابق في العمارات السكنية ، ((.. غادرت حجرة اللعب ... صادفت عباس في صالة الدور الأول)) ، وقد استعمل الكاتب لفظة ، (دور) في بعض النصوص ؛ بشكل مقصود ، لأن الحوار يدور في حدث تفاعلي اجتماعي ، أي علاقات إنسانية ، وأحاديثه عامة ، وعندما يتحول الكاتب إلى الوصف العام ، خارج التفاعل بين الشخصيات ، يذكر كلمة (الطابق) .

((عرضت عنه باستياء ، فقال بلباقة :

- تجدين الطابق آمنة أنت وأسرتك ..)) (١٩)

ومن الاستعمالات الدالة على السلوك الاجتماعي ، بعض العبارات التي اعتاد المصريون قولها في حواراتهم مثل :

((.. فمضى وهو يقول : -

باق على انفاكم ليوم القيامة ..)) (٢٠)

فالتركيب (باق على انفاكم) من التراكيب كثيرة الاستعمال في المجتمع المصري يتداولونها في الحوارات ، وهي كناية عن عدم تغير الحال ، وعدم رضا الطرف الاخر عن حاله التي هو عليها . هذه الجملة الاسمية فيها شطران الأول هو المبتدأ المحذوف والخبر ، وهي جملة اسمية تامة الدلالة ، أمّا الجار والمجرور فهو لم يلتق بالجملة الاسمية و انما جاء بدلالة أخرى فيها تحديد مجازي لما يريد المرسل ان يؤثر فيه على المتلقي سلبي .

ومن التراكيب الأخرى :

((... ماذا عنه ؟ هات ما عندك يا عم أحمد .

اختفى من بنسيون كان بقيم فيه في حلوان تاركاً رسالة غريبة ..))

نلحظ في العبارة السابقة تصويراً للمحافظات التي تبعد عن القاهرة مكان احداث الرواية ، فقد ذكر مدينة (حلوان) وهي من المدن الملحقة بالعاصمة القاهرة ولا تبعد عنها كثيراً ، ومن المعالم المعروفة في المجتمع المصري (البنسيون) ، فندق صغير أو ما يطلق عليه (النزل) ، وهو بيت عادي ليس مصمماً للإيجار ويقوم صاحبه بتأجيريه ، وغالباً ما يبقى في البيت مع المستأجرين ، وأصل الكلمة فرنسي (pansion) وتعني النزل^(٢١) ، وهذا الاسم يتكرر كثيراً في أدب نجيب محفوظ ، فقد ألف مسرحية بعنوان :- (بنسيون السعادة) . ومن ألفاظه الاجتماعية :

((.. فقال كريم

- كلاً ... عليهم اللعنة .

- سأحوّل المنظرة إلى دكان ، ممكن أن نبيع بعض الأثاث ، ونجعل من المنظرة مقلى ، تجارة يسيرة ومربحة ... ما رأيكما ؟)) (٢٢)

المنظرة في استعمال المصريين تعني المكان الذي يعد لاستقبال الزائرين ، أمّا المقلى فهو مكان قلي الحمص و الفول وغيرها من المكسّرات ، وهذه إحدى وسائل كسب الرزق التي لجأ إليها محدودو الدخل في المجتمع المصري ، نتيجة للتحويلات الاقتصادية التي عصفت بالمجتمع المصري في عقدي الستينات و السبعينات من القرن العشرين . ومن التراكيب الأخرى ما نجده في النص الآتي :

((.....

كيشت كبشة حمص ورميته بها ، فتراجع هزئاً . ثم ذهب ..)) (٢٣)

(كبش) يكبش ...كبش الشيء ، تناوله بمجمع كفه . (٢٤) و الحمص من أكثر البقوليات تداولاً في أيدي الناس ، تتناوله الطبقات الفقيرة والمتوسطة الدخل من أفراد المجتمع في الأماكن العامة والخاصة ، وذكره في النص لبيان السلوك الاجتماعي السائد ، بأسماء تحمل بعداً أكبر

من دلالتها اللغوية الظاهرة ، فرمي الحمص في الوجه له دلالات أخرى ، لأنه سلوك يتبعه المصريون في نهر الاخرين أو اهانتهم .

ومن الحوارات الأخرى التي تحوي على نصّ لغويّ يدل على ثقافة الشخصيات وانفتاح اسلوبها المعبر عن المجتمع :

((الخيبة تجيء مع الأفيون^{٢٥} ، إلا أنها أقدم من الأفيون . ما أعذب ما دفنت من آمال . يرشف آخر رشفة في الكأس ، يبتسم ابتسامة مخمورة ، يشير إلى الحجرة الملاصقة الى المنطرة ، ويقول :

- في هذه الحجرة كانت أمي تخلو إلى الباشجاوش ؟
أذهل من هول المكاشفة . عباس نائم في لفافة المهد .. أقول غير مصدقة أذني :-

سكرت يا كرم ...

يهزّ رأسه قائلاً :

- كانت تحذرنني من مغادرة حجرتي.

- ما كان يجوز...

ويقاطعني .

- لا أحبّ النفاق .. أنت منافقة يا حلّيمة ..

- الله يغفر لها ... أما زلت تحقد عليها ؟

- ولم أحقد عليها ؟

- اني لا أفهمك

....

- أنت مرعب يا كرم

فيقول باستهانة

- ذلك من حسن حظنا وإلا لطلقتك ليلة الدخلة (((٢٦)

يتضح في هذا المقطع الحواري ، تأثير الدوال و المدلولات الاجتماعية ، في صياغة الجمل وانتقاء الألفاظ ، وهي تصور المجتمع المصري من داخله ، ففي بعض العبارات ، مثل : (كانت أمي تخلو إلى الباشجاوش) ، فيها الفعل المضارع تخلو ؛ الدال على المعاشرة غير الشرعية بين أمّه والباشجاوش ، وما ترك فيه من آثار نفسية انعكست على نموه السلوكي ، وهو يتصور أنّ كلّ النساء مثلها ، (أنت منافقة يا حلّيمة) ، هذه الجملة الأسمية الموجّهة لمنادى قريب جدّاً ، فيها افصاح عن تأثير الزنا الذي كانت تمارسه أمّه ؛ على تعامله الاجتماعي ، ويهدف خطاب الكاتب - من خلال العبارات التي تحمل أفكارا انسانية - إلى عرض النصّ بوصفه قضية اجتماعية ، لها أبعادها التأثيرية في المخاطب ، إذ تظهر العلاقة بين الخطاب و الحوار نتيجة التفاعلات التي تحيل الى بعد أيديولوجي ، ذا صبغة فكرية

وسياسية ، تتضح في التنوع اللغوي على لسان الشخصيات ، مع تأثير الزمن وتناقضاته في تشكل الخطاب ، وهذه الملفوظات تكشف الوعي الاجتماعي بلغة حوارية محملة بالقصدية

٢٧

إذ يحوي هذا المقطع على أسماء و مصطلحات اختصّ بها المجتمع المصري مثل: (الباشجاوش) وهو: مصطلح تركي ، من باش بمعنى رأس وجاوش ويقصد به عريف الشرطة ، رئيس العرفاء .^(٢٨) وهو من المصطلحات الشائعة على لسان الناس في المجتمع المصري بشكل واسع ، وهو من بقايا تأثير العثمانيين في اللهجة المصرية .

ومن المصطلحات الأخرى (ليلة الدخلة) أو ليلة الزفاف حسب التقاليد المصرية ، وهي آخر ليلة من ليالي التحضير للزواج ، لها بعد اجتماعي عند المصريين ، لما تحمله من دلالات ورموز ومؤثرات نفسية وعاطفية^(٢٩) ومع دلالة التركيب المتكون من المضاف و المضاف إليه ، وتعلقه مع الجمل الدالة على الزمن الماضي ، تتحول دلالاته الزمنية من الماضي إلى الحاضر من خلال (التكريات) ، دلالة على الازدراء المختلط مع الحزن بلغة هادئة تتناسب مع السياق . ومن التراكيب الاجتماعية الأخرى ؛ ما نصه :

((.... وهو يقول بسخرية لا تناسب المقام

- خطوة عزيزة .

فقلت له من دون لفّ أو دوران

- أعتقد أنك زرت عباس قبل رحيله ؟

- حصل .))^(٣٠)

يستشف من النص المزوجة بين التركيب اللغوي المتداول في اللهجة الدارجة ؛ وبين الأصل العربي الفصيح ، فالمكون اللفظي الدلالي (من دون لف أو دوران) ، من التراكيب ذات البعد الاجتماعي السائد المجتمع المصري - ويقصد به الكلام المباشر - ومثلها في الاستعمال ، كلمة (حصل) وهو فعل ماض ؛ يدلّ على جملة فعلية محذوفة ، دلّ عليها سياق النص ، في استعمال جديد ؛ وهو للجوب بنعم (المحذوفة أيضا) ، لأنّ دلالة تلك التراكيب تُظهر سلطة المجتمع على الاستعمال اللغوي و الرغبة في اشراك المتلقي بالحدث ؛ وعلى صياغة بنية النص ؛ وانتقاء عناصره الأساسية التي تناسب المقام ، مما يحفز الكاتب على تشكيل لغة الرواية ؛ بتوظيف مصطلحات ومسميات ، فيها بعد اجتماعي مؤثر ، استوجب السياق ذكرها في أكثر من موضع في الرواية ، مثل : الغلاء المخدرات .

عنا نمعن النظر في النص أدناه نجد تركيباً يغلب عليه تصوير الواقع ، أي سياق حال المجتمع

((- تشاجر مع أم هانئ فاضطرّ إلى مغادرة البيت .. إنه ليهيم بلا مأوى و الغلاء يرتفع يوماً

بعد يوم ..))^(٣١)

يصور الواقع الذي فرض نفسه على الكاتب والنص على حدّ سواء ، والسبب لأنّه يمثل تراكيب تدلّ في دلالة استعمالها الاجتماعي ، على تأريخ لحقبة زمنية تأثر بها المجتمع المصري ، فالغلاء هو نتيجة لما يسمّى ب (التضخم) ، وهو ارتفاع مفرط في الأسعار ، مع تضخم الدخل النقدي ، يصاحبه ارتفاع في التكاليف ، وزيادة كبيرة في الأرصدة النقدية .^(٣٢) إنّ المجتمع المصري واجه نكسة اقتصادية كبيرة بعد عام ١٩٦٧ ، واستمرت في عقد السبعينات إذ لجأت الحكومة إلى الانفتاح الاقتصادي في محاولة منها لتحقيق النمو ، وأصبحت سياسة مصر الاقتصادية تسودها الفوضى والرشوة و الغش ، وحصل تغيّر واضح في السلوكيات الاجتماعية ، أدى بدوره الى انتشار الطبقة والثراء الفاحش ، وتركزت الثروة بيد مجموعة قليلة من أفراد المجتمع ، وحدث شرخ كبير في القيم الاجتماعية التي اعتاد عليها ، مما ألقى بنتائجه السلبية ؛ التي تمثّلت بارتفاع الأسعار ، وزيادة كبيرة في معدلات الفقر ، وانتشار الرشوة ، مع تراجع فرص العمل .^(٣٣)

لقد فرض هذا التحوّل على المؤلف نقل الواقع بكل دقائقه بأمانة ، إذ جمع السياسة مع الاقتصاد في الحوار الاجتماعي ، من خلال مجموعة من المصطلحات على لسان الناس ، تجمع بين السخرية السياسة و الواقع المعاش .

((... فقلت بسخرية :

- لا يحيى حياة يسيرة إلا المنحرفون ، لقد بات البلد ماخوراً كبيراً ، لم كبست الشرطة بيت كرم يونس وهو يمارس الحياة كما تمارسها الدولة؟! .
فقلت درية ضاحكة :

نحن في زمن القوميّة الجنسيّة))^(٣٤)

من النظر في دلالة الالفاظ نجد أنّها تدور حول تغيير القيم التي كانت سائدة في المجتمع المصري المحافظ ، وصارت بعض البيوت نواد للممارسات الجنسية ، في لغة تميل إلى الازدراء من الواقع ، مثل :

((ويقول طارق

- لا يخدعك فقر الفقراء فالبلد ملأى بأغنياء لا يدري بهم أحد .

- الهلالي يربح ذهباً ..

فيضحك طارق قائلاً : -

ظظ في الهلالي وذهبه ، حدثني عن النساء وفائض البترول !))^(٣٥)

(ظظ) لفظ ليس عربياً^(٣٦) والذهب البترول من المصطلحات تحقق أعلى نسبة تداول بين الناس ، لأنّ المجتمع المصري صار يتأثر بالأسواق العالمية وما تفرزه من تأثيرات على الاقتصاد المصري عموماً وعلى الأفراد خصوصاً المعجم الاجتماعي:

المعجم الاجتماعي يقدم الأساس الذي تبنى عليه لغة أيّ مجتمع ((في نشأته و نموه و تطوره وهي ظاهرة اجتماعية تحيا في أحضان المجتمع وتستمدّ كيانها منه و من عاداته و تقاليده ، وسلوك أفرادها ، وهي تتطور بتطور هذا المجتمع ، فترقى برقيته و تتحط بانحطاطه))^(٣٧) وهذا ما يظهر على لغة الرواية ؛ بوصفها وسيلة اجتماعية لم تخرج عن العربية الفصحى ، ولم يطغ عليها الطابع الشعبي ، لأنّ اللغة السائدة في رواية أفراس القبة ؛ هي التي تميل في معجمها الاجتماعي إلى خلق أعلى قدر ممكن من التأثير في المتلقي ، مع تنوع الجمل و الألفاظ الخاصة بالعلاقات الاجتماعية، والابتعاد عن العامية في نظمها ، لتقنين تأثير المجتمع في المفردات والمصطلحات و الإشارات الدلالية التي يتواصلون فيها ، مع الالتزام بالقواعد النحوية و الدلالية داخل السلوك اللغوي الاجتماعي ، ولعل أهم ما في هذا الأداء ؛ هو وجود ألفاظ درج المجتمع المصري على استعمالها ، تعبر بشكل دقيق عن المعاني التي يستلزمها الاستعمال اللغوي ضمن البناء الزمني لنص الرواية ، والأداء اللغوي السائد .

لقد تفرّد المعجم اللغويّ في الرواية باحتوائه على ألفاظ ؛ هي نتاج المجتمع ، يلعب السياق دوراً كبيراً في إعطائها قيمة دلالية ، لأنّ أغلب الجمل مأخوذة من ألسن الناس والمتداولة بينهم، قام الكاتب بتقديمها ضمن سياقاتها الاجتماعية ، مثل :

((فصرخت بجنون :-

- سأهدم البيت على من فيه

فقالت ببرود :-

خذ ملابسك ومع السلامة ...

فغادرت المكان وأنا أقول بتحدّ :-

- باق على انفاكم حتى النّهاية ...))^(٣٨)

يركز مؤلف الرواية على الانفعالات التي تبرزها اللغة في الاستعمال ، إذ يلجأ الى الجمل الأكثر تداولاً و الأقرب الى المقصد على لسان شخصياته وصياغة الجمل بلغة فصيحة ، مكوناتها من اللغة الدارجة وبالنطق المصري ، فضلاً عن التركيز على اللازمة التي تصاحب الحوارات لكل شخصية من الشخصيات .

في ما يلي جدول بالألفاظ و التراكيب الاجتماعية التي وردت أو تكررت في الرواية :

الصفحة	التركيب	دلالاته
٧	القطيفة	نسيج من الحرير أو القطن ، ذو أهداب تتخذ منه ثياب أو فرش ^{٣٩}
٧	سيجار الدينو	أحد أنواع السجائر الفاخرة
٨	النيابة	الادعاء العام

لا تتجاوز حدودك معي	الزم حدك	٨
هو حي شعبي قديم وعريق من أحياء القاهرة، عُرف بهذا الاسم نسبة إلى طائفة من البربر	باب الشعرية	١١
شارع يتفرع من ميدان باب الشعرية في القاهرة	سوق الزلط	١٢
مكان قلي الحمص و الفول	مقلي	١٢
الالتزام التام بالنص	بالحرف الواحد	١٤
غبي أبله غير ناضج ^{٤٠}	عبيط	١٥
حب المفسدين	حب البرمجية	١٥
من اللوازم المصاحبة لشرا اللب	اريد لبا بقرش	١٥
داهية : مصيبة شديدة جدًا ^{٤١}	رح في داهية	١٥
في الاغلب الاعم تقال في الزواج ، وتعني بإذن الله وتقديره	القسمة والنصيب	١٦
سيارة الأجرة	التاكسي	١٧
الراتب	مرتب	١٧
وكيل النائب العام (المدعي العام)	وكيل نيابة	١٨
نوع من التعجب اعتاد عليه المجتمع المصري	يابن... انت مجنون؟	١٩
تمهل	حلمك	٢٠
شارع يتفرع من ميدان باب الشعرية في القاهرة	سوق الزلط	٢٧
بيت الدعارة و الفساد ^{٤٢}	ماخور	٢٩
مكان يخصص لتناول الطعام و الشراب ^{٤٣}	البوفيه	٣٠
نوع من الكلاب	بولدج	٣٠
اللحم المشوي	الشويرمة	٣٠
من انواع الخمور	الكونياك	٣٠
منطقة تابعة لحي القاهرة الجديدة	منشية البكري	٣٠
منزلان	فلتان	٣٠
باشا : لقب تشریف رسمي تركي الأصل ^{٤٤}	باشوات	٣٠
المولود الأول (الابن البكر)	البكري	٣١
وحدة مساحة الأرض الزراعية ... ومساحته في مصر ٤٢٠٠ متر مربع تقريبا ^{٤٥}	فدان	٣١

قلعة صلاح الدين فوق جبل المقطم في القاهرة	الحارة بالقلعة	٣١
قناة السويس	القنال	٣٢
من السيارات التي تنتج في مصر ولها شعبية	سيارة فيات	٣٢
فندق صغير	بنسيون في حلوان	٣٥
من المكسرات	الفول السوداني	٣٧
مكسرات من بذور دوار الشمس	اللّب	٣٧
الذرة	الفشار	٣٧
هو نوع من الخدم يجمع اكثر من عمل مثل فتح باب السيارة وحمل الحقيبة والمفاتيح ، ومنع الناس من الوصول ، وغيرها من الخدمات	الشمشرجي	٤٢
للإيجار	الشقق المفروشة	٤٥
مكان في القاهرة يجمع الملاهي الليلية	ملاهي الهرم	٤٥
المخدرات	الأفيون	٤٦
رماه بسهم أو بنظرة حادة ^{٤٦}	حدجني	٤٦
الجاوش هو الشرطي وباش تعني رئيس	الباشجاوش	٤٧
قواد : سمسار الفاحشة و البغاء . ^{٤٧}	قوادة	٤٧
كشّر الشخص : اظهر استياء وعدم رضى عن أمر . ^{٤٨}	تكشيرة	٥١
نكد ، كل شيء جلب لصاحبه شرًا وتعاسة ، ونفاذ صبر . ^{٤٩}	عشير النكد	٥١
ليلة الزفاف	ليلة الدخلة	٥٣
من المكسرات	الفول السوداني	٥٤
من المكسرات	الفول السوداني	٥٤
	المجاري الطافحة	٥٤
وهي مقاه اعتاد الادباء و الفنانين المصريين على ارتيادها ، وهر المقاهي التي كان يرتادها نجيب محفوظ مقهى الفيشاوي في خان الخليلي ومقهى ريش في شارع سليمان باشا . ^{٥٠}	مقهى الفن	٥٨
تركيب اجتماعي يعني بقاءه على هذه الصورة	باق على انفاكم	٦١
طابور : صف من أيّ شيء ^{٥١}	الطوابير	٦٤

اكله شعبية	سندويشين	٦٦
كناية عن الدعارة والجنس غير المنضبط ، وقرن الشيطان هو القواد	قرون الشيطان	٧٠
أحد ضواحي جنوب مدينة القاهرة	حلوان	٧١
مركز الشرطة	القسم	٧٥
هو أبو المواهب عبد الوهاب الشعراني العالم المتصوف ، عاش في نهاية حكم المماليك و بداية الدولة العثمانية في مصر ، وله مرقد في القاهرة ، منطقة (باب الشعرية) ^{٥٢}	سيدي الشعراني	٧٥
ما يملأ اليد ^{٥٣}	كبشت كبشة حمص	٧٧
إحدى حوارى القاهرة القديمة	الطمبكشية	٨٠
	أولاد الأصول	٨١
آلة نفخ خشبية ابتكرها المصريون منذ آلاف السنين	مزمار بلدي	٨١
لقب تركي يعني السيد	البيك	٨١
الاريقة	الكنبة	٨٧
غرفة السجن	الزنزانة	٩٠
اكله شعبية	الساندوش	٩١
تركيب شعبي يستعمل للترحيب بالقدام	خطوة عزيزة	٩٣
الجراب : وعاء يحفظ فيه الزاد ونحوه ، ويكون عادة من الجلد (جراب الحاوي / الرعي) ^{٥٤} . الحاوي : من يقوم بأعمال غريبة تشبه السحر ، يتخذ الحاوي من الأسواق و الساحات العامة مكاناً لابرار مهاراته ^{٥٥} .	افتح الجراب يا حاوي	٩٥
تركيب شعبي للاقدام على امر ما	على خيرة الله	٩٦
حمام من البخار	الحمام الهندي	٩٨
مصفف الشعر	الكوافير	٩٨
عطر	الكلونيا	١٠١
عربد السكران : ساء خلقه ، وأذى الناس في سكره ^{٥٦}	المعربة	١٠٢
المنظرة : مكان في البيت يعدّ لاستقبال الزائرين ^{٥٧} .	شباك المنظرة	١٠٨
الاريقة	الكنبة	١٠٨

وسادة محشوة بقطن أو ريش أو نحوهما ، للجلوس أو الاستناد عليها . ^{٥٨}	الثبات	١٠٨
تلّ صغير أو موضع يكون أكثر ارتفاعاً مما حوله ^{٥٩}	الأكمة	١٠٨
ضيق نفسيّ أو جسميّ يتّسم بخوف يذهب من القلق الى الفرع . ^{٦٠}	الحصر	١٠٨
قطار خفيف يعمل على مسارات القطارات الكهربائية	الترام	١٠٨
نوع من الحافلات الكهربائية	الترولي باص	١٠٨
بياع المواد المستعملة	بياع خردة	١١٣
اكلّة شعبية	لحمة راس	١١٣
اسكت	اخرس	١١٦
وتعني في الاستعمال الدارج اللامبالاة و السخرية ، وأصل الكلمة عثمانية تعني (الملح)	ظظ	١١٨
تكلم أقلّ الكلام ، تحركت شفتاه بشيء ، وأكثر ما يستعمل في النفي . ^{٦١}	ينببس	١١٩
تركيب شعبي	ماشى	١٢١
اسم مكان	شارع الجيش	١٢٨
(أمشير) هو الشهر السادس حسب التقويم القبطي ، شهر هبوب الرياح عند القدماء المصريين	رياح أمشير	١٢٩
مقطع أغنية من تسجيل الخمسينات ، كلمات محمد الدرويش وألحان محمد عثمان	في العشق ياما كنت انوح	١٣٥
موظف يعلن المتقاضين ، وينفذ الأحكام ^{٦٢}	محضر	١٣٧
الذهاب الى مكان ما	مشوار	١٣٩
كبس : هجمة فجائية أو بغتة . ^{٦٣}	كبست الشرطة البيت	١٤١
كلمة إيطالية ، تعني (احسنت) انتشرت بعد انتشار صالات الأوبرا	برافو	١٤٦
نقود مصرية	مائة جنيه	١٤٦

الخاتمة :

تبيّن مما سبق أنّ هذه الرواية تمثل عالماً قدّم فيه نجيب محفوظ شخصياته نفسياً واجتماعياً وسياسياً .. وقد ركّز البحث على لغة الرواية واجتماعيتها التي تمثّلت على شكل مقاطع وكلمات ودلالات يتوضح من خلالها صورة المجتمع ، إذ غلبت فيها لغة الهامش ، وحدود قدرته لإنتاج عبارات متداولة اجتماعياً ، فيها مساحة تأثير في المتلقي ، و فيها قيم إنجازيّة عالية .

- حيّز اللغة عند نجيب محفوظ هو في مصر القديمة ، إذ استطاع ان يظهر تلك اللغة الاستعمالية الخاصة بهذا المكان .
- يتوضح من الجمل التي كوّنت لغة الرواية أنّ لغة الأحياء المصرية القديمة يقلّ فيها استعمال الخيال وتكثر فيها العبارات المباشرة
- يمتلك قدرة لغوية اجتماعية يختلط فيها الحدث الاجتماعي بالزمن بشكل شبه متطابق .
- اشتق نجيب محفوظ لغته من سلوك شخصياته ، باللجوء الى ما هو متداول لغويا بين أغلب مستعملي اللغة ، ولم يقدم لغة متعالية فيها خطاب لطبقة دون أخرى .
- طبّق نجيب محفوظ في أدبه عموماً وفي هذه الرواية خاصة مبدأ التأدب بكل تفاصيله .
- حرص المؤلف في الرواية على اختيار النصوص التي تظهر التنوع الاجتماعي من زاويتين. الأولى: من شخوص الرواية وما تتجزه من عبارات وجمل وألفاظ تصور الاختلافات بين كلّ شخصية من شخصيات الرواية. والثانية: تمنح هذه النصوص القارئ مساحة للتأويل وتحليل الشخصيات، ومعرفة المكونات الاجتماعية التي تتفاعل داخل المجتمع .

الهوامش

- (١) ينظر ، علم اللغة ، علي عبد الواحد وافي ، ص : ٦٦ - ٦٧ .
- (٢) ينظر ، اللغة العربية معناها ومبناها : ٣٢
- (٣) ينظر ، المدرسة البنوية ، قراءة في المبادئ و الأعلام ، ص : ٤ .
- (٤) ينظر ، جدلية اللغة والمجتمع ، ص : ١٧ - ١٨ .

- (٥) علم الدلالة ، احمد مختار عمر ، ص : ٢٣٨ - ٢٣٩ .
- (٦) ينظر ، علم اجتماع اللغة ، ص : ١٠٠ .
- (٧) ينظر ، مقاربات سوسيو لسانية ، ص : ٣٨٨ .
- (٨) علم الدلالة ، احمد مختار عمر ، ص : ٧٢ .
- (٩) ينظر ، الفن القصصي بين جبلي طه حسين ونجيب محفوظ ، ص : ٢٧٩ .
- (١٠) ينظر ، علم اللغة الاجتماعي للمجتمع ، ص : ٢٦٦ .
- (١١) أفرح القبة : ٤٩ .
- (١٢) معجم اللغة العربية المعاصرة : ٢٤٩ .
- (١٣) المعجم الوسيط : ٢٩ ، (ما اقره مجمع اللغة العربية في القاهرة)
- (١٤) أفرح القبة : ٥٠ .
- (١٥) أفرح القبة : ٥٦ .
- (١٦) أفرح القبة : ٥٤ .
- (١٧) تحولات الاقتصاد المصري ((ملاحظات أولية)) ، ص : ١٠ .
- (١٨) أفرح القبة : ٦٤ .
- (١٩) أفرح القبة : ٩٢ .
- (٢٠) المصدر نفسه : ٦١ .
- (٢١) ينظر ، معجم اللغة العربية المعاصرة :
- (٢٢) أفرح القبة : ٧٤ .
- (٢٣) المصدر نفسه : ٧٧ .
- (٢٤) معجم الرائد ، مادة (كبش) ، ص :
- (٢٥) الافيون : عصارة ثمرة الخشخاش ، ويستعمل للتخدير وتسكين الآلام ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ص : ١٠٤ .
- (٢٦) أفرح القبة : ٨٢ - ٨٣ .
- (٢٧) ينظر ، الخطاب الروائي ، ميخائيل باختين ، ترجمة ، محمد برادة ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، الرباط ، ١٩٨٧ م ، ص : ٤١٢ .
- (٢٨) ينظر ، رسالة لغوية عن الرتب و الألقاب المصرية ، ص : ٢٦ .
- (٢٩) ينظر ، قاموس العادات و التقاليد المصرية : ٣٣٢ .
- (٣٠) أفرح القبة : ٩٣ .
- (٣١) المصدر نفسه : ٩٤ .
- (٣٢) ينظر ، مبادئ الاقتصاد الكلي ، ص : ٣٦ .
- (٣٣) ينظر ، قصة الاقتصاد المصري ، ص : ٦٦ - ٨٣ .
- (٣٤) أفرح القبة : ٢٩ .
- (٣٥) أفرح القبة : ١١٧ - ١١٨ .
- (٣٦) (طز) كلمة عثمانية قديمة معناها (ملح)! أصل الكلمة: أتت هذه الكلمة عندما كان الأتراك يسيطرون على العرب في مراكز التفتيش وكان العرب يذهبون لمبادلة القمح بالملح.. فعندما يمر العربي خلال بوابة العسكري التركي وهو يحمل اكياس الملح يشير إليه التركي بيده إيذانا بالدخول ودونما إكتراث يقول: (طز) (طز) (طز)! فيجيب العربي (طز) بمعنى إنه فقط ملح أي لا شيء ممنوع أو ذا قيمة فيدخل دون تفتيش! ،
- المصدر من جريدة القدس العربي الالكترونية : <https://www.wdl.org/a>
- (٣٧) المعجمات العربية دراسة منهجية، ص: ٢٣ .
- (٣٨) أفرح القبة : ٢٠ .
- ٣٨ معجم اللغة العربية المعاصرة ، ص : ١٩٠٠ .
- ٣٩ المصدر نفسه، ص : ١٧٣٩ .

المصدر نفسه ، ص : ١٤٥٢ .	٤٠
المصدر نفسه ، ص : ٧٨٠ .	٤١
المصدر نفسه ، ص : ٢٠٧٤ .	٤٢
المصدر نفسه ، ص : ٣٦٣ .	٤٣
المصدر نفسه، ص : ١٥٤ .	٤٤
المصدر نفسه ، ص : ١٦٨١ .	٤٥
المصدر نفسه ، ص : ٤٥٥ .	٤٦
المصدر نفسه ، ص : ١٨٦٩ .	٤٧
المصدر نفسه، ص : ١٩٣٦ .	٤٨
المصدر نفسه، ص : ٢٢٨٠ .	٤٩
ينظر مقال آلاء حسائين على الرابط : http://www.almayadeen.net	٥٠
المصدر نفسه ، ص : ١٣٨١ .	٥١
لمزيد من التفصيل ، بنظر : الشعراني امام التصوف في عصره ، الدكتور توفيق الطويل ، ص: ٤ وما بعدها	٥٢
المصدر نفسه ، ص : ٣٥٨ .	٥٤
المصدر نفسه ، ص : ٥٩١ .	٥٥
المصدر نفسه ، ص : ١٤٧٧ .	٥٦
المصدر نفسه ، ص : ٢٢٣٢ .	٥٧
المصدر نفسه ، ص : ١٢٣٠ .	٥٨
المصدر نفسه ، ص : ١٠٨ .	٥٩
المصدر نفسه ، ص : ٥٠٧ .	٦٠
المصدر نفسه ، ص : ٢١٥٨ .	٦١
المصدر نفسه ، ص : ٥١٤ .	٦٢
المصدر نفسه ، ص : ١٨٩٩ .	٦٣

مصادر البحث و مراجعه

١. أفراح القبّة، نجيب محفوظ ، دار الشروق ، الطبعة الرابعة ، ٢٠١٦ ، القاهرة ، مصر
٢. تحولات الاقتصاد المصري ((ملاحظات أوليّة)) ، وحدة الدراسات ، مركز الدراسات الاشتراكية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩ ،
٣. جدلية اللغة والمجتمع رسالة ماجستير ، سمراء شلواش ، جامعة العربي بن مهيد ، ام البواقي ، كلية الآداب و اللغات

٤. جريدة القدس العربي الالكترونية : <https://www.wdl.org/a>

٥. رسالة لغوية عن الرتب و الألقاب المصرية أحمد تيمور باشا ، دار المحرر الادبي للنشر و التوزيع ، مصر

٦. الشعراني إمام التصوف في عصره ، الدكتور توفيق الطويل ، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية ، أعلام الإسلام ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٤٥ م ، دط

٧. علم اجتماع اللغة ، توماس لوكمان ، تعريب أبو بكر أحمد باقادر ، النادي الأدبي الثقافي ، جدّة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧ .

٨. علم الدلالة ، أحمد مختار عمر ، عالم الكتب، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٩

٩. علم اللغة ، علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، ، الطبعة التاسعة ، ٢٠٠٤ .

١٠. علم اللغة الاجتماعي للمجتمع ، رالف فاسولد ، ترجمة ابراهيم صالح الفلاوي ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ٢٠٠٠ م .

١١. الفن القصصي بين جيلي طه حسين ونجيب محفوظ ، د. يوسف نوفل ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٨٨ .

١٢. قاموس العادات و التقاليد و التعابير المصريّة ، أحمد أمين ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، مصر ، ٢٠١٢ .

١٣. قصّة الاقتصاد المصري ((ملاحظات أوليّة)) وحدة الدراسات ، مركز الدراسات الاشتراكية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩ .

١٤. اللّغة العربية معناها ومبناها ، تمّام حسان ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدّار البيضاء المغرب ، طبعة ١٩٩٤ .

١٥. مبادئ الاقتصاد الكليّ ، د. محمود يونس ، د. أحمد محمد مندور ، د. السيد محمد أحمد السريني ، قسم الاقتصاد ، كليّة التجارة ، جامعة الإسكندرية ، ٢٠٠٠م

- ١٦ . المدرسة البنيوية قراءة في المبادئ و الأعلام ، د. ناصر ابراهيم النعيمي ، مجلة علوم انسانية ، العدد ٣٨ ، السنة السادسة .
- ١٧ . معجم الرائد ، معجم لغوي عصري ، تأليف جبران مسعود ، دار العلم للملايين ، ١٩٩٢ ، الطبعة السابعة .
- ١٨ . معجم اللغة العربية المعاصرة ، أحمد مختار عمر ، عالم الكتب القاهرة ، ٢٠٠٨ ، الطبعة الأولى .
- ١٩ . المعجم الوسيط ، تأليف : ابراهيم أنيس ، عبد الحليم منتصر ، عطية الصوالحي ، محمد خلف الله احمد ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، مكتبة الشروق الدولية ، ٢٠٠٤ ، الطبعة الرابعة .
- ٢٠ . المعجمات العربية دراسة منهجية ، محمد علي عبد الكريم الرديني ، دار الهدى ، مليلة ، الجزائر ، دط ، دت .
- ٢١ . مقاربات سوسيو لسانية، د. نعمه دهش فرحان الطائي ، جامعة بغداد ، الدار المنهجية للنشر و التوزيع ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٦ .



المتعاليات النصية في شعر حسب الشيخ جعفر (نخلة الله اختياراً)

أ.م.د. علي هاشم طلاب / جامعة المثنى

Abstract

Textual transcendental transcendence achieved its presence in the sixty generation in general and according to Sheikh Jaafar in particular. His texts abound in the ancient Arab heritage to represent its echo and presence in the present, because of its textual efficacy that has accompanied most of the poets, because it is distinguished by its depth, its own style and its semantic dimension capable of achieving another reading. In the sixties.

The main title formed a heritage trace that extends its roots deep into the past and the environment to which the bath belongs. Whenever he felt that feeling, and that is why his internal title came to represent that conversion and extension at the same time, so it corresponded with nature and its expressions associated with the earth and what it represents in terms of the spiritual relationship of the creator, who was also embodied by the cover of his group and its combined elements in an accurate, tangible and intentional manner, and all that was mentioned achieved a new reading that made Reader is another product.

المخلص :

حققت المتعاليات النصية حضورها في شعر الجيل الستيني بشكل عام وشعر حسب الشيخ جعفر بشكل خاص ، فضمت نصوصه الشعرية طروساً من الماضي تمثل بحضور الصدى القرآني الذي أستعمل بشكل خاص وإيحائي ، ينم عن قدرة شاعرية كبيرة ، محققاً قراءة متعالية بفعل ذلك الأثر الشفاف والفاعل في أن ، مثلما زخرت نصوصه بالتراث العربي القديم لتمثل صداه وحضوره في الحاضر ، لما له من فاعلية نصية لازمت الأعم الأغلب من الشعراء ؛لأنه يمتاز بعمقه وأسلوبه الخاص وبعده الدلالي القادر على تحقيق قراءة أخرى، ولم يكن السياب بعيداً عن ذلك الطرس لتأثره به بشكل كبير حتى عدّ صداه في الجيل الستيني .

وشكّلت العنوان الرئيسية طرساً تراثياً يمتد بجذوره بعمق الماضي والبيئة التي ينتمي إليها الباحث ، فالنخلة مثلت إحساسه بالمكان ، وشحنته العاطفية التي يبثها كلما شعر في غربته واغترابه ، حتى بعد عودته من روسيا واستقراره في بغداد ، إذ كانت البيئة وامتدادها الجغرافي والمتخيل الملاذ الأمن الذي يلوذ به كلما شعر بذلك الإحساس ، ولهذا جاءت عنوانته الداخلية لتمثل ذلك الارتداد والامتداد في الوقت نفسه ، فتماثل مع الطبيعة وألفاظها المرتبطة بالأرض وما تمثله من علاقة روحية عند المبدع ، الذي تجسد أيضاً بغلاف مجموعته وعناصره المتضافرة بشكل دقيق وملموس ومقصود ، وكل ما ذكر حقق قراءة جديدة جعلت القارئ منتجاً آخر.

توطئة : قراءة في المصطلح والجيل الشعري :

بدأ الاهتمام بالمتعاليات النصية في الساحة النقدية بشكل متطور و بانتقالات متنوعة ومختلفة إلى أن استقرت على ما هي عليه الآن ، إذ بدأ مع مفهوم الأثر الذي اقترحه دريدا بديلاً عن مفهوم العلامة والبديل الحقيقي لمفهوم الحضور (حضور الأنا) ، والنشاط الدال على حضور اللغة وفاعليتها في النصوص الأدبية (١) ، وُعدت أفكار باختين المرتكز الحقيقي للولوج إلى المتعاليات النصية من خلال مصطلحي الحوارية والحوارية (٢)، اللذين تبناهما بشكل مقصود وواع يراد بهما وجود ترابط بين نصّ وآخر يكوّنان معاً في نهاية الأمر نصاً جديداً يحمل دلالات جديدة بقراءة مختلفة .

وقد أفادت جوليا كريستيفا من مصطلح باختين لتبني تصورهما عن مصطلح جديد يُعرف بالتناس ، وهو يمثل تقاطع نصوص ، ووحدات من نصوص ، في نص ، أو نصوص أخرى وأصبح النص في منظورها لوحة فسيفسائية من الاقتباسات ، فكل نص يستقطب ما لا يحصى من النصوص ، التي يعيدها عن طريق التحويل ، والنفي ، أو الهدم ، وإعادة البناء (٣) ، وهو مفهوم جديد يشيع تعدد الدلالات داخل النصّ تبعاً لتعدد الفواعل التي تساهم في إنتاجه وقراءته بشكل آخر .

وجاء جيرار جنيت ليطور مفهوم التناس إلى مستويات أكثر انفتاحاً والتصاقاً بالنص وقراءته ، بكتابه أطراس الذي وضع فيه التقسيمات الخمسة المشهورة : التناس ، والمناص ، والنصية الواصفة ، والنصية المنقرعة ، والنصية الجامعة (٤) ، فتمثل ذلك في ظهور مصطلحات النص الموازي أو التعالق النصي أو المتعاليات النصية وهو ما تبناه البحث ويقصد به مجموعة النصوص المتعلقة مع النص الجديد التي تعمل على تفسيره وإضاءة جوانبه الغامضة ، وفتح آفاق القراءة التأويلية ولاسيما في النصوص المعاصرة التي تؤمن بالوحدة العضوية .

ويعدّ الجيل الستيني من الأجيال الشعرية المنتجة على الساحة الأدبية ؛ بفعل ظهور مجموعة من الشعراء تؤمن إيماناً كبيراً بضرورة مواصلة الإبداع الشعري ، ولربما محاولة التجاوز على من سبقهم سواء تحقق ذلك عملياً أو لم يتحقق ؛ لأن مسألة البحث عن التمييز كانت ظاهرة متميزة في الشعر العربي بشكل عام والعراقي بشكل خاص وبمراحله المختلفة ولاسيما في الشعر المعاصر ، إذ حمل شعراء الرواد شعلة التغيير ؛ وذلك بتفويض الشكل القديم للقصيدة العربية ، وإن سبقتهم محاولات عدة إلا أن التأصيل الحقيقي لهذا التفويض الشكلي كان بفضلهم متماشياً مع معطيات التطور الثقافي والفكري والنقدي وتنوعه ، زد على ذلك الاتصال المثمر الذي حدث مع الحداثة الغربية ، وما أحدثته من ردود أفعال كبيرة في المدونة الثقافية العربية .

وعليه فإن جيل الرواد كان الأساس الحقيقي لشعراء الجيل الستيني ، الذين حاولوا جاهدين الخروج من عباءتهم ، والبحث عما يميزهم أو على أقل تقدير تحقيق ما يضمن لهم مسايرتهم ، باقتراح سبلٍ تشكيلية ورؤيوية جديدة ، تمكنهم من اللحاق بمن سبقهم ، والحضور بشخصية جديدة وحساسية مغايرة ولو بدرجة معينة تساعدهم على الخروج من دائرة الإلتباع التي أحاطت بهم إلى دائرة الإبداع التي بحثوا عنها بسلوك وأساليب مختلفة ، لرفد ذائقتهم الشعرية بتقانات جديدة لها القابلية على اجترار الصيغ المؤدية إلى ذلك الغرض الكبير ، بفعل الاتصال مع العالم الخارجي الذي كان في أوج ثورته بفعل الحداثة وما بعدها ،

والعمق التراثي بالماضي وحضوره ، إذ حصل ارتباط مزدوج بين الثقافة الغربية بتقاناتها الحداثوية ومناهجها ، والعربية بممكاتها اللغوية والبلاغية والدلالية .

وإذا أردنا الحديث عن الشاعر حسب الشيخ جعفر ، فقد حقق ما يصبو إليه من تلاقح معرفي وثقافي بين الماضي وحضوره الدائم في المخيلة العربية والحاضر بقصدية الإدراك الواعي الأنّي للخطاب ومقتضياته الذاتية والمجتمعية والثقافية ، وما كان ذلك ليكون لولا الثقافة التي يمتلكها سواء أكانت عربية متمثلة بالتراث الأصيل أم غربية المتمثل باستعمال المناهج النقدية الحديثة ، فتقافته كانت راسخة تتبلور في فكره مع مفرداته وعنواناته وتناساته ، ولهذا كان الشاعر موفقاً في فكرة التلاقح ما بين الماضي والحاضر .

الصدى القرآني وفاعليته في الحضور الإيحائي :

يبدو أن التناسق القرآني الإشاري حقلاً معرفياً كبيراً ، ولاسيما في عقد التأسيس (عقد الستينيات) ، مما شكل ذلك الارتباط بين الشاعر والتراث نصاً جديداً يمكن قراءته قراءة أخرى ، وهذا البناء الجديد ليس ببعيد عن فكرة التلاقح ما بين القرآن والتراث وما بين التراث والحاضر:

يتفجر الصخر الأصم ندى إذا نادى المنادي

باسم التي أهوى ، وترتجف البوادي

ألقا ونجوى .. أيها النبع البعيد .^(٥)

يجعل الشاعر التعالق النصي الإشاري مع القرآن مرتكزاً أساسياً للولوج إلى الخطاب أولاً ، والقارئ ثانياً ، فالصخر يتفجر بفعل المناداة الذي أحدثته ، وهذا الفعل يرتبط بالآية المباركة { إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا }^(٦) ، وقوله تعالى : { وَإِنَّ مِنَ الْحَجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ }^(٧) ، وهذه الإشارة على الرغم من إيحاءها الخفي ، إلا أنها قامت بعمل الاسترجاع الذاكراتي للمتلقي في ربط خضم الأحداث وذروتها ، فأصبح النص المسترجع نصاً آخر يحاكي القرآن أولاً ، بحضور قوة الفعل ودلالته ؛ لأن عملية تفجير الصخور السماء وتحويل هيأتها أمر في غاية الصعوبة ، ولا يتم إلا بإرادة الله ، لكن المفارقة الحقيقية التي حدثت بعد أن نادى إسرافيل في المتخيل الذهني عند الباث والمتلقي ، انفتاح النص على دلالات أخرى ، وبشكل مختلف عما شغل المتلقي ، فالحضور الذهني كان يتوقع هول الحدث ومعطياته الكبيرة والمختلفة والمخيفة في آن ، وإذا بأفق التلقي ينزاح عن المألوف أو ما يقتضيه المعيار الكلامي المتوقع إلى ما يخدم النص بصورة أو بأخرى وبدرجات متفاوتة^(٨) ؛ بربط الحدث بقوة العاطفة (وترتجف البوادي ألقا ونجوى) ، فظهرت صورة تختلف عما ندرکه في مخيلنا ، مما أصبحت القراءة الثانية حاصلة لا محالة وهو الأمر الثاني لقراءة النص ، فيحضر حديث النفس المغاير للصورة المخيفة الراسخة في الأذهان ، فاسم الحبيبة والعاطفة الكبيرة ، جعل البوادي تزهو بحديث النفس وألقها ، ولم يقف عند ذلك الأمر ، بل كان مفتوحاً لتأويلات عدة وقراءات مفتوحة بدلالة النقاط الموضوعية بعد (ألقا ونجوى ..) التي توحى باستمرار تلك الظاهرة وتجسيدها فعلياً على كل الأرض ، فتنبعث مظاهر السرور على الكون والذات ، وإن لم يتحقق بالحضور الفعلي ؛ لأنها النبع البعيد الذي يُصعب الحصول عليه ، لكنه باق ومتجدد ، وبهذا أصبح التعالق النصي يدور في محورين مختلفين ، أولهما صورة النداء القرآني ، والثاني الإفادة من ذلك بالعدول عن المعنى المقصود إلى آخر يحاكي قصدية الباث ، فأنتج النص قراءتين بفعل التناسق القرآني الإشاري .

إن انزياح النص إلى قراءة أخرى قد حدث بفعل الإشارة القرآنية وقوتها في تشكيل نص متداخل مع نص آخر :

وشممت ثوبك في غبار الريح راية
يا وردة في البستان ، يا طفلي المدلل ،
لو أضمّك في ضلوعي
وأشد أذبال النهاية ، وهي تفلت ، بالبداية
وتعود طفلاً ، تاجك الأشواك تزهو في دموعي .^(٩)

المتأمل للنص يشعر تماماً بأثر قرآني واضح وإن لم يُصرح به ؛ لأن الاستدلال العقلي يقودنا إلى الأثر المترسخ ، وهذا الاستدلال العقلي الإشاري يقودنا إلى قراءة واسعة ، تفصح عن مضمون إنساني كبير ، فقصة يوسف (عليه السلام) ترتبط في الأعم الأغلب مع كل حالة رثاء ، أو أثر متجسد بفعل الفقد ، بل أصبحت هاجساً يورق أفكار المتلقين مع قلة البوح بها بشكل مباشر ، فالإيحاء يكفي المتلقي للوصول إلى قراءة النص المعروف والبحث فيه ، فالشاعر يتعالق مع النص القرآني وبحرفية كبيرة وبارعة ، فشم القميص أو الثوب يقودنا إلى قوله تعالى: {أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْفُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا} ^(١٠) المتضمن أثر الفعل على الفاعل ، وبيان أثر العاطفة على الحواس ، فيعود البصر بعد الفقد ، وهذه الصورة تمثل القوة الإلهية ، وقوة العاطفة الكبيرة التي لها القدرة على خلق المعجزات ، هذا الفكر مثل خطاباً قاراً عند المتلقين على اختلاف قدراتهم وإمكانياتهم التأويلية ولاسيما التيار الأول الذي " يرى في التأويل فعلاً حراً لا يخضع لأية ضوابط أو حدود ، والسيرورة التأويلية عند هذا التيار تتطور خارج قوانين انسجام الخطاب أو تماسكه الداخلي ، فمن حق العلامة أن تحدد قراءتها ... استناداً فقط إلى رابط دلالي يفصل بين المعرفة التي تقدمها العلامة في حالتها البدئية وبين المعرفة التي تقترحها المدلولات التالية الناتجة عن فعل أو أفعال التأويل " ^(١١) ، المتلقي البسيط يعلم تماماً قدرة الله ، مثلما يعلم عاطفة يعقوب ويوسف (عليهما السلام) لبعضهما ، وأثر بعضهما في بعض ، وهذا التأويل يقود الشاعر ويقودنا إلى بيان الأثر القرآني في الخطاب والمتلقي ، فعملية الشم تحمل التعالق الحسي بمضامينه المختلفة ، وأسلوب النداء (يا وردة في البستان ، يا طفلي المدلل) ، يحمل وجع الذات ومعاناتها المتنوعة ، وعاطفة الأبوة (لو أضمّك في ضلوعي) المتأرجحة على عدم الثبات الخارج عن سيطرة الذات (الشد ، والتفلت) بين النهاية والبداية ، تحمل إحساس الأبوة القار ، فالخطاب يتأرجح بين الثبات وعدمه ، وبين حصول الفراق وعدمه ، وهو بذلك يساير الخطاب القرآني القائم على التآرجح أيضاً بين فقد يوسف وعدمه ، فتصور الذات ذاتها وما آلت إليه الأمور من الظن وعدم التصديق بأسلوب استفهامي يقترب من رؤية النص القرآني :

أترى أصدق أنهم قتلوك؟ ^(١٢)

الاستفهام يعرض حالة الشك المقترنة بعدم التصديق ، بتلامس حقيقي مع القراءة القرآنية التي تقوم على عدم التصديق بفقد يوسف أو قتله أو الإيمان بفكرة الرحيل الأبدي :

أترى رحلت فلا أراك؟

ولا يحط على فؤادي ساعداك .^(١٣)

الشك كان مقترناً بالنص القرآني ولاسيما عند نبي الله يعقوب (عليه السلام) ، وقد صدق ذلك الشك القائم على سلامة نبي الله يوسف (عليه السلام) وسلامته ، لكن الأمر كان مختلفاً عند الشاعر ، فالشك كان أسلوباً شعرياً على الرغم من الإيمان التام بالرحيل ولا عودة ، إذ جعل الاستفهام القارئ في خضم الأحداث والمسائرة الذهنية بين الحصول وعدمه ، وهي المسائرة نفسها التي لازمت نبي الله يعقوب (عليه السلام) ، ويبقى الفرق الجوهرى بين الخطابين في حصول المراد في الأول وعدمه في الثاني بدلالة قوله :

كأن عاد الزمان إلى الوراء

وما تلمست الأصابع غير ثوبك في غبار الريح راية .^(١٤)

التعالق الحاصل جعل القارئ في مسارين متداخلين ، لكنهما مفترقان ، وهذه الرؤية أحدثتها الإشارة القرآنية التي أصبحت نصاً يعالق النص الآخر ، ويسيران معاً عند المتلقي ، ولا يفترقان إلا مع نهاية الحدث ، مع بيان العاطفة الأبوية عند الطرفين ، أحدهما أبيضت عيناه ، والآخر تزهو الأشواك فيهما بصورة شاعرية تجعلنا جميعاً في قلب الحدث وأثره على الذات الشاعرة ، هذا الأمر جعل النص الشعري يقترب من الجوانب الحسية للرؤيا القرآنية ؛ لأنه " مضمون متشكل أو مدلول يصبح ممكناً مع شعرية تقع بين التجريد والحس ... تخرج من الأحادي إلى المتعدد بعضاً سحرية تدرك أسباب اللعبة الشعرية " ^(١٥) لتشكل صدى ثقافي يضاف إلى صدى النص وتشكله .

ويبلغ التناص الإشاري أشده ، ولكن بأسلوب مختلف تحضر فيه حاستي البصر والشم وتبادلها للأثر الفعلي ، وهذا التمثل أصبح حاضراً في الأذهان بفعل التعالق القرآني المتجسد عند المتلقي :

شممت ثوب أمي الندي بالحليب

واشتعلت في عيني عباءة مخضبة

غطت جبين سيّد مهيب

وحينما ارتميت ما رأيت

غير انهدام مئذنة

في أضلعي مستوطنة

هوت معي إلى قرار دونه قرار ..^(١٦)

تبدو حاسة الشم لها فعلاً حضورياً في النص يرتبط ارتباطاً كبيراً بالمنظومة الثقافية التراثية، فضلاً عن ارتباطه القرآني الذي أشرنا إليه ، فظهرت ملامح ذلك بشكل جليّ بوساطة الشم والبصر ، إذ استعار الاشتعال للعين ، مثلما استعمل الاشتعال للرأس في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيحاً ﴾ ^(١٧) ، وهذه الصورة تحيل المتلقي إلى أكثر من خطاب تتعاضد فيه الحواس التي استعملت في القرآن والإفادة منها في تأسيس الخطاب الجديد والخطاب المستحضر عند الباحث

والمتلقي ؛ وذلك بفتح عملية القراءة ، والحضور الذهني للفعل القرآني سواء ما ارتبط بعملية الشم أو الاشتعال الذي تحول من الرأس إلى العين ، فالعباءة المخضبة عملت استعارياً في تحويل فعل الاشتعال عن المعنى المعروف إلى حجب الرؤيا لسيد مهيب ، وإبقاء باب تعدد التأويلات مفتوحاً لنوع الخضاب في العبادة الذي يصف عاطفة الأمومة ومكانة المرأة الكبيرة في المجتمع الإسلامي ، هذه الرؤيا التي بُنيت على ثيمات قرآنية وتراثية ، تمثل حالة انطلاق الذات نحو عالمها الشعري بقصدية تامة ووعي كبير لذلك التعاضد الإشاري الممزوج بين إشارة قرآنية وتراثية وذاتية تصف الحاضر بتمثلات الماضي ، فأحدث التعالق النصي الإشاري قراءات عدة إلى أن وصلت لقراءة الحاضر الذي ارتبط بالماضي وكانت سبباً لتقويض ذلك الأثر الفار في المخيلة العربية ، فالمؤنذنة منهارة ، مما يعني رغبة الذات في تقويض الأثر المؤسساتي الديني القار ، ومحاولة تخليصها منه بعد أن استوطنت في المجتمع ، وقد تكون معادلاً موضوعياً لانعدامهما معاً ، وقد يراه آخرون انعداماً لكل القيم والمبادئ التي يؤمن بها المجتمع .

لقد حقق النص الستيني عند حسب الشيخ جعفر مبنغاه في الحصول على حوار داخلي يفرضه على المتلقي بإشاراته القرآنية التي تفتح مغاليق النص إلى قراءة جديدة متعالية عن النص الرئيس ، يمكن بوساطتها الحصول على نص آخر ، على الرغم من اقتصادها اللغوي ، فاللفظة لها القابلية على أن تمثل نصاً قائماً بنفسه ، ففهم مدلول اللفظ بكثافته وعمقه واستعماله ، ينقل الذهن من مدلول اللفظ إلى سبب استعماله ، ولو قدر عدم هذا الانتقال الذهني المباشر أو غير المباشر لما كان ذلك المعنى لازماً في الذهن^(١٨)، ومن ثم ينقطع ذلك الانتقال فلا يتحقق المبتغى المطلوب :

في بابك الثاني حصان جامح ، مغسول

بالعرق الناضح ، لا أعرف إن كان هو البراق

أو فرس الريح التي يقطر منها دمي المراق^(١٩)

يتضح من الخطاب أن الأثر القرآني لم يكن حاضراً بصورة المتعددة سواء كان مباشراً أو غير مباشر أو إشارياً ، وغياب ذلك يعني انتفاء الأثر القرآني والقراءة المتعالية الثانية التي نبحت فيها ، لكن الخطاب عمد إلى ذلك بتشبيه الحصان الجامح المغسول بالبراق ، والبراق يرتبط برحلة الرسول ، إذ يمتاز بسرعته الكبيرة ، وذكره يعني ارتباطه بالأثر القرآني ورحلة الإسراء والمعراج في قوله تعالى : {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (٢٠) التي مثلت رحلة الرسول (ص) بوساطة البراق من الأرض إلى السماء ، وهذه الرحلة أصبحت عالقة في الفكر الإنساني وما يتصل بها وأدواتها المذكورة في كتب الأحاديث والتفسير ، والبراق ثيمتها الرئيسية الذي أستعمل فيها وفي الخطاب الشعري على السواء ، مع اختلاف زوايا القراءة ، فيشبهه الشاعر الحصان الجامح المتعب بالبراق أو فرس الريح الملطخ بدم الذات وألمها ، وما ذلك إلا دليل على رحلة من نوع آخر ، يكتنفها التعب والأسى ، ويغوص فيها الحرمان والعدم ، ولربما نهاية الذات ، الرحلة الأولى كانت رحلة قدرة الله والمغفرة والخير للأمة الإسلامية ، والثانية رحلة الذات والبؤس والحرمان والموت ؛ لأن الباب الثالث سيكون نهاية الحدث بفعل وجود أفعى غضة الإهاب :

في بابك الثالث أفعى غضة الإهاب^(٢١)

إن بؤرة الحدث المركزية في الخطابين رحلتان مختلفتان ، تلتقيان بصعوبتهما وتفترقان في أهدافهما ونهايتهما ، الأولى تحمل خير البشرية ، والثانية نهاية الذات بفعل الحب ورحلتها الشاقة ، هذا التأويل الثاني كان بفعل البراق ودلالاته ، فلولا انصراف ذهن المتلقي والشاعر إلى البراق وقيمتها النصية وصداه الدلالي لما تحقق التعالق وصداه النصي ، فالمثقف أو القارئ يفترض أن الشاعر محكوم سلفاً بفعل ارتباطه الكبير بالموروث الديني أو التراثي بشكل عام ، وعليه أن ترتبط نصوصه بطرس سابق مشترك بينهما ، يقبل منه أن ينقل ذلك الطرس المعرفي بأسلوب بياني ولغة شاعرية ، ليبقى التعالق بينهما مفتوحاً ومقبولاً ، ليحاكم " الأفكار التي تجد بمنطق الأفكار القديمة ، بحيث أنه قلماً يقبل أو يتذوق نتاجاً شعرياً إلا إذا كان يتحرك في اتجاه الماضي أو يستلهمه ، أما النتاج الذي يتحرك في اتجاه المستقبل دون استلهام للماضي ، فهو إما أنه يرفضه ، وهذا هو الأغلب ، وإما أنه يشكك فيه ويهمله " (٢٢) ؛ لأنه يفرض عليه جهداً فكرياً تأملياً يناسب بعض القراء من دون غيرهم .

لقد استطاع التناسل البوح بمعطيات الخطاب بشكل يختلف عما تريده الذات ، لكنه فكراً يجمع ما بين الاستعمال القرآني والتراثي :

دعني أحسك يا إلهي

كحليب أُمي في شفاهي

يا غفوة فوق الحصير

والماء كالبور في كوز الفخار

وشجيرة اليقطين ، فوق السقف ، خضراء الثمار

والظل في البستان سري كما ألتف النعيم .

يا قطرة من نهرنا المنسي أطفأت الجحيم . (٢٣)

يعتمد الخطاب على فكرة التظليل القرآني الممزوجة مع البيئة الطبيعية والقارة في الفكر المعرفي عند المتلقين ، وإن كانت الإشارة إيحائية ، فشجرة اليقطين الملاذ الأمن التي ظلت نبي الله يونس (عليه السلام) في قوله : {فَنَبِّدْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ، وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجْرَةً مِّنْ يَّقْطِينِ} (٢٤) ، فالإيحاء المشار إليه كان حاضراً بفعل الملاذ القرآني المتمزج مع التراث الشعبي في المجتمع العراقي القديم ، الذي يحاول تجاوز العادي إلى أفق جديد يعطي الأولوية للحركة الإبداعية والتجربة المعيشة للوصول بالنص إلى مرحلة الشعرية الجديدة بالنظر إلى الموروث بوصفه مبدأ كتابي للاحتذاء بالقديم للوصول إلى الرؤية الجديدة وذلك باكتشاف " أفق غير معهودة في طرق التعبير ، والغوص في أعماق النفس ، ومقاربة الأشياء والعالم " (٢٥) ، فانعكس ذلك على فكرة تأسيس النص أولاً ، والقراءة الذاكراتية في ضمن المخيال العربي ثانياً ، بفعل الحوار بين نصوص مختلفة متعددة المشارب والمصادر والمستويات ، وعملية استشفاف التناسل الخارجي ليست بالسهلة لتعدد الرؤى الخفية التي تحتاج إلى جهد كبير من قبل المتلقي حتى يجد صداها ، ولاسيما إذا كان النص مبنياً بشكل حاذق فساهم كل من القرآن والتراث في تشكيل النص وفتح

آفاق القراءة الجديدة ، بل أن أساس بناء النص الجديد اعتمد على العلاقة العاطفية الكبيرة القائمة على معطيات الأمومة وعاطفته الكبرى مع الله عز وجل .

فاعلية التراث في النص الجديد :

ويحضر التراث بوصفه نصاً جديداً يضاف إلى النص الرئيس الذي أنتجه الباحث ، إذ يحقق ذلك الحضور مبتغاه الفكري الثقافي في قابلية البوح وإن كان صوتاً إشارياً :

ولممت من مقل الردى رعداً وبرقا

وضفرته لجبينك العربي إكليلا أرقا

يا أخت معتنق الفوارس ، ما ألدّ وما أشقا

أروى ندى وأغص باسمك علقما مرأ وأسقى

لهواك ما لم يبقَ مني ، يا هواي ، وما تبقي

ولمقلتيك كل ما لقي الفؤاد ، جوى ، ويلقى . (٢٦)

ينبثق من الخطاب صوت المتنبي وصداه في قصيدته "لهوى النفوس سريرة لا تعلم" (٢٧) ، عندما يخاطب خولة ، فالصدى الإشاري تحقق بفعل النداء (يا أخت معتنق الفوارس) الذي يروم به الجمع بين السعادة والشقاء ، الحلو والمر ، الوصل والفراق ، بالمقابل تحضر "مرثية خولة" (٢٨) بمعطياتها السايكلوجية والفنية ، إذ يعتمد التعالق الإشاري على صدى الخطاب وحضوره عند الذات أولاً ، والمتلقي ثانياً ، وهذا الصدى لهذين القصيدتين يعبران عن حالة الشاعر وغربته ، فضلا عن أنهما يمثلان جسر التواصل بين الماضي والحاضر ، الماضي الأكثر حضوراً وتجسداً في المنظومة الأدبية الحديثة ، فالمتنبي يمثل حالة التطلع نحو المثل الشعرية الكبيرة التي كان يبحث عنها شعراء الجيل الستيني ، والفرصة الحقيقية للعودة والظهور والتميز ؛ لأن الخطاب القديم له القابلية على إثبات شخصيته في النصوص الحديثة ، بل له القابلية على البوح بخطابين في آن ، في ضوء صدى الماضي وحضوره في الحاضر وعدم وجود القطيعة بينهما ، بل يمكن أن يكون الماضي أساس الجودة والتواصل والقراءة الجديدة المتعالية التي تجعل من الخطاب محاياً ومنتجاً ، (٢٩) فالشاعر يتحدث عن وعورة ما يصبو إليه ، وما يفعله ، وما يكابده ، وكان هذه صورة تحمل معاناة المتنبي وصوته ، فالمعاناة واحدة وإن اختلف الموقف عند الشعارين .

ويبدو أن الماضي وجد صداه عند حسب الشيخ جعفر ليجعل منه نصاً آخر يضاف إلى نصه الرئيس ، وهذا الأمر مبتغاه المقصود أن يجد المتلقي غايته في طرس سابق له مكانته في الشعر والحدث معاً :

يا أيها الساري المثلث بالظلام

تلتفت الدنيا لخطوته وتلتهب الخيام ،

أنت الغربية في زمان كل مكرمة لديه بلا تمام

أشعلت في شجر الهموم النار والشوق الهمام . (٣٠)

ينطلق صوت الماضي بإشارته الواضحة إلى صدى أبي فراس الحمداني^(٣١) المرتبطة بفكرة صدى الريح التي وجدت حضورها في مدونته المعرفية وسلوكه الشعري ، وإن اختلفت فكرة الحضور النصي ، إذ إن الشاعر يستعمل صوت الريح لبث إشارة الماضي في الحاضر وبأسلوب النداء الذي يقترب من محاكاة الماضي الذي يمثل صدى أبي فراس الحمداني ، ويمثل الحاضر المرتبط بالذات الشاعرة وهذا التعالق الإشاري يتكرر عند الشاعر وبالأسلوب نفسه :

نار القرى خمدت ، وكفنها الرماد

يا أيها الساري المثلث بالظلام

يا راكباً عنق الرياح وصهوة الشوق الهمام

من أين ؟ وانهمر الندى فوق الفدافد والوهاد . (٣٢)

يقوم النص على الجمع بين فكرتين تراثيتين إحداهما سبق الإشارة إليها ، والأخرى ترتبط بها بشكل كبير في قضية الكرم التي لازمت المدونة المعرفية السوسولوجية ، إذ تقوم على إضمار ذلك على الرغم من رسوخه بشكل كبير وواضح عند الغالبية العظمى من الشعراء ، عندما تخمد نار القرى ، فالأمر يرتبط بواقعه العام أو بشخصية ما ، وقد عبر عبد الغفار الأخرس عن إخماد نار القرى في مرثيته المعروفة (لفقدان عبد الواحد الدمع قد جرى) ، إذ يقول :

وقد خمدت نار القرى دون طارق فلا جود لجدوى ولا نار للقرى^(٣٣)

ونجد أن صدى إيليا أبو ماضي حاضرا في قصيدته (نار القرى) ، إذ يصف حبيبته بنار القرى:

كيف الوصول إليك يا نار القرى أنا في الحضيض وأنت في الجوزاء^(٣٤)

وهذه الفكرة استعملها العديد من الشعراء في مواضع عدة حتى غدا ذلك طرسا متداولاً في الشعر العربي وهذا يعني أن الشاعر كان حاضرا ومندمجا مع غيره .

وقد تجد الحكايات الشعبية صداها في شعره لكنه بأسلوب مختلف استطاع به أن يلامس صدى الحكاية من دون الولوج إلى عمقها الدلالي المعروف في المدونة الثقافية العربية ، فالدرويش الأول والثاني والثالث قد حققوا حضورهم في نصه الشعري بتكثيف في غاية الإتقان ، فوظف قصصهم بإحفاء لا يستطيع أن يتلمسه إلا من قرأ الحكايات بشكل دقيق، إذ عمل على تكثيف ذلك الطرس بحرفية الشاعر المجد الحاذق والقادر على اختزال الصور وتطويع اللغة ، مما جعل القارئ أمام قراءتين الأولى ترتبط في المدونة الشعبية المشهورة (حكايات ألف ليلة وليلة) ، والأخرى نص الشاعر وتشكله الجديد مع طرس قديم أجاد فيه أيما إجادة :

تحير الدرويش بين عالمين

محترق اللسان واليدين

كجذع نخلة قديم

منجرد عقيم^(٣٥)

يشير النص إلى قصة الدرويش الأولى وتخيّره بين عالمين عالم الإنس الذي مثله وعالم الجن الذي اختاره ابن عمه من دون علمه ، وقد علم بذلك من عمه الملك بعد أن فقده " يا ابن أخي فلتعلم أن ابني كان يحب إحدى الجنيات بجنون ، وكثيراً ما كنت أمنعه من رؤيتها ، لكنه لم يستمع إلي ، والآن أدركت كيف خطط لكل شيء من وراء ظهري ، لقد أقام مقراً أسفل القبر الذي تتحدث عنه وذهب لمقابلة حبيبته الجنية هناك ، لقد فقدته الآن "^(٣٦) ، مما يعني أنه اختار عالم الجن على عالمه الحقيقي الذي يعاني منه ، ولاسيما أن الدرويش عاش صراع علام الإنس عندما، حُرقت إحدى عينيه ، ورُبط في الغابة قبل أن ينقذه سيف أبيه^(٣٧) وهذه إشارة إلى جوهر الحكاية الحقيقية للدرويش الأول التي كثفها بأسلوب شاعري مع ربط هذه الحكاية بذات الشاعر وظروفه ، فهو يعيش عالمين مختلفين ، لا يختلف كثيراً عن عالم الدرويش ، فاستعاض بجذع النخلة بدلاً عن الغابة ، واختار التجرد والوحدة والعزلة التي اختارها الدرويش عندما هرب مرة أخرى ومن صراع جديد ، فالشاعر كثف حكايته مع حكاية الدرويش حتى تداخلت بشكل كبير ، فالدرويش في حكايته وعزلته وهروبه هو أقرب إلى عزلة الشاعر وغربته :

يشدُ عينيه إلى الوراء :

لأشياء غير حفنة من زبد البحار

وما تنثير الريح من غبار

والأرض والسماء...

ليس كما ينسحب الموج من الرمال

ليس كما تنهزم الظلال

ليس كما تذبل أوراق الشجر

ينحسر الماضي ولا تحس كيفما انحسر

يمضي ولا يترك خلفه أثر .^(٣٨)

يحاكي النص بأسلوب إيحائي قصة الدرويش الثاني الذي تعرض إلى (سحابة من غبار) نقلته إلى عالم آخر ، إذ قال : " عندما رأنتي الفتاة سألتني : هل أنت إنس أم جن ؟ فأجبتها إنس ، وسألت ما لذي أتى بك إلى هنا ؟ لقد عشت في هذا المكان طيلة خمسة وعشرين عاماً دون أن أرى أحداً على الإطلاق "^(٣٩) ، أما الدرويش الثالث فتعرض إلى (سحابة من ماء) ، نقلته إلى عالم آخر أيضاً يعيش فيه مع أربعين ابنة لأربعين ملك ويجب عليهن ترك القصر مرة كل عام مدة أربعين يوماً ، وعند مغادرتهن ، يسمح له بالتجوال إلا في غرفة واحدة كانت سبباً في جعله بين السماء والأرض ومن ثم العودة إلى الأرض بحركة من الحصان الذي وجده فيها وتسبب في رحيله من دون أن يترك أثراً^(٤٠) ، وهذه القراءة كانت سبباً لفتح

آفاق القارئ باتجاه أثر المدونة الشعبية وحكاية الدراويش الثلاثة ، الذين عانوا ألم الغربة والوحدة بالعالم الآخر أو العالم الوجودي الذي يجد صداه عند الباث ، فالماضي يؤرقه ، ويعمق من حزنه وغربته الذاتية والسايلوجية ، وهو جانب من الإحساس بالزمن ؛ لأن الذات " هي مصدر كل تجربة ومعنى وقيمة بل هي محرّكة للوجود الخاص بها " (٤١) ، والمرتبط بنصوص وحوادث سابقة في العمق التاريخي كانت هي المحرك الأساس لقراءتها المبدعة قبل قراءة النص .

السياب صدى الشاعر وطرسه :

ويمكن أن نلاحظ صدى السياب عند الشاعر بشكل واضح إذ كان تأثيره كبيراً ؛ لأنه كان الأقرب زمنياً ، زد على ذلك أنه الصدى المميز له يستمد منه صورته ولاسيما في مجموعته الأولى (نخلة الله) ، وقد أشرنا إلى أن الستينيين كانوا تحت عباءة جيل الرواد الذي شكل حضوراً لافتاً ، بل هنالك من يرى أن محاولة الاحتذاء بهم كانت قائمة على الرغم من الجهد الكبير الذي يبذلونه في رسم مسارهم الشعري الجديد ، فمحاولة الشعراء هو رسم شخصية جيل شعري جديد جاء بعد جيل الرواد بزعامته القوية والمتطورة التي استطاعت أن تغير في شكل القصيدة ومضمونها ، وهذا يعني وجود صدى السياب سواء كان ذلك بوعي من الشاعر أو لم يكن ، ولاسيما في صورته التقليدية ، إذ يقول :

ثوبي القديم ، عليك ، يخفق في الشمال

مثل المسيح ، وطعم بين وارتحال

في تمرك المهجور للغربان والريح الثقيلة بالغبار

تسفي عليه من الشروق إلى المساء

والظل مثل البيرق المهزوم ، أين هم الصغار

يتسلقونك مثل أطيّار السماء . (٤٢)

يظهر في النص عمق العلاقة المعروضة بين الذات وماضيها المتجذر في العمق الإنساني ، فضلا عن صورة التزاوج والتفاعل بين الحضور الواقعي والتمثيل ، فيحاول إظهار الدال وإسقاطه على محور انتقاء الكلمات أو الأصوات على محور تألفها وحضورها ، أن نص الشاعر خطاب يكرر جزئياً البنية اللفظية والصورية " خطاب في المرأة أو في الصدى " (٤٣) وهذه البنية تتجسد في الثوب القديم و صورة المسيح وحالة الغربة والاعتراب التي يعانيتها الشاعر فجعل من النخلة معادلاً ومرآة في آن ، لكنها مرآة محطمة بفعل العوامل الزمنية ، وصورتها ضحلة بانسة توحي بقلق المكان وتأزمه وهجرانه ، فأصبحت مرآة الذات بفعل عامل الانعكاس ، لكنها بالمقابل هي صورة الحنين الملازمة لغربة الذات وانكسارها وتأزمها التي تعكسه صورته وقفر المكان الذي خلا من الحركة والروح (أين هم الصغار) ، وهذا الأمر جسده السياب :

كان المسيح بجنبه الدامي ومنزره العتيق

يسدّ ما حفرتة السنة الكلاب (٤٤)

إذا حاولنا الإمساك بصدى الانعكاس سواء كان على مستوى اللفظ أو الصورة ، فنلاحظ صداه في جانبين : طبيعة البعد الزمني الذي تعاطاه الشاعران بإسقاط الماضي على الحاضر ، فالمسيح صورة السياب الزمنية وصداهما الحقيقي للواقع ، وهذا ما فعله حسب الشيخ جعفر ، والأمر الثاني : اجتراح ذلك الزمن ليلاصم الذات بفعل ملامسة الواقع المعيش بحركتي الثبات والتحول بين الماضي والحاضر ، فتبدو المهيمنة النسقية عند السياب المسيح والواقع وهذا ما جسده الشاعر أيضاً ، وقد تظهر معاناة الشاعر بفعل صدى النص الذي سبقه ، فتأثر به حتى جعله ترديداً لما يتبناه من أفكاره :

.. وأمد حبلاً من رماد يديّ ، يا مطر النسيم ،

إلى يديك

لأحس في شفتيّ رعدة وجنتيك

لأحس وهجاً في يديك ،

لمحاً من الماضي ، حرارة خبز أمي ،

وهج بسمتها الحنون

أو دفء قبلتها وهمس صلاتها في فجر عيد

ويدي تحس نداوة العشب الحصيد . (٤٥)

تبدو أن الحركة الأولى هي حركة الأصل في النص الشعري ؛ لأنها مصاغة باقتصاد شعري محكم ، مسبوقة بفضاء مفتوح بفعل النقاط الموضوعية في بداية النص قبل البدء بالبوح والاستطراد ، إذ يستدعي من الذاكرة أثراً متأثر به الشاعر ، فأصبح امتداداً معرفياً ومعجمياً يعترف منه وبأسلوب يقترب ممن سبقه سواء كان ذلك بفعل النص المعروف وصورته الجميلة المعبرة بجعل عملية التواصل في المتخيل الذهني المعبر عن ذاتيته ووجوده المنكسر المرتبط بعاطفة الأمومة ، فحنان الآخر هو حنان الأم ذاته ، بل هو الماضي بما يحمله من وجود كبير ، فحالة الذات أصبحت في خضم الأمنيات تقوم على حبل طرفه الأول يبدأ من رماد اليد الجزء المحترق بعاطفته المتوهجة المعبرة عن الشوق والانكسار في آن ، فالنص يوحي بوجود الحبيب وبعده ، ويرى البحث أن هذا هو الوجود المتخيل بدلالة احتراق الذات بهذه العاطفة، والاتكاء على الماضي في محاولة منه سد ذلك الحنين المفقود ، فوهج اليد هي صورة الماضي الجميل وذكرياته العبقية ، وحرارة الخبز هي ذكريات الأمومة القارة في الأنساق الثقافية العراقية ، والشعور بالسعادة والحنان أمر يلزم الأم مع كل عسر ويسر ، ودفء القبلية هو الحب الصادق الحقيقي ، وهمس صلاة الأم هو الدعاء الذي لا يرد ، فالصدى الذاتي يحمل الوجود العاطفي المرتبط بعاطفة الأمومة ، ويحمل البعد المكاني الذي يجعله يلوذ بالماضي والعاطفة المفقودة على وفق " ما يسوغه الاختلاف المطلق ، بحجة مسابرة الواقع المطلق في دلالاته الظنية التي شاعت فيها الاختلافات ، والخلافات ، سواء ما كان منها في وقع تضليلي ، أو تحريفي ، ولعلّ نقشي هذه المتناقضات ما يعكس استحضر التماهي مع شقاء الشاعر المؤدي إلى الاغتراب والتهيه " (٤٦) ، فالاختلاف كان مكانياً وعاطفياً ، والخلاف بين ديمومة العاطفة وانحسارها ، مما شكل صراعا بين واقع جديد وواقع قديم ، والشاعر في كل هذا يردد صدى السياب :

وتلتفتُ حولي دروب المدينة :

حبالاً من الطين يمضغن قلبي

ويعطين عن جمرة فيه طينة .

حبالا من النار يجلدن عُري الحقول الحزينة

ويخرقن جيكور في قاع روعي

ويزرعن فيها رماد الضغينة. (٤٧)

النص يحمل صراع القرية والمدينة وهو في حقيقته صراع الماضي والحاضر أي الجديد والقديم ، لكل منهما صدها الخاص عند الشاعر ، وكل منهما يرتبط بعاطفته بشكل مختلف عن الآخر ، وقصيدتا السياب (جيكور والمدينة و جيكور أمي) تقومان على ذلك الصراع المتعدد المرتبط بعاطفته والحنين إلى الماضي سواء كان ذلك الحنين مكانياً أو عاطفياً ، وهو ذات الصدى الذي اتبعه حسب الشيخ جعفر بقصيدته (الكوز) ، فصدى السياب ساهم في تأسيس النص الجديد بشكل أو بآخر ، فالصدى طرس يمكن لشاعر آخر الاحتذاء به والإفادة منه ، فبينى عوالمه الجديدة في ضوء عالم آخر وفر له إمكانية بناء نص على وفق كيفية جديدة في نطاق الممكن النوعي في البحث عن " طرائق جديدة في تنظيم بنياته النصية التي يتشكل منها النص الذي يبدع وفق رؤيته لعمله الإبداعي أو تبعاً لضرورات تشكيل المعنى " (٤٨) المراد تصوره من صدى آخر فتح له باب الإبداع .

لقد مثل الصدى السيابي عند الشاعر ثيمة بارزة يمكن أن نلاحظها بوساطة (نخلة الله) بوصفها المجموعة الأولى له ، ولهذا يمكن أن نقول أن الأثر كان حاضراً بشكل أو بآخر ، ولاسيما أن ظروف السياب وغربته المكانية ، كانت تقترب من غربة الشاعر وظروفه ، فتمثل النص السيابي الماضي المرتبط بالريف والقرية ، وهذا الصدى كان حاضراً عند الشاعر عندما تمثلها بقصيدته (نخلة الله) :

كنا نمد إليك أيدينا الصغيرة

متوسلين فتمطر الدنيا عطايا

فندوق ، قبل الطير ، تمرأ قد توهج كالمرايا (٤٩)

يبدأ النص بوحه بفاعلية الماضي المترسخة عند الذات والمرتبطة بالمكان الواقعي المزوج بالعاطفة الكبيرة التي يحملها إلى النخلة وما تمثله من رمزية كبيرة في الواقع العربي والإسلامي، فالنخلة كانت المعادل الموضوعي عند الشاعر يلجأ إليها نتيجة إحساسه الحاد بالغربة عن الوطن ، بل هي الأقرب إلى توافق أفق القارئ وإحساس بغربة الذات وحضورها في البنيات النصية ، ولها القابلية على بيان البعد الجغرافي مثلما كان عند الأندلسيين وتحديدًا عبد الرحمن الداخل الذي بث شكواه بوساطة نخلة تراءت له في الأندلس (٥٠) ، فهذا الصدى شكل حضوراً مستمراً في الذائقة الأدبية التي ترتبط ببث الشكوى والألم ، وقد شكل السياب ذلك الامتداد التعالقي لصدى النخلة وحضورها مثلما تمثل ذلك عند شاعرنا أيضاً ، إذ تكررت النخلة في شعرهما مرات عدة (٥١) ، ومرد ذلك يعود للعامل البيئي ، فكلاهما ينحدر من بيئة ريفية ، السياب

من ريف البصرة ، وحسب الشيخ جعفر من ريف العمارة ، وكلاهما عاش الغربية المكانية ، فالسياب كان يعاني ألم الغربية في أنساقه المضمرة والمعلنة ؛ لأن الوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد ، وهذا يحدث عندما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمّر ، ويكون المضمّر ناقصاً وناسخاً للظاهر ويتمثل ذلك في الخطاب أو ما يتمثله من صراحين مختلفين أحدهما الذات والآخر/الوضع المكاني^(٥٢) ، وشاعرنا بث أشواقه في (نخلة الله) إلى بيئته ، على ذات الصراحين المذكورين أعلاه إذ كان طالباً في روسيا مما يعني غربة الذات واغترابها وهو في مراحل عطائه الأولى مما انعكس ذلك على نتاجه الشعري وعطائه الفكري ، وما كان للسياب من إبداع ومهارة وتلاقح بيئي وسايكولوجي مع الشاعر الذي أصبح مطيته في هذه المرحلة وصداه الشعري ، فالنخلة هي صدى السياب ومعاناته مثلما هي صدى الشاعر في حله وترحاله ، فالسياب جعلها في مكانة كبيرة :

وأبصر الله على هيئة نخلة ، كتاج نخلة يبيضُ في الظلام

أحسه يقول : يا بني ، يا غلام ،

وهبتك الحياة والحنان والنجوم

وهبتها لمقلتيك والمطر

للقدمين الغضبتين فاشرب الحياة

وعبها يحبك الإله^(٥٣)

النخلة مرآة السياب في تجسيد الذات الإلهية ، بوساطتها أبصره شخصاً يحدثه بل يناجيه ويوعظه ، وهذا يمثل مكانتها في العقل والقلب ، فالبصر عمل فعّالين كبيرين ، أولهما إثبات العلاقة الحميمة مع النخلة التي وصلت مرحلتها الكبرى ، فهي مرآة الذات لله عز وجل ، والأمر الثاني معرفة قدرة الله بفعل النخلة ومكانتها ، التي تنعطف على فهم قدرة الله والمتجسدة في كافة مفاصل الحياة ، فأضفى التشخيص والحوار الأحادي الذي استشعره صدى الله وبيان رحمته ، وهذه الصورة الكبيرة القائمة على أنسنة النخلة يدل على توغل البيئية والتراث وفعلهما على الذات ، بل أثرهما في المنظومة المعرفية للسياب ومن بعده حسب الشيخ جعفر .

العنوان الرئيسية بوصفها نصاً موازياً :

وصل التأثير البيئي والتراثي إلى عنونته للمجموعة الشعرية التي استوحاها من ذلك الطرس المادي المرتبط بالواقع المعيش الذي يرتبط بالبيئة الريفية وتمثلاتها أولاً ، وصدى الجيل الذي سبقه ولاسيما السياب ثانياً ، وغربته واغترابه الذي كان يعانيه ثالثاً ، فأسس منطلقات رؤيته الشعرية على وفق ما استوطن الذات الشاعرة من بوح خاص دسه في ثلاثة أبعاد أحدهما مكاني (البيئية) ، والآخر شعري (الجيل الذي سبقه) ، وأخيراً أثر الغربية في نصوصه الشعرية (غربة مكانية) ، فجاء العنوان (نخلة الله) ، ليمثل ذلك الامتداد الزمني والرؤية الذاتية والعلاقة التضافية بين النخلة بوصفها الخصب والنماء والخير ، والله دلالة التعريف المرتبطة بالإيمان والقدرة ؛ لأن العنوان " من أهم العتبات النصية الموازية المحيطة بالنص الرئيس ، حيث يساهم في توضيح دلالات النص ، واستكشاف معانيه الظاهرة والخفية ، إن فهماً وإن

تفسيراً وإن تفكيكاً وإن تركيباً^(٥٤) ، فعلاقة الشاعر بالنخلة هي علاقة مكانية تراثية ترتبط بالزمن وتشعباته المختلفة المرتبط بالذات وذكرياتها ، ولهذا عُرفت النخلة بلفظ الجلالة تعبيراً عن مكانتها عند الشاعر وبيانياً لعمقها التاريخي الذي تحمله ، فهذه نخلة الله بما تعنيه من عطاءٍ وذكريات تمثل كل ما ذُكر :

يا نخلة في الريح كنت أقول : يا قلبي الولوع

من بعد عام أو يزيد أعود ، تسبقني إليها

خطواتي المتعثرات ، فكل ما ضيعت باق في يديها .^(٥٥)

ارتبط العنوان بذكريات النخلة ورمزياتها عند الشاعر ، كأنها هي الملاذ الآمن الذي يُستظل بها مع كل عثرة ووجع وضيق يشعر به ، مثلما تكون عودته لله عز وجل مع كل هم يلم به ، فهي جزءٌ من اشتغال أعم يرفده بالنشاط كلما شعر بالغربة والاختراب ، فتعريفها بلفظ الجلالة أكسبها الطابع الروحي العميق الذي حمل طابعاً خاصاً ، يختلف عن العناوين الأخرى ، فحذف المبتدأ وجعله مقدرأً وعرف الخبر بالله ، فأضفى ذلك استقبالاً مختلفاً عن التسميات الأخرى التي يحذف معها المبتدأ فيستقر على وفق عملية إخبار أو إعلام أو توصيف أو تجنيس ، لكن الأمر مختلف في هذه العنونة ، إذ على الرغم من عدم وجود أداة الاستفهام ، إلا أن مخيلة المتلقي تذهب إلى وضعه ، فيصبح الأمر (ما المقصود بنخلة الله ؟) ، فتبدأ القراءة بالتدرج في ضوء مستويات الوعي عند المتلقي ، بل يبدأ بوضع الفرضيات التي ترتبط بالنخلة بشكل خاص ولفظ الجلالة بشكل عام ، أهي البيئة بشكل عام ؟ ، أم المكان بشكل خاص ؟ ، أم التراث في منظومة الوعي به ؟ ، أم الماضي بما يحمله من ارتباط بالذات ؟ ، أم الأم في ضوء معطيات الثقافية الدينية والحنان والملاذ الآمن ؟ ، أم الحبيبة في عاطفتها وتمثلاتها ؟ ، وكل ما ذُكر هو من معطيات النسق الثقافي القار للنخلة ، لكن الإضافة التي يمكن أن تضيق مساحة القراءة إضافتها لله ، الذي جعل لها خصوصية مستقلة عن كل الأشياء الأخرى ، فهي محط عناية خاصة وكبيرة ، وهذه العناية هي من إسقاطات اللاوعي عند الشاعر والمرتبطة بالحالة السيكولوجية نتيجة الغربة المكانية التي كان يعيشها خارج البلاد ، وإرهاصات الزمن وتقلباته الذي جعله يحط رحاله عند الأشياء الأكثر ثباتاً ورسوخاً ، فمثل العنوان " نقطة مركزية أو لحظة تأسيس بكر يتم منها العبور إلى النص "^(٥٦) ، لملامسة الواقع والمتخيل في آن ، والبحث عن كل الاستفهامات التي وضعت قبل الدخول إلى عالم البوح والانفعال ، فأصبح العنوان الرئيس بنية مستقلة لها فرادتها وخصوصيتها وطبيعتها ، يمكن تأويلها بشكل مستقل عن النص ، وإعطاء التصورات الضرورية قبل الولوج في فضائه ، وهو بذلك عنصر من عناصر المتعاليات النصية له القابلية على أن يكون نصاً محيطاً أو موازياً للنص الأصلي ، تشترك في تأليفه حاضنات متعددة سواء كان على مستوى الفهم أو القراءة^(٥٧) ، ويسهم في تحفيز القارئ على الخوض في غمار أبعاده المعرفية واستجلاء غموضه الذي رافق تسميته في الصورة التي ظهر عليها من انفتاح واسع على مستوى الدلالة والتركيب الذي يرتبط بأبعاد ذاتية :

يا نخلة الله الوحيدة في الرياح

في كل ليل تملأين علي غربتي الطويلة بالنواح^(٥٨)

ارتبط العنوان بشكل مباشر بطرس بيئي يعيشه الشاعر ويتمثله ، بل هو معادل موضوعي لوحده واغترابه اللذان يعاني منهما ، فغربته تشبه غربة النخلة ، وغربتها غربته ، وكذلك وحدتهما، حتى تكاملا

في إظهار الاغتراب والغربة والوجع والمعاناة على اختلاف درجاته ، فتولدت علاقة تضافرية تخضع لحالة شعورية وعاطفية وانفعالية وذهنية وحسية وبنائية وتشكيلية ذات خصوصية زمكانية خاصة ، تأخذ لدى المبدع صيغاً متنوعةً يجب أن تُقارَب دائماً بمجمل المكونات البنائية التي لجأ إليها الشاعر^(٥٩) ، لبيان موقفه بوساطة إسقاط ذلك على معادله الموضوعي الذي أتكأ عليه ، ولم يكن ذلك من دون وعي لهذا المتضامر ، فالنخلة شامخة صابرة معطاءة حنونة وإن جار عليها الزمن ، والشاعر يحاول أن يضفي تلك الصفات عليه فيمثل القوة والصلابة على الرغم من وحدته :

وأنا وحيد مثل جذعك ، ظلّ يلفحني الغياب

وأجف نجماً شاحباً أو عود عشب^(٦٠)

صنع الشاعر تشكيلات شعرية تناسب عنوانه الرئيس أو وضع عنوانه الرئيس بما يناسب انتقالاته الشعرية في قصيدته (نخلة الله) ، وهو يبيت معاناته بشكل متساوق مع معاناة النخلة ووحدتها ، بعد أن عصفت بهما التغيرات الزمنية ، فهو يكابد جوى الأسي ، مثلما تكابد هي ، حتى أصبحت من دون ثمر بعد أن طفاً اخضرارها وشحب لونها ، وما كان ذلك ليكون لولا وجع الزمن وتبدلاته الذي بدلها ، لكنهما بالمقابل لهما جذور تمتد في عمق الأرض بثبات كامل على الرغم من كل المتغيرات ؛ لأنه الماضي بما يمثله من أيام الصبا والشباب والذكريات التي تلازم الذات ووجودها السابق الجميل ، والحاضر بما يحمله من متغيرات بفعل عامل الزمن ، فيذهب بعيداً في رحلة يوتوبية بقصدية كاملة واستتطاق واضح لشاعريته بفعل وجودها الذي يرتبط به بطاقة عالية من الشحن الذاكراتي الذي يتأوله بعمق عاطفي وقيم خاصة كان يألفها ، بل تشكل مساحة واسعة من عمق تفكيره وبحساسية مؤثرة من الحس الذهني والوجودي والعاطفي :

وكنت أدخل حين أغمض مقلتي ،

من وسوساتك جنة ملتفة الأوراق ، خضراء الضياء

وأفبق استبق الطيور ، وفي يديا

مما يرش عليك ليل الصيف ماء .^(٦١)

تدخل فاعلية الزمن في نسيج التجربة الذاتية والوعي بها ، وإشارات الـيوتوبية التي تبثها الذات الحاملة بوعي تام تحت تأثير الإدراك الخاص الذي تعيشه وتظهر أطراسه بنصوصه الشعرية التي بثها لتتناغم الماضي بما يحمله من جمال ونعيم ، فنخلته كانت عامرة مثل ذاته ، وما انكسارها ونعيمها إلا انكسار الذات ونعيمها في لحظة ما ، فيستحضر الماضي ليكشف إضاءة النص ، مثلما هي إضاءة الذات ، مما يعني أن الرحيل صوب الماضي الفاعل المتوهج هو للتخفيف من لحظة الانكسار التي ألمت به " فالأشياء والذوات توجد بوصفها مجموعات معطاءة في عناصر حاضرة حضوراً مباشراً ، فالظاهر ليست أحداثاً وأشياء فقط ، وإنما هي دعوة لتفسير الوقائع وشرح كيف يمكن أن يكون وجوداً ممكناً"^(٦٢) وفاعلاً على الرغم من التصدعات التي ألمت به ، وجعلته يرحل صوب الماضي ليلملم ذاكرته بشحناته التي تحمل في طياتها ذكريات الشحن الذاتي المفعم بالحركة والحيوية والحرية والخير ، لتشيع زمناً جميلاً تتمناه الذات وتحلم به ، ثم تتحول الذاكرة إلى الحاضر لتجد صداه مثلما لا تتمناه :

فإذا أتيت فأى شيء ظل منك؟ سوى الرماد^(٦٣)

كأن ذلك يحمل في طياته وجع الذات واندثارها في عالم الغربة التي تعانیه ، بل وجدت من صدى ماضيها ملاذاً آمناً لحاضر جعلها مثل الرماد ، وهذا الأمر ينعكس على كل الأشياء الجميلة والمعطاءة الحاضرة في خيالها ، فالنخلة هي الذات والماضي والطفولة وهي فاعلية الحاضر التي تبحث عنها وقد لا تجدها إطلاقاً ، وما ذلك إلا لبيان صورتها وما آلت إليه وما تشعر به ، فالرماد هو رمادها ، والوحدة وحدتها قبل أن تكون صورة النخلة :

في كوخنا المهجور ، والريح الصفيقة في الوهاد

تلهو بأوراقها . أكانت كل أشواقها هباءً ؟^(٦٤)

التصريح يبدو واضحاً للمتلقى بدلالة المكان الذي أصبح مهجوراً ، لكنه من جانب آخر يمثل حالة الائتلاف مع الذات الشاعرة ، لأن الكوخ يمثل الصورة البدائية للبيت بمعنى الماضي التي تتوق لوصول إليه مرة أخرى بعد أن ضاقت بها المدينة المزدهمة ، فحاولت اللوذ بالخيال صوب مأوى حقيقي كانت تألفه وتشعر به على الرغم من ضيق فضائه^(٦٥) ، لكنه كان مكاناً واسعاً من الناحية السايكلوجية ، فهو الألفة ، والأمان ، والأحلام ، والطفولة ، والشباب ، والماضي الذي تبحث عنه هرباً من الحاضر ، فأظهر النص دلالة التناقض الواضح بين ما كان تحلم به ، وما آلت إليه الأمور ، فالكوخ أصبح مهجوراً ، والذات قد ذبلت ، والأشواق أصبحت هباءً ، فتنبعث الثنائيات التي توحى بأزمته وصراعها بين الذات والمكان ، والحلم والواقع ، والاتصال والانفصال ، والداخل والخارج ، والماضي والحاضر ، إذ يحدث التصادم بين أقطاب هذه الثنائيات بشكل واضح محسوس أو بشكل إيحائي تتلمسه بالقراءة التأويلية لعتبة العنوان الرئيس ومضمون النص الذي ييوح بذلك التصادم بين ألفة الأماكن التي قصدتها الذات وعدائيتها أو بتعبير أدق عدم الألفة معها ، وحقيقة الأمر أن مفهوم النظر إلى هذه الثنائيات وعلاقتها بنخلة الله (العنوان الرئيس) ، كان بشكل مغاير للمفهوم السائد ، فالمغلق الداخل هو الذي كان أكثر حضوراً من الواسع الخارج ، وهذا ما جعل الاتصال به قائماً ، والانفصال عن الخارج الواسع ، على الرغم من كل المغيرات البيئية التي لازمت الذات في غربتها المكانية ، فالشوارع الواسعة والمدن الصاخبة لم تكن أليفة ، بل كانت محط مقارنة بين الماضي والحاضر ، بوساطة رمزية النخلة التي كانت تمثل الثبات والعتاء والذكريات والاتصال الذي يحكم صلته بالعالم الحسي ، حيث ينصهر الحسي والمجرد ، والحلم والواقع ، والرؤيا والتوحد ، والدهشة والتوقع ، والمستقبل والذكرى ، في مزيج واحد متلاحم لتحقيق عملية الخلق الشعري وبيان معطياته المرتبطة بالعنوان الرئيس^(٦٦) ، فالذات لا تنفصل عن النخلة ، وكأنها تريد أن تقول ، أنا نخلة الله ، ومن ثم فإن قراءة العنوان هي قراءة الذات وتمثلاتها وهواجسها وحضورها الكتابي ، فالعنوان " جزء لا يتجزأ من استراتيجية الكتابة لدى الناص لإصطياد القارئ وإشراكه في لعبة القراءة ، وكذلك بعدد من أبعاد استراتيجية القراءة لدى المتلقي في محاولة فهم النص وتفسيره وتأويله "^(٦٧) ، على وفق علامته الأولى التي لربما تستجيب لأفق انتظار المتلقي أو تخيب ظنه فيما اعتقد .

وعليه فالعنوان الرئيس بؤرة تواصلية قصدية على قدر كبير من الحرية في الاختيار والتنظيم والوضع تلجأ إليها الذات الشاعرة لتحقيق أهدافها في أعلى درجات تطورها الفكري والوعي الذاتي ؛ لأنها تأخذ حريتها في التأسيس للعمل الإبداعي على وفق رؤيتها لفضاء النص وتشكله ، فيضيف للمتن النصي

والقارئ ولا يأخذ منهما^(٦٨) ، وهو أيضاً لحظة التأسيس الأولى في ذهن المتلقي ، أي لحظة اصطدام أفقه مع التأسيس الأفقي والعمودي للأفكار التي تدور في مخيلته بعيداً عن تأثير سمة الحضور المقتبئة للباث ، فيظهر ذلك الاصطدام بعيداً عن أي تأثير آخر ، ويبقى أفق القراءة العون الحقيقي لبيان وظيفة العنوان وصور انفتاحه على النص من عدما .

العنوانات الداخلية وأثرها في تحقيق القراءة الجديدة :

ترتبط العناوين الداخلية مع العنوان الرئيس بعلاقة امتداد أو انفصال ، وفي كلتي الحالتين فإن للمبدع مسوغاته وظروفه التي تعمل على ذلك التأسيس الداخلي انطلاقاً من رؤيته الشعرية لعمله المنجز أو من رؤية سايلوجيته ترتبط بظرف ما ، وقد تمثل عنوان إحدى قصائده عنواناً رئيساً للمجموعة الشعرية ، لكن ذلك الأمر لم يكن غير مقصود أو تم من دون وعي وإدراك لذلك الأمر . ونرى أن التقليل من أهمية العناوين الداخلية الذي قصده جيرار جنيت مقارنة بالعنوان الأصلي أمر فيه نظر ولاسيما في النصوص الشعرية ، فهو يرى أنها " أقل منه مقروئية ، تحدد بمدى إطلاع الجمهور فعلاً على النص / الكاتب ، أو تصفح وقراءة فهرس موضوعاته باعتبارهم من يُرسل إليهم / يعنون لهم النص ، والمنخرطون فعلاً في قراءته ... فحضور العناوين الداخلية محتمل وليس ضروري وإلزامي في كل الكتب ، إلا ما كانت تحتاج إلى تبيان أجزاءها وفصولها ومباحثها ، فتوضع هذه العناوين لزيادة الإيضاح ، وتوجيه القارئ المستهدف " ^(٦٩) ، وهذا الأمر لربما ينطبق على الكتب المؤلفة مع إيماننا المطلق بأهميتها ، لكنه لا ينطبق تماماً على المجموعات الشعرية ؛ لأن القصيدة كائن مستقل ومنفصل عن القصائد الأخرى ، لكل قصيدة نسيجها الخاص ، فهي نص قائم بذاته، يتماشى مع قصديتها المبدع ومرحلته الزمنية التي تمتاز بسمات خاصة ، قد تكون تجيلية أو فردية ، زد على ذلك أن القصيدة الحديثة تقوم على الوحدة العضوية التي ترى في القصيدة جسداً واحداً يبدأ من العنوان حتى نهايتها ، تمثل وحدة الموضوع والمشاعر ، فهي " كيان حي نام ، ونموها تدريجي عفوي يشبه نمو الأجسام الحية ، وهو ناشئ عن قوة مركزية داخلية تصدر من باطن الحي ، وتتحرك باتجاه الأطراف والأعضاء من خلال دقات تلون النواحي والأجزاء بلون واحد ، وهي وحدة وظيفية ، فكل عنصر وظيفته غير منفصلة عن وظائف العناصر الأخرى وينجم عنها تكامل العمل ونموه وتوضيحه" ^(٧٠) ، مما جعل عنوانه القصيدة أمراً لا مناص عنه ، يرتبط بالعنوان الرئيس أو يفصل عنه في ضوء قصديتها المبدع وظروفه وخصوصية منجزه ، ولكن تبقى العنوان الداخلية عتبة مهمة في قراءة النص تحمل التواصل مع العنوان الرئيس والذات ، أو تمثل قراءة مستقلة لها خصوصيتها المنفصلة عن العنوان الرئيس ، لكنها وسيلة الذات في نصه المستقل .

وهذا الأمر بدا جلياً عند حسب الشيخ جعفر ، إذ نلحظ الامتداد الزمني والتواشح البيئي بين عنوانته الرئيسة والعناوين الفرعية ، فجاءت بمجملها العام تساير ذاتيته الزمنية التي تبحر صوب الماضي بوصفه المعادل الموضوعي له والمرتبطة بحالة الاغتراب والغربة التي يعيشها ، فمثلت البنى السطحية المكملة للعنوان الرئيس وللذات في أن بوصفهما البنية العميقة لهذا الاختيار وتحقيق العلاقة التواصلية بين العناوين والمنجز الشعري بانيتها سيناريوهات لفهمه وبيان معانيه وتصويراته^(٧١) ، وهذه التصورات كانت حاضرة بوساطة العناوين الداخلية عنده ، (فالكوز^(٧٢) ، والصخر والندى^(٧٣) ، والغيمة العاشقة^(٧٤) ، وجذور الريح^(٧٥) ، وطوق الحمامة^(٧٦) ، والعيش انتظاراً^(٧٧) ، والنهاية الثانية^(٧٨) ، ونخلة الله^(٧٩) ، والقش^(٨٠) ، والكهف القديم^(٨١) ، والجذوع^(٨٢) ، وقهوة العصر^(٨٣) ، وغمامة من غبار^(٨٤)) ، عناوين داخلية ترتبط بماضي الذات وتراثها

التي ترتبط به ارتباطاً وثيقاً ، وجعلته جزءاً لا يتجزأ من شاعريتها ، بل هو الحنين الحقيقي للماضي والبيئة والتراث الذي جسده في عنوانه الداخلي (الكوز) بوصفه رمزاً لهم ، ولاسيما أنه يلازم العوائل العراقية الجنوبية لقيمته الروحية التراثية أولاً ، واتصاله بنبع الماء وعذوبته ثانياً ، فأصبح عنده منبعاً للخير والارتواء ، وحقيقة الأمر أن الارتواء الذي تبحث عنه الذات هو الارتواء الذاتي لعطشها الدائم ، فلا يجد وسيلة يروي عطشه الروحي إلا بكوز بيئته الذي يلازمه بوعي قصدي ، وهذا ما أفصح عنه النص :

أمطر على شفتي يا كوز الفخار

واهبط على قلبي ، على قلبي ، على الأرض البوار .^(٨٥)

يجمع النص ما بين الماضي بتراثه وأدواته وبين عطش الذات وتوجهها وألمها في قصيدة ، فهو يحلم بكوز الفخار ورمزيته التراثية الموغلة بالماضي وأثره على الذات في غربتها واغترابها ، فهي حركة تنبعث من داخلها إلى طرس تراثي بيئي ، فيحصل الاتصال اليوتوبي بينهما ، وهو اتصال تروم تحقيقه وإن لم يتحقق بالواقع الحقيقي ، فالحضور القصدي اليوتوبي للمكان تحقق بفعل حركة الكوز وانعكاسها على الذات بالزمن الأنبي وصيغة الأمر التي تناسب سايكولوجية الذات في الزمن الأنبي أيضاً ، التي بُنيت على مقصدية ارتباط الزمن الماضي بالحاضر بالمنظور الذاتي الذي كشف عن قدرة النظام الزمني على التكيف مع السياق وغرض المبدع ؛ لأن فعل الأمر حمل نسقاً زمنياً ينبعث من الحاضر إلى الماضي ليعود إلى الحاضر بالصيغة ذاتها ، وهو حضور قصدي لإظهار الدلالة النصية تأسيساً على حركة الفعل والإحالة الزمنية ، وهذه العلاقة علاقة امتدادية مع العنوان الداخلي (الكوز) والعنوان الرئيس (نخلة الله) الذي تشكل بفعل اغتراب الذات وزمنها الذي انعكس بشكل واضح على العنوان الخارجي ومن ثمّ العناوين الداخلية التي وضعها لنصوصه الشعرية التي مثلت حالة من التضافر الدلالي والتفاعل النصي بين أفق القارئ ونصوصه فالقارئ " يقرأ بفهمه وبأطره المرجعية ؛ ولكن ما يقرأه هو بناء له عناصره ودقائقه وعلاقاته التي تحكمها آفاق الزمن الذي كُتب فيه " ^(٨٦) ، وهذه العلاقة تمثل الجانب الوجودي بين النصوص الشعرية وتمثلاتها المختلفة والقارئ بوصفه منتجاً آخر له القابلية على استكشاف تلك اللحظات الوجودية المرتبطة بالمبدع وزمنه .

ويمكن أن نلاحظ ماضي الذات ومكانها السابق الذي ترسخ في ذاكرتها بوصفه أساس اللوذ من قسوة الحاضر أولاً ، والمحرك الشعوري لشحناتها العاطفية ثانياً ، وجسر التواصل بينها والمكان الذي كانت تألفه ومازال قابعا فيها بكل تفاصيله بالكهف القديم الذي مثل عالم الذات اليوتوبي الذي تبحث عنه في ركام الغربة ، فهو معادل موضوعي لانعزاله ، مثلما هو المكان الأليف :

أيها الكهف الذي يلتهم الروح التهاما

مترع إبريقك المفخور بالماء الذي يطفيء قيعان الجحيم

مثقل صدرك ملتف بخيرات النعيم

فاسقنا من ريقك المعسول أمطرنا غصوناً أو غماما ^(٨٧)

يمثل النص حالة ارتداد الذات إلى كهفها القديم ، وهو في حقيقة الأمر حالة ارتداد الذات إلى ذاتها في اللحظة الآنية للبحث عن ملاذها القديم وذكرياتها ، المرتبطة بالمكان بشكل أساس بوصفه حلقة الوصل بين الماضي الذي يمثل بؤرة التجربة الإبداعية والحاضر التي جعلته سبباً لذلك الارتداد المكاني ، فحصلت حالة الاندماج الكامل بين المكان القديم المنعزل والذات بما تحمله من عزلة أيضاً ، فالإرث القديم أصبح النقطة الأساسية في النص ، فالكهف هنا مثل وجودها الحقيقي المنعزل بفعل عزلة المكان لكنه مكان أليف ، وهو مركز تكيف الخيال ، وعندما تتعد عنه تطاردها الذكريات ، فتحاول بثها بصور متنوعة تمثل فاعليته بالوجود ، فلم يكن صالحاً للإقامة فقط ، بل جعلته معطاءً بكل تفاصيله سواء كان بشكل مباشر أو باستعمال أدواته ، فأصبح مصدر الخير والطمأنينة والمأوى الحقيقي :

أيها الكهف القديم

ها أنا اعوي على بابك كالذئب ، طريداً أستجير^(٨٨).

لم تجد الذات الشاعرة غير ذلك الكهف تستجير به من الزمن ، فأصبح المكان الأليف الآمن التي تقف عند بابه ، فهو جسد وروح ، وعالمه الأول الذي يمنح الماضي والحاضر والمستقبل ديناميات مختلفة^(٨٩) ، مثلما كان امتداداً للعنوان الرئيس ورؤية الذات الشعرية :

ها أنا طفل على النخلة أصحو وأنام

ها أنا احمل أكباد اليمام

فافتحي الباب وخلي الريح تطوي زهرة الثوب الشفيف .^(٩٠)

يتفاعل النص بلغة امتدادية تنبئ بعلاقة امتدادية ارتدادية بين العنوان الداخلية المرتبطة بالباط وبين نخلة الله العنوان الرئيسية التي تحضر في ذهن المبدع بوصفها الثيمة المركزية في فضاء ماضي الذات وبيئته فيمتد على جسد النص لينشر ثيماته الرئيسية للحصول على علاقة تماهي النص وتطابقه مع العنوان الرئيس والداخلي وربطهما بعلاقة امتدادية ارتدادية تبوح فيها لغة الباط وصوره التي تبقى ملازمة له مهما حاول الابتعاد عنه من خلال تكثيف النص في العنوان وضغط المعنى ليشير العنوان فيما بعد بهذه الصورة المضغوطة إلى النص المتشكل وهو ما يسمى علاقة الارتداد أي رجوع معاني النص مكثفة إلى العنوان الرئيسية سواء كان بفعل العنوان الداخلية أم ثيمات النص التي عملت على تحقيق هذا التأصر والتفاعل^(٩١) ، وتمثل ذلك الارتداد بحضور النخلة ، والحمام ، والكهف (البيت) ، وهذه الثيمات الرئيسية هي التي أحدثت التعلق النصي وحضور القراءة ، فالكهف القديم على الرغم من رمزيته التي توحى بالعزلة ، لكنه المكان الواسع الأليف الذي تبحث عنه الذات وتحقق كونها الذاتي والشعري ويمكن أن نلاحظ ذلك في قصيدة (الجنوع) ، التي ترتبط ببيئته ارتباطاً وثيقاً ؛ لأن صور الأرض الزراعية وما ينتج عنها هي من أطراس الشاعر وأدواته الشعرية ، والأقرب إلى ذاتيته ومنطلقاته السايكولوجية ، لكنه جردها من النعيم ليعطي صورة التجرد وهي في حقيقتها صورة توحى بقلق الذات وتوترها ، وهذا ما نلتمسه من اختيار عنواناته الداخلية ، فبدلاً عن البيت يستعمل الكهف ، كذلك يستعمل الكوز المعروف برمزيته التي ذُكرت بدلاً عن النهر والبئر ، ويستعمل الجذع بدلاً عن النخل ، وهذا يبين دقة الاستعمال وخاصيته عنده وأثره على

الأخر، بل نجده يذهب إلى أدق التفاصيل لي جسدها في عنونته الداخلية التي هي امتداد لعنوانه الرئيسية مع بيان حنينه لكل تفاصيل الحياة التي عاشها في مرحلة الصبا والشباب في قصيدة (القش) :

كلما ناديت ذاك الجرف عاد

صوتك الخابي مع الريح وأمطار الرماد

ومع القش الذي غشى الوهاد

وطيور كمناديل الحداد :

بحة الهائم في نهر البكاء

تقتفي خطوك في كل مساء. (٩٢)

ينتج النص في طاقته التخيلية الرمزية إلى سيل متدفق من الحنين والعاطفة ، بدءاً من عنونته (القش) ، الثيمة الرئيسية في طبيعة الانعكاس الذاتي وانفتاح القراءة ، فهو العتبة الأولى للدخول إلى النص ودلالاته واستثارة ظواهره غير الحاضرة أو الغائبة لإنجاز الفعل الخاص لسمة المرجعية الذاتية بأسلوب الحوار الأحادي وأسننة الطبيعة المتحركة بفعل محاكاة الجرف وعودة الإجابة بصدى الآخر ، وهذا الأمر نجد آثاره الغائبة في الواقع الحقيقي ، والحاضرة بصدى الذاكرة الذي جاء حضوره حزيناً متوجعاً ، إذ بث شكواه على شكل مراحل : (نداء ، ضياع ، بكاء ، اقتفاء) فالحضور الذاتي مثل مفتاح الازدواجية (المنفذ المزدوج) بين العنونة والنص التي تقوم على الفقد بالقش ، وهو فقدان يصعب تعويضه على الرغم من الاقتفاء الذي يرومه ، لأن القش ليس حدساً للذات وإنما طاقة تأويلية تختلف مع اختلاف القارئ والزمن والمتغيرات البيئية ، فيفتح العنوان على جميع الحوادث التي يمكن أن تسهم في قراءته وتأويله مع إمكانية التارجح في درجات الغياب بين أقلها اصطفاً باللوجود وبين أشدها اصطفاً به (٩٣) ؛ لأن الغاية الرئيسية فيه فعل التواصل وقصديته وفاعليته في النص والآخر / المتلقي ، إذ حقق العنوان معنى التلاشي والضياع الذي تشعر الذات به ، وهذا الشعور تولد في الأعم الأغلب نتيجة ارتباطه في بيئته الذي جسدها بشكل مكثف جعل القارئ في خضم الصور الحسية لبيئة الباث وظروفه وهذا الأمر لربما يتطابق بنسبة كبيرة مع العناوين التي ذُكرت سواء باشمالها على بيئة الباث وماضيه أو بقدرتها على البوح بقراءة الماضي بوصفه طرساً لنص جديد نتلمسه بعنوانه الداخلية التي تناسب خصوصيته الذاتية ورؤيته الشعرية ، وعليه فقد حقق العنوان الداخلي غايته سواء بوصفه نصاً جديداً قابلاً للقراءة والتأويل ، أو بتضافره مع العنوان الرئيس بعلاقة امتدادية لترسيخ الوعي الجمعي المرتبط بالمنجز الإبداعي وإحالاته الزمنية التي تعد أساس وجود الحاضر .

غلاف المجموعة بوصفه عتبة القراءة الأولى :

يمثل غلاف العمل الأدبي بوابة القارئ الأولى لرسم معالم النص وتشكله في مخيلته ، إذ يعمل على فتح آفاق القراءة باتجاهات محددة يمكن الكشف عنها بما وضع على ذلك الغلاف من صور ورموز وعبارات لغوية ، وحقبة الأمر أن واضع غلاف مجموعة نخلة الله سواء كان الشاعر أو دار النشر ، فقد أحسن صنعا بذلك الاختيار الواعي المتقن لأهمية العتبة ودورها في القراءة وانفتاح المعنى ، إذ نقلنا إلى أجواء الحدث

بشكل ينم عن فهم كبير وقراءة فاحصة للنصوص الشعرية ، فالمعروف أن الغلاف الخارجي أي الواجهة الأولى ، في الأعم الأغلب يكون وضعه غير دقيق ، بل يشكل انفصالا عن جسد المنجز ، وهذا الأمر محط رغبة من واضعه الشاعر أو المؤلف أو دار النشر ؛ لأن الدراسات النقدية الحديثة جعلت لكلّ عتبة قيمة قرائية لا يمكن تجاهلها أو عدم الاهتمام بها ، فالنص المحيط النشر الذي يشمل الغلاف وصفحة العنوان والجلادة وكلمة الناشر عتبات لهما أهمية كبيرة مع تقدم الطباعة الرقمية^(٩٤) ، وأصبح الاهتمام بها مسؤولية الناشر قبل دار النشر فهي لحظة اصطدام القارئ الأولى مع المدونة النقدية أو الأدبية أو الشعرية، والغلاف له الصدارة في ذلك التصادم فهو " العتبة الأولى التي تصافح بصر المتلقي، لذلك أصبح محل عناية واهتمام الشعراء الذين حولوه من وسيلة تقنية معدة لحفظ الحاملات الطباعية إلى فضاء من المحفزات الخارجية والمواجهات الفنية المساعدة على تلقي المتن الشعرية"^(٩٥) وقراءتها بشكل يضمن حضور قراءة أخرى تقترب من مقاصد الباحث وفكره بدرجة ما ، مثلما تمثل " اللقاء البصري والذهني الأول مع الكاتب ، يتم عبر هذه المكونات وما تحمله من دلالة مؤطرة للنص "^(٩٦) ، قد تكون تعبيرية أو فوتوغرافية ، أو رمزية . وجاء غلاف نخلة الله ليمثل الجانب التشكيلي الرمزي إذ وضع المتلقي بأجواء البيئة التي عاشها الشاعر وتمثلها في نصوصه الشعرية :



تشكل الغلاف من صورة تشكيلة فوتوغرافية تحمل سمات البيئة الجنوبية التي عاش فيها الشاعر ، فظهرت كثافة النخيل الذي كان له النصيب الأكبر من مساحة الغلاف مع محاولة حجب الضوء ، وبيان خفوته ، ليبين حالة صراع الإنسان مع الزمن حتى يصل إلى مبتغاه وغايته وارتباطه الروحي مع هذه الأرض التي يعشقها كل من ارتبط بها ، فعلاقة الإنسان مع الأرض هي علاقة الروح بالجسد ، كلاهما يُحيي الآخر ، بل يكونان في تماثل تام ، فجاءت ألوان الغلاف متماثلة أيضاً تجمع بين اخضرار النخل وميله إلى الظهور بلون الحجب ، أي أثر الظل على الشجر ، كأنما يحاول أن ينقل الصورة بواقعية عالية تميل إلى واقعيته في المجموعة الشعرية ، والمتأمل في صورة الغلاف يلحظ ذلك الارتباط الروحي والجسدي عندما جاء بصورة الفلاح في أسفل الغلاف ليبين صداه على الصورة وفي المجموعة :

وتجوع الأرض في ذل إلى مساحة فلاح ثقيلة

تأكل الملفت من دغلي ، وتمتد عميقاً في فم النمر المهان

وتدوس الطين بالأعشاب أو تكسر أعوداً طويلة . (٩٧)

مثل الفلاح الجزء التكاملي من العلاقة الروحية المتبادلة التي ظهرت في لوحة الغلاف وتمثلت في النص الشعري ، مما يولد انطباعاً عند المتلقي إلى أن حالة التكامل التي أشرنا إليها كانت بوعي تام وقصدية واضحة ، فمثلت الصورة الأرض ولوازمها ، ويبدو أن الذات الشاعرة كانت العنصر المكمل لهذه العلاقة الروحية ، كيف لا وقد وضع اسمه على يمين الغلاف وفي الجانب الأعلى وعلى مساحة كاملة حتى نهاية الغلاف ، أي مع ارتفاع النخيل وصولاً إلى الفلاح الذي جاء في أسفل اللوحة مع وجود الفاصل بينهما الذي يوحي بإدماج تام ، وكأنه نخلة في تلك الأرض والفضاء التي يرتبط بها ، وقد وضحنا ذلك في العنوان الرئيس ، وتكمن القيمة الجمالية لقراءة الغلاف في اللونين الذين أستخدمنا في كتابة اسم الشاعر وعنوان المجموعة ، إذ جاء اسمه باللون الأسود ودلالته المعروفة في الحزن والتشاؤم الذي يصل إلى حد نفور الذات عن ذاتها في لحظة ما ، بينما كان اللون الأصفر المعروف بمكانته بين الألوان لاسم المجموعة ، الذي ارتبط في قوله تعالى : {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوُثُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ} (٩٨)، فأصبح يدل على الفرح والسرور ؛ كما أنه يرتبط بالذهب ارتباطاً رمزياً ومعنوياً فيحقق بوساطته الصيرورة اللونية والانفتاح النصي بالدعوة إلى الحب العميق لرمزية الأرض ودلالاتها العميقة .

إن اختيار اللونين جعلنا أمام معادلة الحزن والفرح ، فالحزن كان من نصيب الذات الشاعرة ، أما السرور والارتباط الروحي الذي يسر كل الناظرين ، فكان من نصيب الأرض ، التي أشد لها حسب الشيخ جعفر بدءاً من الغلاف والعنونة الرئيسة والداخلية وانتهاءً بمحمولات النصوص الشعرية التي أظهرت ذلك الحب والارتباط .

الخاتمة :

بعد هذه الرحلة البحثية في نخلة الله استطاع البحث أن يقف على النصوص الموازية للنص الرئيس واستنطاقها لتبوح بفاعليتها وحضورها ، وكان لا بد من الوصول إلى نتائج محددة يمكن إجمالها بالآتي :

١ - جعل الشاعر الأثر القرآني الإيحائي صدى لنصوصه الشعرية وبشكل شفاف يمكن أن نتلمسه بفعل القراءة الفاحصة التي تبحر صوب القراءة التأويلية المعمقة التي قامت بعمل الاسترجاع الذاكراتي للمتلقي في ربط خضم الأحداث وذروتها ، فأصبح النص المسترجع نصاً آخر يحاكي القرآن أولاً ، بحضور قوة الفعل ودلالته ، ويحاكي النص الجديد بحضوره وفاعليته ثانياً ، فحقق النص الستيني عند حسب الشيخ جعفر مبتغاه في الحصول على حوار داخلي يفرضه على المتلقي بإشارات القرآنية التي تفتح مغاليق النص إلى قراءة جديدة متعالية عن النص الرئيس ، يمكن بوساطتها الحصول على نص آخر .

٢ - استطاع التراث بطرس منظومه ومنتوره أن يكون نصاً موازياً ، ويحقق فاعليته الحضورية التي تسهم بانفتاح النص صوب الماضي بما يحمله من طرس له القدرة أن يحاور النص الجديد ، وهذا الأمر مبتغى الذات في أن يجد المتلقي غايته في طرس سابق له مكانته التراثية وعمقه التاريخي والسايكلوجي .

٣ - نلحظ صدى السياب حاضراً سواء كان ذلك بوعي من الشاعر أو لم يكن على الرغم من التقارب الزمني بينهما ، لكنه كان الأقرب لذاته المبدعة ، فهو الصدى المميز الذي يستمد منه صورته ولاسيما في مجموعته الأولى (نخلة الله) ؛ لأن الستينيين كانوا تحت عباءة جيل الرواد الذي شكل حضوراً لافتاً ، بل هنالك من يرى أن محاولة الاحتذاء بهم كانت قائمة في المرحلة الأولى (مرحلة التأسيس) على الرغم من الجهد الكبير الذي يبذلونه في رسم مسارهم الشعري الجديد .

٤ - جاءت العنونة الرئيسية لتمثل ذلك الامتداد الزمني والرؤية الذاتية والعلاقة التضافرية بين النخلة بوصفها الخصب والنماء والخير، والله دلالة التعريف المرتبطة بالإيمان والقدرة ، والشاعر بما يحمله من غربة وألم ؛ لأن العنوان من أهم العتبات النصية الموازية المحيطة بالنص الرئيس ، حيث يساهم في توضيح دلالات النص ، واستكشاف معانيه الظاهرة والخفية ، فأصبح العنوان الرئيس بنية مستقلة لها فرادتها وخصوصيتها وطبيعتها ، يمكن تأويلها بشكل مستقل عن النص ، وإعطاء التصورات الضرورية قبلولوج في فضائه ، وهو بذلك عنصر من عناصر المتعاليات النصية له القابلية على أن يكون نصاً محيطاً أو موازياً للنص الأصلي .

٥ - يتفاعل النص بلغة امتدادية تنبؤ بعلاقة امتدادية ارتدادية بين العنونة الداخلية المرتبطة بالباط وبين نخلة الله العنونة الرئيسية التي تحضر في ذهن المبدع بوصفها الثيمة المركزية في فضاء ماضي الذات وبيئتها .

٦ - حقق العنوان الداخلي غايته سواء بوصفه نصاً جديداً قابلاً للقراءة والتأويل ، أو بتضافره مع العنوان الرئيس بعلاقة امتدادية لترسيخ الوعي الجمعي المرتبط بالمنجز الإبداعي وإحالاته الزمنية التي تعد أساس وجود الحاضر.

٧ - تشكل الغلاف من صورة تشكيفية فوتغرافية تحمل سمات البيئة الجنوبية التي عاش في كنفها الشاعر ، مما جعلها موازياً للنص الرئيس .

الهوامش :

- ١ - ينظر : في علم الكتابة ، جاك دريدا ، ترجمة : أنور مغيث و منى طلبة : ١٤٠ .
- ٢ - ينظر : ميخائيل باخنين المبدأ الحوارى ، ترفيتان تودوروف ، ترجمة : فخري صالح ، المؤسسة العربية: ١٢٦ - ١٢٧ .
- ٣ - ينظر : التناسل التراثى فى الشعر العربى المعاصر - أحمد العواضى أنموذجاً - ، عصام حفظ الله واصل : ١٥ .
- ٤ - ينظر : مدخل لجامع النص ، جبرار جنبيت ، ترجمة : عبد الرحمن أبوب : ٩٦ - ٩٧ . وأطراس ، الأدب فى الدرجة الثانية ، جبرار جنبيت ، ترجمة وتقديم : مختار الحسنى : ٥ - ٨ .
- ٥ - نخلة الله ، حسب الشيخ جعفر : ١٦ .
- ٦ - الواقعة : ٤ .
- ٧ - البقرة : ٧٤ .
- ٨ - ينظر : الأسلوبية الرؤىة والتطبيق ، أ.د. يوسف أبو : ١٧٥ .
- ٩ - نخلة الله : ٢١ .

- ١٠- يوسف : ٩٣ .
- ١١ - من نظرية المعرفة إلى الهرمنيوطيقا ، د. مجدي عز الدين حسن : ١٠٣ .
- ١٢ - نخلة الله : ٢٢ .
- ١٣ - المصدر نفسه : ٢٣ .
- ١٤ - المصدر نفسه : ٢٣ .
- ١٥ - المرأة والنافذة ، د. بشرى موسى صالح : ١٤٥ .
- ١٦ - نخلة الله : ٢٥ .
- ١٧ - مريم : ٤ .
- ١٨ - ينظر : الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين أبو الحسن بن أبي علي الأمدي (ت ٦٣١هـ) : ١٩/١ .
- ١٩ - نخلة الله : ٣٨ .
- ٢٠ - الإسراء : ١ .
- ٢١ - نخلة الله : ٣٨ .
- ٢٢- زمن الشعر ، أدونيس : ٧٧ .
- ٢٣ - نخلة الله : ٨ .
- ٢٤ - الصافات : ١٤٥ ، ١٤٦ .
- ٢٥- الشعرية العربية ، أدونيس : ٥٣ .
- ٢٦ - نخلة الله : ١٣ .
- ٢٧ - ديوان المتنبي : ٥٧٠ .
- ٢٨ - المصدر نفسه : ٤٣٣ .
- ٢٩ - لذة النص ، رولان بارت ، ترجمة : د. منذر عياشي : ١٤ .
- ٣٠ - نخلة الله : ١٨ .
- ٣١ - ينظر : ديوان أبي فراس الحمداني ، شرح الدكتور خليل الدويهي : ١٩ ، ٤٠ ، ٥٤ ، ٦٣ ، ٣٠٠ ، ٣١٢ .
- ٣٢ - نخلة الله : ١١ - ١٢ .
- ٣٣ - ديوان الأخرس ، السيد عبد الغفار بن عبد الواحد بن وهب الموصلبي البغدادي البصري (ت ١٢٩١هـ - ١٨٧٤م) ، حققه وعلق عليه : الخطاط وليد الأعظمي ، راجعه وضبطه وأضاف إليه : عبد العزيز محمد جمعة ، إبراهيم عبد الحميد الأسود : ٢٠٣ .
- ٣٤ - ديوان إيليا أبو ماضي ، زهير ميرزا ، تصدير : د. سامي الدهان : ١٠٠ .
- ٣٥ - نخلة الله : ٩٦ .
- ٣٦ - ألف ليلة وليلة ، قصص من التراث ، ترجمة : أميرة علي عبد صادق : ٣٠ .
- ٣٧ - المصدر نفسه : ٢٩ - ٣٠ .
- ٣٨ - نخلة الله : ٩٧ .

- ٣٩ - ألف ليلة وليلة ، قصص من التراث : ٣٤ .
- ٤٠ - ينظر : المصدر نفسه : ٤٣ .
- ٤١ - مفهوم المكان والزمن في فلسفة الظاهر والحقيقة دراسة في ميتافيزيقا برادلي د. محمد توفيق الضوي: ١٢.
- ٤٢ - نخلة الله : ٥٧ .
- ٤٣ - مرايا الهوية : الأدب المسكون بالفلسفة ، جان - فرانسوا ماركيه ، ترجمة : كميل داغر ، مراجعة : لطيف زيتوني : ١٩ .
- ٤٤ - الأعمال الشعرية الكاملة ، بدر شاكر السياب : ٢ / ٤٠ .
- ٤٥ - نخلة الله : ٧ - ٨ .
- ٤٦ - أيقونة الحرف وتأويل العبارة الصوفية في شعر أديب كمال الدين ، د. عبد القادر فيدوح : ٥٥ .
- ٤٧ - الأعمال الشعرية الكاملة ، بدر شاكر السياب : ٢ / ٧٣ .
- ٤٨ - عتبات جبرار جينت من النص الى المناس ، عبد الحق بلعابد: تقديم د. سعيد يقطين : ١٤ .
- ٤٩ - نخلة الله : ٥٨ .
- ٥٠ - ينظر : ديوان عبد الرحمن الداخل :
- ٥١ - للاستزادة حول هذه القراءة ينظر : الأعمال الشعرية الكاملة ، بدر شاكر السياب : ١٠٦ ، ١٢١ ، ١٣٢ ، ٢٢٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٤١٣ .
- ٥٢ - النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية) ، عبد الله الغدامي : ٧٧ .
- ٥٣ - الأعمال الشعرية الكاملة ، بدر شاكر السياب : ٢ / ٢٢٨ .
- ٥٤ - سيميوطيقا العنوان ، جميل حمداوي : ٨ .
- ٥٥ - نخلة الله : ٥٩ .
- ٥٦ - سيمياء العنوان ، أ.د. بسام موسى قطوس : ٤٢ .
- ٥٧ - ينظر : قراءة العنوان الروائي محاولة في التصنيف والتنظير والتطبيق ، أ.د. عباس رشيد الدده : ١٨ .
- ٥٨ - نخلة الله : ٥٨ .
- ٥٩ - ينظر : شعرية الحُجُب في خطاب الجسد ، محمد صابر عبيد : ٢٨ - ٢٩ .
- ٦٠ - نخلة الله : ٥٨ .
- ٦١ - المصدر نفسه : ٥٩ .
- ٦٢ - مفهوم المكان والزمن في فلسفة الظاهر والحقيقة دراسة في ميتافيزيقا برادلي ، د. محمد توفيق الضوي : ٣١ .
- ٦٣ - نخلة الله : ٥٩ .
- ٦٤ - المصدر نفسه : ٥٩ .
- ٦٥ - ينظر : جماليات المكان ، تأليف : جاستون باشلار ، ترجمة : غالب هلسا : ٦٧ .
- ٦٦ - ينظر : في حادثة النص الشعري دراسة نقدية ، د. علي جعفر العلق : ١٥ .
- ٦٧ - ينظر : في نظرية العنوان ، مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية ، د. خالد حسين حسين : ١٥ - ١٦ .

- ٦٨ - ينظر : شعرية الحَجْب في خطاب الجسد ، محمد صابر عبيد : ٢٨ .
- ٦٩ - عتبات جيرار جينت من النص الى المناس : ١٢٥ .
- ٧٠ - بنية القصيدة العربية المعاصرة ، خليل موسى : ٣١٠ .
- ٧١ - ينظر : المصدر نفسه
- ٧٢ - ينظر : نخلة الله : ٦ .
- ٧٣ - ينظر المصدر نفسه : ١٠ .
- ٧٤ - ينظر المصدر نفسه : ٢٠ .
- ٧٥ - ينظر المصدر نفسه : ٢٩ .
- ٧٦ - ينظر المصدر نفسه : ٢٥ .
- ٧٧ - ينظر المصدر نفسه : ٤٤ .
- ٧٨ - ينظر المصدر نفسه : ٤٩ .
- ٧٩ - ينظر المصدر نفسه : ٥٦ .
- ٨٠ - ينظر المصدر نفسه : ٦٥ .
- ٨١ - ينظر المصدر نفسه : ٨٧ .
- ٨٢ - ينظر المصدر نفسه : ٩٥ .
- ٨٣ - ينظر المصدر نفسه : ١٠٢ .
- ٨٤ - ينظر المصدر نفسه : ١١٧ .
- ٨٥ - المصدر نفسه : ٩ .
- ٨٦ - فهم الفهم مدخل إلى الهرمنيوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر ، د. عادل مصطفى ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٧م : ١٩ .
- ٨٧ - نخلة الله : ٨٨ .
- ٨٨ - المصدر نفسه : ٩٣ .
- ٨٩ - ينظر : جماليات المكان : ٤٤ .
- ٩٠ - نخلة الله : ٩١ - ٩٢ .
- ٩١ - ينظر : العنوان في الشعر العراقي الحديث (دراسة سيميائية)، حميد الشيخ فرج ، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م : ٢٦٠ .
- ٩٢ - نخلة الله ، ٦٦ .
- ٩٣ - ينظر : خطاب الآخر في الشعر العراقي السبعيني ، التلقي والتأويل ، د. علي هاشم طلاب : ٣٠١ .
- ٩٤ - ينظر : عتبات جيرار جينت من النص الى المناس : ٤٦ ، ٤٩ .
- ٩٥ - التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث ، ١٩٥٠ - ٢٠٠٤م ، د. محمد الصفراني : ١٣٣ .
- ٩٦ - النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطار ، عبد الله الخطيب : ١٧ .

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم .
- الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين أبو الحسن بن أبي علي الأمدي (ت ٦٣١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
- الأسلوبية الرؤية والتطبيق ، أ.د. يوسف أبو العدوس ، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان - الأردن ، ط٢ ، ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م .
- إشكالية الشكل في الشعر العربي المعاصر من جيل الرواد إلى جيل التسعينات ، يعقوب خليل عجمي (أطروحة دكتوراه) كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة الانبار ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .
- أطراس ، الأدب في الدرجة الثانية ، جيرار جنيت ، ترجمة وتقديم : مختار الحسني ، منشور على الشبكة الدولية (دت)
- الأعمال الشعرية الكاملة ، بدر شاكر السياب ، دار العودة ، بيروت - لبنان ، ٢٠١٢ م .
- ألف ليلة وليلة ، قصص من التراث ، ترجمة : أميرة علي عبد صادق ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر - القاهرة ، ط٢ ، ٢٠١٣م .
- أيقونة الحرف وتأويل العبارة الصوفية في شعر أديب كمال الدين ، د. عبد القادر فيدوح ، منشورات ضفاف ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م .
- بنية القصيدة العربية المعاصرة ، خليل موسى ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق - سوريا ، ط١ ، ٢٠٠٣م .
- التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث ، ١٩٥٠ - ٢٠٠٤م ، د. محمد الصفرائي ، النادي الأدبي بالرياض ، والمركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م .
- التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر - أحمد العواضي أتمونجاً - ، عصام حفظ الله واصل ، دار غيداء للطباعة والنشر ، عمان ، ط١ ، ١٤٣١هـ - ٢٠١١م .
- جماليات المكان ، تأليف : جاستون باشلار ، ترجمة : غالب هلسا ، دار الجاحظ للنشر ، دار الحرية للطباعة ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٠م
- خطاب الآخر في الشعر العراقي السبعيني ، التلقي والتأويل ، د. علي هاشم طلاب ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م .
- ديوان أبي فراس الحمداني ، شرح الدكتور خليل الدويهي ، دار الكتب العربي ، بيروت - لبنان ، ط٢ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- ديوان الأخرس ، السيد عبد الغفار بن عبد الواحد بن وهب الموصلي البغدادي البصري (ت ١٢٩١هـ - ١٨٧٤م) ، حقه وعلق عليه : الخطاط وليد الأعظمي ، راجعه وضبطه وأضاف إليه : عبد العزيز محمد جمعة ، إبراهيم عبد الحميد الأسود ، الكويت ، ط٢ ، ٢٠٠٨م .
- ديوان المتنبي ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، طبعة منقحة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ديوان إيليا أبو ماضي ، زهير ميرزا ، تصدير : د. سامي الدهان ، دار العودة - بيروت ، ط١ ، (دت)
- زمن الشعر ، أدونيس ، دار الساقى ، بيروت - لبنان ، ط٦ ، ٢٠٠٥م .
- سيمياء العنوان ، أ.د. بسام موسى قطوس ، عمان - الأردن ، ط١ ، ٢٠٠١م .
- سيميوطيقا العنوان ، جميل حمداوي ، دار الريف للطباعة والنشر ، ط٢ ، ٢٠٢٠م .
- شعرية الحَجَب في خطاب الجسد ، محمد صابر عبيد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء - المغرب ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٧م .
- الشعرية العربية ، أدونيس ، دار الآداب - بيروت ، ط٢. (دت) .

- عتبات جيرار جينت من النص الى المناص ، عبد الحق بلعابد: تقديم د. سعيد يقطين ، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة – الجزائر ، ط ١ ، ٢٠٠٨ م .
- العنوان في الشعر العراقي الحديث (دراسة سيميائية) ، حميد الشيخ فرج ، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م .
- فهم الفهم مدخل إلى الهرمنيوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر ، د. عادل مصطفى ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م .
- في حدائث النص الشعري دراسة نقدية ، د. علي جعفر العلق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد - العراق ، ط ١ ، ١٩٩٠ م .
- في علم الكتابة ، جاك دريدا ، ترجمة : أنور مغيث و منى طلبية ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة - مصر ، ط ٢ ، ٢٠٠٨ م .
- في نظرية العنوان ، مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية ، د. خالد حسين حسين ، دار التكوين للطباعة والنشر ، دمشق - سوريا ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م .
- قراءة العنوان الروائي محاولة في التصنيف والتنظير والتطبيق ، أ.د. عباس رشيد الدده ، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع ، بغداد - العراق ، ط ١ ، ٢٠١٣ م .
- لذة القراءة ، حساسة النص الشعري ، أ.د. محمد صابر عبيد ، دار مجدلاوي ، عمان - الأردن ، ط ١ ، ٢٠٠٨ م .
- لذة النص ، رولان بارت ، ترجمة : د. منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب - سوريا ، ط ٢ ، ٢٠٠٢ م .
- مدخل لجامع النص ، جيرار جينيت ، ترجمة : عبد الرحمن أيوب ، دار توقيال ، المغرب - الدار البيضاء ، ط ٣ ، ١٩٩٤ م .
- المرأة والنافذة ، د. بشرى موسى صالح ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .
- مرايا الهوية : الأدب المسكون بالفلسفة ، جان - فرانسوا ماركيه ، ترجمة : كميل داغر ، مراجعة : لطيف زيتوني ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م .
- مفهوم المكان والزمن في فلسفة الظاهر والحقيقة دراسة في ميتافيزيقا برادلي ، د. محمد توفيق الضوي ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م .
- من نظرية المعرفة إلى الهرمنيوطيقا ، د. مجدي عز الدين حسن ، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع ، العراق ، ط ١ ، ٢٠١٤ م .
- ميخائيل باختين المبدأ الحوارية ، تزفيتان تودوروف ، ترجمة : فخري صالح ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ٢ ، ١٩٩٦ م .
- نخلة الله ، حسب الشيخ جعفر ، دار الآداب ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٦٩ م .
- النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطار ، عبد الله الخطيب ، فضاءات للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن ، ط ١ ، ٢٠٠٨ م .
- النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية) ، عبد الله الغدامي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ت بيروت ، ط ٢ ، ٢٠٠١ م .

النقد الأدبي والأنساق اللسانية النصية قراءات في مسارات التنظير والتطبيق

(د. حسن حماني)

لسانيات النص وتحليل الخطاب

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مكناس - المغرب

(د. بن الدين بوخولة)

كلية الآداب واللغات المركز الجامعي آفلو الجزائر

ملخص

يلخص لنا هذا المقال الحديث عن قضية كبرى من بين القضايا الهامة التي ناقشتها لسانيات النص عبر مسار تطورها الزمني، والمتمثلة في العلاقة الرئيسية بين النقد الأدبي والعلوم الإنسانية، وهي قضية مركز تفرعت عنها قضايا صغرى متشابكة، ومنها قضية: "النقد واللسانيات" و"النقد وعلم النفس" و"النقد وعلم الأدب"، و"النقد ومفهوم العلم عموماً"، لربط أواصر العلاقات بين العلوم. ومن هنا فإن الدراسة النقدية لعمل من الأعمال الأدبية تهدف إلى إحياء هذا العمل والمحافظة على استمراره، لأن العمل الإبداعي يشكل استرسالاً لأعمال سابقة عليه وأخرى لاحقة له يعتمدها الناقد لفهم السيرورة الأدبية التاريخية، حيث لا يمكن إدراكها دون المرور من جميع محطاتها الزمنية.

الكلمات المفتاحية: لسانيات؛ النقد؛ علم الأدب؛ الإبداع؛ علم النفس.

.Keywords linguistics; Criticism ; literary; innovation; Psychology

Abstract

This article sums up the discussion of one of the major issues discussed by linguistics through its timeline of its evolution, which is the main relationship between literary criticism and the humanities. This is a central issue that has been brandished in minor issues, including: "Criticism and linguistics", "criticism and psychology", "criticism and literature", and "criticism and the concept of science in general", to tie the bonds between science. Therefore, the critical study of a literary work aims at reviving this work and preserving its continuity, because creative work represents a message to previous and subsequent works

adopted by the critic to understand the historical literary process, which cannot be realized without passing through all its time stations.

مقدمة

يعد النقد الأدبي تذوقاً للأعمال الأدبية وبناءً لأساليبها البلاغية ولقواعدها النحوية من خلال الاعتماد على آليات لسانية تمكنا من صنع التصورات وبلورة الأفكار وبناء الآراء وموضحة المفاهيم العقلية في شبكة من العلاقات التي تضي عليها وجوداً تصورياً مبنياً بناءً متماسكاً، حيث إن تاريخ النقد هو تاريخ للأفكار وللحالات الماثلة بين العلوم والفنون، مما جعله حقلاً واسعاً يشتغل في مجالات مختلفة داخلياً وخارجياً قصد خدمة جميع السياقات، معتمداً على وسائل لسانية تضي عليه الطابع الموضوعي. ويهدف هذا المقال بناءً على ذلك إلى مناقشة القضايا المرتبطة بالعلاقة بين اللسانيات النصية والنقد الأدبي، وكذلك الصلة القوية بين النقد وباقي العلوم الإنسانية. وهكذا فالإشكالات التي يمكن مقاربتها في هذا السياق تتمثل فيما يلي:

أين تتمثل العلاقة بين النقد واللسانيات النصية؟ وأين يمكن تجسيد الروابط اللغوية والمنطقية بين النقد وعلم الأدب؟ وما علاقة النقد بعلم النفس؟ وما صلة النقد بالعلم بشكل عام؟ إن الإجابة عن جل هذه الإشكالات تفرض علينا الرجوع إلى الدراسات السالفة قصد ربط السابق باللاحق، ومن الدراسات التي ضُرب بها المثل في هذا السياق: "لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب لمحمد خطابي"، و"في الأدب والنقد لمحمد مندور"، و"نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر لمحمد الدغمومي". وقد اعتمدنا في دراسة هذا الموضوع على منهج لسانيات النص، باعتباره منهجاً لسانياً تحليلياً دقيقاً مناسباً لدراسة هذه القضايا النصية.

١- النقد الأدبي بين العلم والإبداع

يعد النقد تصوراً ذهنياً بوصفه وحدة بين الوحدات التي تمكنا من فعل ((التفكير))، وصنع التصورات وبناء الأفكار، حيث إن مكان وجود المفهوم ليس في الأشياء أو في العالم الموضوعي، ولكن في عالم ((العقل)) الذي يستطيع أن يجرد تلك الأشياء واختزالها في خاصيات وعلاقات تمنحها وجوداً تصورياً مجرداً بالرغم من غيابها أو انتفائها، محيلاً عليها باستمرار بالرغم مما يمكن أن يطرأ عليها من تحول وتبدل وزوال وتعدّد. واعتمد النقد في عصوره الأولى على الإحساس والذوق البسيط، ثم انتقلنا معه حين ارتقت حاسة النقد في العصر العباسي كما ارتقت حياة العرب الاجتماعية والعلمية والفلسفية، فقد حدث تغيير واسع في عقلية القوم وأخذوا يضعون قواعد اللغة والنحو والعروض ويسألون: ما البيان وما إعجاز القرآن وما البلاغة وما الأسلوب؟ ولم يكتفوا بالإجابة العارضة بل أخذوا يطلبون مبادئ

وأصولاً ومقاييس يقيسون بها جودة الكلام ورداءته وجماله وقبحهⁱⁱ، حيث يرتبط النقد بالإبداع ارتباطاً وجودياً، وإن بدا أنه تال للإبداع، لأن النقد يبدأ مباشرة بعد ولادة النص الإبداعي، فالمبدع يمعن النظر قبل غيره في نصه المنتج، وقد يكون هذا الامعان بعد كل خطوة، أو بعد الانجاز. أو قد يكون إمعاناً مكرراً قبل إذاعته بين الناسⁱⁱⁱ؛ إذ إن لغة النقد (مصطلحاته) لغة طبيعية، لا تستطيع أن تتخلص من آثار الاستعمال الشائع في العلوم الإنسانية حين تهدف إلى ((وصف الوقائع الشعورية والإحالة إلى تجارب لها صلة بالمجال النفسي، كما أن لها مظهراً ظواهرياً (فينومينولوجياً) يصف إدراكاً موضوعياً لشيء له جوهر ما أو يحيل إلى تجربة معاشة، كما أنها لغة تطمح إلى ضبط نظام الرموز بوصف الفكر والتعبير عنه^{iv}. والملاحظ أن النقد المتعلق باستكشاف عمل ما فإنما يُخرج إلى الضوء ألواناً من الجمال يمكن أن تكون خافية على أعين القارئ العادي^v. وعلى وفق هذا نجد النقد صاحب الإبداع، ثم انفصل عنه، فإذا كان منشيء الأثر الإبداعي أول ناقد لنصه، فإن الناقد الذي يتولى الإبداع بعد حين بالتقويم النقدي يكون ناقدًا للنص مرتبطاً بفكر صاحبه النقدي. لذا يقترب أيضاً مما يمكن تسميته تجوزاً بنقد النقد^{vi}. وإذا كان النقد ضرورة من ضرورات الحياة لا تستغني عنها ما دامت تتطلب التقدم ومحاولة البراءة من النقص والتخلف، فمن الطبيعي أن يتناول النقد جميع مقوماتها العلمية والفنية والاجتماعية والسياسية لعله يصلح ما فسد، ويعين على الترقى، ويهدي الباحثين والعاملين إلى أهدى السبل وأسمى الغايات^{vii}.

نستنتج أن النقد تذوق للأعمال الأدبية وبناء لأساليبها البلاغية ولقواعدها النحوية من خلال الاعتماد على آليات لسانية تمكنا من صنع التصورات وبلورة الأفكار وبناء الآراء، وصنع القرارات، وموضعة المفاهيم العقلية في شبكة من العلاقات التي تضيء عليها وجوداً تصورياً مبنياً بناءً متماسكاً. ذلك أن لغة النقد لغة طبيعية مستفيدة من العلوم الإنسانية، باعتبارها انعكاساً للتجارب النفسية للمبدع الذي يعبر لقراءه بأساليب جمالية ومن خلال آليات لسانية عما يخالجه من أحاسيس ومشاعر وعواطف. ومن هنا فإن الدراسة النقدية لعمل من الأعمال الأدبية تهدف إلى إحياء هذا العمل والمحافظة على استمراره، لأن العمل الإبداعي يشكل استرسالاً لأعمال سابقة عليه وأخرى لاحقة له يعتمدها الناقد لفهم السيرورة الأدبية التاريخية، حيث لا يمكن إدراكها دون المرور من جميع محطاتها.

٢- النقد والعلم

ليس تاريخ النقد سوى تاريخ علاقة إشكالية بين وضعين: وضع العلم، ووضع الفن المائل في الأدب، بحيث ظل النقد معالجة خارج الأدب وفيه، مستعينا بأدوات تعطيه هذه الموضوعية ومحافظة على خصوصية موضوعه بوصفه أدباً، الأمر الذي يعقد علاقته مع العلم، لتكون علاقة انتساب حيناً، وعلاقة تباعد حيناً، وعلاقة استفادة (استعارة) حيناً آخراً ترجح، بصفة عامة، طموح النقد إلى العلم، حتى لدى أولئك الذين يتحاشون السقوط في صرامة

المنهجيات^{viii}. حيث ظهر هذا النوع من النقد في أواخر القرن التاسع عشر، وذلك على أثر النهضة الكبيرة التي ظهرت في الأبحاث العلمية والطبيعية، وبخاصة في علم الحياة. ولقد صاحبت تلك الأبحاث فلسفة للعلوم كان من أشهرها نظريات ((داروين)) و((سبنسر))، حيث يطبقونها على العلوم الإنسانية كالاقتصاد والأخلاق وعلم النفس وغيرها^{ix}.

يتضح أن تاريخ النقد هو تاريخ للأفكار وللعلاقات الماثلة بين العلوم والفنون، مما جعله حقلا واسعا يشغل في مجالات مختلفة داخليا وخارجيا قصد خدمة جميع السياقات، معتمدا على وسائل لسانية تضيف عليه الطابع الموضوعي، ولعل هذا الأمر ما يجعل له صلة قوية بالعلوم لأنه يستنبط آلياتها لخدمة قضاياها الجمالية المعرفية والمنطقية. وعلى الرغم من العلاقة الواردة بينهما فإن ما يمكن ملاحظته هو أن هذه العلاقة أحيانا تكون علاقة انتساب، وأحيانا أخرى يكسوها التباعد والتنافر. ومن هنا يتبين بأن النقد شرب من معين علوم عديدة لبناء النظريات والتصورات، ولمناقشة التمثلات والتصورات.

٣- علم الأدب والنقد

يعد النزوع العلمي للنقد الأدبي نزوعا دائما، تشخصه تجارب نقدية عدة لم تكتف بأن تدع صفة النقد واستعمال استدلالات العلم، بل أرادت أن يكون للنقد الأدبي وضع ((علمي)) لا يقل عن غيره من العلوم وله كيانه الخاص واستقلاله واسمه. وكان هذا الوضع قد تمثل بصفة عامة في ما يسمى ((الدراسة الأدبية))، فإنه تمثل بصورة أكثر دقة وضبطا - في ما يسمى ب((علم الأدب)) تعبيراً عن رغبة النقد الأدبي في الانتقال إلى درجة النموذج العلمي، بعد أن تطورت العلوم الأخرى وصارت قابلة لأن تفحص وتختبر موضوعيا وتجريبيا^x. وما يقابل ذلك هو أن ترك النقد خاضعا للأذواق الفردية يعرضه للفوضى والباطل ما دام كل يتبع هواه وما دما لا نثق بسلامة هذه الأذواق كلها حتى نطمئن إلى أحكامها. فإذا اتخذنا مثلا أو عدة أمثلة من النصوص الممتازة لتكون نماذج يقاس بها غيرها فيما لها من أسباب القوة والجمال ضيقنا ميادين الأدب وعبثنا بحرية الأدباء ومواهبهم المختلفة، ووقفنا بمقاييس النقد عند صفات جزئية ضررها أكثر من نفعها^{xi}. ذلك أن الدعوة إلى علم الأدب كانت بحاجة إلى نموذج علمي باستمرار، ولعل النموذج اللساني كان أكثر تأثيرا فيها وأشد دعما لها، بحيث تحولت إلى ((شعرية)) وأسلوبية وسيميائية وسرديات، بمعنى أن هذه الدعوة تتم عبر مراحل وتكون نماذجها فرضت دائما على من يتبناها أن يحدد وضع الأدب ووضع النقد معا، انطلاقا من تحديد عناصر وخصائص في النص الأدبي قابلة للاختبار والإحصاء^{xii}. ولا تزال الدعوة مؤثرة في صنع نماذج من التنظير الرائجة في حقل النقد الأدبي الحديث والمعاصر، وهي نماذج اختار بعضها حلا لصالح العلم تارة ولصالح النقد بوصفه فنا لا يمت إلى العلم بصلة تارة أخرى، أو اختار إحدى المواقف التالية^{xiii}:

أ - الإقرار بأن العمل النقدي عمل علمي يمتلك خاصية العلم نظريا وإجرائيا؛

- ب - الاعتراف بأن العمل النقدي ليس علما، ولكن له صلة وطيدة بالعلم، يستعين به ويحتكم إليه في كثير من جوانب التفسير والوصف؛
- ج - القول بأن النقد ليس مثل العلوم الأخرى، وإنما هو خطاب لا يمتلك صفة تخصصه علميا أو تخصصه فنيا، إنه خطاب مستقل.
- د - الإلحاح على أن النقد الأدبي عمل من أعمال الفن والذوق.

من خلال ما سبق يتضح أن علاقة النقد بغيره من العلوم علاقة متشعبة ومتنوعة، الشيء الذي يبرز الطابع الايبستيمولوجي والفسيفسائي له، ذلك أن صلة النقد بعلم الأدب صلة قوية جعلت للنقد طابعا علميا أدبيا في الآن نفسه طابعا مزدوجا يثبت للنقد استقلاليته، ومن هنا تنتضح الدعوة إلى علم الأدب باعتبارها دعوة إلى علم لساني محض وما تلبث إلى أن تحولت إلى شعرية وسرديات، وهي تهدف إلى تحديد وضع النقد والأدب والرؤية العلمية للأدب. وقادت هذه النظرة إلى الاقرار بكون النقد خطابا ذو بعد علمي وصفي تفسيري مستقل.

٤ - النقد وعلم النفس

إذا كان محمد منذور يرى أن موضوع الأدب هو الإنسان في ذاته واستجابته لما حوله، وهو في هذا شبيه بعلم النفس، ولكن ثمة فرق جوهري بينهما هو أن علم النفس يتناول الظواهر العامة، أما الأدب فهدفه الأول إدراك العنصر الفردي المميز لكل إنسان عن أخيه^{xiv}، فإن هناك من يشير إلى أن العلوم الإنسانية أقرت العلاقة المميزة القائمة بين الأدب وعلم النفس، وقد يكون من العسير الفصل بينهما، لأن "النفس تصنع الأدب، وكذلك يصنع الأدب النفس، والنفس التي تتلقى الحياة لتصنع الأدب هي تلك التي تتلقى الأدب لتصنع الحياة معنى، وحقيقة هذه العلاقة ليست شيئا مستكشفا للإنسان الحديث، لأنها كانت قائمة منذ أن عرف الإنسان وسيلة التعبير عن نفسه^{xv}. حيث إن النقد عامة كان نفسيا منذ بدايته بمعنى أن كل ناقد قد حاول بوضوح أن يستغل في نقده ما يعرفه أو يؤمن به من عمليات الفكر الإنساني. فلما تعرّف فرويد قبل أن ينتهي القرن التاسع عشر بقليل إلى اللاوعي، أحرز علم النفس اتجاها يستطيع منه أنت يفهم ويستبصر الأمور على نحو لم يكن متيسرا في أصول الأعمال الأدبية ومبانيها^{xvi}. فالباحث في علم النفس - مثلا - يتحدث عن الخيال أو العاطفة أو الغريزة كظواهر عامة تشمل الإنسانية كلها، وأما الأديب فإن كان شاعرا تغنى بإحساسه الخاص، وإن كان قصصا صور شخصيات يبرز ما فيها من أصالة، حتى إنه ليفرق بين أنواع الشخصيات التي تشترك في لون واحد عام^{xvii}. حيث إن كثيرا من المفاهيم النفسية هي عناصر أساس في تنظير الأدب والنقد معا، ومنها المفاهيم التي نوقشت من خلال مسألة ((الذوق)) ومسألة ((القيمة)). ولا شك في أن هذا يدعونا إلى الاعتراف بوجود أثر لعلم النفس في صوغ مفهوم للنقد، بل وأن هذا العلم بتصوراته وأسس وموضوعاته يفرض على النقد التساؤل عن كيانه بالمقارنة معه أو بالاستفادة منه،

ويفرض البحث عن مفهوم علمي للنقد، ما دام علم النفس (أو التحليل النفسي) علما تحتم العلاقة به الانجذاب نحو دائرة العلم^{xviii}. والحق أن كولردج قد حوّم حول اللاوعي حين أشار إلى انطلاقات تأملات لا ضابط لها، وقد تخلى عنها الوعي الصريح كلّهُ، لأنها قد أصبحت شيئا مجردا شفافا، حين اجتازت حدود قوانا العقلية وأهدافها، ومما سبق إليه كولردج في ميدان النقد النفسي الحديث في ((السيرة الأدبية)) اقتراحه على القارئ تجارب مشابهة للتي أجراها رتشاردز في أيامنا، وتفرقتة على أساس عاطفة القارئ وتأثره بين الشعر والعلم^{xix}. فاستخدام علم النفس في نقد الأدب يجب أن يتم في حذر، لأنك بذلك قد تذهب بالأصالة الموجودة في العمل الأدبي. فتفهم الشخصية الروائية - مثلا - أو تحليل نفسية الشاعر على ضوء قوانين نفسية عامة لا يصدق إلا في التخطيطات الكلية، وذلك لأن النفوس البشرية يستحيل أن تتطابق تطابقا تاما، فالخيال عند شخصية مفردة لا يمكن أن يكون ذلك الخيال العام الذي يتحدث عنه علم النفس، ولا بد أن يتميز عند تلك الشخصية المفردة بميزات خاصة ترجع إلى عناصر لا حصر لها من الوراثة العضوية والبيئية الطبيعية والاجتماعية^{xx}؛ إذ إن ((الموضوعات)) لا تصنع العلم ولا تتحد وتتعين إلا من خلال علم ما، أو معرفة بها، وما الأدب في علاقته بالعلم إلا أشكال من الموضوعات. فهي تتجلى حينها موضوعا نفسيا، وحينها موضوعا اجتماعيا، وحينها آخر موضوعا لغويا أو أسطوريا أو تاريخيا. ومتى تمكن النقد من تحديد موضوعه بدقة، صار في درجة علم أو شبه علم؛ ومتى تبنى صورة موضوع ما انطلاقا من علم قائم؛ داخل منطقة قد تكون منطقة التبعية له أو منطقة الالتباس به^{xxi}. وقد اجتهدت الدراسات النفسية التحليلية للأدب في البحث عن تطبيق نظريات علم النفس في الأدب، ونهض التحليل النفسي بواجب الاستكناه المعرفي بوصفه منهجا علميا يمتح من المعارف النفسية أدواته، ويسهم بدور كبير في نقل ما يدور في النص إلى قرائه؛ ويمتلك المحلل دقة الملاحظة الواعية للمعطيات النفسية الكامنة في النص، ويعمل على ربطها بقوانينها البحثية الناظمة لها في مرجعية خاصة^{xxii}. بحيث إن النقد المعتمد على التحليل النفسي قد بدأ في الأدب حين نشر فرويد كتابه ((تفسير الأحلام)) سنة ١٩٠٠، ولما أسداه فرويد عدد من المظاهر لعل أهمها ما كتبه عن المشكلات غير الأدبية وبخاصة الأحلام، وتوازن القوى العقلية، وأعراض الأمراض العصبية، وفي هذا يشمل ((تفسير الأحلام)) نفسه بما فيه من آليات الحلم كالخلط الكلامي والخلط المكاني، والتفصيلات الثانوية، وهي على ما يظهر الآليات الأساس في الخلق الأدبي كما تشمل مبدأ الحلم الأساس وهو تحقيق الرغبة التي يمكن تطبيقها على الفن^{xxiii}. ومن هنا فإن جوهر العلاقة موجود داخل الأدب ذاته في شكل تجربة شعورية تحتم على النقد أن يكون ((وثيق الصلة بعلم النفس، لأن التجربة الشعورية تعبر عن أصالة العنصر النفسي في مرحلة تأثر الفنان المبدع، بل إن الصورة نفسها نتيجة انفعال نفسي يحدد كثيرا من معالمها وقسماتها وأكثر من ذلك، فالعمل الفني يؤثر نفسيا في القارئ^{xxiv}. والبحث في العمل الأدبي وفق الرؤية السيكلوجية

يحمل رؤية لعالم الإنسان الخفي، وينطلق من افتراضات معرفية تهدف إلى الوصول إلى تصور نفسي، وهي في ذلك غاية التنظير "الذي يريد أن يصل إليه، انطلاقاً من معرفة النص من داخله^{xxv}. وقد يتبادر إلى الذهن أن النقاد العرب، من الذين يتبنون التحليل النفسي أو الذين ينظرون لهذا النقد، يقرون بأن المفهوم لديهم لا يستقيم إلا بشرحه بصفته مفهوماً علمياً، لكن الأمر غير ذلك، فهم بقدر ما يقرون بعملية التحليل النفسي (علم النفس) يترددون في حسم المسألة في حالة النقد، فيدخلون في جدل لا يستقر على شيء ثابت^{xxvi}. ولعل الدعوة المنهجية الواضحة للمنهج النفسي في النقد الأدبي تجسدت بشكل واضح وجلي مع جهود صاحب كتاب (الأسس النفسية للإبداع الفني)^{xxvii}. وبهذا يتأكد حرص علماء النفس الذين يدرسون الموضوعات ((الأدبية)) على ألا يكونوا حاملين لصفة النقاد ليتموضعوا في مكان آخر، مكان العلم، بصفته علماء نفس. وهذا يسمح للنقاد أنفسهم بالإلحاح على تحاشي الانتساب إليهم، حتى وهم يوظفون الكثير من المفاهيم والأسس النفسية. فالإعراض إذن عن ((النقد)) موجود لدى علماء النفس، والإعراض عن ((العلم)) موجود لدى النقاد النفسيين، وخصوصاً أولئك النقاد الذين لا يروقه هيمنة علماء النفس على النقد والأدب: ((ومعنى هذا - ببساطة - أن علماء التحليل النفسي لا يمكن أن يكونوا بالضرورة نقادا للأدب لمجرد أنهم يستطيعون تفسير الإشارات والرموز التي ترد في العمل الفني^{xxviii}. فعلم النفس قد يساعد إذا في فهم نفسية الكتاب وتحليل الشخصيات الروائية التي يخلقها أولئك الكتاب، ولكنه قد يضلنا أيضاً في ذلك الفهم والتحليل^{xxix}، على أساس أن التحليل النفسي على هذا هو علم المجازات والكنائيات^{xxx}. وهكذا يتضح كيف أن علم النفس العام قد يضل الناقد الذي يحاول إقحامه على ما ينفذ، كما يتضح كيف أن الشعراء والأدباء كثيراً ما يكونون أصدق فهماً، وأدق تحليلاً لنفس بشرية بذاتها من علم النفس الذي يصف ظواهر نفسية عامة لا وجود لها في واقع الأفراد^{xxxi}.

وإذا كان علم النفس الإنسانية من بين العلوم المهمة في معرفة عواطف الإنسان وأحاسيسه ومشاعره، والذي يهتم بالسيالة العصبية المتحركة في مخيلة الفرد وطرق تفكيره الداخلي العاطفي، باعتبارها ظواهرها عامة تشمل جميع الأفراد والأجناس البشرية. ويعد مقياساً نقيس به الفرد وعقليته وما مدى نضجه النفسي والمعرفي، فإن النقد يهتم بهذه الخصوصية نفسها، معتمداً إياها لتقديم دراسة تذوقية علمية مبنية على أسس وآليات دقيقة للأجناس الأدبية قصد الوصول إلى شخصية المبدع ومناشدة عواطفه، لأن ذلك له دور كبير في دراسة النصوص وفهمها وتحليلها. ذلك أن دراسة الناقد للأعمال الأدبية تكون مستمدة من حقائق علم النفس التحليلي^{xxxii}. ومن هنا يتضح بأن لعلم النفس أثراً في صياغة النقد مفهوماً وعلمياً، وأن الموضوعات لا تصنع العلم لكنها تترابط وتتماسك من خلاله، لتصير موضوعات نفسية، وأن الناقد ينبغي أن يكون محللاً نفسانياً قبل أن يكون ملماً بالأدب والنقد. وبناء عليه فإن جوهر

العلاقة بينهما موجود داخل الأدب ذاته في شكل تجربة شعورية تحتم على النقد أن يكون وثيق الصلة بعلم النفس.

٥- النقد ونظرية التلقي

لقد برزت "نظرية النقد الجمالي" Théorie de la réception في ألمانيا في حضن مدرسة "كونستانس" Constance و"برلين الشرقية" Berlin de l'Est، قبل مدارس ما بعد الحداثة، مع كل من "هانس روبرت يابوس" Hans Robert Jauss و"ولفغانغ آيزر" Wolfgang Iser، وتأسست اعتمادا على المناهج الخارجية التي ركزت على المرجع الواقعي كالماركسية المهتمة بالمبدع، والبنوية المهتمة بالنص المغلق؛ فجاءت "نظرية النقد الجمالي" للاهتمام بجمهور القراء والتلقي والاستجابة والتأويل itérpretation، حيث إن النقد الأدبي الحديث قد تفجر حيوية باسترداد القارئ حقه وإعادة الاعتبار له أثناء قراءة العمل الأدبي. ويستند العمل الأدبي حسب هذه النظرية، على جانب تاريخي ينجم عن مواقف القراء وردود فعلهم حوله، ويفترض في العلاقة بين الفن والمجتمع أن تتحقق ضمن "سؤال وجواب" جدليين، غير أن تاريخ العمل الأدبي لا يمكن أن يبني إلا من خلال تغيير الأفق بين التقاليد الطبيعية والاستقبال المدرك الكلاسيكي واستمرار تشكل المعيار الفني^{xxxiii}، قصد فهم الأدب فهما صحيحا، وربط القديم بالحاضر لبناء تاريخ للأدب قائم على التلقي؛ إذ لا يكون للأعمال الأدبية وجود إلا متى كانت موضوعا لإدراك قارئ. فالنصوص حقيقة افتراضية، أو كامنة وهي لا تتحقق تحقفا فعليا إلا متى قام قارئ أو جمهور متلقي بقراءة أو رؤية أو سماع ذلك النص^{xxxiv}. ومن هنا وظف "يابوس" في كتابه "نحو جمالية التلقي" مجموعة من المفاهيم لبناء "النقد الجمالي" من أجل النظر في البعد التاريخي للنص الأدبي، نذكر منها: "أفق الانتظار" و"المسافة الجمالية"، و"منطق السؤال والجواب" وغيرها، من ثم يجد القارئ نفسه أمام منظومة مفهومية تضع النقد الجمالي في إطار التاريخ، وتقرأ الأعمال الأدبية، وتحكم على قيمتها الجمالية، من خلال تاريخية التلقيات التعاقبية. ومادام الأثر الأدبي يرتبط بالأعمال السالفة فإنه لا يقدم نفسه، باعتباره منبثقا من فراغ؛ إذ إن جمهوره يكون مستعدا لتلقيه من خلال مرجعية من الإشارات الخفية، فهو يوقظ ذكريات لما سبق قراءته، ويضع القارئ ضمن استعداد عاطفي مسبق، وهذا ما سماه "يابوس" بـ"أفق التوقع"، الذي انبنى على العديد من المفاهيم والآليات، ومن بينها: "المسافة الجمالية"، باعتبارها مسافة جمالية فاصلة بين النص ومتلقيه، وتقاس من خلال ردود أفعال الجمهور وأحكام النقاد.

٦- لسانيات النص والنقد الأدبي

لما كان الأدب في جوهره مادة لغوية، فإن اللسانيين اعتقدوا أن العلم الأحق بأن يستمد منه لبناء منهج دراسته وتحليل منتجاته، ليس علم التاريخ ولا علم النفس ولا علم الاجتماع... إنما علم اللغة؛ لأنه الأنسب لطبيعة الأدب. كما أنه يسمح بدراسة المنتج الأدبي ذاته لا

الانصراف إلى ما هو خارج عنه. بينما الطرائق المنهجية الأخرى هي على تعددها واختلافها مجرد مقارنة لما هو خارج الإنتاج الأدبي/الفني^{xxxv}. وتستوجب مناقشة قضايا النص الأدبي النهل بالضرورة من الحقل اللساني، فجل المشكلات الخلافية في النص الأدبي هي مشكلات لغوية بالأساس، حيث إن أعمال النقاد التي لم تستند إلى رؤية لسانية دقيقة هي أعمال قد هدرت كينونة النص الأدبي وغيبت أدبيته. وفي هذا الأمر إشارة إلى القطيعة القائمة بين حقلي النقد ولسانيات^{xxxvi}. في حين يرى الناقد محمد خطابي أن الهدف من خلال كتابه "لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب" ينبني على مستويين: الأول تؤطره رؤية نقدية نظرية، تتوخى البحث في الإجراءات والطرق التي تكون بها مكونات العالم النصي (هيئة المفاهيم والعلاقات التي تحت سطح النص مبنية بعضها على بعض و مترابطة. مما يجعله هدفا مفتحا على وصف الآليات النصية المساهمة في تشكيل النص/الخطاب ضمن نسق منسجم^{xxxvii}، مما يوحي إلى الربط الوطيد الحاصل بين النقد ولسانيات النص. وما دام هدف المناهج النقدية (تاريخية، نفسية، سوسولوجية...) هو أن تبني على نحو تبعي للعلم الإنساني الذي تستمد منه، فإن المنهج اللساني المستعمل في قراءة الأدب ونقده كان هو أيضا مجرد تمديد لمفاهيم وطرائق علم اللغة العام، كما تم بناؤه في بداية القرن العشرين على يد اللساني دي سوسير، بوصفه بديلا للغويات المقارنة... لذا ففهم المنهج النقدي اللساني مرهون ابتداء بفهم علم اللسانيات. فكيف تمثل دو سوسير مجال اللغة، وما طريقتة المنهجية في درس الظاهرة اللسانية؟ وكيف تطورت هذه الطريقة إلى منهج نقدي^{xxxviii}. فعلى مستوى الجهاز المفهومي يميز دو سوسير بين اللسان واللغة والكلام، وبين الدال والمدلول والدلالة... أما فيما يخص الرؤية المنهجية فقد حرص على التمييز بين النظرة التعاقبية (الدياكرونية) التي تدرس اللغة من حيث الصيرورة التاريخية لتطورها الدلالي، وهي النظرة التي سادت بوضوح، خلال القرن التاسع عشر، في النقد التاريخي للمتون الأدبية، كما في حقل الفيلولوجيا التي تعتنى بقراءة الدوال اللغوية من حيث صيرورتها الدلالية التاريخية، وبين الرؤية التزامنية (السنكرونية) التي تتناول اللغة بوصفها نسقا يدرس في لحظته دونما إحالة إلى خلفية زمنية ماضية^{xxxix}. والهدف الثاني تتحدد مهمته عند خطابي في تشغيل الآليات والمفاهيم التي استثمرها التراث العربي النقدي والبلاغي والتفسيري، والتي تداولها النقد ولسانيات الغربية في مجال "لسانيات النص"، لأجل مقارنة وصف مظاهر الانسجام في النص / الخطاب الشعري العربي المعاصر، ممثلا في قصيدة "فارس الكلمات الغربية" لأدونيس؛ أي الانتقال من الإطار النظري إلى الاشتغال النصي^{xl}. وما يمكن ملاحظته هو أن هناك من يقول بأن هناك قطيعة بين النقد ولسانيات النصية، وهناك من يشير إلى الصلة الحاصلة بينهما، حيث ترجع أسباب القطيعة بين اللسانيات العربية والنقد الأدبي إلى أسباب عديدة منها الثقافة الاستهلاكية للنقاد ولسانيين العرب، ومحدودية قدراتهم على الإنتاج والإبداع. ذلك أن تأثر مجال النقد الأدبي في الثقافة العربية بالتيارات الأدبية في

أوربا كان بمعزل عن تطور اللسانيات النصية. زيادة على أن اللسانيين العرب يوفون جهودهم للاهتمام بدراسة التراث اللغوي أو تقديم اللسانيات النصية وحسب^{xli}. وإذا كانت أسباب قصور حركة البحث اللساني العربي أيضا الانبهار بكل جديد ووافد من الغرب دون القدرة على مسايرة هذا الجديد وملاحقة تطورات المتسارعة. وتهافت المتطفلين على مجال البحث اللساني، فضلا عن عدم قدرتهم على التخلص من المسلمات الراسخة التي من شأنها أن تعيق العقل عن النقد^{xlii}، فإن الدراسة التطبيقية مع خطابي جاءت مبنية أولا على رؤية نقدية تنظر إلى النص الشعري باعتباره بنية لغوية - فنية. وثانيا على رؤية منهجية ذات طابع تركيبية، حيث مزج الباحث بين مفاهيم تنتمي إلى "علم النص" و"علمي البلاغة واللغة" داخل مستويات التحليل والمناقشة^{xliii}. وأما مواطن الخلل، فيمكن حصرها في خمسة مظاهر: يتمثل أولها في افتقار المقدمات والمداخل إلى علم اللغة وإلى عنصري الفريدة والخصوصية؛ إذ إن ما يميز هذه الأعمال هو طابع التكرار دون أخذ بعين الاعتبار التطور المتواصل لهذا العلم. ونقف في هذا المطلب على نقد واضح لرواد اللسانيات العربية الذين رسخوا في أذهان جيل بأسره مسلمات عديدة من قبيل أن علم اللغة هو علم واحد دون الوعي بأن هذا العلم يتطور باستمرار، وقد تواترت عليه اتجاهات ومناهج مختلفة. ومن ثم فإن أعمال رواد اللسانيات العربية كانت سببا في قطع الصلة بين اللاحقين لهم والمدارس اللسانية الأخرى^{xliv}. بيد أنه توقف عند الزوايا التنظيمية، بلغة ج.ديبوا، الظاهرة والمضمرة. وهذا الاختيار المنهجي ينم عن وعي نقدي يتمثل في إمكانية استفادة الدرس النقدي من "علم النص"، عبر البحث في "النص الأدبي - الشعري" لأجل الكشف عن عناصر إنتاجه الشكلية (الاتساق) والمضمونية (الانسجام). وهذا يؤكد أن المنهج النصي في مجال الدراسات الأدبية، يرجع الفضل في تبلوره إلى التطورات المنهجية التي تحققت في مجال اللسانيات^{xlv}. وإذا كان وصف انسجام النص الشعري يقتضي تشغيل مفاهيم وآليات مناسبة، فإن التحديد الأولي لهذه المفاهيم والآليات يعد ضروريا، هكذا جاء البحث جامعا بين النظري والتطبيقي، حيث خصص الشق الأول للحديث عن المفاهيم الأساس المحققة لانسجام النص؛ سواء في المرجعية الغربية بمنظوراتها المختلفة، أو في المرجعية العربية التراثية بمباحثها المتنوعة (بلاغة، نقد أدبي، تفسير). أما الشق الثاني فخصص لدراسة قصيدة شعرية معاصرة لـ "أدونيس". وبحكم ازدواجية الخطاب النقدي، اختلفت الممارسة النقدية، وتوعدت معاييرها. بيد أنها بقيت تدور في فلك وصف مظاهر انسجام النص/الخطاب، الشيء الذي يجعلنا نقارب مستويات الممارسة النقدية ضمن كتاب: "لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب"^{xlvi}. وجدير بالذكر أن تأثير دو سوسير لم يأتي من ممارسته النقدية، بل من تعقيده النظري لعلم اللسانيات. فالفكرة المحورية في المشروع اللساني لدي سوسير كانت هي نسقية اللغة، واستبعاد الإحالة على الصيرورة التاريخية. وهذا الموقف من الظاهرة اللغوية سيكون له انعكاس كبير على الكيفيات المنهجية التي تم انتهاجها في النقد الأدبي خلال القرن

العشرين^{xlvii}. بحيث وظف "محمد خطابي" التأويل كآلية منهجية مناسبة للمنهج النصي. فاستثمر، في جزء من المستوى الدلالي، آلية التأويل لدراسة "موضوع الخطاب"، وتوصل إلى اقتراح أربعة مواضيع يفرضها السياق النصي؛ حيث يقول (كل هذه الموضوعات مقبولة لأن بينها جامعا مشتركا هو دوران النص حولها^{xlviii}. ومن بين أنواع التأويلات، ما يلي:

- التأويل اللغوي: إنه تأويل فرضته طبيعة المستوى النصي المراد تحليله، والمتمثل في "التعلق الاستعاري"؛ حيث يرصد الناقد الدلالة المعجمية للمفردات المشكلة للتعبير الاستعاري، ثم يتم بناء الدلالة العامة لهذا التركيب. ويبدو أن الباحث "محمد خطابي" يصرح، أحيانا، بشكل واضح أنه يسلك هذا التأويل، يقول مثلا في تحليل المركب الاستعاري التالي في لهفة التائهين: (سننطلق في تحليل هذه الاستعارة أيضا من المعنى المعجمي للهِفَة^{xlix}. وتتناول المظاهر الثلاثة الأخرى مشاكل الترجمة ونواقص الترجمات العربية للأعمال اللسانية الغربية؛ ومن تلك النواقص تشويه الأفكار الأصول، ومن هنا كان إثم هذه الترجمات أكبر من نفعها؛ لأنها ترجمات غير فاعلة، وبالتالي غير منتجة^l. مما جعل الباحث يوجه العناية للمنجز النقدي واللغوي التراثي، لأجل استخلاص العناصر المحددة لاتساق المتن البلاغي واللغوي والنقدي والتفسيري، ومن ثم فإنه قد ارتكز على مبادئ خاصة في هذا المستوى النقدي الوصفي، منها:

- مبدأ الانتقاء: بغض النظر عن الخلفيات المتحكمة في الاختيار، فإن هذا المبدأ يستجيب لشروط العمق النظري والتقاطع المعرفي مع موضوع الدراسة. يقول مثلا عن البلاغة (ننبه بدأ إلى تعاملنا مع هذا المبحث إلى ... أن اهتمامنا سينصب على ما هو وارد وشديد الارتباط بموضوعنا: انسجام الخطاب. وفي السياق نفسه يقول عن النقد الأدبي (سنركز اهتمامنا على معطيات نراها شديدة الاهتمام بموضوع بحثنا، لذلك اقتصر حديثه على نقاد محددين الجاحظ، ابن طباطبا، الحاتمي، القرطاجني أما الحديث عن بعض متون التفسير، فكان منصبا على المتون المرتبطة بتفسير سورة "البقرة" فقط^{li}. ومبدأ التعريف الذي تكمن أهميته في هذا السياق، في كونه مبدأ يقدم معرفة مغايرة للمعرفة المرتبطة ببعض مفاهيم لسانيات النص الغربية لكنها متجانسة معها. هكذا انصب اهتمام الباحث على تعريف وتوضيح ما تعلق بـ"الفصل"، "الوصل"، "المطابقة"، "رد الصدر على العجز"، "العطف السببي"، "التناسب"، "المناسبة" ... إلخ^{lii}. وإذا كانت آراء الدكتور سعد مصلوح تصدق على مرحلة من المراحل التاريخية، فإننا نعتقد أن الانفصام بين النقد الأدبي واللسانيات لم يدم طويلا؛ إذ سرعان ما انفتح النقد الأدبي على اللسانيات، وظهر جيل من الباحثين الأكفاء الذين أثروا مجال النقد بمؤلفات مهمة استطاعوا من خلالها ملامسة أوجه التقارب بين حقل اللسانيات والنقد^{liii}. ومن بينهم الرائد اللساني دوسوسير والذي سرعان ما وجدت نظرتة إلى اللغة صداها في الحقل النقدي، فتشكل المنهج البنيوي الذي اتجه، إلى قراءة الانتاج الأدبي/الفني، ليس بوصفه مرآة

عاكسة للداخل النفسي للمبدع، أو الخارج الاجتماعي، إنما دراسته بوصفه ((نسقا)) دراسة داخلية ينبغي النظر في مكوناته والعلاقات الوظيفية الناظمة بينهما^{liv}.

وإذا كانت اللسانيات النصية علما إنسانيا لغويا محضا مستقلا عن غيره من العلوم، وأن الأدب مادة لغوية أيضا، فإن العلم الذي يستمد منه النقد مادته لدراسة النصوص هو علم اللسانيات النصية، لأنه يزود النقد بالآليات الرئيسة والتقنيات الأساس لتفكيك النصوص، وبالمادة اللغوية المناسبة في التحليل. ولأن أغلب الإشكاليات النصية يكون مصدرها اللغة، لذلك يعتمد القارئ على منهج لغوي لتيسير فهم النصوص وإدراكها والإجابة عن إشكالاتها؛ إذ إن العلاقة بين علم النقد و علم اللسانيات النصية تحكمها روابط وتجمع بينهما خصوصيات مختلفة، إلا أن دراسة هذه القضية يفرض علينا الوقوف على أمرين اثنين:

أولهما: القطيعة بين حقلي النقد واللسانيات النصية.

وثانيهما: العلاقة الرابطة بين النقد واللسانيات النصية.

إذا كان بعض الباحثين يشير إلى تلك القطيعة الواردة بين علمي: النقد واللسانيات النصية، على اعتبار أن كلاهما علما مستقلان، وأن لكل خصوصياته وآلياته وطرق اشتغاله، وأهدافه التي يصبو إليها، فإن المنظور الآخر يرى بأن البحوث العلمية في مجال اللسانيات النصية تؤطرها رؤى نقدية تبحث في شبكة العلاقات والروابط المنطقية واللغوية الرابطة بين المفاهيم النصية والجمال والنصوص والسياقات. وهذا يوحي إلى الصلة القائمة بين المجالين العلميين، لأن المنهج اللساني النصي المستعمل في تلقي الأدب وقراءته ونقده كان هو أيضا مجرد امتداد لمفاهيم وطرائق علم اللسانيات. وما دام النقد يطبعه الشمول لأنه يخوض في جميع المجالات والعلوم، فإن اللسانيات النصية مثيلة له، ذلك أننا لا نناقش موضوعا ما أو علما من العلوم إلا من خلال المرور عن طريق اللغة.

خاتمة

نستنتج أن النقد تذوق للأعمال الأدبية وبناء لأساليبها البلاغية ولقواعدها النحوية من خلال الاعتماد على آليات لسانية تمكنا من صنع التصورات وبلورة الأفكار وبناء الآراء وموضعة المفاهيم العقلية في شبكة من العلاقات تضي عليها وجودا تصوريا مبنيا بناء متماسكا. ذلك أن لغة النقد لغة طبيعية مستفيدة من العلوم الإنسانية، باعتبارها انعكاسا للتجارب النفسية للمبدع الذي يعبر لقرائه بأساليب جمالية ومن خلال آليات لسانية عما يخالجه من أحاسيس ومشاعر وعواطف. ومن خلال ما سبق خلصت إلى العديد من الخلاصات والاستنتاجات، أهمها ما يلي:

- إن النقد يرتبط بالإبداع ارتباطا وجوديا، لأنه يبدأ مباشرة بعد ولادة النص الإبداعي.

- إن العمل الإبداعي يشكل امتدادا لأعمال سابقة عليه وأخرى لاحقة له يعتمدها الناقد لفهم السيرورة الأدبية التاريخية.
- إن تاريخ النقد هو تاريخ للأفكار وللعلاقات الماثلة بين العلوم والفنون.
- إن العمل النقدي عمل علمي يمتلك خاصية العلم نظريا وإجرائيا.
- إن النقد الأدبي عمل من أعمال الفن والذوق.
- إن النقد له صلة قوية بالعلوم لأنه يستنبط آلياتها لخدمة قضاياها العلمية والمعرفية الجمالية والمنطقية.
- إن العلاقة بين النقد والعلوم أحيانا تكون علاقة انتساب، وأحيانا أخرى يكسوها التباعد والتنافر.
- إن التجربة الشعورية تعبر عن أصالة العنصر النفسي في مرحلة تأثر الفنان المبدع.
- إن لعلم النفس أثرا في صياغة النقد مفهوما وعلما.
- إن أساس العلاقة بين النقد وعلم لغة الأدب موجودة داخل الأدب ذاته في شكل تجربة شعورية تحتم على النقد أن يكون وثيق الصلة بعلم النفس.
- إن العلاقة بين التلقي والنقد علاقة ضرورة، حيث يتضح تلقي العمل من خلال قراءته ونقده؛ إذ يجد القارئ نفسه أمام منظومة مفهومية تضع التلقي في إطار التاريخ، وتقرأ الأعمال الأدبية، وتحكم على قيمتها الجمالية من خلال تاريخية التلقيات التعايقية.
- ما دام هدف المناهج النقدية هو البناء على نحو تبعي للعلم الإنساني الذي تستمد منه، فإن المنهج اللساني النصي المستعمل في قراءة الأدب ونقده كان هو أيضا مجرد امتداد لمفاهيم وطرائق اللسانيات.
- إذا كان بعض الباحثين يشيرون إلى تلك القطيعة الواردة بين علمي: النقد واللسانيات النصية، على اعتبار أن كلاهما علمان مستقلان، وأن لكلٍ خصوصياته وآلياته وطرق اشتغاله، وأهدافه التي يصبو إليها، فإن المنظور الآخر يرى بأن البحوث العلمية في مجال اللسانيات النصية توطرها رؤية نقدية تبحث في شبكة العلاقات والروابط المنطقية واللغوية الرابطة بين المفاهيم النصية والجمل والنصوص والسياقات.

ⁱ محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، منشورات كلية الآداب بالرباط، ط ١، ١٩٩٩، ص ١٨.

ⁱⁱ شوقي ضيف، النقد، دار المعارف، ط ٥، غ س النشر، ص ٧.

ⁱⁱⁱ فائق مصطفى، وآخر، في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، دار الكتب للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٨٩، ص ٩٣.

^{iv} محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ١٩.

^v إنريك أندرسون إميرت، مناهج النقد الأدبي، ترجمة: دكتور الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ط ٢، ١٩٩٢، ص ٣٩.

- vi فائق مصطفى، وآخر، في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، مرجع سابق، ص ٩٣.
- vii أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، مطبعة الاعتماد - مصر، ط٢، غياب سنة النشر، ص ١٤٣.
- viii محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ١٨١.
- ix محمد مندور، في الأدب والنقد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة، غ ط، وغ س النشر، ص ١٦.
- x محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ١٨١.
- xi أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، مطبعة الاعتماد، مرجع سابق، ص ١٥٦.
- xii محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ١٨٢.
- xiii المرجع نفسه، ص ١٨٢-١٨٣.
- xiv محمد مندور، في الأدب والنقد، مرجع سابق، ص ٣٩.
- xv عبد القادر قصاب وآخر، التحليل النفسي في الدرس النقدي العربي، مجلة آفاق علمية، مج ١١، ع ١١٤، ٢٠١٩، ص ٣٩٣.
- xvi ستانلي هايمن، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ج ١، ترجمة إحسان عباس وآخر، دار الثقافة بيروت، لبنان، ١٩٥٨، ص ٢٥٨.
- xvii محمد مندور، في الأدب والنقد، مرجع سابق، ص ٣٩.
- xviii محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ١٨٦.
- xix ستانلي هايمن، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ج ١، ترجمة إحسان عباس وآخر، مرجع سابق، ص ٢٦٠.
- xx محمد مندور، في الأدب والنقد، مرجع سابق، ص ٣٩ - ٤٠.
- xxi محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ١٨٦.
- xxii عبد القادر قصاب وآخر، التحليل النفسي في الدرس النقدي العربي، مرجع سابق، ص ٣٩٤.
- xxiii ستانلي هايمن، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ج ١، ترجمة إحسان عباس وآخر، مرجع سابق، ص ٢٦١.
- xxiv محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ١٨٦-١٨٧.
- xxv عبد القادر قصاب وآخر، التحليل النفسي في الدرس النقدي العربي، مرجع سابق، ص ٣٩٥.
- xxvi محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ١٨٧.
- xxvii عبد القادر قصاب وآخر، التحليل النفسي في الدرس النقدي العربي، مرجع سابق، ص ٣٩٧.
- xxviii محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ١٨٩.
- xxix محمد مندور، في الأدب والنقد، مرجع سابق، ص ٤٠.
- xxx ستانلي هايمن، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ج ١، ترجمة إحسان عباس وآخر، مرجع سابق، ص ٢٧٣.
- xxxi محمد مندور، في الأدب والنقد، مرجع سابق، ص ٤١.

xxxii عبد القادر قصاب وآخر، التحليل النفسي في الدرس النقدي العربي، مرجع سابق، ص ٣٩٨.

xxxiii روبرت هولب، "نظرية التلقي"، تر: خالد التوزاني والجلالي الكدية، منشورات علامات، ط١، ١٩٩٩، ص ٢٢٩.

xxxiv آرثر أيزنبرجر، النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، ترجمة: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاوي، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣، ص ٥٨.

xxxv الطيب بوعزة، اللسانيات والنقد الأدبي:

www.moslimonline.com/?page=artical&id=3153#.Xz-EttSLRPM

xxxvi حافظ إسماعيلي علوي، في تقويم البحث اللساني العربي المعاصر "كتابات سعد مصلوح أنموذجاً"، ص ١٩. الموقع الإلكتروني:

<http://revue.ummt0.dz/index.php/pla/article/download/1508/1249>

xxxvii عبد الرحمن التمار، اللسانيات والنقد الأدبي "لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب لـ "محمد خطابي"، مجلة علامات ع ٢٥، ص ١٣٤.

xxxviii الطيب بوعزة، اللسانيات والنقد الأدبي، الموقع الإلكتروني:

www.moslimonline.com/?page=artical&id=3153#.Xz-EttSLRPM

xxxix الطيب بوعزة، اللسانيات والنقد الأدبي، الموقع الإلكتروني:

www.moslimonline.com/?page=artical&id=3153#.Xz-EttSLRPM

xl عبد الرحمن التمار، اللسانيات والنقد الأدبي "لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب لـ "محمد خطابي"، مرجع سابق، ص ١٣٤.

xli حافظ إسماعيلي علوي، في تقويم البحث اللساني العربي المعاصر "كتابات سعد مصلوح أنموذجاً"، ص ١٩، الموقع الإلكتروني:

<http://revue.ummt0.dz/index.php/pla/article/download/1508/1249>

xlii حافظ إسماعيلي علوي، في تقويم البحث اللساني العربي المعاصر "كتابات سعد مصلوح أنموذجاً"، مرجع سابق، ص ١٩، الموقع الإلكتروني:

<http://revue.ummt0.dz/index.php/pla/article/download/1508/1249>

xliii عبد الرحمن التمار، اللسانيات والنقد الأدبي "لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب لـ "محمد خطابي"، مرجع سابق، ص ١٣٦.

xliv حافظ إسماعيلي علوي، في تقويم البحث اللساني العربي المعاصر "كتابات سعد مصلوح أنموذجاً"، ص ١٩، الموقع الإلكتروني:

<http://revue.ummt0.dz/index.php/pla/article/download/1508/1249>

xlv عبد الرحمن التمار، اللسانيات والنقد الأدبي "لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب لـ "محمد خطابي"، مرجع سابق، ص ١٣٦.

xlvi المرجع نفسه، ص ١٣٨.

xlvii الطيب بوعزة، اللسانيات والنقد الأدبي، الموقع الإلكتروني:

www.moslimonline.com/?page=artical&id=3153#.Xz-EttSLRPM

xlviii عيد الرحمن التمارة، اللسانيات والنقد الأدبي "لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب لـ "محمد خطابي"، مرجع سابق، ص ١٤١.

xlix المرجع نفسه، ص ١٤٢.

^١ حافظ إسماعيلي علوي، في تقويم البحث اللساني العربي المعاصر "كتابات سعد مصلوح أنموذجاً"، ص ٢٠، الموقع الإلكتروني:

<http://revue.ummt0.dz/index.php/pla/article/download/1508/1249>

ⁱⁱ عيد الرحمن التمارة، اللسانيات والنقد الأدبي "لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب لـ "محمد خطابي"، مرجع سابق، ص ١٣٩.

ⁱⁱⁱ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ⁱⁱⁱⁱ حافظ إسماعيلي علوي، في تقويم البحث اللساني العربي المعاصر "كتابات سعد مصلوح أنموذجاً"، ص ٢٠، الموقع الإلكتروني:

<http://revue.ummt0.dz/index.php/pla/article/download/1508/1249>

^{liv} الطيب بوعزة، اللسانيات والنقد الأدبي، مرجع سابق:

www.moslimonline.com/?page=artical&id=3153#.Xz-EttSLRPM

Manifestations of modernity in the poetry of Forough Farrokhzad and Nazik Al-Malaika.
(Comparative study)

تجليات الحداثة في شعر فروغ فرخزاد، ونازك الملائكة (دراسة مقارنة)

أ.م.د. فلاح حسن عباس

جامعة ذي قار – كلية الآداب

الكلمات المفتاحية

فروغ فرخزاد، نازك الملائكة، الحداثة، الشعر الإيراني والعراقي الحديث، الأدب المقارن.

Summary

this research highlights the issue of modernity in contemporary Persian and Arabic poetry. The researcher chose two poets: Iranian Forough Farrokhzad and Iraqi Nazik Al-Malaika to be the subject of this study.

The two poets are pioneers of modernity in poetry of their countries and have embodied modernist themes in their poetry that reflecting new issues consistent with the spirit of the times that are entering the world of poetry and the other departments of literature.

The researcher chose samples of poems for these poets that include modernist themes. Through these poems, the two poets dealt with various individual and societal issues and other internal and external humanitarian issues. The researcher translated the poet Forough Farrokhzad's poems into Arabic.

Keywords: Forough Farrokhzad, Nazik Al-Malika, Modernity, Modern Iranian and Iraqi poetry, comparative literature.

المَلخَص

يسلّط هذا البحث الضوء على قضية الحداثة في الشعر الفارسي والعربي المعاصر. إختار الباحث الشاعرتين: الإيرانية فروغ فرّخزاد، والعراقية نازك الملائكة ليكونا موضوعاً لهذه الدراسة.

تُعدّ الشاعرتان رائدتين من روّاد الحداثة في الشعر في بلديهما، وقد جسّدتا مواضيع حداثوية في شعرهن لتعبّرا بذلك عن القضايا الجديدة المنسجمة مع روح العصر التي أخذت بالدخول إلى عالم الشعر فضلاً عن أقسام الأدب الأخرى.

كما إختار الباحث نماذج من أشعار الشاعرتين (فروغ و نازك) تضمّنت مواضيع حداثوية عالجت الشاعرتان من خلالها قضايا (جديدة) متنوّعة فردية ومجتمعية وقضايا إنسانية (داخلية وخارجية) أخرى. وقام الباحث بترجمة شعر الشاعرة فروغ فرّخزاد إلى اللغة العربية.

فروغ فرخزاد

شاعرة إيرانية ولدت عام ١٩٣٥م، سافرت إلى دول عديدة كفرنسا و المانيا و ايطاليا و إنجلترا. تزوجت من قريبها رسام الكاريكاتير الشهير پرويز شاهپور وانفصلت عنه بعد ثلاث سنوات، لها ابن واحد اسمه كاميار.

دخلت الشاعرة عالم الفن فعملت مخرجة وكاتبة سيناريو وممثلة بعد تعرفها على القاص ابراهيم گلستان صاحب إحدى المؤسسات السينمائية، ومن نتاجاتها الشهيرة في هذا المجال فلم وثائقي عن حياة المصابين بالجذام عنوانه (خانه سياه است: البيت أسود) كما أصدرت الشاعرة في حياتها أربعة دواوين شعرية (اسير: الأسير أو الأسيرة)، (ديوار: الجدار)، (عصيان: التمرد) و (تولدی ديگر: ولادة أخرى).

توفيت الشاعرة أثر حادث سير ولم يتجاوز عمرها الثانية والثلاثين وبعد وفاتها صدر ديوانها الأخير (ايمان بياوريم به آغاز فصل سرد: فلنؤمن بحلول الفصل البارد).^١

نازك الملائكة

ولدت الشاعرة نازك الملائكة في بغداد في ٢٣ آب ١٩٢٣م لها ثلاث أخوات وأخوان وهي كبرى إخوتها،^٢ حصلت على شهادة الليسانس في اللغة العربية من دار المعلمين العالية في بغداد عام ١٩٤٤م، ثم سافرت لأكمال دراسة الماجستير في الأدب المقارن في جامعة وسكنسون في مدينة ماديسون في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٤م، بعدها عادت إلى بغداد وعملت إستاذة في دار المعلمين العالية، درست الشاعرة الموسيقى (العود) في معهد الفنون الجميلة و درست التمثيل كما درست اللغة اللاتينية و اتقنت الإنجليزية و درست اللغة الفرنسية، وكانت والدتها تكتب الشعر وتنشره في المجلات والصحف العراقية بإسم السيدة أم نزار الملائكة، وكان والدها مدرساً لمادة النحو في الثانوية وله دراسات في هذه المادة وله مؤلفات ابرزها موسوعة في عشرين مجلداً (دائرة معارف الناس).^٣

كتبت نازك في بداية حياتها الأدبية قصيدة طويلة عنوانها (الموت والإنسان)، وأصدرت الشاعرة ديوانها الأول (عاشقة الليل) عام ١٩٤٧م، ف " الليل كان يرمز عندي إلى الشعر والخيال والأحلام المبهمة وجمال النجوم وروعة القمر والتماع دجلة تحت الاضواء، وكنت في الليل أعزف على عودي في الحديقة الخلفية للبيت بين الشجر الكثيف، حيث كنت أغني ساعات كل مساء، وقد كان الغناء سعادتي الكبرى منذ طفولتي..."^٤ وأصدرت ديوانها الثاني بعنوان (شضايا ورماد) عام ١٩٤٩م وللشاعرة دواوين أخرى مثل (قرارة الموجة)، (شجرة القمر)، (يغير الوانه البحر)، (للصلاة والثورة) ومطولة شعرية (مأساة الحياة وأغنية للإنسان)، ولها كتاب في النقد الادبي (قضايا الشعر المعاصر)،^٥ تزوجت من الدكتور عبد الهادي محبوبة وانتقلت مع زوجها إلى البصرة؛ لأنه كان رئيساً لجامعتها آنذاك. توفيت الشاعرة في مصر عام ٢٠٠٧م.^٦

تجليات الحداثة في شعر فروغ فرخزاد

مع ظهور الثورة الدستورية (١٩٠٦ - ١٩٠٨) ظهرت الرغبة نحو التجديد والحداثة في الشعر فضلاً عن سائر أقسام الأدب الأخرى، فقد تجلّت بوادر التغيير بشكل واضح في الأدب إلى جانب القضايا الإجتماعية والثقافية والإنسانية، وظهرت في الأدب عموماً و الشعر بشكل خاص مفردات ومصطلحات جديدة لم

تظهر في الشعر القديم الذي ناقشت مواضيعه قضايا مثل: العشق والعرفان والطبيعة والوجد والهيام، فأصبحت مواضيع الشعر تعالج قضايا جديدة كقضايا المرأة والمطالبة بحقوقها والحرية والمجتمع وما يعانيه من ظلم واستبداد وقضايا إجتماعية وإنسانية عبرت عن مسائل خارج حدود الدولة والمجتمع وقضايا إنسانية مصيرية. ودخلت كلمات جديدة إلى عالم الشعر مثل: الغرب، الأمة، الشعب، الفرد، الرموز المختلفة والأساطير والأقنعة الدالة على مواضيع متنوعة.

كانت أشعار المرأة الإيرانية تقليداً لشعر الشعراء الرجال؛ كون المرأة تعيش في مجتمع شرقي فالشاعرات الإيرانيات طغت على أشعارهن ملامح الذكورية، وإذا أرادت المرأة الخروج عن هذا النسق فستحتاج إلى جرأة كافية غالباً ما يصاحبها ردود أفعال كثيرة وقاسية أحياناً من قبل الراضين للتجديد والحدثة ولو في هذا الجانب، فالشاعرة الإيرانية تتبع الرجل فضلاً عن أنها تعيش في مجتمع شرقي، لكن مع إنتشار النتاجات الشعرية لفروع تطوّر شعر المرأة بشكل ملحوظ من خلال ماتصمّنه من مفاهيم وقضايا جديدة لم تتطرق إليها شاعرات من قبل. فكانت فروع تنظر إلى الأمور والقضايا ببساطة وكانت تعبّر عمّا يجول في خاطرها بصدق ولا تقلّد الآخرين في ما يطرحونه من أفكار، وأحاسيسها وأفكارها نابغة من نظرتها الصادقة للكون والحياة والإنسان؛ لتجسّد من خلال ذلك مفاهيم شعرية عميقة عمق الإنسان. وتعبّر بعفوية وحرية وجرأة في طرحها لتلك المواضيع والقضايا بلغة خارجة عن المألوف والعرف مصورة خيالياً مفعماً بالحدثة.

يُعد صدور مجموعتها الشعرية (تولدى ديگر: ولادة أخرى) حدثاً بارزاً ومفاجئاً للجميع مما أثار نقاشات وأعتبرت الشاعرة من شعراء النزعة الإنسانية في الشعر الحر إلى جانب شعراء آخرين مثل: مهدي اخوان ثالث و أحمد شاملو، واستخدمت الشاعرة في مجموعتها (تولدى ديگر: ولادة أخرى) الرموز ولغة الإستعارة والكناية وتميّزت بالجرأة والصراحة وكان للشاعرة دوراً بارزاً ومهماً في الشعر الفارسي المعاصر؛ لتجسيدها نظرة جديدة فيه. وسنجد ذلك واضحاً في الأشعار التي سنناقش في هذا البحث التي تجسّد تفاعل الشاعرة مع الكون والحياة والإنسان من خلال شعرها، وإسلوبها الحديث.^٧ أمّا نتاجاتها الشعرية الاولى (اسير : الأسيرة أو الأسير)، (ديوار: الحائط) و (عصيان: التمرد) فقد تجلّى فيها التمرد والرومانتيكية وإشتملت على طابعٍ إنثوي فأثارت بذلك الكثير من الجدل والتساؤلات وردود

الأفعال، كما أصبح لديها رؤية جديدة تجاه المجتمع والفن والحياة والشعر بعد تأثرها بمجالسة الأدباء والإختلاط بهم وتبادل الآراء معهم، واتسم شعر فروغ بمرونة وحرية أكبر من حيث إستخدام الوزن إذا ما قورن بشعر بعض الشعراء الحداثيين الذين عاصروها، وتميّز شعرها بإحتوائه على المضامين والقضايا الجديدة والنظر لكافة مظاهر الحياة من نواحي مختلفة^٨ ويبدو أنّ الشاعرة " تفرّدت بشحن قصائدها بطاقة مريرة من ذكرياتها واختباراتها وسبرها للأغوار المعتمة وانفعالها بالماضي مُنهصرة تحت وطأة الحاضر لقد كانت فروغ قلقة ومنفعلة، وفي الوقت ذاته متجددة ومتحضّرة، ولها عقلية الشعراء العالميين الحداثية ولغتها الإحتجاجية ولا تتأطر في أي بوتقة فكرية أو حتى شعرية. وكان شعرها خارجاً عن نطاق الرموز المعهودة التي حفلت بها قصائد الخمسينيات والتي حلت الأساطير الاقليمية والعالمية محلّها في العقد التالي ومنها إيرانياً أساطير إسفنديار وأفراسياب والضحّاك وكاوه، وعالمياً سيزيف وأخيلوس والمسيح"^٩ فالإبتكار والإصالة صفة متجسدة في شعرها رغم عدم دراستها للأدب، كما يمكن القول بأنّها من شعراء المدرسة الرمزية بيد أنّ الشعر الفارسي الحديث تميّز بإستخدامة للكثير من الرموز التي تحمل دلالات وثيمات مختلفة إذا قورن بالشعر الفارسي القديم، وأنّ الرموز المستخدمة من قبل الشاعرة جديرة بالإهتمام والدراسة؛ لأهميتها الأدبية وللمواضيع التي ناقشتها وعبرت عنها. وتمتلك الشاعرة رؤية نقدية للكثير من القضايا الإجتماعية والسياسية.^{١٠} وتُعد فروغ " أول شاعر في حيز الشعر الحديث والرائد إستطاع أن يسليخ عن اللغة إعتبرات القوة والإقتدار ويتفاعل تفاعلاً حقيقياً مع لغة الجماهير وما تزخر به من حيوية. لقد توصلت فروغ إلى لغة الحياة فعاشت اللغة وجربت الحياة في اللغة"^{١١}

وبيّنت الشاعرة من خلال اشعارها وبالخصوص في ديوانها (تولدى ديگر: ولادة أخرى) الذاتية والرومانسية بلغة صريحة و بسيطة قريبة من لغة الحوار وتكلّمت عن نفسها، إخوانها وأخواتها، أبيها وأمها، وعن معشوقها وحديقة منزلها وأزهارها، طفولتها وشبابها ألمها وإنكسارها، هذه القضايا والمسائل تُعد شخصية في الظاهر، لكنّها ترمز وتدل على قضايا إجتماعية مثل صورة ومكانة المرأة والعلاقات بين أفراد العائلة في عصر الشاعرة. العلاقة بين الجيل القديم والجديد وكذلك آمال وتطلّعات وآلام ومعاناة الناس كما جسّدت المفاهيم الإجتماعية والإنسانية الأخرى:^{١٢}

کسی به فکر گلها نیست

کسی به فکر ماهی ها نیست

کسی نمی خواهد

باور کند که باغچه دارد می میرد

که قلب باغچه در زیر آفتاب ورم کرده است

که ذهن باغچه دارد آرام آرام

از خاطرات سبز تهی می شود^{۱۳}

الترجمة

[لا أحد يفكر بالورود / لا أحد يفكر بالأسماء / لا أحد يريد أن يصدق بأنّ الحديقة تموت / وقلبها قد تورم تحت الشمس / وذهنها.. رويداً رويداً / يفرغ من الذكريات الخضراء]

بعد ذلك تتكلم الشاعرة عن أبيها وأمها وأخيها وأختها ونظرتهم تجاه الحديقة وفي النهاية تبين رؤيتهم الأخيرة تجاهها، لكن في حقيقة الأمر هي تتحدث بلغة رمزية لها دلالات عميقة عبّرت من خلالها عن مجتمعها والقيم الإنسانية، فالورود في طريقها نحو الذبول، والوجوه المفعمة بالحياة مصيرها للشحوب، وكذلك الأب والأم والأخ والأخت دلالات ورموز لنماذج من المجتمع في ذلك الوقت. فوالد الشاعرة رمز للشخص الذي يسير في الماضي، فيبدو أنه مشغول بقراءة الشاهنامه بدلاً من التفكير بإيجاد العلاج لألم ومعاناة المجتمع والحيلولة دون زوال قيمه، وهو يعتقد بأنه أتم عمله ولا مسؤولية لديه تجاه المجتمع، أمّا الأم فترمز للشخص العاجز عن فهم وإدراك التعقيدات والتحويلات الاجتماعية فهي تدعو أن تخرج إليها يد من الغيب لتغيّر أحوالها نحو الأحسن، أمّا أخوها فيرمز للإنسان المثقف الذي يمثل هوية عصر الشاعرة:^{۱۴}

او مست می کند

و مشت می زند به در و دیوار

و سعی می کند که بگوید

بسیار دردمند و خسته و مایوس است

او نا امیدى اش را هم

مثل شناسنامه و تقويم و دستمال و فندک و خودکارش

همراه خود به کوچه و بازار می برد

و نا امیدى اش

آنقدر کوچک است که هر شب

در ازدحام می‌کده گم می شود.^{۱۵}

الترجمة

[يسكر / ويضرب الباب و الجدار / ويسعى للبوح / بأنه متألم جداً ومتعب ويأئس / يأسه كهويته الشخصية

وتقويمه ومنديله و قداحته وقلمه / يرافقه الى الزقاق والسوق / ويأسه صغير إلى حد / بكل ليلة يضيع في

زحام الحانة]

وما أصعبه من إحساس عندما يعيش الإنسان بين أهله وإسرته ويشعر بالحزن والألم والإغتراب واليأس،

فيبدو أنها كانت تفتقد إلى العاطفة والحنان وتعاني بُعداً روحياً ومعنوياً:

آن روزها رفتند

آن روزهای خوب

آن روزهای سالم سرشار

آن آسمان های پر از پولک

آن شاخساران پر از گیلایس

آن خانه های تکیه داده در حفاظ سبز پیچکها به یکدیگر....

آن روزها رفتند^{۱۶}

الترجمة

[تلك الأيام ذهبت / تلك الأيام الجيدة / تلك الأيام المفعمة / تلك السماء المليئة بالنجوم / تلك الأغصان

المحملة بالكرز / تلك البيوت المتكئة مع بعضها على جدار اللبلاب الأخضر / ذهبت تلك الأيام]

كما أنّ الشاعرة عاشت هاجس الموت والخوف من الزوال والفناء وشكّلت هذه الأفكار والقضايا في أشعارها جزء مهم من جميع أشعارها: ١٧

حق با شماست

من هیچگاه پس از مرگم

جرات نکرده ام که در آئینه بنگرم

و آن قدر مرده ام

که هیچ چیز مرگ مرا دیگر

ثابت نمی کند ١٨

الترجمة

[الحق معكم / فبعد موتي / قد لا أجرؤ أبداً على النظر في المرأة / ومثُ بالقدر الذي لا شيء يثبت موتي مرة أخرى]

ويبدو أنّ أفكار اليأس والتشاؤم وعدم التفاؤل للمستقبل غطّت أجواء الكثير من شعر الشاعرة: ١٩

گوش کن

وزش ظلمت را می شنوی؟

من غریبانه به این خوشبختی می نگرم

من به نومیدی خود معتادم

گوش کن

وزش ظلمت را می شنوی؟ ٢٠

الترجمة

[إسمع / أتسمع هبوب الظلام؟ / إني أنظر إلى هذه السعادة بغربة / وأدمنتُ يأسِي / إسمع / أتسمع هبوب
الظلام؟]

خورشيد مرده بود

خورشيد مرده بود، و فردا

در ذهن كودكان

مفهوم گنگ گمشده بی داشت^{۲۱}

الترجمة

[الشمس كانت ميتة / الشمس كانت ميتة، والغد / في ذهن الأطفال / عدماً وضياعاً]

تقول فروغ: " أحس أنني خسرت عمري كله، كان عليّ أن أعرف أقل بكثير من خبرة السبعة والعشرين عاماً، لعلّ السبب يكمن في أنّ حياتي لم تكن مضيئة، فالحب، وزواجي المضحك في السادسة عشرة زلزلا أركان حياتي على الدوام لم يكن لي مرشد، لم يرّبني أحد فكرياً وروحياً. كل مالدي هو مّني، وكل ما لم أحصل عليه بمقدوري إمتلاكه لولا إنحرافي وعدم معرفتي لِنفسي. عراقيل الحياة منعتني من الوصول لكنني أريد أن أبدأ.."^{۲۲}

حس می کنم که وقت گذشته ست

حس می کنم که " لحظه " سهم من از برگ های تاریخ است

حس می کنم که میز فاصله کاذبی ست در میان گیسوان من و دست های

این غریبه بی غمگین^{۲۳}

الترجمة

[أشعر أنّ الوقت قد إنقضى / أشعر أنّ " اللحظة " نصيبي من أوراق التاريخ / أشعر أنّ الطاولة مسافة كاذبة
بين جدائي ويدي هذا الغريب الحزين]

وفيما يتعلق بزواجها المبكر فيبدو أنّها غير راضية عنه وأشارت لذلك من خلال أشعارها وبشكل خاص في
ديوانها (أسير: الأسير أو الأسيرة).

كما أنّ معاني اليأس و التشاؤم متجلية من خلال شعورها الواضح بالندم لذلك الزواج الذي ترك أثراً سلبياً
على حياتها:

بگسسته ام ز ساحل خوش نامی

در سینه ام ستاره طوفانست

پروازگاه شعله خشم من

دردا، فضای تیره زندانست^{۲۴}

الترجمة

[تركت شاطئ حسن السمعة / وفي صدري نجمة العاصفة / رحلة شعلة غضبي / يا للألم.. فضاء سجن
حالك]

وتجسيدا لمعاناتها وألمها ونظرتها المليئة بالتشاؤم واليأس وكأنّها تنبأت بموتها المبكر الذي كانت على موعد
معه وهي في عامها الثاني والأربعين حيث كتبت قبل رحيلها عن هذا العالم بفترة قصيرة بأنّها وجدت نفسها
أخيراً، كتبت لأبنها الوحيد كاميار قصيدة بيّنت فيها بأنّ مواعدها مع الرحيل بات قريباً، وخبرته من خلال
كلماتها الحزينة والمؤثرة بأنّه سيأتي اليوم الذي يذرف فيه الدموع بحزن ولوعة أمام هذه الكلمات، وسيبحث
عنها في الكلمات، وسيجيب نفسه بحزن واشتياق، هذه كانت أمي:^{۲۵}

این شعر برای تو می گویم



در یک غروب تشنه تابستان

این آخرین ترانه لالائیسست

در پای گاهواره خواب تو

باشد که بانگ وحشی این فریاد

پیچد در آسمان شباب تو

بگذار سایه من سرگردان

از سایه تو دور و جدا باشد

روزی به هم رسیم که گر باشد

کس بین ما، نه غیر خدا باشد

شهر من و تو، طفلک شیرینم

دیر یست کاشیانه شیطانست

روزی رسد که چشم تو با حسرت

لغزد بر این ترانه درد آلود

جویی مرا درون سخنهایم

گویی به خود که مادر من او بود^{۲۶}

الترجمة

[أنظّم هذا الشعر لك / في غروب عطش صيفي / هذه آخر التهويدات عند مهدك / ليكن هذا الصوت المتوحش
صرخة / تدور في سماء شبابك / دع ظلّي التائه بعيداً عن ظلّك / وإذا ما التقينا يوماً ما / فلا أحد بيننا سوى
الله / مدينتي ومدينتك يا طفلي الرضيع / عشاً للشيطان منذ أمدٍ بعيد / سيأتي يوم تنزلق فيه عيناك بحسرة على
هذه الأغنية المؤلمة / وتبحث عني في كلامي / محدثاً نفسك / هي كانت أمّي]

وكانت الشاعرة فروغ رافضة لنظرة المجتمع للمرأة، وجسّدت مظلوميتها تجاه تلك القوانين التي تبخس حق المرأة، وهي تمثّل بذلك الكثير من النساء اللاتي يتعرضن للظلم من قبل المجتمع فهي تطالب بتحقيق العدالة.^{٢٧} وكانت تستحضر أغلب تجارب القهر والمعاناة التي تتعرض لها المرأة فهي طموحة ولديها أمل كبير بتحقيق حرية المرأة، وقد وقفت إلى جنب المرأة الإيرانية مساندة لها في الكثير من قضاياها التي تعاني منها ولاسيّما ظلم الرجل لها؛ لذا نرى الشاعرة قد جعلت من شعرها وفنّها أداة لنصرة ودعم قضايا المرأة والمطالبة بحقوقها:^{٢٨}

وقتي كه اعتماد من از ريسمان سست عدالت أويزان بود

و در تمام شهر

قلب چراغ های مرا تکه تکه می کردند^{٢٩}

الترجمة

[عندما كانت ثقني معلقة بحبل العدالة الرفيع / وفي كل المدينة / مرّقوا قلب أنواري إرباً إرباً]

كانت الشاعرة من المطالبات بحقوق المرأة المشروعة في الحياة، وقد جسّدت ذلك في الكثير من أشعارها، وهي تعتقد بأن لا يجب أن تقتصر حياة المرأة على المنزل وتربية الأولاد فقط، أنّما يتّسع دورها ليشمل جوانب

كثيرة في الحياة والمجتمع، فيبدو أنّ للشاعرة ألماً وحسرة على المرأة التي لا تتعدّى حياتها على الإهتمام بالبيت
وتربية الأولاد فقط: ٣٠

و قلب زود باور او را

با ضربه هاى موذى حسرت

در كنج سينه اش متورم مى سازد^{٣١}

الترجمة

[وتورّم قلبها الطيب / في زاوية صدرها / بضربات الحسرة المؤذية]

تجليات الحداثة في شعر نازك الملائكة

تُعد نازك الملائكة واحدة من الشعراء البارزين والرواد لحركة الشعر الحر في العراق وقد عززت ذلك بشعرها ونقدها فكان له الأثر الكبير في تطوّر ونضج تلك الحركة التي أصبح مفعولها ونتائجها واضحة في العراق والعالم العربي، وعلى الرغم من إيمان نازك بالحداثة إلا أنّها لم تستخدم مصطلح الحداثة في نتائجها النقدية على الرغم من أنّ المصطلح كان متداولاً في زمنها، بل وقبله ويحتمل أنّها تجنبت إستعماله؛ كونها على معرفة بما يحمله من دلالات معرفية متنوعة أو مختلفة، وبما يثيره من إشكاليات ليس من السهل حلّها. ويبدو أنّ غياب هذا المصطلح في نتائجها النقدية كان له ما يبرره، فالواقع أنّ عملها حدائوي ويدخل ضمن مشروع الحداثة الشعرية ولها دور كبير في تغيير مسار الشعر.^{٣٢} "إننا حققنا في هذا العصر إبداعاً يختلف عمّا حققه القدماء. كانت القصيدة تنظم لتعبّر عن غرض المدح أو الهجاء أو الرثاء أو الوصف أو الغزل. فجاء الشاعر المعاصر فخرج عن هذه الأغراض الميّنة المستهلكة، وإتخذ الحياة كلها غرضاً".^{٣٣} ويبدو أنّ تأثير الأدب الغربي على الشعراء مثل بدر شاكر السيّاب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي كان واضحاً وبالخصوص في بداية

نتاجاتهم الشعرية. ففي البداية إطلعت الشاعرة نازك الملائكة على الشعر الانجليزي والآداب الأوربية الأخرى كالأساطير اليونانية وفلسفة شوبنهاور ويتضح تشاؤمها بصورة جليّة في مطولة (مأساة الحياة) التي نظمتها عام ١٩٤٥م ونشرتها عام ١٩٧٠م الذي كتبتة قبل ديوانها الأول (عاشقة الليل) فتأثير الشعر الأجنبي هو تأثير ثقافي فالشاعرة وقعت تحت تأثير تشاؤم شوبنهاور وتشاؤم شوبنهاور موضوع غير معروف عند القاريء العربي لكن الشاعرة وجدت فيه تجسيدا لمشاعرها واحاسيسها، " وكنت إذ ذاك أكثر من قراءة الشعر الإنجليزي فأعجبت بالمطولات الشعرية التي نظمها الشعراء وأحبيت أن يكون لنا في الوطن العربي مطولات مثلهم. وسرعان ما بدأت قصيدتي وسميتها مأساة الحياة وهو عنوان يدل على تشاؤمي المطلق وشعوري بأن الحياة كلها ألم وإبهام وتعقيد (...) والواقع أن تشاؤمي قد فاق تشاؤم شوبنهاور نفسه، لأنه كان يعتقد أن الموت نعيم لأنه يختم عذاب الإنسان. أما أنا فلم تكن عندي كارثة أقسى من الموت".^{٣٤}

وتطوّر شكل القصيدة الجديدة عند نازك الملائكة وأثر الشعر الإنجليزي واضح في قصائدها وبالأخص في ديوانها (شضايا ورماد)، كما ألحقت الشاعرة الديوان بشرح للكلمات الاجنبية التي إستخدمت ضمن القصيدة وهذا يؤكد ورود دلالات لهذه الكلمات من مناهل غربية إلى الشعر العربي المعاصر.^{٣٥}

كان إطلاع نازك على الأدب العالمي الذي كان متفاعلاً مع حركة الحداثة في العالم، بالإضافة إلى أن المناخ العالمي يتّجه نحو التجديد له دور كبير في عملية السير نحو التجديد والحداثة وأصبحت الحاجة ملحة للتعبير بحرية تنسجم مع الذات الشاعرة وتطلعاتها، فضوابط وتقيدات الشعر العمودي لا تنسجم مع الصور والأخيلة والمسائل الجديدة التي يعالجها الشعر الحديث فحياة الإنسان في تغير وتعقيد. إنّ المواضيع والقضايا الجديدة تحتاج إلى قوالب جديدة وفق رؤية ناضجة قائمة على الإبداع الناتج عن التأثير بالحضارات والثقافات الأخرى والقضايا التي تعبّر عن هموم الإنسان وتطلعاته وفي هذه الفضاءات الثقافية تكوّنت الموجة الأولى للحداثة.^{٣٦}

بدأت حركة الشعر الحر في العراق عام ١٩٤٧م، ثم زحفت لتشمل العالم العربي، وكانت قصيدة الكوليرا لنازك الملائكة أوّل قصيدة حرّة الوزن نُشرت في ذلك الوقت حيث تم نشرها في بيروت^{٣٧} وهي قصيدة جسّدت أبعاداً إنسانية عميقة فالشاعرة وعبر المذيع سمعت أنباء عن إنتشار مرض الكوليرا في مصر، فالذي حرّك مشاعرها الإنسانية هو المذيع الذي أخبر عن تزايد عدد الضحايا، وسماع أنباء الآخرين

او العالم عن طريق جهاز المذياع هي آلية ثقافية حديثة حصلت نتيجة التطور الحضاري والتقني والإنساني. فالخطاب عن طريق المذياع صنع نص جديد وأبدع سياق ثقافي جميل فالشاعرة أحست بمعاناة الآخر وألمه عبر المذياع، فالخبر له دور مهم في تجسيد وتحشيد المشاعر في مخيلة الشاعرة ووجدانها:^{٣٨}

طلع الفجر

إصغ إلى وقع خطى المشيين.

في صمت الفجر، إصغ، انظر ركب الباكين

عشرة أمواتٍ، عشرونًا

لا تحص، أصغ للباكين

إسمع صوت الطفل المسكين

موتى، موتى، ضاع العددُ

موتى، موتى، لم يبقَ غدُ

في كل مكانٍ جسدٌ يندبُهُ محزون

لا لحظةً إخلادٍ لا صمت^{٣٩}

لقد جسدت الشاعرة ألم الإنسان ومعاناته من مرض الكوليرا الذي أخذ يفتك بالناس، والناس يشكون ما يرتكبه مرض الكوليرا، ويبدو أن كمية الألم والمعاناة التي تجسدها الشاعرة في هذه القصيدة كبيرة بحيث أصبح الموت دواء للخلاص من الكوليرا:

هذا ما فعلت كفتُ الموت

الموتُ الموتُ الموتُ

تشكو البشرية تشكو مايرتكب الموت

الكوليرا

في كهفِ الرعبِ مع الأشلاء

في صمتِ الأبدِ القاسي حيثُ الموتُ دواء

استيقظْ داءُ الكوليرا

حقداً يتدققُ موتوراً^{٤٠}

ولنازك الملائكة قصّة ورحلة متعددة الأبعاد مع اللّيلِ إبتدأت مع بداية ديوانها الأول (عاشقة اللّيل) ودواوينها الأخرى أيضاً، فعلى لسانها اللّيل يسألها من هي، وتجيبه بأنّها سرّه العميق القلق الأسود وصمته المتمرد.

إختارت الشاعرة هذه الكلمات لدلالاتها على ما تحسّه في أعماقها الهادئة والمليئة بالهواجس والظنون التي تجعل الإنسان في تفكير مضطرب وقلق، نلاحظ أنّ فضاءات التشاؤم بارزة في هذه القصيدة:

اللّيلُ يسألُ من أنا؟

أنا سرُّه القلقُ العميقُ الأسودُ

أنا صمتهُ المتمردُ

قنعتُ كنهى بالسكون

ولففتُ قلبي بالظنون^{٤١}

كانت نازك رافضة وبشدة للكثير من التقاليد البالية ويتضح ذلك بشكل جلي في الكثير من أشعارها وجسدت

معاناة المرأة وما تحمله من هموم

فقد رفضت القيود الإجتماعية التي كبلت المرأة وحددتها ضمن أطر ضيقة فدعت إلى تحرر المرأة من تلك القيود فهي تعتبر تلك القيود بمثابة العار والتحرر منها هو الولوج للضوء:

أه يا ملكي، أه يا ربّي

إنّ قيدي عار

وجمودي إنتحار

ودمي صامت، والتقاطي معطل

أه لو أتحلل

من قيودي لكي أذوق ضوءك

وأشارف نوءك

إنّ عطرك أعذب من كل شيء وأجمل ...

فمتى سوف أرحل؟

لضفافك؟ كيف أذيب قيودي؟

وأنقي وجودي؟^{٤٢}

وقد إستخدمت نازك الملائكة الرموز والأساطير لتحمل دلالات وإيحاءات مختلفة، ففي قصيدة (سنابل النار) تبدأ الشاعرة قصيدتها وتجعل نيران الحب تشتعل في ثلاث دوائر: الأولى تجعل فيها النار صفراء، والثانية حمراء، والثالثة إلى نار بيضاء، وبعدها تخاطب النار التي توفر الدفء في برد الشتاء القارص، ثم تشعل النار الثلوج الدموية الراكدة فتحول الأشياء إلى نغم، وهنا رمزت النار إلى الحيوية والدفء

والبعث، ورمزت إلى الركود والقسوة والجمود فرمز النار عبر عن داليتين متناقضتين وهذا حال الشعراء المعاصرين يختارون رموزاً ويعبرون بها عن معاني وإيحاءات ودلالات مختلفة: ^{٤٣}

تقلبني جبال خواطر وبحار
تدب النار مشعلة ثلوج دمي
يلامس دفؤها نغمي

يريق لهيبها صيفاً على عودي. ويصحي غفوة الأوتار
ويحملني جناح النار
لكل دوائر الحب ^{٤٤}

أغلب رموز نازك نابع من إحساسها الخفي بوجود قوة مجهولة تتعقبها فتخيفها فتكون تارةً افعوان فظيع أو غول، والنموذج الرمزي الذي يتضح في الكثير من قصائدها هو الإنسان الذي تطارده تلك القوة المجهولة ^{٤٥} وحسب قول الشاعرة: "أما قصيدة الافعوان فقد عبرت فيها عن الإحساس الخفي الذي يعترينا أحياناً بأن قوة مجهولة جبّارة، تطاردنا مطاردة نفسية ملحة وكثيراً ما تكون هذه القوة مجموعة من الذكريات المحزنة، أو هي الندم، أو عادة نمقتها في سلوكنا الخارجي، أو صورة مخيفة قابلناها فلم نعد نستطيع نسيانها، أو هي النفس بما لها من رغبات وما فيها من ضعف وشرود أو أي شيء آخر" ^{٤٦} ويتجسد الرمز بصورة افعوان يتعقبها في كل مكان:

وعدوي المخيف
مقلته تمجُّ الخريف
فوق روحٍ تُريدُ الربيع
ووراء الضباب الشفيف
ذلك الأفعوان الفظيع
ذلك الغول، أي انعتاق
من ظلال يديه على جبهتي الباردة
أين أنجو وأهدابه الحاقدة

في طريقي.. تصب غداً ميتاً لا يطاق^{٤٧}

تصوّر الشاعرة نازك في قصيدة (يحكى أنّ حفارين) حفارين يمارسان هذه المهنة ليعيشا، هم يتعاملان مع الموتى ليكسبا قوتها ويستمررا في الحياة، حفر القبور عمل ومهنة ومخيّلة الشاعرة صوّرت هذين الحفّارين وهم يؤدّيان عملهما في ظروف مختلفة كأصحاب المهن الأخرى: في الضباب، في فصل الخريف الشاحب، وفي الشتاء المخيف، هذه الظروف الجوية المختلفة يختلف معها إحساس الإنسان بها فكل حالة لها إحساس خاص يميّزها عن الأخرى من الناحية النفسية، إلا أنّ هذين الحفّارين يمارسان مهنتهما ويعتزّان ويتمسّكان بها، هما يعملان بلهفة لإتمام عملهما ليحصلوا على المال؛ فالموت مستمر كالحياة، هم يتعاملون مع الموتى ويبدو أنّ تفكيرهم في الموت كتفكير أصحاب المهن الأخرى، إستمرارهم ورزقهم إعتد على الموت، وصورت مخيلة الشاعرة هذين الحفّارين بأنهم في النهاية لا يموتون في القبر، بل يموتون على وجه الأرض، هم يحفران قبوراً للموتى وهم على يقين بأنّهما سيموتان يوماً ما، إلا أنّهما لم يحفرا قبوراً لأنفسهم.

ظاهرة الحزن واضحة في القصيدة وتجسّدت من خلال إشكالية الموت والحياة. فالحياة تتطلب العمل وحفر القبور عمل كسائر الأعمال الأخرى، لكنّه مختلف؛ كونه يتعامل مع الموتى، والموت هنا يوقّر عيشاً للحفّار، فعلاقة الموت بالحفّار هنا علاقة عمل وإسترزاق. وهذه الصورة تجسّد لنا قضية وهي مواجهة الإنسان مع الوجود والحياة والتمردّ عليه. الشاعرة عكست أحاسيسها وإنفعالاتها وحزنها تجاه هذه المسألة من خلال هذه الإشكالية الحزينة التي طالما بعثت الحزن والهمّ والرهبّة في نفوس الكثيرين، ويبدو أنّ الواقع المأساوي الحزين وقضية الموت أخذت مأخذها من الشاعرة وشغلت فضاءات تفكيرها، فالإنسان جزء فاعل من هذا الكون وأسراره العجيبة:^{٤٨}

طالما حفرا في التراب

حفرا في الضباب

ربما حفرا في شحوب الخريف

أو غبوس الشتاء المخيف

طالما شوهدا يحفران

يحفران، يظلان في لهفة يحفران

وهما الآن، فوق الثرى، ميطان^{٤٩}

وللشاعرة مجموعة من الأشعار التي بينت فيها حالات وإنفعالات وردود أفعال ترتبط بالإنسانية أو الذات الباطنية أو اللاشعور ويبدو أنّ هذه الحالات لم يبحثها ويخوض غمارها الشعر العربي إلا قليلاً؛ لأنّ الشعر العربي إهتم بشكل كبير بالسلوك الخارجي للإنسان.

حاولت الشاعرة في قصيدة (الخيط المشدود في شجرة السرو) أن ترسم صورة شعرية تصف فيها ردة فعل لشاب فوجيء بخبر موت حبيبته. موضوع القصيدة يدور حول الحالة النفسية والإنفعال الداخلي لإنسان يسمع فجأة خبراً مفاجئاً مؤلماً لا يتوقعه فمن خلال القصيدة يبدو أنّ ذلك الشاب يصاب بشرود ذهني ويبدو كأنه لم يسمع الخبر فتتجه أنظاره هنا وهناك، وتقع عيناه بأول شيء تافه، والشيء التافه الذي صورته الشاعرة هو خيط مشدود في شجرة سرو. إنشغل فكر الشاب المصدوم بالنظر والتفكير بذلك الخيط لفترة حتى عاد إليه وعيه وحينها أدرك حجم المأساة التي وقعت:^{٥٠}

أنت ما زلتَ كأن لم تسمع الصوت المثير

جامداً، ترمقُ أطرافَ المكانِ

شارداً، طرفك مشدودٌ إلى خيطٍ صغير

شدّ في السِروة لا تدري متى؟

ولماذا؟ فهو ما كان هناك

منذُ شهرين. وكادت شفتاك

تَسألُ الأختَ عن الخيطِ الصغير

ولماذا علّقوه؟ ومتى؟

ويرنُّ الصوتُ في سمعك: " ماتتْ.. "

" انها ماتتْ.. " وترنو في برودِ

فترى الخيطَ جبلاً من جليدِ

عقدتها أذرعُ غابت ووارتها المنونُ

منذ آلاف القرون

وترى الوجه الحزين^١

النتيجة

الشاعرتان رائدتان من رواد الحداثة في الشعر في بلديهما. تعد الشاعرة فروغ فُرّخزاد واحدة من رواد الشعر الحر البارزين في إيران، كما تُعد الشاعرة نازك الملائكة من الرواد البارزين لحركة الشعر الحر في العراق والوطن العربي. إتسمت الشاعرتين بالجرأة في طرح ومعالجة قضايا واغراض الحداثة في الشعر (كالرومانسية والذاتية والحزن واليأس والتشاؤم والتمرد والإغتراب الروحي وقضايا المرأة وإستخدام الرموز و الاساطير وإشكالية الموت والحياة) فالشاعرتان أخذتا في التعبير عن قضايا الإنسان المعاصر وتطلعاته وهذا نابع من رؤيتهما للحياة والكون والإنسان.

الهوامش

- ^١ - ظ: مختارات من الشعر الفارسي الحديث: ١٠٣.
- ^٢ - ظ: نازك الملائكة، حياتها وشعرها: ١١.
- ^٣ - ظ: نازك الملائكة، حياتها وشعرها: ٢٣ - ٤٣.
- ^٤ - نازك الملائكة: لمحات من سيرة حياتي وثقافتي: بلا
- ^٥ - ظ: دراسة في شعر نازك الملائكة: ١٧ - ١٨.
- ^٦ - ظ: نازك الملائكة، حياتها وشعرها: ١٢١.

- ٧ - ظ: مختارات من الشعر الإيراني الحديث: ٢٣-٢٤.
- ٨ - ظ: الأدب الإيراني المعاصر: ٩٢-٩٣.
- ٩ - شعر امروز ايران، مقالات، اشعار، ديگاهها: ٢٩.
- ١٠ - ظ: راهنمای ادبیات معاصر: ٢٥٩.
- ١١ - مختارات من الشعر الإيراني الحديث: ٢٤.
- ١٢ - ظ: جری‌انهای شعری معاصر فارسی از کودتا (١٣٣٢) تا انقلاب (١٣٥٧): ٢٦٠.
- ١٣ - فروغ جاودانه، مجموعه شعرها و نوشته‌ها و گفتگوها ی فروغ فرخزاد: ٢٨٠.
- ١٤ - ظ: جری‌انهای شعری فارسی معاصر از کودتا (١٣٣٢) تا انقلاب (١٣٥٧): ٢٦١.
- ١٥ - فروغ جاودانه، مجموعه شعرها و نوشته‌ها و گفتگوها ی فروغ فرخزاد: ٢٨٣.
- ١٦ - فروغ جاودانه، مجموعه شعرها و نوشته‌ها و گفتگوها ی فروغ فرخزاد: ١٣٧.
- ١٧ - ظ: نگاهی به فروغ فرخزاد: ١٣٣.
- ١٨ - فروغ جاودانه، مجموعه شعرها و نوشته‌ها و گفتگوها ی فروغ فرخزاد: ٢٠٥.
- ١٩ - ظ: نگاهی به فروغ فرخزاد: ١٣٥.
- ٢٠ - فروغ جاودانه، مجموعه شعرها و نوشته‌ها و گفتگوها ی فروغ فرخزاد: ١٥٣.
- ٢١ - فروغ جاودانه، مجموعه شعرها و نوشته‌ها و گفتگوها ی فروغ فرخزاد: ١٩٧ - ١٩٨.
- ٢٢ - الحزن والقنوط في أشعار فروغ فرخزاد: بلا.
- ٢٣ - فروغ جاودانه، مجموعه شعرها و نوشته‌ها و گفتگوها ی فروغ فرخزاد: ٢٧٨.
- ٢٤ - فروغ جاودانه، مجموعه شعرها و نوشته‌ها و گفتگوها ی فروغ فرخزاد: ١١٣.
- ٢٥ - ظ: بین سلی‌فیاً وفروغ، ابداع الکأبة: بلا.
- ٢٦ - فروغ جاودانه، مجموعه شعرها و نوشته‌ها و گفتگوها ی فروغ فرخزاد: ١١١ - ١١٤.
- ٢٧ - ظ: نگاهی به فروغ فرخزاد: ١٤٠.
- ٢٨ - ظ: تاریخ تحلیلی شعر نو: جلد دوم: ١٨١.
- ٢٩ - فروغ جاودانه، مجموعه شعرها و نوشته‌ها و گفتگوها ی فروغ فرخزاد: ٢٧٦.
- ٣٠ - ظ: نگاهی به فروغ فرخزاد: ١٤١.
- ٣١ - فروغ جاودانه، مجموعه شعرها و نوشته‌ها و گفتگوها ی فروغ فرخزاد: ١٦٥.
- ٣٢ - ظ: هل كانت نازك الملائكة فعلاً حداثية ومجددة في الشعر العربي؟؟: بلا.
- ٣٣ - قضايا الشعر الحديث: ٢٠٨.
- ٣٤ - ديوان نازك الملائكة: المجلد الأول: ٦-٧.
- ٣٥ - ظ: النفخ في الرماد، دراسة نقدية: ١١-١٣.
- ٣٦ - ظ: خطاب الحداثة: ٢٢٠.
- ٣٧ - ظ: قضايا الشعر المعاصر: ٢٣-٢٤.
- ٣٨ - ظ: خطاب الحداثة، دراسة ثقافية لمشروع الحداثة الشعرية في العراق: ٢٥٧.
- ٣٩ - ديوان نازك الملائكة: المجلد الثاني: ١٣٩-١٤٠.
- ٤٠ - ديوان نازك الملائكة: المجلد الثاني: ١٤٠.
- ٤١ - ديوان نازك الملائكة: المجلد الثاني: ١١٤.
- ٤٢ - نازك الملائكة، حياتها وشعرها: ٧٣٠.
- ٤٣ - ظ: تطور الشعر الحديث والمعاصر: ٢٦٥.
- ٤٤ - نازك الملائكة، حياتها وشعرها: ٦١٤.

- ٤٥ - ظ: الحدائثة الشعرية، الاصول والتجليات: ٢٢١.
- ٤٦ - ديوان نازك الملائكة: المجلد الثاني: ٢٦.
- ٤٧ - ديوان نازك الملائكة: المجلد الثاني: ٧٨ - ٧٩.
- ٤٨ - ظ: الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية: ٣٦٠ - ٣٦١.
- ٤٩ - ديوان نازك الملائكة: المجلد الثاني: ٣٢٥.
- ٥٠ - ظ: ديوان نازك الملائكة: المجلد الثاني: ٢٤ - ٢٥.
- ٥١ - ديوان نازك الملائكة: المجلد الثاني: ١٩٢.

المصادر الفارسية

- اسماعیل حاکمی، الأدب الإيراني المعاصر، دار الروضة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
- اکبر مرتضی پور، شرح حال شاعران معاصر ایران، تهران، چاپ اول، ١٣٨٤ ش.
- سید مهدی زرقانی، چشم انداز شعر معاصر ایران، نشر ثالث، تهران، چاپ اول، ١٣٨٣ ش.
- سیروس شمیسا، راهنمای ادبیات معاصر، شرح وتحلیل شعر نو فارسی، نشر می‌ترا، چاپ دوم، زمستان ١٣٨٨ ش.
- شمس لنگرودی، محمد تقی جواهری گیلانی، تاریخ تحلیلی شعر نو، جلد دوم، نشر مرکز، تهران، چاپ اول، ١٣٧٧ ش.
- عبد الرضا جعفری، فروغ جاودانه، مجموعه شعرها ونوشتها و گفتگوهای فروغ فرخزاد به انضمام نوشته های درباره فروغ، نشر تنویر، تهران، ١٣٧٨ ش.
- علی حسین پور چافی، جری‌انهای شعری معاصر فارسی از کودتا (١٣٣٢) تا انقلاب (١٣٥٧)، مؤسسه انتشارات امیر کبیر، چاپ سوم، تهران، ١٣٩٠ ش.

محمد حقوقي وآخرون، شعر امروز ایران، مقالات، اشعار، دیدگاهها، به اهتمام وترجمه عربی موسی اسوار، فرهنگستان زبان و ادب فارسی، چاپ اول، ۱۳۸۴ش.

مجموعة من الشعراء، مختارات من الشعر الإيراني الحديث، ترجمة وتقديم موسی بی‌دج، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط ۱.

البحوث والمجلات والصحف الفارسية

مقصود عباسی، الحزن والقنوط في أشعار فروغ فرخزاد، بحث، diwanalarab.com

المصادر العربية

- جهاد فاضل، قضايا الشعر الحديث، دار الشروق، الطبعة الأولى، ۱۴۰۴ هـ - ۱۹۸۴ م.
- عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، ۱۹۷۲ م.
- عمر الدقاق وآخرون، تطور الشعر الحديث والمعاصر الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- كريم شغيدل، خطاب الحداثة، دراسة ثقافية لمشروع الحداثة الشعرية في العراق، كريم شغيدل، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد - شارع المتنبي، الطبعة الأولى، ۲۰۱۳ م.
- محمد عبد المنعم خاطر، دراسة في شعر نازك الملائكة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ۱۹۹۰ م،
- محمد فتوح أحمد، الحداثة الشعرية الأصول والتحليلات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ۲۰۰۷ م.
- نازك الملائكة، ديوان نازك الملائكة، المجلد الأول، دار العودة - بيروت، ۱۹۷۷ م.

نازك الملائكة، ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، دار العودة- بيروت، ١٩٧٧م.
يوسف عطا الطريفي، نازك الملائكة، حياتها وشعرها، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة العربية الاولى، ٢٠١١.

البحوث والمجلات والصحف العربية

نازك الملائكة، نازك الملائكة: لمحات من سيرة حياتي وثقافتي، انترنت.
الكبير الداديسي، هل كانت نازك الملائكة فعلاً حدثية ومجددة في الشعر العربي، الحوار المتمدن، العدد ٥٠٧٠ في ٩ / ٢ / ٢٠١٦م.

قراءة جديدة في حوارية ابن عباس مع نافع بن الأزرق

م.د هادي غالي رضا الدخيلي

Abstract

This research tackles a linguistic aspect, issued by NAFIAH IBN ALAZRIG to answer a problem emerges in a dialogue with Al-Quran linguist IBN ABBAS: is it necessary for the Quran to be similar to Arab speech completely, even in metaphorical uses, or other uses?

NAFIAH IBN ALAZRIG claims the Quranic creative images and other linguistic uses do not constitute on ex-samples, where they are creative affairs to meet the necessity of the carried experience.

In that dialogue with Ibn Alazrig, Ibn Abbas had built the first seed to author alphabetic dictionary, despite the fact it had not arranged according to dictionary authoring method.

المقدمة

قد يسأل سائل : هل من الضروري أن يكون القرآن الكريم مطابقاً لكلام العربي مطابقةً تامة ، حتى في مجال الاستعمال المجازي أو الكنائي وغير ذلك ؟

وانطلاقاً من تشكيك ابن الأزرق في القرآن الكريم ، وذكر مجموعة من الشواهد القرآنية التي لم يقف على نظيرها من كلام العرب وعلى أساس إحاطته الشخصية ، فكانت مدعاة للتشكيك له وإشكاله على ابن عباس ، وفي المقابل كان ابن عباس في مقام الدفاع عن الرسالة وعن قراءتها ، وكون هذا التشكيك ، قد فتح الباب للمتقولين في القرآن الكريم وأنه لم يأت على أساس كلام العرب ، فكان منه -

ابن عباس - أن وظّف إحاطته باللغة وبكلام العربية، دليلاً على مطابقة القرآن للغة العرب من كلامه.

إن تجربة ابن عباس كانت المعهودة، بل ربّما تتجاوز تلك الممارسات ضمن أفقها الخاص ، شريطة أن تقع ضمن الاطار العام للقواعد اللغوية والأسلوبية ، إمّا في مجال استعمال صورة مجازية أو كناية معينة ، إذ لاشك في كون اللغة تكفل للمنشئ المبدع التصرف ضمن حدود إمكاناتها.

وعلى هذا ، فإن ما ذهب إليه الكثير من الكُتاب في أن يكون المجاز وغيره من التصرفات والممارسات اللغوية ، خاصة للمشهود والمشهور ، والمعهود أمرٌ لا نسلمّ به مطلقاً ، بل حتّى في حدود معتدلة ، فتكفل للمبدع الحرية في انشاء صور كلامية تعتبر ابداعاً له من جهة ، وخزينا لغوياً ، يكفل للغة الديمومة والحيوية.

وإنّ ما جاء في القرآن الكريم من صور إبداعية واستعمالات لغوية لم تكن كما زعم ابن الأزرق على مثال مسبقٍ ، إنّما هو شأن إبداعي مكفول لا بل هو ضرورة تقتضيها طبيعة التجربة المنجزة.

وبناءً على ما قدمه علم اللغة المعاصر ، والأدبيات المعاصرة ، والنقد الحديث من تصورات ومعايير في تحديد القيم الجمالية في النصوص ، وبيان الصوابية منها كان لنا حديث أو طرح آخر ، فقد يختلف ما ذكره حَبْر الأمة.

وفي ضوء مفاده ، هو أن اللغة ظاهرة حيّة متجددة لها القابلية على التطور والتبدل ، من حيث باتت متعددة فيها المستويات اللفظية والتركيبية ، بل يمكن القول : إنّ هذه الظاهرة هي ما يُعطي للغة حيويتها ، وديمومتها ، فضلاً عن إبداعها ، وجمالها.

بمعنى ، أنّ الابتكار في الأساليب ، هو حالة فردية غير خاضعةٍ بشكلٍ مطلق للتصرفات والممارسات الكلامية ، ونقصد بها لغة المبدع ، الذي يختلف عن غيره

في الأسلوب. من بعد هذه المقدمة لابد من توطئة وشعاع عام لمعرفة الفارق المنهجي ، والموضوعي بين ما تناوله ابن عباس في جواباته لنافع ابن الأزرق وبين ما قام به ابن قتيبة في كتابه (غريب القرآن) ، وكتاب (المسائل والاجوبة) من جهة ومن سار على منواله كالرغاب في مفرداته من جهة ثانية⁽¹⁾ ، اذ إن ابن عباس كان في معرض تأصيل الاستعمالات اللغوية مع بيان معانيها بشكل عرضي ، فيما كان الراغب في مقام بيان المعاني للمفردات والاستعمالات القرآنية ، غير أن ابن قتيبة في بيان الغريب فيها بشكل خاص ، وعليه فإن تجربة ابن عباس تمتاز بكونها رافعة للإشكال ، ودافعة للتوهم ، فضلاً عن بعدها البنائي للمعاني ، وهذا ما أردنا أن نتوجه به لنبيين طبيعة البحث الذي بين أيدينا ، فلم يكن التركيز فيه من الناحية المنهجية ، وعلى البعد البنائي ، أي البنائي للكلمات بقدر ما هي في معرض بيان القيمة العلمية للمنجز أو كيف لنا أن نناقش ابن الأزرق إذا كان معنا ، وبنفس ابن عباس أو ابن قتيبة.

وفي مرحلة التدوين تأتي جهود ابن قتيبة الدينوري اللغوية ، لاسيما في شرح غريب الحديث ، وهي جهودٌ مثّلت إنموذجاً آخر بعد النماذج التي طرحها ابن عباس (رض).

ولعلّ من المناسب أن نسأل ، ما المقصود بـ (غريب الحديث) ؟ لاشك في أن المقصود بـ (غريب الحديث) هو ما ندرّ منها وقلّ استعماله كمفردات في لغة العرب ، فجاءت جهود ابن قتيبة اللغوية في تأصيل علم اللغة ، في القرن الثالث الهجري ، لاسيما في كتابه ((أدب الكاتب)) ؛ لأن هذا الكتاب يُعدُّ أظهر آثاره اللغوية ، وفيه آراؤه في علم ((فقه اللغة)) وكتاب ((علم غريب الحديث ، وتأويل مختلفه ، وكتاب ، (غلط أبي عبيد)) وكتاب ((المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير)) والذي أعرض إليه ان شاء الله مما قالته العرب ، والكتاب يضيف جديداً الى جهود ابن قتيبة في علم غريب الحديث ، وغريب اللغة، فهو تتمة لكتابه ((

غريب الحديث ((وقد تضمن / 190 / مسألة من المسائل التي سُئِلَ عنها ابن قتيبة ، وفسرها على جهة (السؤال والجواب) ؛ لذلك سميت بـ (المسائل) وقد صُدِّرَ أغلبها بكلمة ((سألت عن)) وهي تدور حول موضوع غريب الحديث والأثر والتفسير واللغة كما أسلفت في صدر الحديث عن جهود الامام ابن قتيبة اللغوية^(٢). وقد سلك ابن قتيبة في تأليف هذا الكتاب المسلك نفسه الذي سلكه في غريب الحديث ، واتَّبَع الطريقة نفسها ممَّا حمل بعض الدارسين على تسميته بذيل غريب الحديث أو جعله تنمَّة له^(٣).

ومن شواهد في كتاب المسائل والأجوبة ، وفي الحديث يُروى في كتاب (النهاية) ، وكتاب غريب الحديث ((لابن الجوزي^(٤) : أنَّ رجلاً وُجِدَ مع امرأة يَخْبُثُ بها)) أي يزني بها ، والله عزَّ وجلَّ يقول : ((الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ)) [النور : ٢٦] . وهو بعض الحديث أيضاً يكون كذا إذا كَثُر الخبث ، يُراد الفسق والفجور ، وكلُّ قَدْرٍ وبخسٍ فهو خبث ، قال تعالى : ((وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)) [الأعراف : ١٥٧] ، ومن هذا قيل : خَبِثُ الحديد ، يراد به قَدْرُهُ ورديُّه الذي ينفيه عنه الكبر. والخبثة قد تكون في البيع ، والفساد في السِّبَاء ، تقول العرب هذا سَبِيٌّ طَيِّبٌ ، إذا كان صحيح السِّبِي^(٥).

ومن الشواهد الأخرى ، قال ابن قتيبة : قوله : نسفهم من السَّقُوف ، والملُّ : الجَمْرُ ويقال : للرَّمَاد الحار أيضاً الملُّ^(٦) والمَّلَّة موضع الخبزة في النَّار ، ومنه يقال فلانٌ يتململ على فراسه ، والأصل ، يُريد أنَّهم إذا لم يشكروك فإنَّ إعطائك إياهم حرام عليهم والنار في بطونهم^(٧).

ومن أقوال الحكماء ، يُورد المبرد : في معنى السُّودد : لما احتضر قيس بن عاصم قال لبنيه : يا بني احفظوا عني ثلاثاً ، فلا أحد أنصح لكم مني : إذا أنا مُتُّ ، فسوِّروا كباركم ، ولا تسوِّروا صغاركم ، فيحضر النَّاس كباركم ، وتهنو عليهم

وعليكم بحفظ المال ، فإنه منبهة للكريم يُستغنى به عن اللئيم وأياكم والمسألة فإنها
آخر كسب الرجل^(٨).

وفي معنى (أكبانا وزناداً) ذكر المبرد لصخر في حبناء يُعاتب أخاه :

قال أبو الحسن : هو ليزيد بن حبناء او لصخر بن حبناء يقول لأخيه :

لحى الله أكبانا زناداً وشرنا وأيسرنا عن عرض والده ذبا
رأيتك لما نلت مالا ومستنا زمان ترى في حد أديابه شغبا
جعلت لنا ذنبا لتمنع نائلاً فأمسك ولا تجعل غناك لنا ذنبا

قوله : " أكبانا زناداً " ، الزناد التي تقدح بها النار ، ويقال : أورى القادح : إذا
خرجت له النار ، وأكبي إذا اخنق منها : هذا أصله يضرب للرجل الذي ينبعث
الخير عن يديه ويضرب الإكباء للذي يمتنع الخير على يديه قال الأعشى :

وَنَدُّكَ خَيْرُ زُنَادِ الْمَلُو كِ صَادَفَ مِنْهُنَّ مَرَّخُ عَفَارَا
وَلَوْ تَبَّتْ تَقْدُحُ فِي ظِلْمَةٍ صِفَاةٌ بِنْبَعٍ^(٩) لِأُورِيَتْ نَارَا

ويعدُّ التفسير الشفوي المرحلة الأولى لألفاظ القرآن الكريم ، والحديث النبوي
الشريف ، فقد كان رسول الله (ﷺ) يُفسر غريب القرآن لصحابته ، ولاسيما ما لم
يكن مألوفاً من الألفاظ والمعاني ، فقد سأله عدي بن حاتم (رض) عن معنى الخيط
الأبيض والخيط الأسود في قوله تعالى : ((كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ
الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)) [البقرة : ١٨٧] والكلمات في آية البقرة ،
في أحكام الصيام ، عن ابن عباس (رض) تفسيرها ببياض النهار من سواد الليل ،
وهو الصبح إذا انفلق ، ولعل اقرب منه بياض الفجر بصريح لفظ البقية والكناية
فيهما منظور فيها الى أصل المعنى في تمييز لون خيط أبيض من خيط أسود ،
مراداً به تمييز بياض نور الفجر من سواد الليل^(١٠).

وكان للإمام عليّ (عليه السلام) قدمٌ راسخة في تفسير غريب القرآن ، ويعدّ ابن عباس (رض) ت ٦٨هـ أساس تلك المرحلة فقد اختصّ بتفسير غريب القرآن حتّى سمّي (بتزجّمان القرآن)، وتعدّ إجاباته عن سوّالات نافع ابن الأزرق نواة المعجم وطليعته^(١١).

وواضح هذا ، أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد حدد وقت الإمساك عن الطعام.

ويصرّح ابن عباس نفسه : ((إذا تعاجم شيءٌ من القرآن فانظره في الشعر ، فإن الشعر عربيّ) وقال : ((إذا سألتموني عن غريب القرآن ، فالتمسوه في الشعر ، فإنّ الشعر ديوانُ العرب))^(١٢).

ومن المحاولات الشفوية التي مثّلت المرحلة الأولى للتأليف المعجمي سؤال خالد القسري للكليبي ، وقد سأله عن السؤدد.

قال الكليبي : قال لي خالد بن عبدالله بن يزيد بن كرزٍ القسري : ما تعدون السؤدد ؟ فقلت أما في الجاهلية فالرياسة ، وأما في الإسلام فالولاية ، وخيرٌ من ذا وذلك التقوى ، فقال لي صدقت ، كان أبي يقول : لم يدرك الأول الشرف إلا بالفعل ، ولا يدركه الآخر إلا بما أدرك به الأول ، قال : فقلت : صدق أبوك ، سادّ الأضف بحلمه ، وساد مالك بن مسمع بمحبّة العشيرة له ، وساد قتيبة بدهائه ، وساد المهلب بجميع هذه الخلال ، فقال لي : صدقت ، كان أبي يقول : خيرُ النَّاس للناس خيرهم لنفسه ، وذلك كان كذلك أتقى على نفسه من السرقة لنلّا يقطع ، ومن القتل لنلّا يُقاد ، ومن الرّنى لنلّا يُحدّ ، فسلم النَّاس منه بتقائه على نفسه^(١٣) ومن أخبار نافع بن الأزرق ، ما ذكره المبرّد في الكامل ، ويروى عن أبي الجلد أنه نظر إلى نافع بن الأزرق الحنفي والى نظره ، وتوغله ، وتعمقه ، فقال : إنّي لأجد لجهنم سبعة أبوابٍ ، وإنّ أشدها حرّاً للخوارج ، فاحذر أن تكون منهم.

قال : وكان نافع بن الأزرق بنتجع عبدالله بن العباس فيسأله ، فله عنه مسائل من القرآن وغيره ، قد رجّع إليه في تفسيرها ، فقبله وانتحلها ، ثم غلبت عليه الشقوة ، ونحن ذاكرون منها صدراً إن شاء الله .

حدث أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي النسابة ، عن أسامة بن زيد ، عن عكرمة ، قال : رأيتُ عبدالله بن عباس وعنده نافع بن الأزرق وهو يسأله ، ويطلبُ منه الاحتجاج باللغة ، فسأله عن قول الله جل ثناؤه : ((وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ)) [الانشقاق : ١٧] فقال ابن عباس : وما جمّع ، فقال : أتعرفُ ذلك العرب ؟ فقال ابن عباس : أما سمعتَ قول الرّاجز :

إِنَّ لَنَا قَلَانِصًا حَقَائِقًا مُسْتَوْسِقَاتٍ لَوْ يَجِدْنَ سَائِقًا

هذا قول ابن عباس : وهو الحقّ الذي لا يقدر فيه قاذح ، ويعرض القول فيحتاج المبتدئ إلى أن يزداد في التفسير قوله : حَقَائِقًا إِنَّمَا بَنِي الْحَقَّةَ مِنَ الْإِبْلِ - وهي التي قد استحقت أن يُحْمَلَ عليها - على فعيل مثل حقيقة ولذلك جَمَعَهَا على حقائق ، ويقال : استوسق القوم ، إذا اجتمعوا .

وروي أبو عبيدة في هذا الإسناد - وروى ذلك غيره ، وسمعناه من غير وجه - أنه سأله عن قوله عزّ وجلّ : ((قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا)) [مريم : ٢٤] . فقال ابن عباس : هو جدولٌ فسأله عن الشاهد ، فأنشده :

سَلْمًا تَرَى الدَّالِجَ مِنْهُ أَرْوَرًا إِذَا يَعْجُ فِي السَّرِيِّ هَرَهْرًا

والسلم : الدلو الذي له عروة واحدة ، وهو دلو السقائين ، وهو الذي ذكره طرفة فقال :

لَهَا مِرْفَقَانِ أَفْتَلَانٍ كَأَنَّمَا أُمْرًا بِسَلْمَى دَالِجٍ مُتَشَدِّدٍ

والدالج : الذي يمشي بالدلو بين البئر والحوض ، وأصحاب الحديث ينشدون : ترى الدالي منه أزورا ، وهو خطأ له وجه له .

وروى أبو عبيدة وغيره : أن نافعاً سأل ابن عباس عن قوله : ((عُتِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ)) [القلم : ١٣] : ما الزنيم ؟

قال : هو الدعي الملقق ، أما سمعت قول حسان بن ثابت :

زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرَّجَالُ زِيَادَةً كَمَا زِيدَ فِي عَرْضِ الْأَدِيمِ الْأَكَارِعُ

ويزعم أهل اللغة أن اشتقاق ذلك من الزنمة التي بخلق الشاة ، كما يقولون لمن دَخَلَ فِي قَوْمٍ لَيْسَ مِنْهُمْ :

زَعْنَفَةٌ ، وَلِلْجَمْعِ زَعَانِفُ ، وَالزَّعْنَفَةُ : الْجَنَاحُ مِنْ أَجْنَحَةِ السَّمَكِ^(١٤).

وسأله عن قوله - عز وجل - : ((لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)) [فصلت : ٨] .

فقال ابن عباس غير مقطوع ، فقال : هل تعرف ذلك العرب ؟ فقال : قد عرفه أخو بني يشكر حيث يقول :

وَتَرَى خَلْفَهُنَّ مِنْ سُرْعَةٍ الرَّجْعُ مَنِيًّا كَأَنَّهُ إِهْبَاءُ^(١٥)

قال أبو العباس : منين ، يعني الغبار ، وذلك أنها تقطعه قطعاً وراءها .

والمنين : الضعيف المؤذن بانقطاع ، وأنشدني عن أبي التوزي :

يَا رَتِّهَا إِنْ سَلِمَتْ يَمِينِي وَسَلِمَ السَّاقِي الَّذِي يَلِينِي

وَلَمْ تَخْنِي عَقْدُ الْمَنِينِ

ويريدُ الحبل الضعيف ، فهذا هو المعروف . ويقال : منين وممنون ، كقتيل ومقتول ، وجريح ومجروح . وذكر التوزي في كتاب الأضداد أن المنين يكون القوي ، فجعله فعلاً من المنة والمعروف هو الأول^(١٦) .

قال نافع : أخبرني عن قول الله تعالى : ((عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ)) [المعارج: ٣٧]. قال: العزون الرِّقَاق. قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاؤوا يُهْرَعُونَ إليه حتى يَكُونُوا حَوْلَ مِنْبَرِهِ عِزِينَا^(١٧)

وعلقت الدكتورة عائشة عبد الرحمن : الكلمة من آية المعارج : خطاباً للنبي عليه الصلاة والسلام : ((فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكُمْ مَهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ)) [المعارج : ٣٦ - ٣٧].

وحيدة في القرآن ، صيغة ومادة.

وتفسيرها بالحلُق من الرِّقَاق ، جمع حلقة ، على وجه التقريب ويبقى للفظ عزين ، في سياق ، دلالة مادته على الاعتزاء والانتماء - فكأنهم كما قال " الرَّاغِب " الجماعة المنتسب بعضها إلى بعض - المفردات ، أي جماعات في تفرقة ، وواحدتها عِزَّةٌ ، واصوله من عَزَوْتُهُ فاعتزى أي نَسَبْتُهُ فانتسب ، فكأنهم الجماعة المنتسب بعضهم إلى بعض ، إمّا في الولادة أو في المصاهرة ، ومنه الاعتزاء في الحرب وهو أن يقولنا ابن فلان ، وصاحب فلان ومن تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ، قبل : (عزين) مَنْ : عَزِيَّ عِزَاءً فهو عَزٍ إذا تَصَبَّرَ وتعزى^(١٨).

والحلقة تستعمل للدرس ، والحصار ، وقد تطلق على جملة كما في (الأساس) ولعل الشاهد من البيت ((عبيد)) اقرب إليه.

وفي تخصيص الحلق بالرِّقَاق ، في تفسير ابن عباس ، احتراز يُفيد معنى الجماعة يُعْتَزَى بعضها بعض ، مع فرق بين إهطاع الذين كفروا قبل الرّسول ، ((عن اليمين وعن الشمال عزين)) تظاهراً عليه (عليه السلام) وعداوة ، وبين القوم في الشهد ، عزين حول المنبر : تاييداً ونجدة))^(١٩).

المسألة رقم ٢- الوسيلة

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ((وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)) [المائدة : ٣٥] قال :
الوسيلة : الحاجة ، قال : هل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ عنترة
وهو يقول :

إِنَّ الرِّجَالَ لَهُمِ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِنَّ يَأْخُذُوكَ تَكَلِّيَ وَتَخَضَّبِي

وعَلَّقَتِ الدُّكْتُورَةُ عائِشَةُ عبدِ الرَّحْمَنِ بقولها : [الكلمة من آية المائدة ، ٣٥] :
((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ)).

في كون الوسيلة حاجة ، في النفس والصدور ، ((وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ
حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا)) [الحشر : ٩] يؤذن بأنها أمرٌ يتعلق به الشعور النفسي. وفي
آيات القرآن الكريم ، تقوى وخشية وجهاد ودعاء والتماس السبيل إليه سبحانه بما
يرضيه(٢٠).

وللإمامية رأي في الوسيلة كونها حاجة تلمس عن طريق الدعاء باعتبار الدعاء
مُكَمَّلًا لنقص الطالب للحاجة عندنا تعجز الأسباب الطبيعية في طلبها ، ويكون
الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيلة الى الله ، والائمة الاطهار من آل بيته
الكرام (عليهم السلام) ، لأنهم عدل الكتاب لن يتفرقا عنه ، ولأنهم ممن ارتضاهم
الله - جلّ جلاله - ولهم عند الله وجاهةٌ وبهم تلتمس الحاجة وما خاب من لجأ غليهم
بعد الله - سبحانه وتعالى - وتمسك بهم ، لأنهم العروة الوثقى.

المسألة رقم ٣-

قال : أخبرني عن قوله : ((شِرْعَةٌ وَمِنْهَا جَاءَ)) [المائدة : ٤٨] قال : الشريعة :
الدين ، والمنهاج : الطريق. قال : هل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ
أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو يقول :

لَقَدْ نَطَقَ الْمَأْمُونُ بِالصَّدْقِ وَالْهُدَى وَبَيَّنَ لِلإِسْلَامِ دِيناً وَمَنْهَاجاً^(٢١)

وعَظَّتْ الدكْتورة عائشة عبد الرحمن : [الكلمات من آية المائدة ٤٨ ، خطاباً للرسول ، عليه الصلاة والسلام : ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاخْضَعُوا لَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)) ولم تأت صيغة ((شريعة)) إلا في هذه الآية ، وجاء منها الفعل الثلاثي ماضياً في آيتي الشورى (١٣ ، ٢١) و((شريعة من الأمر)) في آية الجاثية (١٨) و((شراً)) في آية الأعراف (١٦٣).

أما منهاج : فوحيدة في القرآن صيغة ومادة.

وتفسير الشريعة بالدين قريب ، مع فرق دقيق بينهما ، تعطيه دلالة الدين ، اصلاً ، على الطاعة والإنقياد ، ودلالة الشريعة على الطريق الواضح ، وهي في أصل اللغة من شريعة الماء ، بما تعطي من ري ونجاة.

والمنهاج ، ليس كذلك مجرد طريق ، ولكنه الطريق المعبد المأمون وسيق في المبحث الخاص بالترادف على الفرق بين شريعة ومنهاج [٢٢].

المسألة رقم ٤ -

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ((وَرِيشاً)) [الأعراف : ٢٦] قال : الرّيش المال : قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت الشاعر يقول :

فَرِيشِي بخير طالما قد برّيتني وخيرُ الموالِي مَنْ يريشُ ولا يبيري^(٢٣)

وعَظَّتْ الدكْتورة عائشة عبد الرحمن :

[الكلمة من آية الأعراف ٢٦ : ((يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ)). وحيدة في القرآن صيغة ومادة.

على حين جاء المال فيه ، نكرة ومعرفة ، مفرداً وجمعاً ، ستاً وثمانين مرة مما يؤذن بفرق بين مالٍ وريش ، في آية الأعراف.

وصريح سياقها في اللباس ، أقرب إلى أصل دلالة الرّيش ويُتخذ للباس ويُستعار للزينة على سبيل المجاز.

ويؤيده الشاهد بصريح مجيء الرّيش فيه نقيض البرّي ، وأصلها من : رَاشَ السَّهْمَ ، ألصق به الرّيش فأحسن إعداده ، وبراہ : نَحْتَهُ وَعَرَاه ، وينقلان مجازاً إلى التقرية والتأييد والنصرة ، ونقيضها من الضن والخذلان. وقد جاء البيت في (الأساس) شاهداً على هذا الاستعمال المجازي ، من قولهم : رشنتُ فلاناً ، فويثُ جناحَه.

ومعه في المجازي من المادة :

((وَجَعَلَ اللَّهُ الْبَسِي رِيشًا ، ووينةً وجمالاً : ((يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا)) مستعار من الرّيش الذي هو كسوة وزينة للطائر. قال جرير :

فريشي منكم وهواي معكم وإن كانت زيارتكم لماما (([٢٤).

المسألة رقم ٥-

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ((إِذَا أَنْعَمَ وَيُنْعِمُهُ)) [الأنعام : ٩٩] قال : نضجه وبلاغة قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

إِذَا مَا مَشَتْ وَسَطَ النِّسَاءِ تَأَوَّدَتْ

كَمَا اهْتَرَّتْ غَصْنٌ نَاعِمٌ النَّبْتِ يَانِعٌ^(٢٥)

وَعَلَّقَتْ الدُّكْتُورَةُ عَائِشَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ :

[الكلمة من آية الأنعام ٩٩ : ((وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)).

وحيدة في القرآن ، صيغة ومادة.

وتفسير الينع بالنضج والبلاغ ، تقريب لا يفوتنا معه أن الينع لأوج الأزهار الطبيعي في النبات والثمر ، على حين يستعمل النضج كثيراً ، كما تنضج النار وأيته في القرآن الكريم : ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَنُهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا)) [النساء : ٥٦]^(٢٦).

((إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)) [الشعراء : ٢٢٧] والصالحات ذاتها قبل أن يراها المفسرون أنها غير صالحات من الأعمال ، بتحريم من الشارع ، فالقبيح والجمال ، يُدركان في ذاتيهما قبل أن يُذما أو يُمدحا. فعلى سبيل المثال ، الكذب مذموم في ذاته ، لانه مقت ، يمقته الشارع ، وإلا يمكن أن يقال على الرسول الاكرم (ﷺ) أنه يكذب - وحاشا لسوله الكريم ، ، حتى يكون على الرسول (ﷺ) أنه يذكر ، لان الله يمقت الكذب والكذابين!!

وفي العودة إلى البيانية واللغوية ، الدكتوراة عائشة عبد الرحمن ، حينما صرحت بقولها : ((ولا تعنيني (مسائل ابن الأزرق) من حيث هي قضية شعرية أفرغ الأقدمون جهنم في خدمتها وتحقيقها ، فما عادت تحتل أن تُحاول في قيمة

الشعر أو نختلف على موقف الإسلام منه، ولا نحن بحيث ننسى أن حركة الجمع والتدوين لتراث الشعر الجاهلي ، فُصد بها إلى خدمة كتاب الإسلام ، العربي المبين.

والذي يعنيني هنا من (مسائل ابن الأزرق) والقول للدكتورة بنت الشاطي - أنها في مجموعة السيوطي بالاتقان تضع أمامنا نحو مائتي مسألة في التفسير ، وتتجه محاولتي فيها، غير مسبوقه فيما أعلم ، إلى النظر فيها مسألة مسألة ، لنرى ما إذا كانت الكلمة القرآنية يُراد فيها ما فسرها به ابن عباس ، أو أن تفسيره إنما هو على وجه الشرح والتقريب الذي لا سبيل إلى سواه في تفسير كلمات الكتاب المعجم؟^(٢٧).

وسأل ابن الأزرق عن قوله تعالى : ((وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ)) [الأنعام : ١١٣] . قال ليكتسبوا ما هم مكتسبون ، أما سمعت قول ليبيد :

وإني لآتٍ ما أتيت وإنبي لما اقترفت نفسي علي لراهب

هذا آخر مسائل نافع بن الأزرق ، وقد حذف منها يسيراً نحو بضعة عشر سؤالاً ، أسئلة مشهورة ، وأخرج الأئمة أفراداً منها بأسانيد مختلفة إلى ابن عباس.

وأخرج أبو بكر بن الأنباري في كتاب ((الوقف والابتداء)) منها قطعة ، وهي المُعَلَّم عليها بالحمرة صورة (ك) . قال حدثنا بشر بن انس ، أنبأنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ، أنبأنا أبو صالح هُدْبَة بن مجاهد ، أنبأنا مجاهد بن شجاع ، أنبأنا محمد بن زياد اليشكري ، عن ميمون بن مهران قال : دَخَلَ نافع بن الأزرق المسجد ... فذكره وأخرج الطبراني في معجمه الكبير منها قطعة ، وهي المُعَلَّم عليها صورة (ط) عن طريق جُوَيْر ، عن الضحَّاك بن مزاحم ، قال : خرج نافع بن الأزرق ... فذكره^(٢٨).

وتختم البيانية ، الدكتوراة عائشة عبد الرحمن ، ما علّقت عليه من هذه المسائل والتي سال بها ابن الأزرق الصحابي الجليل ابن عباس ، ما نصّه : ((وبعْدُ : فلعلّ بهذه المحاولة في فهم الإعجاز البياني، ودراسة مسائل ابن الأزرق ، قد أجبتُ عن سؤالٍ وجهه إليّ بعض طلابي في جامعة القرويين ، وقد رأوا تمسكي بالكلمة القرآنية في فهم النص ، لا أعدلُ عنها إلى سواها :

أليس العربية لغة القرآن الكريم ، ففيمَ لا نفسره بها ؟ بالعربية نفهم دلالة الكلمة في لغتها، ومن شعر الفصحى ، ديوان العرب نلتمس الشواهد على هذه الدلالة ومن حديث الرسول عليه افضل الصلاة والسلام وعلى آله ، مُبْلِغُ الْقُرْآنِ وَمُبَيِّنُهُ ، نتبين مغزاها ، وبأقوال الصحابة والمفسرين لما نفهمه منها))^(٢٩).

فهي بهذا الطرح -رحمة الله عليها- وبحسّها اللغوي ، واستقرائها للكلمة القرآنية ، تكون قد أسست معجماً ثانياً ، كان نواته الأولى حُبْرَ الأُمَّة الصحابي الجليل ابن عباس ، أثرى المكتبة العربية ، بوحى الكلمة القرآنية.

ولعلّ أبرز ما واجه ابن عباس في عمله هذا الذي قادت عليه دراستنا في هذه الحوارية بَيِّنُهُ وبين الخارجي ابن الأزرق ، هو : هل يجوز الاستشهاد في الشعر لتفسير ما ورد من غريب القرآن ، والقرآن الكريم قد ذمّ الشعر ، والشعراء ؟ والذي يبدو لنا من المرويات أنهم انقسموا إلى فريقين ، فريق أنكر الاحتجاج بالشعر ، ولاسيما على النحويين ، وفريق أيدّ الاستشهاد بالشعر ، وحجّتهم ، تبيان الحرف الغريب من القرآن بالشعر ، منطلقين من قوله تعالى : ((إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا)) [الزخرف : ٣] وقوله تعالى : ((بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)) [الشعراء : ١٩٥]. وقد سبق أن ذكرنا رأي ابن عباس في عبارته ((هل تعرف العرب ذلك)) وفي هذه العبارة في ردّ على ابن الأزرق : ((الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب ، رجعنا إلى ديوانها فالتمسا معرفة ذلك منه)).

غير أن الذين تخوّفوا من الاستشهاد بالشعر ، كان ذلك التخوّف ، ليس لذات الشعر ، وإنما قد يركب الجن في وادي عبقر مركبة في حُبالة الشعر ، وإلا كيف تُفسر الاستثناء في ذيل الآية الكريمة التي ذمت الشعراء ، وهذا لا يُنافي أن يكون بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ حيث الاختلاف في الرأي ثروة علمية ، اذا قامت الاختلافات بالدليل العلمي ، فالقرآن ذم الشعر من حيث : (هجيتُ به) هذه تنمة أوردتها السيدة عائشة زوج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقول الرسول في الشعر ، (لئن يمتلأ جوف أحدكم قيحاً خيراً من أن يمتلأ شعراً) الى هنا (هجيت به) ، فقول الرسول في موقفه من الشعر كان مقطوعاً حتى سألت زوج الرسول عائشة فأتمت القول (هجيت به).

وترى الدكتورة - عائشة عبد الرحمن - أن أحدثَ مَنْ نظر في مسائل ابن الأزرق ، من المعاصرين ، خادم القرآن والسُّنة ، السيد محمد فؤاد عبد الباقي ، - رحمه الله - وقد جاء بها نقلاً عن إتقان السيوطي ، محققة بمصنفه : (معجم غريب القرآن) ، مستخرجاً من صحيح البخاري ، وفيه ما وَرَدَ ابن عباس من طريق ابن طلحة خاصة) الذي طبع بمصر سنة ١٩٥٠ ، وأعدت دار إحياء الكتب العربية نشره في طبعة ثانية هي التي أُرْجِع إليها حتماً أشرت الى الكتاب او نقلت منه. وتقع المسائل فيه من ص ٢٣٨ ، ٢٩٢ .

وقد اتجه جهد المصنف إلى إعادة ترتيب المسائل على حروف المعجم ، مستخلصة من الاتقان. ونقل على الهامش تفسير ابن عباس لكلّ مسألة ، وشاهده عليها من الشعر ، دون تعرض للمسائل من ناحية التفسير^(٣٠).

وقد انفردت البيانية ، الدكتورة عائشة عبد الرحمن - الملقبة بـ (بنت الشاطي) في كتابها ((الاعجاز البياني ، ومسائل ابن الأزرق)) بنماذج ، بعد الاستقراء الوافي ، لما دار بين ابن عباس (رض) والخارجي ابن الأزرق ، فجاءت بمائدةٍ طيبة تستحق التقدير والوقوف عندها، مشفّعة أيها بالحسّ اللغوي المُتميّز ، فهي في

استقرائها للمفردة ، قد أسست لمعجم ثانٍ ، قد وضع نواته الأولى خَيْرَ الأمة ابن عباس (رض) في الثلث الأخير من القرن الأول الهجري، تلاحقَ بعد هذه النواة الأولى التأليف المعجمي ، لمعاجم الألفاظ والمعاني ، وفي مرحلة التدوين كما أسلفنا في مقدمة هذا البحث.

ومعها آية الاسراء ٥٧ :

((أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا)) [الإسراء : ٥٧].

وليس في القرآن غيرهما من المادة. وتفسير الوسيلة بالحاجة ، لا يكون إلا وسيلة تقريب والقرآن استعمل " حاجة " نكرة : ثلاث مرات آيات :

يوسف : ٦٨ : ((إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ)).

غافر : ٨٠ : ((وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ)).

الحشر : ٩ : ((وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا)).

وكونها حاجة ، في النفس والصدر ، يؤذن بأنها أمرٌ يتعلق به شعورٌ نفسي ، عن رغبةٍ فيها أو ضيق بها وفضاضة. ولا تكون " الوسيلة " في آياتها بالقرآن إلا إلى الله سبحانه ، تقوى ، وخشية وجهاداً ودعاءً ولفظ الحاجة على قرابة ، لا يؤدي ما في الوسيلة من معنى التوصل إليه تعالى ، والقربة ، واتماس السبيل إليه سبحانه بما يرضيه^(٣١).

هذه الآيات فما سبق إليها القول ، والتي يتخذها الإمامية حاجة لتقربون بها في أئمتهم الأطهار - عليهم السلام - ، لأنَّ الله ارتضاهم ، وبما لهم من وجهة عنده سبحانه ، بأن يكونوا شفعاء ، وهذه الشفاعة لا تلغي الحكم المولوي للعبد ، ولكنها لسان حال يقول : هذا عبدك المسكين ارفق به وارحمه ، إنه زلت به قدم الذنوب ، وأنت أرحم الراحمين ، وليس فيها قدحٌ كما يتقول عليهم المنتطعون من الأقلام

المأجورة قديماً وحديثاً، ودون دليل علمي - كما أعلم - فقد ذكر التاريخ ، أن الاغريق كانوا يتوسلون إلى قبر - افلاطون - فهي طريقة وسلوك مقبول إذا ما ألمّ بهم خطب ، والعرب في الجاهلية كانوا إذا مرّوا بقبر حاتم طي يعقلون الناقة عند قبره ، لأنه من أجواد العرب ، فيقضي حاجتهم ، ابنه الصحابي الجليل عدي.

وتأتي محاولة الرّاعب الاصفهاني ، في كتابه (المفردات) ، أنموذجاً لغوياً ، وإن لم تكن محاوره أو أسئلة أو أجوبة كنموذج محاوره نافع لابن عباس (رض) ، وأسئلة وأجوبة ابن قتيبة كما أسلفنا ، غير أن الرّاعب ، كان قد قلّل الاستشهاد بالشعر ، وقد ارتضى أقوالاً، وردّ أخرى لاسيما في تعليقاته على كتب السلف ، ككتاب (المجل) لابن فارس في اللغة ، لاسيما في مادة (أبّ) ، (أسّ) .

وفي كتاب (الشامل في اللغة) لأبي منصور الجبّان ، لاسيما في مادة (دلى) ، إذ وصف كتاب (الشامل) بأنه كثير الألفاظ قليل الشواهد.

وفي المسائل الحلبيات ((لأبي عليّ الفارسي ، بل يقول : قال الفارسي في مادة (حشا)، و(رأى).

غير أن الاصفهاني ، أشبه ابن عباس (رض) أن فسّر المفردة في القرآن ، والحديث النبوي الشريف، ومنه قيل : مرّد فلان عن القبائح ، ومرّد عن المحاسن وعن الطاعة قال تعالى : ((وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ)) أي : ارتكسوا عن الخير ، وهم على النفاق. وقوله تعالى : ((مُرَدُّ مِّن قَوَارِيرٍ)) [النمل : ٤٤] أي : ممّلس ، من قولهم : شجرة مرداء إن لم يكن عليها ورق.

وكأنّ الممرّد إشارة إلى قول الشاعر :

في مُجدِلٍ شَيِّدٍ بِنِيَانِهِ يَزُلُّ عَنْهُ ظَفَرُ الظَّافِرِ

من هنا أتى بالشاهد الشعري.

ومن شواهدة ، أن فسّر القرآن بالقرآن ، ثم قال وقوله تعالى : ((فَتُخِبَتْ لَهُ قُلُوبُهُمْ)) [الحج : ٥٤] أي تلين وتخشع ، والاختبات ههنا قريب من الهبوط في قوله تعالى : ((وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)) [البقرة : ٧٤]^(٣٢).

وبرغم الجهود التي بذلها الراغب فقد أخطأ في تفسير العشرات من مفردات القرآن الكريم مما جعل بعض المحققين المحدثين أن يصوب العشرات بل المئات من أخطائه وبعضها غرائب انفرد بها :

١. قال في المادة أتى ((الإتيان : مجيء بسهولة فأدخل بالمجيء معنى السهولة من عنده ولم يقله لغوي ولا عليه شاهد من كلام العرب كما كان يفعل ابن عباس)).

٢. تخيل أن تعبير : آتيناهم الكتاب يدل على أنهم قبلوه وآمنوا به ، قال ((وآتيناهم يقال فيمن كان منهم فيقول)) لكنها وردت في القرآن فيمن لم يقوله ولم يؤمنوا به فقال : ((الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)) [الانعام : ٢٠] .

فسر الماء الأجاج بشديد الحرارة مع أن الأجاج الملوحة والمرارة ، قال : ((وهذا ملح أجاج شديد الملوحة والحرارة من قولهم أجيج النار)) والشواهد كثيرة كما أحصاها العاملي في كتابه^(٣٣).

الخاتمة

١. لقد تحصل لدينا من نتائج البحث، أنّ الحبر الأعظم ابن عباس - رضي الله عنهما - قد أسس أول نواة ، لأول معجم للألفاظ ، وإن لم يكن قد رُتّب ترتيباً وفق طرائق التأليف المعجمي التي ظهرت فيما بعد ، هذا معجم ألفاظ ، وهذا معجم معاني ، التي بدأت عند الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وفق طريقة مخارج الحروف ، وانتهت عند متن اللغة.

كون اللغة تكفل للمنشئ المبدع التصرف ضمن حدود إمكانياتها.

٢. إنّ ابن عباس - رضي الله عنهما - قد حلَّ إشكالية كانت مدعاةً للتشكيك عند ابن الأزرق ، وهي : هل من الضروريّ ان يكون القرآن الكريم مطابقاً لكلام العرب مطابقة تامة، حتى في مجال الاستعمال المجازي والكنائي ، وغير ذلك ؟

٣. لما كان القرآن الكريم قد نزلَ بلغة العرب بعد أن نضجت ، واتلفت مفرداتها ، فكُتبتَ فيها المسلمات السبعة التي مثّلت تواصلهم في الحياة. باعتبار اللغة سلوك يسدّ حاجات المتكلم ، وإذا صحّ ذلك ، لماذا لا يُفسر القرآن بوجهٍ في وجوه العربية ؟

٤. إنّ ثلاثية المفردة العربية ، وقدرة هذه الأصول الثلاثية على الاشتقاق ، والتي انفردت بها العربية من بين أخواتها الساميات ، والتي ساعدت على بقائها لغة حيّة ، قارعت محاولات مَنْ تَنطّع في أن تتدثر ، كما اندثرت غيرها من اللغات ، وكالبابلية والآرامية ، وهذا ما ظهر عند ابن قتيبة (في غريب القرآن) والذي لم يُعدّ عيباً ، بل هو نادر ، وليس بآبِدٍ ولا شارد ، وربما هو غير مستعمل في التواصل ، وأن مهملةً ، لا يعني مواته ، حتى إذا ما كشف عنه كما كانت محاولة بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن البيانية الرائدة رحمها الله.

الهوامش

- (١) ينظر : ابن قتيبة الدينوري وجهوده اللغوية ، د. عمر مسلم العكش ، ٤٥٤ .
- (٢) ينظر : المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير : ابن قتيبة الدينوري ، ص ٦٩ ، تحقيق : مروان العطية ، ومحسن خرابة ، دار ابن كثير ن دمشق ، ١٩٩٠م .
- (٣) ينظر : غريب الحديث : لابن قتيبة ، تحقيق : د. عبدالله الجبوري ، ٧٩/١ ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٧م .
- (٤) البداية والنهاية : ابن كثير عماد الدين إسماعيل ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٣٢م ، ٦/٢ . وغريب الحديث : لابن الجوزي : ٢٦٠/١ .
- (٥) المسائل والأجوبة : ٣٥ - ٣٦ .
- (٦) في اللسان (ملل) : الملة : الحفرة نفسها ، والملئ والملة الرماد الحار الذي يُحمى ليدفن فيه الخبز ليُنضج .
- (٧) المسائل والأجوبة : ٦٩ - ٧٠ .
- (٨) الكامل في اللغة والأدب : للمبرّد ، ص ١٨٨ .
- (٩) النبع : الشجر : الكامل في اللغة والأدب : المبرّد ، ص ١٨٩ .
- (١٠) الاعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، ٤٢٠ .
- (١١) ينظر : الاعجاز البياني للقرآن : د. عائشة عبد الرحمن ، ٢٨٩/٢ ، وتحقيق حول ابن عباس ومكانته في التفسير ، د. محمد باقر حُجتي ، ص ١١٠/٧ .
- (١٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٤٣/١ ، ط ٢٠٠٢ ، دار احياء التراث العربي .
- (١٣) الكامل في اللغة والأدب : لأبي العباس ، المبرّد النحوي ، ت ٢٨٥ ن ص ١٨٦ ، تحقيق : يحيى مراد ، مؤسسة المختار ، ط ١ ، ٥١٤٢٥ - ٢٠٠٤م .
- (١٤) الكامل في اللغة والأدب : ٦٤٠ .
- (١٥) الرجّع : رجّع قواتمها. المنين : الغبارُ الضعيف ، والاهباء : إثارة الثراب .
- (١٦) الكامل في اللغة والأدب : ٦٤٢ - ٦٤٣ .

- (١٧) الإتقان : ٢٤٣/١ .
- (١٨) المفردات : الراغب الاصفهاني ، ص٥٦٥ .
- (١٩) الاعجاز البياني للقرآن : ١ .
- (٢٠) ينظر : الاعجاز البياني للقرآن : ٢٧٩ .
- (٢١) الاتقان في علوم القرآن : ٢٤٣/١ .
- (٢٢) الاعجاز البياني للقرآن : ٣٨٠ .
- (٢٣) الإتقان في علوم القرآن : ٢٤٤/١ .
- (٢٤) الاعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق : ٢٨١ - ٢٨٢ .
- (٢٥) الاتقان في علوم القرآن : ٢٤٣/١ .
- (٢٦) الاعجاز البياني للقرآن ، ومسائل ابن الأزرق : ٢٨١ .
- (٢٧) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق : ٢٧٥ - ٢٧٦ .
- (٢٨) الاتقان في علوم القرآن : ٣٦٣/١ - ٣٦٤ .
- (٢٩) الاعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق : ٥٠٨ .
- (٣٠) ينظر : الاعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق : ٢٧٥ .
- (٣١) الاعجاز البياني : ٣٧٩ .
- (٣٢) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن ، العلامة الراغب الاصفهاني ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، ط٤ ، ٥١٤٢٥ : ٢٠ - ٢١ .
- (٣٣) ينظر : مفردات الراغب الاصفهاني مع ملاحظات العمالي ، العمالي ، دار المعروف للطباعة والنشر ، كتبه في الرابع والعشرين من ذي الحجة ١٤٣٢ هـ .

المصادر

- ابن قتيبة الدينوري وجهوده اللغوية ، د. عمر مسلم العكش ، أبو ظبي - المجمع الثقافي ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- الاتقان في علوم القرآن ، تحقيق وشرح : محمد سالم هاشم ، طبعة قم المقدسة ، ذوي القربى ، ١٣٩١ هـ .

- الاعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، د. عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف بمصر ، ٥١٣٩١ - ١٩٧١م.
- البداية والنهاية ، ابن كثير ، عماد الدين إسماعيل ، طبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٣٢م.
- التحقيق حول ابن عباس ومكانته في التفسير ، د. محمد باقر حجتى ، دار السيدة رقية ، ط ١ ، ٥١٤٣٠م.
- الجامع لأحكام القرآن ، دار احياء التراث العربي ، طبعة ٢٠٠٢.
- غريب الحديث ، ابن الجوزي ، تحقيق : السيد احمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨م.
- غريب الحديث ، ابن قتيبة ، تحقيق : عبدالله الجبوري ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٧م.
- الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق : يحيى مراد مؤسسة المختار ، الطبعة الأولى ٥١٤٢٥ - ٢٠٠٤م.
- المسائل والاجوبة في الحديث والتفسير ، ابن قتيبة ، تحقيق : مروان العطية ، وحسن خرابة ، وابن كثير ، دمشق ، ١٩٩٠م.
- مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الاصفهاني ، الطبعة الرابعة ، دار القلم ، دمشق ، تحقيق : عدنان داوودي.
- مفردات الراغب الاصفهاني ، مع ملاحظات العملي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ٥١٤٣٢م.

The scientific research and its role in achieving comprehensive development –
constraints and treatments

PhD. Mohammed Abdullah Mohammed

البحث العلمي ودوره في تحقيق التنمية الشاملة – المعوقات والمعالجات

م.د. محمد عبد الله محمد / دكتوراه علم اجتماع – تخصص دقيق خدمة اجتماعية

Abstract

The problem of the study dealt with the role of scientific research in the achievement of comprehensive development, as a result of conscious awareness of the role that scientific research have in promoting social and economic construction and accompanying cultural, economic and social development.

From this context, the scientific research contributes in the development process by focusing on issues related to development through field studies of the activities of institutions in the sectors of industry, agriculture, fisheries, extractive sectors, power generation, health sectors, education and services. And provide the results of scientific research for the institutions to benefit from in the development of their productive activities and improve the working mechanism and development activity.

The study reached at a number of obstacles that affect scientific research and prevent them from reaching the community to comprehensive development. Some of those obstacles are not providing financial and material support to researchers, and not providing the data needed by researchers in some studies, not focusing on the real problems of society, To study general problems and phenomena, to undertake research for scientific promotion and annual evaluation, and to contribute to real comprehensive development.

The study has made several recommendations, including interest in scientific research that contributes to the comprehensive development, as well as interest in research centers in the universities and support them and to encourage them to

prepare research to promote local and national development, twinning at the level of research centers of Arabic and international universities, and materials for researchers, and the provide supplies and equipment for research centers to carry out the required research and studies.

المخلص:

تناولت مشكلة الدراسة دور البحث العلمي في تحقيق التنمية الشاملة، وجراء ما يمكن ان يحققه هذا الدور في النهوض بعملية البناء الاجتماعي والاقتصادي، وما يرافقه من تنمية ثقافية واقتصادية واجتماعية.

ومن هذا المنطلق فإن البحث العلمي يسهم في عملية التنمية عن طريق الاهتمام بالقضايا التي ترتبط بالتنمية، عن طريق الاستعانة بالدراسات الميدانية التي تقوم بها المؤسسات في القطاعات الصناعية والزراعية والقطاعات الاستخراجية، اضافة الى القطاعات الصحية والتربوية والخدمية، والقيام بتقديم نتائج الابحاث العلمية للمؤسسات لغرض الاستفادة منها في تطوير برامجها الانتاجية وتحسين اليات العمل والنشاط التنموي.

وتوصلت الدراسة الى جملة من المعوقات التي تؤثر في البحث العلمي وتمنعه من الوصل بالمجتمع الى التنمية الشاملة، ومن هذه المعوقات عدم توفير الدعم المالي والمادي للباحثين، وعم توفير البيانات التي يحتاجها الباحثين في بعض الدراسات، عدم التركيز على مشاكل المجتمع الحقيقية والاكتفاء بدراسة مشاكل وظواهر عامة والاكتفاء بالبحوث لأغراض الترقية العلمية والتقييم السنوي ولا تسهم في تحقيق تنمية شاملة حقيقية.

وتقدمت الدراسة بعدة توصيات منها الاهتمام بالبحوث العلمية التي تسهم في تحقيق التنمية الشاملة، وكذلك الاهتمام بالمراكز البحثية في الجامعات وتقديم الدعم لها وحثها على اعداد البحوث الرصينة والدافعة الى التنمية المحلية والوطنية، التوأمة على مستوى المراكز البحثية للجامعات العريقة عربياً وعالمياً، وتقديم الدعم المالي والمادي للباحثين، وتوفير المستلزمات والأجهزة للمراكز البحثية للقيام بالأبحاث والدراسات المطلوبة.

الفصل الأول: الإطار النظري للدراسة

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في الدور الذي يلعبه البحث العلمي في تحقيق التنمية الشاملة في المجتمع، وما يواجه هذا الدور من مشكلات ومعوقات تعترضه، كون التنمية الشاملة لا تأتي من فراغ وإنما هي عبارة عن دراسات وبرامج وخطط يضعها المختصون ويتم تنفيذها من قبل القائمين على عملية التنمية، وإذا ما اعترضت البحوث او الدراسات الساعية الى احداث التنمية فسيؤدي ذلك الى اعاقتها.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية دراستنا الحالية في سعيها الى تسليط الضوء الى جانب من العملية التنموية في كل المجتمعات وخصوصاً مجتمعنا العراقي، الى وهو الدور الذي يلعبه البحث العلمي في تحقيق التنمية الشاملة، وما هي المعوقات التي تعترض البحث العلمي، وسبل الوصول الى المعالجات لتلك المعوقات بغية الوصول الى تنمية شاملة ناجحة وحقيقية عن طريق ما يقدمه البحث العلمي من دراسات ورؤى يمكن ان تسهم في تجاوز المشكلات والنهوض بالمجتمع بكل المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على حد سواء.

أهداف الدراسة:

تهدف دراستنا الحالية إلى الآتي:

- 1- التعرف على الدور الذي يمكن ان يلعبه البحث العلمي في تحقيق التنمية الشاملة.
- 2- التعرف على المعوقات التي يمكن ان تعترض البحث العلمي في تحقيق التنمية الشاملة.
- 3- التوصل الى المعالجات التي يمكن للبحث العلمي من خلالها الى تحقيق التنمية الشاملة.

تساؤلات الدراسة:

يمكن تحديد عدة تساؤلات تبحث فيها دراستنا الحالية وهي:

- 1- ما هو دور البحث العلمي في تحقيق التنمية الشاملة ؟
- 2- ما هي المعوقات التي تعترض البحث العلمي في تحقيق التنمية الشاملة ؟
- 3- ما هي المعالجات التي يمكن ان تسهم في دفع البحث العلمي لتحقيق التنمية الشاملة ؟

الفصل الثاني: مصطلحات الدراسة والدراسات السابقة

1- البحث العلمي:

هو العملية الفكرية المنظمة التي يقوم بها الباحث لاجل تقصي الحقائق حول مشكلة معينة عن طريق اتباع الطرق العلمية لغرض التوصل الى الحلول لتلك المشكلة.

والبحث العلمي هو جهد فكري وعملي منظم لدراسة مشكلات لها علاقة بنشاط الانسان من النواحي الاقتصادية والاجتماعية مستخدماً الطرق العلمية للوصول الى اسباب المشكلة والتعرف على اسبابها ووضع الحلول لها.

٢- الدور:

يعرف بارسونز بأنه مجموعة الواجبات والوظائف التي يقوم بها الفرد والتي يتوقعها منه المجتمع (Parsons,1951:p101).

والدور هو السلوك المتوقع من شاغل او لاعب المركز الاجتماعي (ميشيل، ١٩٨٠: ص٢٥٣).

٣- التنمية (Development):

تُعرف التنمية بانها تلك " العمليات التي تُبذل فيها الانشطة المقصودة وفقاً للسياسات العامة لغرض احداث التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للأفراد في بيئتهم المحلية، بالاعتماد على جهود أهلية وحكومية منسقة ومتكاملة" (بركات، وحسين، ٢٠٠٩: ص٨).

٤- التنمية الشاملة:

التنمية الشاملة تصور تنموي شامل يعمد إلى تقوية مختلف المجالات المجتمعية بما فيها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، فهي استثمار لكل الموارد من أجل الإنسان، ولعل مفهوم التنمية الشاملة يعوض الخلل الذي تسببه النماذج السابقة للنمو الاقتصادي فالتنمية لا بد لها ان توفر قاعدة كافية يُستند إليها في إصدار الأحكام المتوازنة عن تكاليف ومَنافع مُختلف السياسات، بدلاً من على التركيز على المكاسب المحدودة قصيرة المدى على حساب التُموحات في المدى البعيد (القصاص، ٢٠٠٩: ص١٤).

والتنمية الشاملة : هي التحرك العلمي المخطط لمجموعة من العمليات الاجتماعية والاقتصادية تتم من خلال ايدولوجية معينة لتحقيق التغيير المطلوب من اجل الانتقال من حالة غير مرغوب فيها الى حالة مرغوب الوصول اليها(شفيق، ١٩٨٧: ص١٦).

ثانياً: الدراسات السابقة:

١- دراسات عراقية:

أ- دراسة (الفتلي، ٢٠٠٨) المعوقات التي تواجه الباحث في الجامعات العراقية

جاء هذا البحث محاولة لتحديد نوع المعوقات التي تواجه الباحث العلمي الجامعي، واقتراح الحلول الناجمة لحلها ولتحقيق هذا الهدف، تم بناء أداة استبانة بلغ عدد فقراتها ٢٦ فقرة، موزعة على ثلاثة مجالات معتمداً في بنائها على عدد من الادبيات وبعض الدراسات المتيسرة وقد عرض هذا البحث قسماً منها، اذ تم تطبيق هذه الاداة على عينة بلغ حجمها ٢٠٠ فرداً، سحبت عشوائياً من مجتمع البحث، أعضاء هيئة التدريس في جامعة القادسية البالغ عددهم ٥٥٥ فرداً.

وبعد تطبيق الأداة بصيغتها النهائية على افراد عينة البحث الأساسية، وتحليل البيانات ومعالجتها إحصائياً، أظهرت نتائج البحث، ان العوامل المتصلة بالدعم المالي، تعد من اكثر المعوقات التي تواجه الباحث العلمي الجامع ، كذلك لم يظهر البحث اي فرق ذي دلالة احصائية يعزي لمتغيري الجنس واللقب العلمي.

وخرج البحث بجملة توصيات منها ضرورة زيادة مكافأة التدريسي والمقوم العلمي على البحث الذي ينجز ويقوم. كما اقترح البحث اجراء دراسة مشابهة على اكثر من جامعة عراقية.

ب- دراسة (الجميلي، ٢٠١٦) دور المراكز البحثية في حل مشكلات المجتمع المعاصر

هدف البحث الى محاولة تحديد دور كل محور من المحاور الاتية في الاسهام في معالجة مشاكل المجتمع : المعلومات الاولية للباحثين ، مجلس المركز ، البحوث، المحاضرات، الندوات ، المؤتمرات، علاقة المجتمعات المحلية.

وتوصلت الدراسة الى عدة نتائج منها إن أعداد الباحثين تعد قليلة في مراكز البحوث إذا ما قورنت بالاهداف التي تم تاسيسها لأجلها.

إن مجالس مراكز البحوث تُحاول ان تكون قريبة من تحقيق أهداف مراكزها البحثية من خلال تركيزها في توصياتها وتوجيهاتها على المشاكل والقضايا والظواهر التي تتلائم واختصاصات باحثيها، لا تُحدد نوعية الموضوعات في البحوث العلمية لان غالبية الباحثين يمارسون البحث العلمي كممارسة مزاجية تتعلق بالباحث واهتماماته.

اشراك قيادات المؤسسات في المجتمع باجتماعات مجالس المراكز البحثية يعد من الاولويات لبعض مراكز البحوث.

غالبية المراكز البحثية تقوم بالدراسات النظرية ويتطلب ذلك منها الإبتعاد عن إعادة المعرفة ومراعاة مبدأ التراكم في البحوث العلمية.

ان المؤسسات في المجتمع لا تعرض مشكلاتها على مراكز البحوث، والباحثين عندما يعدون بحثاً عن مشاكل معينة تكون قريبة من اهتمامات المراكز البحثية.

ان غالبية المؤسسات في المجتمع لا تخضع مشاكلها على مراكز البحوث، وان مراكز الأبحاث تخضع بعض من المشكلات المجتمعية بشكل طوعي.

تباين اجابات الباحثين حول موضوعات المحاضرات . لازالت الفجوة كبيرة بين نشاطات المراكز البحثية والمؤسسات في المجتمع المحلي.

مستوى الاستعانة بالمراكز البحثية لا زال ضعيف ومحدود لان اشكال الاستعانة باغلب المراكز البحثية التي كانت ضمن أولويات مؤسسات المجتمع المحلي تمثلت بالمشاركة في الندوات والمحاضرات.

٢- دراسات عربية:

أ- دراسة (البرغوثي ، وابو سمرة ، ٢٠٠٧) مشكلات البحث العلمي في العالم العربي وتأتي هذه الدراسة لعرض الصورة الحقيقية لمشكلات البحث العلمي في الوطن العربي، والمقارنة بواقع البحث العلمي في بعض دول العالم المتقدم في العلوم والتكنولوجية، وقام الباحثان بتشخيص هذه المشكلات وفق رؤية اسلامية، وأظهرت الدراسة أن تبني مفهوم " علمانية العلوم " من قبل العلماء والباحثين ساعد على تفاقم مشكلات البحث العلمي في العالم العربي، وقام الباحثان برسم رؤية مستقبلية للنهوض بمستوى البحث العلمي في البلدان العربية، على اساس انه قد يساعد المؤسسات البحثية والباحثين في وضع استراتيجيات فاعلة لمستقبل البحوث العلمية.

ب- دراسة (بوكميش ، ٢٠١٤) معوقات توظيف البحث العلمي في التنمية بالعالم العربي
تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أهم المعوقات التي قد تحول دون توظيف البحث العلمي في
خدمة التنمية عربياً.

وتم تحديد أهم هذه المعوقات في: غياب الرؤية الواضحة للتنمية، غياب وقصور اهداف و استراتيجيات
البحث العلمي، كذلك ضعف التمويل المالي، ووجود فجوة بين الهيئات البحثية والبيئة المحيطة، وعدم ربط
نتائج البحث العلمي بالتنمية، ضعف الإنتاج العلمي وعدم تامين نتائج البحث العلمي. وتم تقديم توصيات للتغلب
على هذه المعوقات.

٣- دراسات اجنبية:

أ- دراسة (Henderson ، Others : 2018)

Key Challenges and Future Directions for Educational Research on Scientific Argumentation

هدفت الدراسة الى التعرف على التحديات الرئيسية والاتجاهات المستقبلية التي يواجهها الباحثون حول
العالم. وقام الباحثون بدراسة وجهات نظر وتجارب مختلفة وتحليلها باستخدام تقنيات الترميز النوعية
المتعددة. وكشف تحليل الاستثمارات عن خمسة محاور رئيسية تصف مجموعة آراء العلماء هذه حول القضايا
الحالية والاتجاهات المحتملة لمجال البحث العلمي. تركز هذه المحاور على (١) : تأسيس ثقافة البحث والجدال
العلمي ؛ (٢) كيف أن الأطر النظرية المختلفة تعيق قيام الباحثين بالتوصل الى النتائج، (٣) التحدي
التمثل في تقييم الجوانب المختلفة للحجج العلمية بطريقة صحيحة وموثوقة ؛ (٤) التحديات التربوية في دعم
الطلاب والتعاون الاجتماعي بينهم ؛ و(٥) التحديات المتعلقة بالتطوير المهني للمدرسين. يتم وصف كل من
هذه المواضيع باستخدام اقتباسات مباشرة من الأعمال الفنية ورشة العمل ، وتوصلت الدراسة الى معرفة الآثار
المرتتبة على البحوث المستقبلية في المحور(٤) التحديات التربوية في دعم خطاب الطلاب والتعاون الاجتماعي
؛ و(٥) التحديات المتعلقة بالتطوير المهني للمدرسين . وتم دراسة كل من هذه المواضيع باستخدام اقتباسات
مباشرة من الأعمال الفنية ورشة العمل ، وتناقش الآثار المترتبة على البحوث المستقبلية في المحور (٤)
التحديات التربوية في دعم خطاب الطلاب والتعاون الاجتماعي؛ و(٥) التحديات المتعلقة بالتطوير المهني
للمدرسين. يتم وصف كل من هذه المواضيع باستخدام اقتباسات مباشرة من الأعمال الفنية ورشة العمل ،
وتناقش الآثار المترتبة على البحوث المستقبلية في هذه المحاور.

ب- دراسة (Yildirim, Hasiloglu : 2018)

Analysis of Scientific Research Related Anxiety Levels of Undergraduate Students'

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مستويات القلق المتعلقة بالبحث العلمي لدى الطلاب الجامعيين
الذين يدرسون في كلية العلوم والآداب وكلية التربية لتحليل مستويات القلق هذه من حيث المتغيرات المختلفة
(جنس الطلاب ، باستخدام مصادر المعلومات على شبكة الإنترنت ، والذهاب إلى المكتبة، وأخذ دورة
تتعلق بالقياس والتقييم خلال التعليم الجامعي) ، تم إجراء هذه الدراسة الوصفية. تكونت عينة البحث من
٥٣٤ طالبا يدرسون في كلية التربية وكلية العلوم والآداب بجامعة أغري إبراهيم سيجن الواقعة شرق تركيا

خلال فصل الخريف من ٢٠١٧-٢٠١٨. تألف المشاركون من ٣١٤ من الإناث و ٢٢٠ من الذكور ٢٠٨ من المشاركين يدرسون في قسم التاريخ ، ٣٤ من هؤلاء في قسم العلوم ، ٤٥ منهم في قسم الجغرافيا، ١٢٠ من الذين يدرسون اللغة التركية، و ١٢٧ من هؤلاء في قسم تكنولوجيا الحاسوب والتدريب التعليمي. تم الحصول على البيانات من خلال "استبانة المعلومات الشخصية" التي تم إنشاؤها من قبل الباحثين، و"مقياس القلق المرتبطة بالبحوث"، لم يتم العثور على علاقة ذات دلالة إحصائية بين مستويات القلق المتعلقة بالبحث لدى الطلاب والمتغيرات مثل جنس الطلاب، وأخذ دورة تدريبية تتعلق بالقياس والتقييم خلال مرحلة التعليم الجامعي . ولكن تم العثور على علاقة ذات دلالة إحصائية بين مستويات القلق المرتبطة بالبحث والمتغيرات مثل استخدام مصادر المعلومات على شبكة الإنترنت ، والذهاب إلى المكتبة . وقد تقرر أن عادات الطلاب الجامعيين في الذهاب إلى المكتبة واستخدام مصادر المعلومات على شبكة الإنترنت قللت بشكل كبير من قلق البحث.

الفصل الثالث: البحث العلمي — أهميته — مشكلاته

أهمية البحث العلمي:

- يشكل البحث العلمي أهمية كبيرة سواء بالنسبة لباحث أو بالنسبة للمجتمع:
- أ- أهمية البحث العلمي بالنسبة للباحثين: تكمن أهمية البحث العلمي بالنسبة للباحثين الذين يقومون بأجراء البحوث العلمية بعدة جوانب، ومن أبرزها ما يلي:
 - ١- يعتمد الباحثون على البحث العلمي في زيادة المعرفة لديهم، وهذا ما يكسبهم خبرة، ويعينهم على التوصل إلى حقائق جديدة.
 - ٢- يكتسب الباحث القدرة على الاعتماد على نفسه من أجل إيجاد حلول مناسبة، و من ثم يستطيع الباحث التخلص من كافة العوائق التي من الممكن أن تواجهه، و من الممكن أيضاً أن يعتمد عليه من حوله في التوصل إلى حلول للمشكلات التي تعترضهم.
 - ٣- يستطيع الباحث التوصل إلى كافة المصادر التي تعينه على إيجاد المعلومات الدقيقة.
 - ٤- يكتسب الباحث مكانة اجتماعية مرموقة، وهذا ما يجعله يبذل قصارى جهده ليحافظ على ما اكتسبه
 - ٥- تنمية رغبة الباحث في القراءة والإطلاع والتحصيل.
 - ٦- البحث العلمي يفتح الباب أمام الباحثين لشغل مناصب هامة في الدولة.
 - ٧- تنمية قدرات الباحث على النقد والتحليل.

٨- يستطيع الباحث مواكبة آخر التطورات والنتائج التي توصلت لها الدراسات السابقة.

٩- يتعود الباحث على الصبر حتى يحقق الأهداف التي يسعى إليها (حبيب، ٢٠١٠: ص٣٤).

ب- أهمية البحث العلمي للمجتمع : يعتبر البحث العلمي عصب التقدم في الكثير من المجالات بالنسبة للكثير

من الدول، وتكمن أهمية البحث العلمي بالنسبة للمجتمع كونه يسهم في تحقيق الآتي:
١- القضاء على مشكلات المجتمع وآثارها السلبية وإيجاد المعالجات لها، لأن البحث العلمي يتوصل إلى نتائج دقيقة حول المشكلة المدروسة، ويضع المعالجات لها .

٢- يسهم البحث العلمي في تقدم المجتمع بمختلف مجالات الحياة .

٣- يقوم البحث العلمي بدعم عجلة التنمية ويحقق تقدم وتطور المجتمع .

٤- يساعد البحث العلمي في تصحيح معلومات افراد المجتمع حول الظواهر الخاطئة، لأن المعلومات غير الصحيحة تؤثر سلباً على المجتمع (حسن، ٢٠١١: ص٥٢) .

المشكلات التي يواجهها البحث العلمي:

يمكننا أن نذكر أهم المشكلات التي يواجهها البحث العلمي في النقاط التالية:

أ- المشكلات السياسية:

١- التشريعات التي ليس لها علاقة بالجودة الشاملة ذات العلاقة بالبحث العلمي.

٢- ضعف الاهتمام بدور البحث العلمي في تحقيق السيادة الوطنية.

٣- التداخل بين سياسات الوزارات والمراكز البحثية مما يؤثر سلباً على مهام تلك المراكز (عطوي، ٢٠١١: ص٢١).

ب- المشكلات الاستراتيجية:

١- انعدام استراتيجيات مناهج البحث العلمي التي ترسم اهداف مراكز البحوث.

٢- انعدام الاهتمام بالبحث العلمي من قبل المؤسسات الصناعية ودوره في تحقيق التوجهات التي تتلائم مع احتياجات الدول العربية من الناحية الاقتصادية.

٣- انعدام التعاون بين مراكز البحث العلمي والمؤسسات الانتاجية.

٤- عدم استثمار الامكانيات المادية والبشرية المتوفرة في مراكز البحوث العلمية بصورة صحيحة.

ج- المشكلات المالية:

- ١- عدم الاهتمام بالباحث العربي وانشغاله بتوفير مستلزماته للعيش الكريم و انعدام الجو العلمي فى ظل البيروقراطية والروتين .
- ٢- عدم توفير الدعم المادي اللازم اذ بلغ حجم الانفاق على البحث العلمي ٢٪ اجمالي الناتج القومي فى العالم العربي .
- ٣- ضعف الامكانيات المقدمة للبحوث العلمية وقلة الاجور الممنوحة للمؤسسات التي تقوم بالبحث العلمي.
- ٤- تبعية المراكز البحثية مادياً وإدارياً لمؤسسات اخرى يؤثر في استقلاليتها ومهامها البحثية.
- ٥- ضعف الدعم المالي المقدم للبحوث العلمية في البلدان النامية مقارنة بالبلدان المتقدمة (حسنين، ٢٠٠٣: ص ٣٧).

د- المشكلات الاجتماعية:

- ١- ضعف الاهتمام بالثقافة والتعليم لضعف اهتمام المواطن العراقي والعربي بالمجالات المعرفية والتعليمية.
- ٢- اختيار الباحثين وفقاً لأسس اخرى غير الامكانيات العلمية مثل المحسوبة وصلة القرابة مع المعنيين.
- ٣- عدم ضعف الاخلاقيات المهنية لدى بعض الباحثين التي تتنافى مع اخلاقيات البحث العلمي.
- ٤- عدم اهتمام الباحثين بالبحوث التي ترتقي بالتنمية الشاملة في المجتمع والاكتفاء بالبحوث ذات الاهتمام الشخصي للباحثين (عطوي، ٢٠١١: ص ٢٤).

الفصل الرابع: التنمية — اهدافها — مبادئها — ابعادها

اهداف التنمية:

ان للتنمية هدفين رئيسيين هما:

١. تعمل التنمية على تطوير خصائص الإنسان وكفاءته الشخصية لكي يتمكن من المشاركة الفعالة في بناء مجتمعه واهم الخصائص التي لا بد من تطويرها وجعلها صالحة للمجتمع هي القيم والاتجاهات والمهارات. وبعبارة أخرى ان هدف التنمية هو تغيير علاقات الإنسان بالآخرين، وبما يحيط به من أمور أي تغيير لمجمل الثقافة الإنسانية. وذلك ان التنمية تقع عليها مسؤولية إعداد العناصر البشرية المدربة واللازمة للقيام بأعباء مشروعات التنمية الاقتصادية وتزويد مختلف القطاعات بالعناصر البشرية المدربة كمنفذين. ومن هنا جاء الاهتمام بالتعليم والصحة والإسكان والترفيه والخدمات الأخرى ليس لأهميتها الاجتماعية فقط ولكن لعلاقتها بالإنتاج أيضاً.

٢. أما الهدف الرئيسي الآخر، فهو المتصل بالمجتمع ذاته. ففي هذا المجال تهدف التنمية الاجتماعية إلى زرع الثقة في نفس العاملين في المجتمع وتعوديهم على تحمل المسؤوليات. معنى ذلك ان هدف التنمية الاجتماعية هو تنمية أفراد المجتمع وتوعيتهم قبل تنمية البيئة والمباني (أيوب، ٢٠٠٤: ص٢٩).

مبادئ التنمية:

إن الذي يميز علاقة النمو والبيئة وما فيها من الموارد بأنها علاقة انسجام واتحاد وليست علاقة تنافس وصراع، لأن التنمية تعتمد على البيئة وتكون بحاجة الى الموارد والإمكانيات، فإذا حافظنا على موارد البيئة وتم استغلالها بشكل سليم سيعزز ذلك عملية التنمية، فمن خلال العلاقة بين النمو والبيئة يمكن أن نحدد المبادئ التي تستند عليها عملية التنمية وهي:

١. استخدام اسلوب النظم في الإعداد والتنفيذ لخطط التنمية:

إن البيئة الإنسانية لأي مجتمع تعتبر جزء من النظام الكوني العام، فإذا حدث تغير في احد الأجزاء فسيؤثر ذلك على باقي الأجزاء الأخرى، وبالتالي سيؤثر على النظام الكوني العام. لهذا فان التنمية تعمل على تحقيق التنسيق والتوازن بين الاجزاء، مما سيؤدي الى التوازن في النظام الكوني العام.

لذلك فاستخدام اسلوب النظم في الإعداد والتنفيذ لخطط التنمية يعتبر اسلوب مُتكامل يهدف الى حماية المجتمعات من خلال المحافظة على امكانياتها الإقتصادية والإجتماعية والبيئية دون تفضيل جانب على اخر لان ذلك سيؤثر سلباً على المجتمعات والتنمية الحاصلة فيها.

٢.المُشاركة الشعبية:

ان التنمية تبدأ مكانياً ومحلياً كأن تكون مدينة او قرية. ويعني ذلك إنها تنمية من الاسفل، ولتحقيق ذلك لا بد من توفير سياسة لامركزية تشترك فيها الهيئات الرسمية والشعبية والاهلية والمواطنين في إعداد الخطط وتنفيذها. وان الدور الذي يمكن ان تحققه التنمية من الاسفل لما تمارسه الإدارات في المحافظات ومجالس البلديات من دور عن طريق تقديم ما يخدم احتياجات المجتمعات المحلية، ويتلخص هذا الدور فيما يأتي:-

أ- بإمكان الإدارات المحلية ان تحد من ارتفاع درجات الحرارة على الارض عن طريق ايجاد انماط جيدة لاستخدامات الارض وتطوير وسائل المواصلات وترشيد استهلاك الطاقة، لغرض التقليل من التلوث والتخفيف من الازدحام المروري، والتحول نحو الطاقة الصديقة للبيئة، وذلك سيسهم في الارتقاء بحياة السكان.

ب- تقع على عاتق الادارات المحلية في المحافظات ومجالسها مسؤولية معالجة النفايات الصناعية ومخلفات البيئة وذلك عن طريق الاستعانة بالأبحاث العلمية.

فعن طريق البحوث العلمية تمكنت ادارات كثير من المدن من التقليل من كمية النفايات عن طريق تدوير واعادة التصنيع لكميات كبيرة من هذه النفايات، اضافة الى ايجاد الاسواق للمصنوعات التي تم انتاجها من النفايات، وهذه الطرق والاساليب في التعامل مع النفايات والمخلفات سيعمل على خلق بيئة

نظيفة واستخدام ايجابي لمواردها وتحسين مستوى حياة الافراد، اضافة الى توفير فرص عمل لكثير من ابناء المجتمع عن طريق العمل في مشاريع تدوير النفايات.

ج- يقع من الواجبات التي تتحملها الادارات المحلية العمل على تقليل من انبعاث كولوور الكربون الذي يعمل على الاضرار بطبقة الاوزون وذلك عن طريق منع المواطنين من استخدام المواد والمنتجات التي تحتوي على هذه المادة، وهذا سيسهم في تحسين المستويات الصحية للمواطنين ويوفر الاموال التي تخصص للعناية الصحية ويتم ذلك عن طريق الاستعانة بمراكز الابحاث العلمية.

د- من المسؤوليات التي تقع على عاتق الادارات المحلية العمل على تقليل استهلاك المشتقات النفطية، وذلك عن طريق تقليل مسافات النقل بين مناطق السكن ومكان العمل، اضافة الى تشجيع استخدام وسائل النقل العام وإنشاء الطرق الجيدة والمختصرة التي تعمل على تقليل تكاليف النقل والحد من تلوث الهواء (ابو زنت، غنيم، ٢٠٠٦: ص ١٦٥-١٦٨).

ابعاد التنمية الشاملة:

البعد البشري:

وتعني التنمية الشاملة فيما يتعلق بالأبعاد البشرية العمل على تحقيق تقدّم كبير في سبيل مراقبة معدلات النمو السكاني، وهو أمر بالغ الأهمية كون هكذا نمو يُحدث ضغوطاً كبيرة على موارد البيئة الطبيعية، اضافة الى الحد من امكانيات الادارات المحلية والحكومات المركزية من توفير الخدمات المطلوبة للسكان. اضافة الى ان الزيادة السكانية السريعة في مجتمع ما يسهم في الحد من تنمية ذلك المجتمع، ويقلل من الامكانيات المتوفرة التي تعيل كافة افراد المجتمع.

وتتطوي التنمية الشاملة على استخدام الموارد البشرية استخداماً كاملاً ، وذلك بتحسين التعليم والخدمات الصحية ومحاربة الفقر، ومن هنا فإن التنمية الشاملة تعني: إعادة توجيه الموارد أو إعادة تخصيصها لضمان الوفاء أولاً بالاحتياجات البشرية الأساسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وتوفر بعد ذلك الاحتياجات الثانوية مثل الترفيه الاجتماعي، التنوع الثقافي، والاستثمار في رأس المال البشري بتدريب العاملين والفنيين والعلماء وغيرهم من المتخصصين الذين تدعو إليهم الحاجة لاستمرار التنمية.

-البعد الاجتماعي:

يعدّ البعد الاجتماعي إحدى ركائز التنمية الشاملة فالسلوك البشري الاجتماعي هو المحرك لعجلة التنمية بما يحمله من عبارات وقيم ومفاهيم تحرك وتوجّه السلوك الاجتماعي إلى العمل والإنتاج والتي ترفض الفقر والتفاوت البالغ بين الأغنياء والفقراء (المفهوم الأول للعدالة الاجتماعية) وتحتاج الإدارة المجتمعية الرشيدة إلى الضبط الاجتماعي الذي يقاوم لتحقيق العدل الاجتماعي بين أبناء الجيل ، وفي باحتياجاتهم المشروعة فضلاً عن المشاركات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ؛ فهناك مشاركة إيجابية وفعالة قادرة على تنفيذ الخطط المقبولة للجميع، من منظمات المجتمع عموماً والجامعة خصوصاً لتوعية الناس وحشدهم من أجل تحقيق تنمية شاملة يمكن للمجتمع كله الاستفادة منها. (عياصرة، ٢٠٠٩: ص ٤١-٤٢).

البعد الثقافي للتنمية:

تنشأ الجامعة لهدف صناعة التعلّم ونقل العلم والمعرفة والثقافة، وتطبيقاتها وتطويرها والاحتفاظ بها، ولا ويتحقق هذا الهدف من خلال وظيفة الجامعة متمثل في عملية تعليم طلبتها والقيام بالبحث العلمي، وتقديم

خدماتها للمجتمع وهذا ما يجعلها اهم المؤسسات التي تؤثر في تنمية المجتمع ثقافياً، وإذا تكلمنا عن التنمية الثقافية في دون التطرق للدور الفاعل الذي تقوم به الجامعة في هذا الخصوص فذلك سيكون كلاماً ليس ذا جدوة ويتجلى ذلك الدور الثقافي في أسمى مظاهره في الالتزام القيمي للجامعة بالقيام بواجباتها ذات الابعاد الثلاث المتمثلة بتعليم طلبتها والقيام بالابحاث العلمية وخدمة المجتمع ، والتي تسهم في تشكيل شخصية وغرس القيم الأخلاقية والثقافية وتمكنه من المساهمة الفعالة في بناء المجتمع والرفي بالفكر المجتمعي، فالبعد الثقافي للجامعة يتمثل في إنتاج الثقافة وتطويرها والاحتفاظ بها باعتبارها جوهر ولب العمل الجامعي، والمتمثل بدوره في الإبداع الخلاق، وتعمل على تفسير الظواهر وتجاوز التبريرات البسيطة، وتوصيل المعرفة والثقافة، ويتم ذلك عن طريق سياقات علمية ومناهج تتبع في دراستها، وتطوير رسالة الجامعة لتستهدف المستقبل وبناء قواعد حركته وتطوره وغرس القيم الأخلاقية والنهوض بطبقاته الاجتماعية للسعي الى تنمية افراده بما يتفق ومواهبهم ورغباتهم، ورفع مستوياتهم الثقافية والفكرية، ويؤهله لإتخاذ قرارات حكيمة (القصاص، ٢٠٠٩: ص١٤).

البعد الاقتصادي للتنمية:

لم يعد هدف التعليم الجامعي قاصراً على الاعداد والتأهيل للقوة العاملة لسد احتياجات المجتمع باعتباره الوظيفة الوحيدة للتعليم، فالدور التنموي للجامعة يجب أن تتسع قدراته وامكانياته ليضمن قيام الجامعة بواجباتها في خدمة المجتمع، عن طريق تخريج مواطن يكون قادر على فهم مجتمعه وارتباطه بالمجتمعات الاخرى وعلى حل مشكلات التنمية، وإقامة المجتمع المعاصر وقيادته نحو التقدم والإزدهار، ويجب النهوض بالدور الاقتصادي والتنموي للجامعة، وتقديم المساعدة والخبرات المتنوعة، مستندة في ذلك على قدراتها العلمية، وخبراتها المعرفية ومواردها البشرية المؤهلة، واستثمار قدراتها في مجالاتها التطبيقية المتنوعة، عن طريق إرساء علاقات التعاون وربط الجامعة بوحدة الإنتاج في المجالات الصناعية، والزراعية، والقطاعات الخدمية، وحماية المستهلك، ومؤسسات المجتمع المدني.

ومما تقدم فالجامعة لا تمارس دورها في عملية التنمية فقط، بل تؤكد على تميزها فيه، ويساعدها ذلك على التخلص من السلبيات التي لا ترى في الجامعات الا العبء المالي على الحكومة، باعتبارها مجالاً للإنفاق يفتقر إلى العائد أو المردود الاقتصادي السريع والمباشر، اضافة عن كونها مؤسسات غير منتجة (جلال، ٢٠٠٤: ص٢٣).

دور البحث العلمي في تحقيق التنمية الشاملة:

يعد البحث العلمي احد مقومات التقدم والتنمية.. فقد ساهم في تقدم البشرية وإبعادها عن الخرافات التي تسيطر عليها، سواء ما يتعلق بالعلوم الطبيعية او العلوم الإنسانية، فالبحث العلمي يعتبر اهم واسمى حقول المعرفة؛ كونه يعتمد على المناهج والاساليب المنظمة المتمثلة بالتجربة والملاحظة للوصول الى الحقائق والمعارف والتأكد من الفرضيات التي تدرس مواضيع وقضايا مختلفة؛ للتوصل إلى نتائج دقيقة تعمل على حل إشكاليات المجتمعات الراهنة... فالدولة التي تملك العلم والمعرفة هي التي تتحكم في عالمنا المعاصر؛ عن طريق توظيف العقول البشرية في مجالات البحوث العلمية بطريفة فاعلة.

ومن حيث علاقة البحث العلمي بقضية التنمية، فالمتتبع للخارطة التنموية في الوطن العربي باختلاف مسمياتها الخمسية والعشرية... إلخ، يلاحظ تعثر هذه الخطط في تحقيق المستهدف منها في معظمها لعدم إشراك

الجامعات ومراكز البحوث في التخطيط والمتابعة لتلك المشاريع، بالإضافة إلى أن الخطة تكون محددة لموضوع واحد دون غيره، ولاشك أن البحث العلمي قادر على بلورة الإمكانيات والثروات والقدرات العربية، وتحويلها إلى مشاريع تنموية تبنى على الإعداد والتخطيط العلمي السليم الذي يحول الأفكار إلى مرحلة التطبيق العملي الناجح (ابو زنت، غنيم، ٢٠٠٦: ص ٩٧).

وفيما يتعلق بالتخصيصات المالية على مستوى البلدان، نلاحظ في سنة 2002، ان السويد قد خصصت ما يفوق عن ١٠ مليار دولار أي ما نسبته ٤,٢٧٪ من إنتاجها القومي، في حين ان فنلندا خصصت حوالي ٥ مليار دولار ويشكل ما نسبته حوالي ٣,٥٪ من إنتاجها القومي، أما اليابان فقد خصصت حوالي ١٠٧ مليار دولار أي ما نسبته حوالي ٣٪ من إنتاجها القومي، في حين ان الولايات المتحدة الأمريكية خصصت حوالي ٢٧٥ مليار دولار أي ما نسبته حوالي ٢,٧٪ من إنتاجها القومي. وأما إسرائيل فقد خصصت ٦,١ مليار دولار أي ما نسبته ٤,٧٪ من إنتاجها القومي، وهو مبلغ يفوق ما تُخصصه كل البلدان العربية مُجمعة بنحو ثلاث مرات ونصف.

أن البحث العلمي يشكل أهمية بالغة لحاضر ومستقبل الوطن العربي، وغياب البحث العلمي يعني غياب الخطط العلمية لبناء قدرات الجامعات العلمية، فيما يتعلق بالخطط والبرامج الدراسية وأساليب التعليم ومشاريع البحث في مختلف العلوم الإنسانية والتطبيقية، وإعداد الملاكات العلمية وتطوير قدراتها بصورة دائمة وناجحة. (شماطة، ٢٠١٣: الانترنت)

لغرض تفعيل دور البحث العلمي لخدمة العملية التنموية فذلك يتطلب ما يلي:

- ١- توثيق التواصل بين الجامعات والمراكز العلمية بالمجتمع وزيادة الاتصال فيما بينها.
 - ٢- التركيز على التخطيط الجيد والكوادر البشرية القادرة على التعامل مع متطلبات المجتمع.
 - ٣- الارتقاء بكفاءة الافراد العاملين والعمل على زيادة إنتاجيتهم .
 - ٤- الاهتمام بجودة المنتج وتحديد مواصفاته والتركيز على النوعية وسلامة العمليات الانتاجية.
 - ٥- استخدام الكمبيوتر وشبكات المعلومات والوسائل العلمية المتطورة لغرض توثيق البيانات والمعلومات.
- وتعد البحوث العلمية السبيل الامثل للتنمية فالثورة المعلوماتية التي غزت العالم كله باثارها الايجابية تبين بصورة جلية أن البحث والتطوير هما السبيلان الرئيسيان للتنمية الاقتصادية والاجتماعية وكي نجسد هذا الدور فإن هذا يستلزم ما يلي:

١. القيام ببحوث تعمل على حل المشاكل وتسعى الى تطوير الانتاج.
٢. القيام بالبحوث التي من شأنها ابتكار طرقاً جديدة لتطوير الانتاج.
٣. الاستعانة بالخبرات الهندسية التي بإمكانها القيام بتصميم المدن الصناعية المتكاملة.
٤. الاستفادة من التكنولوجيا التي تتوصل اليها الجامعات ومراكز البحوث بالمجالات الصناعية لتلبية مُتطلباتها (العاجز، ٢٠٠٤: ص ١٦-١٧).

المعوقات التي تواجه البحث العلمي في تحقيق التنمية الشاملة:

أولاً – المعوقات المتصلة بالمعلومات

- ١- تردد المؤسسات في إعطاء المعلومات للباحث بحجة سريتها.
- ٢- عدم توفر معلومات كافية لدى المؤسسات المعنية بالبحث.
- ٣- ضعف في دقة المعلومات المتوفرة لدى المؤسسات المعنية بالبحث.
- ٤- إهمال بعض المبحوثين للاستثمارات الموزعة عليهم من قبل الباحث.
- ٥- المعلومات التي يزود بها الباحث تتأثر بالعلاقة الشخصية والمزاجية.
- ٦- افتقار المكتبة الجامعية إلى الرغد المستمر بالكتب الحديثة.
- ٧- صعوبة الحصول على الكتب المنشورة في الجامعات و المؤسسات البحثية.

ثانياً : المعوقات المتصلة بالجامعة والجهات المهتمة بالنتائج العلمي

- ١- كثرة نصاب عضو هيئة التدريس.
- ٢- تكليف عضو هيئة التدريس بإعمال إدارية داخل الجامعة.
- ٣- ارتفاع نسبة عدد الطلبة الى عضو هيئة التدريس في قاعة الدرس.
- ٤- انعدام التفريغ الجامعي لعضو هيئة التدريس لغرض البحث العلمي.
- ٥- بطء إجراءات التقويم للبحوث المرسله للنشر.
- ٦- قلة توفر مستلزمات البحث أمام عضو هيئة التدريس.
- ٧- تأثير عملية تقويم وتعضيد البحوث بالعلاقات الشخصية.
- ٨- ضعف إجراءات المتابعة لدى الجامعة لنشر البحوث.
- ٩- عدم أشعار المقوم بمدى الوقت اللازم بتقويم البحوث المرسله له.
- ١٠- ضعف إجراءات تنشيط البحوث العلمية داخل الجامعة.
- ١١- ندرة أعلام المؤسسات المستفيدة بنتائج البحث العلمي.
- ١٢- اهتمام دور النشر بنشر الكتب دون البحوث العلمية (الصوينع ، ٢٠١١ : ص ١٢-١٤).

ثالثاً : المعوقات المالية:-

- ١- قلة المكافأة المالية التي يتقاضاها ألتدريسي على البحث العلمي الذي أنجزه.
- ٢- عدم إسهام الجامعات في نفقات البحث العلمي بشكل كاف.
- ٣- قلة المكافأة المقدمة للمقوم العلمي مما يؤثر سلبي على سرعة التقويم.
- ٤- عدم وجود دعم مالي للباحث من المؤسسات المستفيدة من البحث.
- ٥- ضعف دعم الباحث بتوفير مستلزمات طباعة البحث.
- ٦- صعوبة إجراءات الحصول على المكافأة للبحث العلمي من قبل الجامعة (الفتلي، ٢٠٠٨:ص٢٤٢)

اساليب معالجة ومواجهة معوقات البحث العلمي :

أولاً – اساليب المعالجة المتصلة بالمعلومات الخاصة بالبحوث:

- ١- توجيه المؤسسات ذات العلاقة لغرض تزويد الباحثين بالمعلومات المطلوبة.
- ٢- التأكيد على دقة المعلومات المتوفرة لدى المؤسسات المعنية عند تزويدها للباحثين.
- ٣- توجيه المبحوثين بعدم اهمالهم للاستثمارات الموزعة عليهم من قبل الباحث.

- ٤- ابعاد العلاقات الشخصية والمزاجية عند تزويد الباحثين بالمعلومات المطلوبة.
- ٥- التزويد المستمر لمكتبة الجامعة ومكتبات الكليات بالكاتب الحديثة.
- ٦- الحصول على الكتب المنشورة في الجامعات ودور النشر والمؤسسات البحثية.

ثانيا : اساليب المعالجة المتصلة بالجامعة والجهات المهمة بالنتائج العلمي:

- ١- تخفيض نصاب عضو هيئة التدريس وعدم ارهاقه بكثرة المحاضرات.
- ٢- عدم تكليف عضو هيئة التدريس بإعمال إدارية تؤثر على التزاماته البحثية.
- ٣- تقليل نسبة عدد الطلبة الى عضو هيئة التدريس في قاعة الدرس.
- ٤- منح التفرغ الجامعي لعضو هيئة التدريس لغرض البحث العلمي كلياً أو جزئياً.
- ٥- تعجيل إجراءات تقويم البحوث المرسله للنشر بما لا يؤثر على القيمة العلمية للبحث.
- ٦- توفير المستلزمات المطلوبة للبحوث التي يقوم بها اعضاء الهيئة التدريسية.
- ٧- زيادة إجراءات المتابعة من قبل الجامعة لنشر البحوث العلمية.
- ٨- إشعار المقوم العلمي بالوقت اللازم لتقويم البحوث المرسله اليه.
- ٩- سرعة انجاز اجراءات البحوث العلمية من قبل الجامعات.
- ١٠- إعلام المؤسسات المستفيدة بنتائج البحث العلمي والتنسيق معها لغرض الاستفادة من هذه البحوث(ابو زنت، غنيم، ٢٠٠٦: ص٥٣).

ثالثا : اساليب معالجة المعوقات المالية:

- ١- زيادة المكافأة المالية التي يتقاضاها ألتدريسي على البحث العلمي الذي أنجزه.
 - ٢- مساهمة الجامعات في نفقات البحث العلمي بشكل يتلائم ونوع البحث المنجز.
 - ٣- زيادة مبلغ المكافأة المقدمة للمقوم العلمي لغرض سرعة التقويم.
 - ٤- عدم تقديم الدعم المالي للباحث من قبل المؤسسات المستفيدة من البحث(جلال، ٢٠٠٤: ص٢٣).
- الفصل الخامس: النتائج والتوصيات والمقترحات:**

اولا: النتائج: —

وتوصلت الدراسة الى عدة نتائج منها:

- ١- المعوقات التي تعترض انجاز البحوث العلمية تسهم في عرقلة التنمية الشاملة في المجتمع.
- ٢- عدم توفر الدعم المالي للباحثين والبحاث التي يقيمونها.
- ٣- عدم توفر البيانات التي يحتاجها الباحثون في اعداد الدراسات يسهم في اعاقه التنمية.
- ٤- عدم تركيز الباحثين وبحثهم العلمية على المشكلات ذات العلاقة بالتنمية.
- ٥- اكتفاء الباحثين بالبحوث الخاصة بالترقية العلمية والتقييم السنوي لهم والتي ليس لها علاقة بالتنمية.

ثانيا: التوصيات: —

تقدمت الدراسة بعدة توصيات منها:

- ١- ضرورة الاهتمام بالبحوث العلمية التي تسهم في تحقيق التنمية.
- ٢- الاهتمام بالمراكز البحثية في الجامعات وتقديم الدعم لها.

- ٣- التركيز على البحوث الرصينة ذات البعد التنموي محلياً ووطنياً.
- ٤- الانفتاح على الجامعات والمراكز البحثية عربياً وعالمياً.
- ٥- تقديم الدعم المالي للباحثين وتشجيعهم على إقامة البحوث بالاختصاصات كافة.
- ٦- توفير الاجهزة والمعدات في المراكز البحثية والتي تساعد في انجاز البحوث العلمية.

ثالثاً: المقترحات: —

عرض الباحث عدة مقترحات منها:

- ١- القيام بدراسات حول مدى فاعلية البحوث العلمية في تحقيق التنمية الشاملة.
- ٢- تفعيل دور الاعلام للتوعية بخصوص دور البحوث العلمية في حل المشكلات التي يعانيتها المجتمع.

المصادر

اولاً: المصادر العربية:-

- ١- ابو زنت، ماجدة ، غنيم، عثمان (٢٠٠٦): التنمية المستدامة دراسة نظرية في المفهوم والمحتوى، مجلة المنارة، المجلد ١٢، العدد ١، الاردن.
- ٢- أيوب، حارث حازم (٢٠٠٤): التنمية الاجتماعية في العراق المسارات والتحديات، اطروحة دكتوراه مقدمة الى قسم علم الاجتماع، كلية الاداب، جامعة بغداد.
- ٣- البرغوثي، عماد احمد ، وأبو سمرة ، محمود احمد (٢٠٠٧) مشكلات البحث العلمي في العالم العربي، مجلة الجامعة الاسلامية (سلسلة الدراسات الانسانية)، المجلد ١٥ ، العدد ٢.
- ٤- الجميلي، عظيم كامل (٢٠١٦): دور المراكز البحثية في حل مشكلات المجتمع المعاصر، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، المجلد ٦، العدد ٤ ، اصدار خاص بالمؤتمر الوطني للعلوم والاداب ٢٠١٦
- ٥- الصوينع، خلود بن عثمان بن صالح (٢٠١١)، معوقات البحث العلمي لدى اعضاء هيئة التدريس، رسالة ماجستير مقدمة الى قسم التربية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الامام محمد بن سعود، السعودية.
- ٦- العاجز، د. علي فؤاد (٢٠٠٤): البحوث العلمية وتنمية المجتمع بين الركود والفعالية، المؤتمر العلمي الرابع، جامعة الاقصى، غزة، فلسطين، ٣-٥ / ٣ / ٢٠٠٤.
- ٧- الفتلي، د.حسين هاشم (٢٠٠٨)، المعوقات التي تواجه الباحث في الجامعات العراقية، مجلة القادسية في الاداب والعلوم التربوية، العددان (٣-٤) ، المجلد ٧.
- ٨- القصاص، محمد عبد الفتاح (٢٠٠٧): حين تنفصل التنمية عن العدالة الاجتماعية، مجلة بدائل، العدد الثامن.
- ٩- بركات، زياد، وحسين، كفاح (٢٠٠٩): احتياجات التنمية المستقبلية لدى طلبة الدراسات العليا في التربية ببعض الجامعات الفلسطينية من وجهة نظر الطلبة انفسهم.
- ١٠- بوكميش، لعلي (٢٠١٤) ،معوقات توظيف البحث العلمي في التنمية بالعالم العربي، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية / قسم العلوم الاجتماعية، العدد ١٢.

- ١١- حبيب، جمال شحاتة (٢٠١٠): قضايا وبحوث واتجاهات حديثة في تعليم وممارسة الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، مصر.
- ١٢- حسن، عبدالباسط محمد (٢٠١١): اصول البحث الاجتماعي، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر.
- ١٣- حسنين، حسين محمد (٢٠٠٣): طرق وأدوات جمع المعلومات والبيانات عن المجتمع المحلي، ط١، دار مجدلاوي للنشر، الأردن.
- ١٤- جلال، شوقي (٢٠٠٤): المجتمع المدني وثقافة الإصلاح ، بحث مقدم إلي " مؤتمر المجتمع المدني وقضايا الإصلاح في الوطن العربي ، جامعة اسيوط ، مصر.
- ١٥- شفيق، محمد (١٩٨٧): التنمية الاجتماعية دراسات في قضايا التنمية ومشكلات المجتمع، المكتب العلمي، القاهرة، مصر.
- ١٦- عطوي، د.جودت عزت (٢٠١١): أساليب البحث العلمي- مناهجه- أدواته- طرقه الإحصائية ، ط٤، دار الثقافة للنشر، الأردن.
- ١٧- عياصرة، نائر مطلق محمد (٢٠٠٩): التخطيط الإقليمي، ط١، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن.
- ١٨- ميشيل، دينكين (١٩٨٠): معجم علم الاجتماع، ترجمة د.احسان محمد الحسن، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق.

ثانياً: المصادر الاجنبية:-

- 1- Henderson, J. Bryan; McNeill, Katherine L.; González-Howard, María; Close, Kevin; Evans, Mat(2018) : Key Challenges and Future Directions for Educational Research on Scientific Argumentation, *Journal of Research in Science Teaching*, v55 n1 p5-28.
- 2- Yildirim, Sefa; Hasiloglu, Mehmet Akif (2018) **Analysis of Scientific Research Related Anxiety Levels of Undergraduate Students** ,*Universal Journal of Educational Research*, v6 n2 p313-336 .
- 3- Parsons, Talcott (1951):**The Social system** , the free press , New York, USA

ثالثاً: الانترنت:-

- ١- شماطة ، د.عبدالناصر عبدالعالي (٢٠١٣) : البحث العلمي والشفافية- رؤية سوسيولوجية في إدارة التنمية، الانترنت: <http://bspace.uob.edu.ly:8080/xmlui/browse>

الطلاق .. أسبابه ونتائجه: دراسة اجتماعية ميدانية في مدينة الناصرية

د. عدي بجاي شبيب

قسم الاجتماع اكلية الآداب / جامعة ذي قار

audayshabeeb@gmail.com

مقدمة :

تعد ظاهرة الطلاق من أهم المشاكل الاجتماعية التي تواجه المجتمع بصورة عامة، والمجتمع العراقي بصورة خاصة؛ لما لها من تأثير على الأسرة والتفكك الأسري في المجتمع، كونه مجتمعا تقليديا تلعب فيه التقاليد والأعراف دورا رئيساً في تشكيل سلوكياته وأحكامه الاجتماعية من جهة، وبناء تصوراتهم على الأفراد من جهة أخرى، إضافة إلى التغيرات الاجتماعية الكبيرة التي شهدتها المجتمعات من الثورة العلمية والرقمية على الأصعدة كافة، التي أثرت بشكل مباشر على توجهات الشباب العراقي. ودخول وسائل التواصل الاجتماعي لتقوم بذلك على إطلاع واسع على ثقافات وعادات وتقاليد ومجتمعات تختلف بشكل كبير عن مجتمعنا، أثرت تلك التغيرات الاجتماعية والثقافية على تطلعات الشباب والشابات بشكل كبير، وأثرت على أنماط السلوك وطرق التفكير في المستقبل عن طريق التقليد تارة، واكتساب المعرفة تارة أخرى، كلها انصبت بمفهوم التغيرات الكبرى في المجتمعات المحلية، ومن ضمنها طاقاته الشابة، كونها الشريحة الأكثر تأثراً بالأفكار الجديدة التي تدخل للمجتمع دون إعطاء مجال لاختبار تلك الأفكار، وقدمت كثيرا من تلك المشكلات اتساعا وتأثيرا على المجتمع هي مشكلة الطلاق التي يحاول أن يعالجها هذا البحث.

المبحث الأول

أهداف البحث:

1. التعرف على الأسباب الحقيقية لمشكلة الطلاق في مدينة الناصرية.
2. التعرف على المتغيرات التي أنتجت تلك الظاهرة ومدى تأثيرها على النسيج الاجتماعي.

٣. التعرف على الآثار الاجتماعية والاقتصادية على النساء اللواتي تعرضن للطلاق، وكذلك الأطفال.

٤. وضع الحلول قصيرة المدى وطويلة المدى لعلاج هذه المشكلة التي شكلت ظاهرة ملفتة للنظر.

أهمية البحث:

١. الطلاق مشكلة اجتماعية خطيرة أثرت بشكل كبير على النسيج الاجتماعي.
٢. التعرف على أهمية التغيرات التي طرأت على الأسرة ودورها في المجتمعات المحلية.
٣. وضع تصور لتمكين الأفراد والنساء اللاتي يعانين من التأثيرات السلبية للطلاق، وخاصة في الجانب الاجتماعي والاقتصادي.

مشكلة البحث:

تعد مشكلة البحث حالة مرضية (اجتماعية) تستدعي التشخيص والعلاج^(١)، وتعد هذه المشكلة من الأمور التي تستلزم وضع مجموعة من الأسئلة التي يتطلب ونحن كباحثين يمكن ان يكون المشكلة إلى عدة أسئلة هي:

١. هل تؤدي المشاكل الاجتماعية إلى انتشار ظاهرة الطلاق؟
٢. هل تؤدي المشاكل الاقتصادية والسكانية إلى الطلاق؟
٣. هل يؤدي ضعف المستوى التعليمي إلى انتشار ظاهرة الطلاق؟

مفهوم الطلاق:

يعد مفهوم الطلاق من المفاهيم الاجتماعية الأكثر تداولاً بين المفاهيم التي تساهم بشكل كبير في فهم المشكلات الاجتماعية المعاصرة. والطلاق هو فسخ عقد الزوجية^(٢) الذي وقع عليه كل من المرأة والرجل قبل دخولهما في العلاقات الزوجية، وهذه العملية تساعد كلا الطرفين على إشغال منزلة فردية تمنحه حق الزواج ثانية^(٣)، وتمنح القيم الاجتماعية نوعاً من الأعراف الاجتماعية، والقيم نوع من المصادقية كجزء من الاعتراف المجتمعي بتلك العلاقة أو الرابطة الاجتماعية.

وقد وقفت الشرائع حياله، فالمذهب الكاثوليكي لا يبيح الطلاق، وحتى الخيانة لا يبيح إلا التفرقة الجسمية بين الزوجين، واعتبار الزواج قائماً بينهما.

والمذاهب المسيحية تبيح الطلاق في بعض الحالات، ويتخذ الطلاق صوراً مختلفة منه في التشريعات الإسلامية والتشريعات المسيحية واليهودية، التي تساهم بشكل كبير بفهم طبيعة التشريعات الدينية والقانونية لتنظيم الحياة الاجتماعية.

أما بالنسبة للشريعة الإسلامية فيكون هناك تنظيمًا لطبيعة العلاقة بين الزوجين، وهو انحلال العقد بين الطرفين في المجتمعات العربية الإسلامية، والمجتمع التقليدي يعتبر قضية الزواج واحدة من أواصر التصالح والتواشج الاجتماعي التقليدي. الذي يكسر هذه الصلة هو الطلاق، الذي يعد بدوره خلافاً بين جماعتين اجتماعيتين تقع فيهما المرأة والزوج ضحية هذه الخلافات بانفساخ العقد. والطلاق ظاهره عامة في جميع المجتمعات، وظاهره واسعة الانتشار في المجتمعات المختلفة، والطلاق (ابغض الحلال) لما يترتب عليه من آثار سلبية اجتماعية ونفسية واقتصادية علي الفرد والمجتمع^(٤)، ولذلك يكون الطلاق احد الظواهر الاجتماعية التي انتشرت في المجتمع العراقي.

الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى العراقية الموسومة بـ (أسباب الطلاق العاطفي لدى الأسر العراقية وفق بعض المتغيرات ٢٠١٢) للباحثة أنوار مجيد هادي.

جاءت هذه الدراسة حول الأسباب الحقيقية لدراسة ظاهرة الطلاق العاطفي لشريحة واسعة من الأفراد في المجتمع العراقي الموظفين (الأزواج والزوجات) في القطاعين العام والخاص في مدينة بغداد، وتكونت عينة البحث من ١٢٠ زوج وزوجة وتم تحديد المقياس العاطفي، واهم النتائج التي توصلت لها الدراسة: تأثير الجوانب الاقتصادية التي ركزت حول خروج الزوجين للعمل، وتأثير الجوانب الإرشادية والأخلاقية وحتى العلاقات العاطفية، وتم التركيز في مجال التأهيل العاطفي للزوجين والمعرفة العاطفية وزيادة التأثير المتبادل في مجال الحياة الزوجية المشتركة، وركزت التوصيات على دور الإعلام ووزارة العدل والإعلام في بناء برامج توعوية وبرامج قانونية لحماية الأسرة وأفراد المجتمع^(٥).

وترجع الباحثة أسباب الطلاق إلى الأبعاد العاطفية والاجتماعية التي تعصف وتشوب العلاقات الزوجية أثناء خروج الزوجين للعمل بدوافع اقتصادية واجتماعية والتي من خلالها يمكن للجانب

الاقتصادي أن يكون مؤثرا في الحياة الاجتماعية وربما الاستغراق، في البعد الاقتصادي هو الذي يسبب في اغلب الأحيان بعدا عاطفيا بين الزوجين.

الدراسة الثانية: القلق والاكتئاب لدى عينة من المطلقات وغير المطلقات في مدينة مكة المكرمة: ٢٠٠٢ للباحثة عديلة حسن طاهر.

عملت الباحثة على عينة من النساء حول تأثير الطلاق على القلق الاجتماعي والنفسي والاجتماعية، واستخدمت الباحثة مقياس الاكتئاب للمبحوثات، واجريت الدراسة على عينة من ١٨٠ من المطلقات وعينة ضابطة من ١٨٠ من غير المطلقات مستخدمة المنهج السببي المقارن.

وأعلنت عن تساؤلات حول الفرق بين العينتين من المطلقات وغير المطلقات، وهل هناك فرق بين العينتين باتخاذ قرار الطلاق يرفع الاكتئاب أو القلق؟ وهل توجد فروق بين العمر وقرار الطلاق والفترة بعد الطلاق والظروف الاجتماعية والاقتصادية؟ واستخدمت تحليل التباين، واهم النتائج التي خرجت بها هي:

١. تعاني المطلقات من درجة اعلى من القلق مقارنة بين العينتين
 ٢. عدم مشاركة النساء المطلقات بالقرار هو عامل مهم من عوامل زيادة الاكتئاب
 ٣. للعامل الزمني أهميته فالمتزوجات مبكرا والمطلقات مبكرا أكثر عرضة للقلق والاكتئاب بدرجة دالة إحصائيا.
 ٤. الظروف الاجتماعية وعلى غير المتوقع كانت اقل أهمية ، حيث تبين ان مكان الإقامة عنصر غير فاعل، في حين تبين ان للمهنة والدخل الخاص أهميتهما ، ومستوى التعليم اقل أهمية
 ٥. العلاقة بالأبناء غاية في الأهمية فان الحرمان من الأطفال يشكل عامل قلق للنساء المطلقات في اغلب الأحيان، وتبين ان الأمهات الأقل قلقاً هن اللاتي يعيننه أبنائهن وبناتهن اقتصاديا وعاطفيا مما يؤدي دور كبير في التقليل من القلق والاكتئاب^(٢).
- ثالثا: الدراسة الأجنبية في جامعة بورتلاند(اثر الطلاق على الأطفال والإباء) للباحثة شيرلي ان بيتز هولد، وهي بالأصل رسالة ماجستير قدمت في عام ١٩٧٥.

يركز البحث على حضانة الطفل، والعينة تتكون من ١٢٥ زوجا مطلقين ولهم أطفال صغار.

أهداف البحث:

١. تحليل وصفي شامل للخصائص الديموغرافية والموقفية لعينة عشوائية من أزواج متزوجين للمرة الأولى وتطلقوا ولديهم أطفال صغار.

٢. تحليل وصفي للعوامل التي تأخذها المحكمة في نظر الاعتبار في تحديد الحضانة في الحالات التي لم تشهد نزاعات.

٣. تحليل وصفي للعوامل الاجتماعية والشخصية المؤثر في العائلة التي تحتاج الى تدخل المحاكم في تحديد حضانة الطفل.

٤. دراسة لمدة ١٨ شهرا تبين مديات تأثير الأساليب، التي طورها الآباء في تربية أبنائهم قبل الطلاق وخلالها وبعده، على التطور النفسي/الاجتماعي لأطفالهم.

وبالنظر لهذه الأهداف، فإن المتغيرات المستقلة الكبرى هي ما اذا كان الأطفال هينوا لطلاق آباءهم، ونمط أساليب التربية التي طورها الزوجان المنفصلان. ومتغيرات intervening variable مثل الطبقة الاجتماعية والخصائص الثقافية (الدخل، الوظيفة، العرق/الاثنية، التوجه الديني)

أما المتغيرات الموضوعية في تحسن نمو الطفل فهي:

١. أدائهم في المدرسة كما يقيمه معلم الطفل.
٢. علاقتهم في البيت كما يقيمه احد الوالدين المسؤول عن الحضانة (علاقتهم باحد الوالدين غير المعني بالحضانة (إن وجد)).
٣. حالتهم الصحية كما يقيمها الوالدان والمعلم.
٤. علاقتهم بأقرانهم كما يقيمها آباؤهم.

فرضية البحث: هي أن تعاون الوالدين في تربية أبنائهم مفيد لصحة الأطفال في ظروف الطلاق، وله أثر على نموهم قبل الطلاق وخلالها.

الدراسة وصفية لمجموعة منتخبة من عشرين شخصا مطلقا أو منفصلا لديهم أطفال صغار، ويستعملون مركز سولو حاليا^(٧). فجرت مقابلة اربع عشرة امرأة وستة رجال. وتكونت الأسئلة من ٥٥ سؤالا. ثلاث وعشرون سؤالا عن البيانات الديموغرافية، و٢٣ سؤالا تحاول فهم المواقف والأفكار المتعلقة بعملية الانفصال.

موضوعات الاستبيان:

١. دور الوالدين بوصفهما منفصلين، وهذا يستكشف القضايا التي يتعاملون معها.
٢. فهم حقيقة ان مشكلاتهم الزوجية لا علاقة لها بمشكلات علاقتهم.
٣. ما الذي تعنيه الحضانة؟ ما الذي يعنيه الدعم؟ ما الذي تعنيه الزيارة؟
٤. النتائج التي تلحق بهم وبأطفالهم إن لم يطوروا فهما واقعا القضايا والمشكلات التي يتضمنها ذلك ونظرة واقعية للمستقبل.

والكاتب له غرضان من المقابلة:

أولاً: الحصول على معلومات عن فعالية الاستبيان في توليد المعلومات المرغوبة
ثانياً: الحصول على معلومات واقعية فصلا عن انطباعات وتقارير ذاتية للخبرات وردود
الأفعال قبل الطلاق وفي اثناؤه وبعده لتحري او اكتشاف بيئة عن التوافق او عدم التوافق
بين الزوجين المطلقين في الوصول إلى اربع قضايا أساسية :

١. قرار الزواج.

٢. حضانة الطفل.

٣. دعم الطفل.

٤. ترتيبات الزيارة.

وتمثلت المنهجية في تسليم كل شخص استبياناً ويطلب منه جواب واحد أو أكثر ان امكن
عن كل سؤال. بعد الانتهاء يراجع الكاتب بسرعة الأسئلة الثلاثة والعشرين المتعلقة
بالمعلومات الديموغرافية، للتحقق من إجابات كل فرد.

بعد ذلك، يتعامل الكاتب مع الأسئلة الاثنتين والعشرين المتبقية مستعملا المنهج
الظاهراتي. وهذا المنهج هو محاولة منهجية لملاحظة ووصف جميع سمات ومميزات عالم
الظاهرة كما هي مقدمة لنا.

والقسم الثاني من المقابلة هو التسجيل. وتتمثل بطرح أسئلة على المستجوبين، ويسألون
من قبيل: هل يمكنك ان تخبرني قليلا عن ذلك؟ ولقد تبين ان المقابلة المسجلة ناجحة جزئيا.
والبحث يؤكد شيئاً رئيساً هو انّ القصد من جمع المعلومات والمعطيات إنما لغرض الوصف
فقط، وليس من اجل الوصول إلى استنتاجات.

أسباب الطلاق:

هناك عدة أسباب للطلاق التي تدفع الفرد إلى اتخاذ قرار بالانفصال والطلاق بشكل كبير وتضطر حالات الطلاق في المجتمع هناك عدة أسباب يمكن ان نحددها:
أولاً- المشكلات الاجتماعية:

تدرج المشاكل الاجتماعية ضمن الأسباب الأكثر انتشارا بين الأسباب الباعثة علي الطلاق في المجتمع، ويرجع ذلك إلى النظام الاجتماعي القائم على اختيار شريكة الحياة ودور المرأة في اختيار شريكة الحياة والتأثير الابوانية في المجتمع العربي والعراقي بصورة خاصة، مما اثر بشكل كبير على فرص الزواج واختيار المرأة⁽⁸⁾ لطبيعة العلاقات الاجتماعية واختيار الزوج. ولم تختلف المجتمعات العربية عن هذا التصور بل ان الأسباب متعددة منها يرجع إلى المستوى العلمي والمعرفي للزوج او الزوجة، اذ يعتبر التعليم مؤشراً مهماً باختيار الزوجة، وربما سببا اخر للانتشار الطلاق بالنسبة للنساء وفرصة مشاركتهن في صناعة الحياة الاجتماعية بالنسبة للمرأة العراقية، ومن الأسباب الاجتماعية الأخرى تتعلق بطبيعة الانسجام العاطفي والنفسي بين الزوج والزوجة، وهي واحدة من المؤشرات الاجتماعية على ارتفاع نسب الطلاق، وعدم وجود نوع من هذا الانسجام الاجتماعي والعاطفي الذي يولد نوعا من المشاكل الاجتماعية بين الزوجين، فضلا عن ان التدخلات بين أهل الزوجين في المجتمعات العربية والإسلامية وفي المجتمع العراقي بشكل خاص، فان بعض المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها الزوجين ناتجة عن تدخل الأهل في الخصوصيات الاجتماعية للزوجين، في حين هناك نوع من الاستقلالية التي يجب ان يتمتع بها الزوجين، فضلا عن السكن المشترك الذي يمثل نوعاً من الإعالة الاقتصادية لأهل الزوج باعتبار ان الخصوصية تتوقف عن الاستقلال في المنزل او السكن التي يعيش فيه الزوجين، اذ يجري التدخل باختيار نوع التربية أحيانا للأولاد وحتى نمط التربية على اعتبار ان الأسرة ممتدة وهي قادرة على نقل الخبرات الاجتماعية.

ب- الأسباب الاقتصادية: تعد الأسباب الاقتصادية للطلاق عاملاً مؤثراً في استمرار منظومة الزواج داخل المجتمع، والتي تعتبر من أهم⁽⁹⁾، من العوامل المؤثرة في اختيار الزوجين حول تكافؤ اقتصادي

بين الزوجين او الإعالة التي يكون احد الزوجين مسؤولاً عنها، سواء كان ضمن الأسرة الممتدة في الكثير من الأحيان يدفع كثير من حالات الطلاقات.

والأسباب التي دفعت الزوجين للانفصال هو العامل الاقتصادي الذي يدخل ضمن استئجار بيت منفرد، وكذلك الكلفة الاقتصادية للاستقلال الزوج والزوجة بالاستقلال عن أهل الزوج، وحتى وان عملت المرأة تختلف تلك النظرة عنها ومستوى الإنتاج بالنسبة للمرأة على المستوى الاقتصادي، والتي يمكن أن تعتبر المرأة غير منتجة بمستوي الرجل^(١٠)، اذا بقي المستوى الاقتصادي للنساء المطلقات عملاً مهماً بضمان بقاء الأطفال بوجود نظام الإعانة من الطلاق.

وعلى الرغم من ان القانون في العراق يسمح لعمل المرأة التي يمكن ان تكون معيلة للأطفال بعد الطلاق وربما لا يسمح أهل الزوج او الزوج نفسه بعمل المرأة.

الجانب الميداني:

يشتمل الجانب الميداني على :

أولاً: منهجية البحث:

تعد منهجية الدراسة الموجه الأساس للبحث، الذي يمكن ان يكون الموجه والدليل للباحث بالحصول على تشخيص للمشكلة الاجتماعية بصورة دقيقة في حين يعتبر منهج المسح الاجتماعي (الكشفي) وهو نوع من البحوث الكشفية التي تستخدم في البحوث الاجتماعية ولا يقتصر على بوصف المشكلة والظاهرة فقط بل يبدأ من وجودها، ويبحث عن أسباب حدوثها وهذه حالة متقدمة في البحث الاجتماعي^(١١).

واستخدام المنهج الإحصائي الذي يقدم الإحصاءات الدقيقة لمعرفة الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للمبحوثات خلال فترة إعداد البحث وكثير من تلك البحوث التي تسلط الضوء على التغيرات الاجتماعية والتي نتجت عنها مشكلات تهم حياة الفرد والمجتمع وتعرض شريحة كبيرة من المجتمع لتأثير تلك المشاكل لعدة أسباب، ويميل المنهج للفهم الفعل برؤية الأمور ومعالجتها او نظام العادات الذهنية او جملة المبادئ الأساسية التي ينطلق منها الباحث وتكون لديه ما يشبه العادات والمواقف الذهنية التي تمكنه من تحديد السلوك العلمي المناسب لكل وضعية ملموسة^(١٢)، ولهذا يكون البحث دليل مهم من اجل وضع طريقة صحيحة للحصول على النتائج المطلوبة.

ثانياً: عينة ومجتمع البحث:

لا يمكن للباحث ان يدرس المجتمع برمته للحصول على نتائج البحث العلمي، بل يعتمد على العينة التي يمكن أن تكون ممثلة لمجتمع البحث وهي^(١٣) تكون جزءاً مهماً للبحث العلمي بعد ان تكون البحث هنا عينة عشوائية للنساء المطلقات اللواتي يقدمن لدى البحث الاجتماعي في محكمة استئناف ذي قار، ويكون الباحث قد اختار عينات عشوائية لعام -٢٠١٦-٢٠١٧ للسنوات متتالية لنساء المطلقات، وكان هذا النوع من خلال هناك أكثر من ٨٥ استمارة استبيان علي عينات البحث، بينما مجتمع البحث يكون مجموع النساء المطلقات اللاتي بلغ اعدادهن اي المسجلات في بيانات محمة استئناف محافظة ذي قار بلغ (١٧٠٠) حالة طلاق مسجلة وبهذا يكون الاختيار العشوائي للعينة البحث

مجالات البحث:

١. المجال الزمني: يمثل الجانب الزمني للبحث لعامي ٢٠١٦-٢٠١٧ للأعداد البحث ضمن الخطة المحددة.
٢. المجال المكاني: يمثل محافظة ذي قار هو المجال المكاني في محافظة ذي قار بأقضيته ونواحيها المسجلة للنساء المطلقات.

جمع البيانات:

تعتبر عملية جمع البيانات خطوة مهمة في اجراء البحث وحتى يكون البحث علمي منظم يتفق الباحث في اختيار أدوات جمع البيانات او يعدها بنفسه لتناسب مشكلة البحث وهدفه والطريقة البحثية التي اختارها لتنفيذ هذا البحث^(١٤)، ويعد الاستبيان احد أدوات جمع البيانات المهمة التي استخدمها البحث في جمع البيانات من مجتمع البحث والعينة على وجه الخصوص ويعتمد الاستبيان على استنطاق الافراد المستهدفين بالبحث من اجل الحصول على إجاباتهم عن الموضوع الذي يتوقع الحصول منهم على المعلومات المطلوبة ويعتمد البحث على الاستمارة المباشرة التي يملها الباحث مباشرة او عن طريق المساحين اذ يقدم الاستبيان معلومات لا يمكن ان نحصل عليها بالمقابلة.

المقابلة واحدة من اهم وسائل جمع البيانات التي يستخدمها الباحث في جمع البيانات والتي تتيح للباحث على الحصول على البيانات التفصيلية التي يمكن للباحث الحصول عليها ، وأصبحت المقابلة أسلوب استماع وطرح أسئلة بهدف الحصول على المعرفة والمعلومات المطلوبة^(١٥) .

تحليل البيانات:

يستخدم الإحصائيات المئوية في عملية تحليل البيانات الإحصائية والتي يمكن التعرف على النسب المئوية وكذلك التكرارات التي يمكن ان نتعرف عليها العمر:

جدول رقم (١) يوضح أعمار المبحوثات

العمر	العدد	النسبة المئوية
٢٨-١٨	٤٣	%٥٤
٣٨-٢٩	٢٢	%٢٧
٤٨-٣٩	١٣	%١٦
٤٩ فأكثر	٢	%٣
المجموع	٨٠	%١٠٠

يتضح من الجدول رقم (١) ان الفئة الأولى وبنسبة (٥٤ %) من حجم العينة وهي نسبة كبيرة بالنسبة للنساء المطلقات اللواتي سجلن طلاقهن في المحكمة واللاتي طلبن حقوقهن وتم تسجيل ذلك في ضمن طلبات النفقة بعد الطلاق وتمثل مسبة النساء الشابات من الفئة الاولى , اما الفئة الثانية التي تمثل النساء بنسبة (٢٧%) من حجم العينة وهي النسبة الثانية بعد الفئة الاولى وهي تمثل شريحة الشباب وحتى حجم الشريحتين مجتمعين تمثلان ما نسبته (٨١%) وهي نسبة كبيرة تمثل نسبة الشباب اللاتي تعرضن للطلاق وهي ما تسبب كثير من المشاكل وتوسيع الانفاق في مجالات النفقة وخاصة اذا كان هناك أطفال يوتر شكل اقتصادي وكذلك بوصمة اجتماعية للشابة المطلقة

جدول (٢) يبين مهن المبحوثات

المهنة	العدد	النسبة المئوية
--------	-------	----------------

كاسبة	٤	٥%
ربة بيت	٥٨	٧٢%
موظفة	١٥	١٩%
طالبة	٣	٤%
المجموع	٨٠	١٠٠%

يتضح من من الجدول رقم (٢) ان النساء اللواتي يعملن كاسبات يمثلن نسبة (٥%) من نسبة المبحوثات اما بالنسبة للنساء ربات البيوت ما نسبته (٧٢%) وهي نسبة كبيرة قياسا بحجم العينة والتي تمثل ان النساء اللواتي لا يعملن بسبب الظروف الاجتماعي من القيم والعادات التي تمنع المرأة من الخروج الى العمل واللاتي يعتبرن عالة على اسرهن مما يمثل ضعف موقف امرأة الاقتصادي، وبالتالي يستطيع الرجل على الهيمنة على قرار الأسرة اضافة على ذلك فإن الأسرة في المجتمع العربي الاسلامي يعطي الرجل القيمومة على المرأة ويكون صاحب القرار الاجتماعي والاقتصادي ويحدد مصير الأسرة كونه الشخص المهمين على قرار الأسرة اما نسبة العاملين بالنسبة للزواج في القطاع الحكومي وبنسبة (١٩%) وهي تمثل نسبة قليلة قياسا بالنساء ربات البيوت ويؤشر ذلك الانخفاض الى نوع من الاستقلال الاقتصادي للمرأة الموظفة وهي التي تقوم بالمشاركة الاجتماعية والاقتصادية للأسرة مما يتيح لها نوعاً من الاستقلالية والتأثير بقرار الأسرة وعدم هيمنة الرجال على كل قرارات الأسرة الانية او المستقبلية اما النسبة الاقل فهن الطالبات (٤%) من حجم العينة وهي الفئة الاقل بالنسبة للنساء المطلقات وراجع ذلك الى طبيعة التعليم والعي وحتى سن الزواج واختيار شريك الحياة

١. المستوى التعليمي:

جدول (٣) يبين المستوى التعليمي للمبحوثات

المستوى التعليمي	العدد	%
------------------	-------	---

امي	٧	%٨
يقرا ويكتب	٥	%٦
ابتدائية	٣٢	%٤٠
متوسطة	١٤	%١٨
اعدادية	٨	%١٠
دبلوم او بكالوريوس	١٤	%١٨
المجموع	٨٠	%١٠٠

يتضح من الجدول رقم (٣) بان المستوى نسبة الاميات من العينة (٨٪) من حجم العينة وهي تمثل نسبة ضعيفة من مباحثات قياسا بحجم العينة في حين يشكلن المبحوثات اللاتي يقران ويكتبن (٦٪) من حجم العينة وهي ايضا قليلة بالنسبة للعينة اما بالنسبة للفئة الثالثة المبحوثات بمستوى التعليمي الابتدائي يشكلن نسبة (٤٠٪) من حجم العينة وهي نسبة كبيرة قياسا بالفئات الأخرى والتي تعتبر تعليم بسيط بحجم التغيرات الكبرى داخل المجتمع التي تعتبر المرأة المتعلمة أكثر انسجاما مع متطلبات العصر العلمي وخاصة في مسالة الانسجام الفكري والذهني مع الزوج، ويرجع ذلك ربما الى زواج الأقارب او رغبة الأهل في اختيار الزوجة، مما تحتم عليه اختيار امرأة بسيطة التعليم واهيانا الازواج بمستوى تعليمي بسيط، اما بالنسبة للنساء في التعليم الإعدادي والنساء في التعليم الجامعي فيشكل (٢٢٪) وهي نسبة بسيطة قياسا للنساء غير المتعلمات او التعليم الابتدائي.

٢. العمر عند الزواج:

جدول (٤) يوضح العمر عند الزواج بالنسبة للمبحوثات وأزواجهن

العمر عند الزواج		العدد	%
الازواج	الزوجات		
١٤-٢٣ سنة	١٤-٢٣ سنة	٦١	%٧٦
		٢٦	%٣٢

٣٥%	١١%	٢٨	٩	٢٤-٣٣ سنة	٢٤-٣٣ سنة
٢٨%	١٣%	٢٢	١٠	٣٤-٤٣ سنة	٣٤-٤٣ سنة
٥%	صفر	٤	-	٤٤ فأكثر	٤٤ فأكثر
١٠٠%		٨٠		المجموع	

يتضح من الجدول رقم (٤) ان نسبة أعمار الزواج للنساء بالنسبة لعمر الأزواج بنفس العمر يمثل (٦١%) قياسا بأعمار أزواجهن ونسبتهم (٢٦%) ويؤشر ذلك إلى تأثير القيم الاجتماعية التي توجد في المجتمع والتي تفضل ان تكون الزوجة اصغر من عمر الرجل, وان القيم الاجتماعية تفضل ان يكون الرجل اكبر لخبرته الحياتية التي اكتسبها من النضوج العقلي وغيرها وفي بعض الحالات هناك زيجات ثانية اي تكون لامرأة في هذا العمر كان تكون تتزوج ابن عمها الذي يكبرها سنا بعد النهوة أو ما يكون جزء من أعراف العشيرة التي تؤثر بشكل كبير في حين نرى في الفئة الثانية.

ان نسب الزواج للنساء في هذا العمر هي (٩%) وهو طبعا ما يؤشر الى أسباب ان المرأة في المجتمع العربي الاسلامي تكون نسبة البلوغ ٩ سنوات قبل بلوغ لرجل وهذا ما يؤثر على خيارات الزواج، اما بالنسبة للرجال خلال هذه الفئة هي (٢٨%) اي اكبر من النسبة في الفئة الاولى وهي تعكس بلوغ الرجل وكذلك الزوج في هذا العمر ربما يؤثر في اختيار الزوجة الثاني خاصة في المناطق الريفية التي تفضل الزواج، واطافة الى ذلك يفضل ان يكون هناك عدد كبير من الأولاد كجزء من المنزلة الاجتماعية التي تضعه امام مسؤولية قيميه، ونلاحظ ان الفئة الثالثة يبقى عدد النساء اللواتي تزوجن بهذا العمر لنفس الأسباب، اما الرجال فنسبتهم تبقى مرتفعة قياسا بالنساء، ونرى انخفاض العدد للصفر بالنسبة للنساء قياسا بالرجال الذين تبقى فرصتهم مفتوحة وان معايير سن اليأس قد يحد من زواج النساء في هذا العمر.

٣. فترة الزواج بالسنوات:

الجدول (٥) يوضح فترة الزواج بالسنوات بالنسبة للمبحوثات

النسبة المئوية	العدد	فترة الزواج بالسنوات
١١%	٩	أشهر معدودة

سنة واحدة	٥	٦%
٢ - ١٠ سنوات	٤٧	٥٩%
١١ - ١٩ سنة	٧	٩%
٢٠ فأكثر	١٢	١٥%
المجموع	٨٠	١٠٠%

يتضح من الجدول رقم (٥) ان (١١%) من حجم العينة للنساء المبحوثات قد استمر الزواج لمدة اقل من تسعة اشهر ويرجع ذلك الى ظروف اجتماعية او ظروف تتعلق احيانا بثقافة الزواج او عدم القدرة على الإنجاب و احيانا تكون نتيجة اعمال الشعوذة والسحر الذي تستخدمه بعض المبحوثات من خلال عملية الزواج, في حين تشكل الشريحة الثانية مانسبته (٦%) من حجم العين والتي استمر فيها الزواج لسنة واحدة وهو مقارب لفئة الاولى , والملاحظ في الفئة الثالثة التي تمثل (٥٩%) من حجم العينة وهذا مؤشر مهم وبنفس الوقت يبين ان التغيرات التي حصلت من فترة العام ٢٠٠٣ بدخول وسائل التواصل الاجتماعي وكذلك التحولات الجذرية معايير اختيار الزوجات قد اثر بشكل مباشر على ارتفاع حالات الطلاق داخل المجتمع.

لو افترضنا ان الطلاق حدث للعام ٢٠١٣ و ٢٠١٤ و ٢٠١٥ فان العشر سنوات الأخيرة دليل على ان الذي حدث من عمر الزواج خلال العشر سنوات هو مؤشر حقيقي على تحولات في معايير اختيار الزوجة وحتى تاثير التواصل الاجتماعي وكذلك معايير العيش المشترك التي اختلفت والتي تعتبر من اهم المؤشرات الحقيقية في الحرية الشخصية والاجتماعية والنزعة الفردية للزواج الذي الزواج مسؤولية فردية وليست جماعية مثل الفترات الماضية. اما الفئة الثالثة فشكلت نسبة (٩%) من حجم العينة ووهي أكثر من احد عشر سنة قياسا بالفئة التي سبقتها, اما الفئة الاخيرة التي تمثل (١٥%) هي نسبة التي استمر فيها الزواج (20) سنة وهي المؤشر على ان الزيجات وقت اعداد البحث لم تتاثر بالمتغيرات المعاصرة .

٤. هل لديك أطفال، وما عددهم؟

الجدول (٦) يوضح عدد الأطفال بالنسبة للمبحوثات

عدد الأطفال	العدد	%
طفل واحد	٣٩	%٤٨
طفلان	٢٠	%٢٥
٣ أطفال	٩	%١١
٤ أطفال	٣	%٤
٥ أطفال	٣	%٤
٦ فأكثر	٦	%٨
المجموع	٨٠	%١٠٠

يتضح الجدول رقم (٦) ان الزوجات اللاتي انفصلن وكان لديهن طفل واحد كانت نسبتهم (%٤٨) من حجم العينة التي تظهر ان النساء المبحوثات كان لديهن طفل واحد عند حدوث الطلاق وهو ما يؤشر وفق ذلك ان عدد الأطفال القليل بالنسبة للزوجة قد يؤثر بشكل كبير على قرار الطلاق اي كلما قل عدد الأطفال زاد احتمال الطلاق وكلما زاد عدد الأطفال قلل من حدوث الطلاق بالنسبة للمرأة وهنا يؤشر ايضا الى ان الأولاد يزيد من اواصر الأسرة اي ان الأطفال يشكلون عامل تماسك وعامل ترابط. بينما عدد الأطفال القليل يمثل ضعف الترابط بين الزوجين وان القيم الاجتماعية المورثة توشر على ان زيادة عدد الأولاد والذرية جزء من زينة الحياة مما يوشر قلة عدد الأولاد يوشر على ارتفاع الطلاق، في حين اذا كان عدد الأطفال ٢ لدى الزوجة عند الطلاق يمثل بشكل اقل اذ يمثل نسبة (%٢٥) من حجم العينة التي تعتبر الروابط ترتبط بعدد الأولاد وهكذا تتخفف النسب كلما زاد عدد الأطفال في حين هناك جانب اخر من حجم العين. إن نسبة الشريحة الاولى والثاني يمثل (%٧٣) من حجم العينة مؤشر خطير حول الإعانة وطبيعة السكن للام المطلقة وتأثيره الاقتصادي بشكل كبير على المجتمع

٥. اذا كان لديك أطفال فإين يعيشون الآن:

الجدول (٧) يوضح وجود الأطفال حالياً بالنسبة للمبحوثات

وجود الأطفال	العدد	%
معي	٧١	٪٨٨
مع طليقي	٧	٪٩
مع أهل طليقي	٢	٪٣
المجموع	٨٠	٪١٠٠

يتضح من الجدول رقم (٧) ان عدد الأطفال الذين يعيشون مع الزوجة هم نسبتهم (٨٨٪) من حجم العين التي تمثل ان الإعالة الاقتصادية للمرأة وربما احيانا يكون عددهم قليل مثل جدول لرقم (٦) والذي يؤكد فيه ان الأولاد يكونون بعدد قليل يمكن للام ان تكون مسؤولة اقتصاديا وتربويا عنهم بل حتى الأطفال يبقون مع الام عند الزواج من شخص اخر ربما لقلتهم وتكون الام اقرب الى الأولاد من ابيه او هي التي تقوم بعملية التربية (التنشئة الاجتماعية) بالنسبة للأولاد، او ان الاب ايضا يلجأ الى الزواج الثاني ولديه أطفال لا يستطيعون الانسجام زوجة الاب الجديدة وهذا ما يؤشر على أن الفئة الثانية التي تعتبر ان الأولاد وبنية (٩٪) منه الأولاد يبقون مع والهم والسبب رغبة الوالد بالاحتفاظ بهم او انسجامهم مع الزوجة الجديدة او ان الطليقين من الاقارب فتؤثر ذلك بشكل امرن وايجابي على اقامة الأولاد مع الاب الام.

٦. اذا كان الأطفال يعيشون معك، فهل تم تخصيص راتب لهم من قبل زوجك:

الجدول (٨) يوضح تخصيص راتب للأطفال بالنسبة للمبحوثات

النسبة المئوية	العدد	تخصيص راتب للأطفال
٪٣٩	٣١	نعم
٪٦١	٤٩	كلا
٪١٠٠	٨٠	المجموع

يمثل جدول (٨) ان الأطفال وبنسبة (٣٩٪) يتم تخصيص راتب لهم وهم بذلك يقيمون مع الام او الاجداد اذا سمح لهم الاقامة مع الاجداد , اما الذين لم يخصص لهم مرتب نستهم (٦١٪) من حجم العينة وهذا مؤشر مهم على ان بعض أسباب الطلاق أسباب اقتصادية لعدم كفاءة الرجل اقتصاديا او لعدم امتلاكه عمل أو ربما في بعض الاحيان يمثل تهربه من المسؤولية في دفع النفقة للزوجة او الأولاد وبالتالي تمثل عبئا اقتصاديا على الزوجة والأطفال مما يضطر الأولاد للعمل او الزوجة للعمل وهم في سن مبكر يعرضهم الى مشاكل اجتماعية كبيرة لعدم قدرة الأولاد او الزوجة بالإففاق على انفسهم وتسبب في بعض الأحيان للتسرب المدرسي او العمل المبكر.

٧. الدخل الشهري للأسرة:

جدول (٩) يبين المستوى التعليمي لازواج المبحوثات

المستوى التعليمي	العدد	%
امي	٨	٪١٠
يقرا ويكتب	٨	٪١٠
ابتدائية	٢٧	٪٣٤
متوسطة	١٩	٪٢٣
اعدادية	١١	٪١٤
دبلوم او بكالوريوس	٧	٪٩
المجموع	٨٠	٪١٠٠

يتضح من الجدول رقم (٩) ان المبحوثات الاميات يشكلن نسبة (١٠٪) من حجم العينة وكذلك التي تقرأ وتكتب نسبه (١٠٪) من حجم العينة ايضا، وكذلك بالنسبة للنساء المبحوثات اللواتي بمستوى ابتدائية يشكلن نسبة (٣٤٪) من حجم العينة واللواتي يتمتعن بتحصيل دراسي بسيط ومن الفئات الثلاثة بين الامية والقراءة والكتابة والابتدائية يصبح معدله (٥٥٪) من حجم العينة بمعنى ان نصف العينة لا يمتلك تعليم يتجاوز الابتدائية وذلك للظروف الاجتماعية والعرف والتقاليد الذي لا يسمح بالأغلب ان تكمل المرأة دراستها وكذلك سببا للطلاق لعدم معرفتها بالظروف الحياتية ومدى تعليمها يؤثر على التواصل الزوجي مع الرجل في حين ان النساء اللواتي في حين ان النساء اللواتي يحملن شهادة المتوسطة (٢٣٪) من حجم العينة والإعدادية (١٤٪) من حجم العينة وينخفض الى نسبة (٩٪) من حاملات شهادة البكالوريوس اي كلما ازداد المستوى التعليمي للمرأة قل نسبة الطلاق وبالعكس.

٨. صلة القرابة بين الزوجين:

الجدول (١٠) يوضح صلة القرابة بين الزوجين

صلة القرابة	العدد	%
من طرف الام	٨	١٠٪
من طرف الاب	٩	١١٪
جيران/ من المنطقة	٨	١٠٪
بعيد/ لم اعرفه الا في الخطبة	٥٥	٦٩٪
المجموع	٨٠	١٠٠٪

يمثل جدول رقم (١٠) ان صلة القرابة بين الزوجين تمثل (١٠٪) من قرب الام و(١١٪) من قرب الاب و(١٠٪) من الجيران هذا يؤشر ان نسبة زواج الاقارب قليلة بين المبحوثات اللواتي تعرضن للطلاق وبهذا يكون نسبة (٦٩٪) من حجم العينة لم يعرفها الا بالخطبة وهذا يؤشر ان اغلب الزيجات لم يلتقي الزوج المرأة التي تزوج منها وكذلك يؤشر ان الأهل هم اللذين اختاروا الزوجة وفق المواصفات التي يرغب الأهل ان تتوفر بالمرأة ولا يوجد خيار للرجل في ذلك مما يؤدي على الأغلب ان الرجل أو المرأة لما يكونا على علم بمقومات احدهما الاخر ولا يخض السلوك البشري فقط عن

الوصف بل تحتاج الى أن يعرف الرجل المرأة، الا ان المعوقات الثقافية الاجتماعية والعرف يمنع ان يلتقي الرجل بالمرأة التي يريد الزواج منها وهذا ما يؤثر سلبا على طول عمر الزواج.

٩. هل كانت تربطك بزوجك علاقة عاطفية قبل الزواج؟

الجدول (١١) يوضح وجود علاقة عاطفية قبل الزواج

النسبة المئوية	العدد	وجود علاقة عاطفية
١٨%	١٤	نعم
٨٢%	٦٦	كلا
١٠٠%	٨٠	المجموع

يتضح من الجدول رقم (١١) ان هناك علاقة بين المبحوثات وأزواجهن كانت لهن علاقة بهم قبل الزواج وبنسبة (١٨%) وهذا مؤشر على ان عددا قليلاً كان لهم معرفة بالزوج قبل الزواج وهذا الموضوع مهم حتى تمكن الزوج على التعرف على من يختار أو هو المسؤول عن خيارات الزوج , واما الزوجات اللواتي لم تكن لهن علاقة بالزوج من المبحوثات فشكلن نسبة (٨٨%) من حجم العينة، وهي بذلك تكون ان اغلب الزيجات التي انتهت بالفشل لم يكن فيها الزوجين على معرفة مع بعضهم ويرجع ذلك الى الظروف الاجتماعية والقيمية للزواج التقليدي في المجتمعات المحلية مثل محافظة ذي قار.

الجدول (١٢) يوضح طبيعة العلاقة مع الزوج بالنسبة للمبحوثات

النسبة المئوية	العدد	طبيعة العلاقة
١٤%	١١	قوية جدا
١٥%	١٢	قوية
٢١%	١٧	باردة

جافة/ بلا مشاعر	٤٠	%٥٠
المجموع	٨٠	%١٠٠

يتضح من الجدول رقم (١٣) ان نسبة النساء اللواتي علاقة قوية جدا ونسبة (١٤%) وهذا يشكل نسبة بسيطة عن طبيعة الروابط الأسرية بين المبحوثات وأزواجهن ونسبة (١٥%) من المبحوثات كانت علاقتهم جيدة ومن أسباب الطلاق ربما تدخل الأهل او الاقارب بطبيعة الانفصال او ربما عجز الزوجين او احدهما عن الإنجاب مما جعل صعوبة استمرار الزواج, ونسبة (١٧%) كانت العلاقات الاجتماعية او الزوجية باردة بين الزوجين في حين تشكل العلاقات الجافة او السلبية نسبة (٥٠%) من حجم العينة وهذا يؤشر إلى ان الطلاق على الأغلب يحدث بسبب جفاف العلاقات الزوجية والحميمية بين الزوجين، والتي اثرت سلبا على الزواج، وينتج ذلك ايضا الى عدم التفاهم بن الزوجين على الأولاد، وكذلك العلاقات بين الأهل العلاقات بين الاقارب واحيانا تكون العلاقات القوية مصدر مهم للاستمرار الاسرة.

١٠. هل كان زوجك يضربك:

جدول (١٣) يوضح ما اذا كانت المبحوثات يتعرضن للضرب من قبل الزوج

العدد	%	طلاق او انفصال الوالدين
١٧	%٢١	لا بسبب الأسباب
٢١	%٢٦	احيانا
١١	%١٤	نادرا
٣١	%٣٩	كلا
٨٠	%١٠٠	المجموع

يتضح من الجدول رقم (١٣) ان نسبة الضرب التي تتعرض لها النساء المبحوثات للأبسط الأسباب ما نسبته (٢١%) من حجم العينة، وهذا يعني ان استخدام الضرب احد وسائل التفاهم داخل العائلة وان نسبة (٢٦%) من حجم العينة وان تكون في بعض الاحيان يكون الضرب احد الوسائل لتعامل

الرجل مع المبحوثات داخل البيت التي يكون ما نسبته للفئتين الأولى والثانية (٤٧٪)، ويتضح ان أسلوب الضرب هو أسلوب للحياة داخل الأسرة ويمكن ان ينتقل إلى ضرب الأولاد واستخدام العنف كاحد وسائل التفاهم داخل الاسرة مما ينذر بازدياد المشاكل, اما الشريحة الثالثة التي تمثل (١٤٪) من حجم العينة هي نادرا ما تتعرض للضرب، واما لفئة الأخيرة التي تمثل (٣٩٪) من حجم العينة هي الوحيدة التي لا تتعرض للضرب، وهي تؤكد ان افراد العائلة لا يتعرضون للعنف او اشكال التفاعل السلبي الذي يؤثر على التماسك الأسري.

١١. اذا كان يضربك، فما هي أسباب ذلك؟ رقم (١٤) ستخد

الجدول (١٤) يوضح أسباب تعرض المبحوثات للضرب:

الأسباب	المرتبة	العدد	النسبة المئوية
أسباب مالية	١	٢٢	٢٨٪
ابسط الأسباب	٢	١٤	١٧٪
تدخل الأهل	٣	١٢	١٥٪
عدم التفاهم والانسجام	٤	١٢	١٥٪
الخيانة الزوجية	٥	١١	١٣٪
الشك والغيرة	٦	٧	٩٪
الزواج من امرأة ثانية	٩	٢	٣٪
المجموع		٨٠	١٠٠٪

يتضح من الجدول رقم (١٤) ان الأسباب المالية للخلاف بين الزوج والزوجة وتعرضها للضرب بنسبة (٢٨٪) من حجم العينة وهذا يعني ان الضغط الاقتصادي يولد نوع من المشاكل الاقتصادية وان التأثير على ان الرجل هو المعيل الوحيد لعائلة مما يعني ان المرأة لن تشارك في إعالة البيت وهي تكون غي مستقلة اقتصاديا عن زوجها.

والفئة الثانية (١٧%) يكون الضرب لاسبط الأسباب , في حين تشكل (١٥%) من حجم العينة يقوم الزوج بضرب الزوجة بسبب تدخل الأهل في العلاقات الزوجية من قبل أهل الزوج او أهل الزوجة مما يثير نوعا من المشاكل بين الحياة الخاصة للزوجين ويؤثر بشكل كبير لاسيما ان المجتمع التقليدي هو مع الاسرة الممتدة التي يسكن فيها الابن مع الأهل مما يتيح فرصة للتدخل الأهل بالحياة الزوجية وكذلك عدم التفاهم يفاقم عدم الانسجام بين الزوجين اذ يشكل (١٥%) من حجم العينة مماثل لتدخل الأهل بحياة الزوجين وهي ايضا تؤثر حياة الزوجين يشكل موضوع الخيانة الزوجية من دوافع ضرب المبحوثات هو الخيانة الزوجية وبنسبة (١٣%) من حجم العينة ويمثل هذا الموضوع نقطة مهمة ومعرض للزيادة مع وجود وسائل التواصل الاجتماعي وانفتاح التواصل مع رجال ونساء يعرض علاقة الزوجين الى الاهتزاز او التاثر ويأتي موضوع الشك والغيرة يحتل نسبة (٩%) من حجم العين وكذلك الزوجة الثاني تشكل (٣%) من أسباب الضرب للمبحوثات.

١٢. هل كانت تحصل مشكلات بينك وبين زوجك؟

الجدول (١٥) يوضح حصول مشكلات بين المبحوثات وازواجهن

حصول مشكلات	العدد	%
دائما	٥٣	٦٦%
احيانا	١٩	٢٤%
كلا	٨	١٠%
المجموع	٨٠	١٠٠%

يتضح من الجدول رقم (١٥) ان المبحوثات وبنسبة (٦٦%) من حجم العينة ان هناك مشاكل دائمة بين الزوجين والتي تعد من اهم دوافع الطلاق بين الزوجين اذ لا يمكن ان يستمر الزواج بتواجد مشاكل مستمرة تؤثر على الحياة الاجتماعية وحتى على الأولاد وسلوكياتهم في حين ان نسبة (٢٤%) تكون هناك أحيانا مشاكل بين الزوجين اذ تؤثر بشكل مباشر ونسبة (١٠%) لا توجد مشاكل بين الزوجين.

١٣. اين تم عقد الزواج؟

الجدول (١٦) يوضح مكان عقد الزواج للمبحوثات

مكان عقد الزواج	العدد	%
محكمة	٦٨	٨٥%
الشيخ او السيد	١٢	١٥%
المجموع	٨٠	١٠٠%

يتضح من الجدول (١٨) ان اغلب العقود الزواج كانت ضمن عقد ي المحكمة وبنسبة (٨٥%) من حجم العينة التي يعتبر اغلب زواج المبحوثات عن طريق عقد المحكمة التي تمثل ان الأشخاص المتزوجين يمكن ان يكون خيارهم المدني او انه ادمج الشيخ ومن ثم لاحقا تسجل بالمحكمة على الرغم من تسجيل الزواج في المحمة المدنية، ويكون استخدام القوانين الوضعية في ضبط طبيعة العلاقة بين الزوجين وان يكون القضاء هو الفيصل ايضا في حل مشاكل الزوجين بينما يشكل (١٥%) من حجم العينة كان عقد القران بين الزوجين عند الشيخ ولراجع ذلك إلى ان عقد القران عند الشيخ او السي راجع الى صغر سن الزوج او الزوجة في عمر الزواج يتيح لهم فرصة لعقد الزواج والسبب الاخر ان الزيجات التي يحصل بعضها في الريف في مناطق لا يوجد فيها محكمة.

١٤. اذا كان الزواج تم لدى الشيخ او السيد، فما هو السبب؟

الجدول (١٧) يوضح سبب عقد الزواج لدى الشيخ او السيد

سبب العقد لدى الشيخ/ السيد	العدد	%
----------------------------	-------	---

صغر العمر عند اجراء العقد	٩	%٧٥
لتتم الامور بسرعة	٣	%٢٥
عدم وجود اوراق ثبوتية لدى الزوجين	-	صفر%
المجموع	١٢	%١٠٠

يتضح من الجدول اعلاه ان نسبة (٧٥%) الزواج الذي تم بعقد من الشيخ وذلك لصغر عمر الزوج او الزوجة او لتسهيل امور في الزواج ونسبتهم (٢٥%) من حجم العينة
١٥. مهنة الزوج (الطلاق):

الجدول (١٨) يوضح مهنة الزوج بالنسبة للمبحوثات

المهنة	العدد	%
كاسب	٤٨	%٦٠
موظف حكومي	١٩	%٢٣
عسكري/ رجل امن	١٣	%١٦
عاطل عن العمل	٢	%١
المجموع	٨٠	%١٠٠

يتضح من الجدول رقم (١٨) ان نسبة الزواج الذين تكون اعمالهم وفق الفرص البسيطة المتاحة بمهنة كاسب وبنسبة (٦٠%) من ازواج المطلقات اللواتي كان يعشن مع أزواجهن وهو اهم الدوافع الاقتصادية للاستقرار للأسرة بتوفر سكن ملائم او مهنة ملائمة او نمط من العيش الملائم لا يمكن ان يلبي متطلبات تزايد الاسرة بدخل ثابت.

اما الفئة الثانية من الجدول فهي ان ازواج المبحوثات موظفين حكوميين وبنسبة (٢٣%) من حج العينة اذ يمثل لتوظيف الحكومي احد شروط أهل الزوجة او الزوجة عند الزواج وبهذا يكون الزوج والزوجة في استقرار اقتصادي وشكل مناسبته (١٦%) من حجم العين يمثلون ضمن وظائف امنية وعسكرية وهي تشكل نوعاً من الاستقرار الاقتصادي لكنه يمكن ان

يكون العمل نوع من عدم الاستقرار العاطفي او الاجتماعي رغم الاستقرار الاقتصادي لبعده الزوج عن البيت بسبب العمل العسكري وانقطاعه عن البيت مما يؤثر سلبا في استقرار الزواج وربما الانفصال.

١٦. اين كنتما تقيمان:

الجدول (١٩) يوضح مكان الإقامة مع الزوج بالنسبة للمبحوثات

مكان الإقامة	العدد	%
في بيت أهل الزوج	٤٢	٥٢%
منزل ملك للزوج	٢٢	٢٧%
منزل مؤجر	٧	٩%
تجاوز	٦	٨%
اخرى (بيت أهل الزوجة)	٣	٤%
المجموع	٨٠	١٠٠%

يتضح من الجدول رقم (١٩) ان المبحوثات كان يسكن مع أهل الزوج وبنسبة (٥٢%) من حجم العينة كانوا يسكن مع أهل الزوج وهذا النوع من السكن التقليدي في المجتمع العراقي مازال موجودا يظهر أن بعض المشاكل الاجتماعية او تدخل الأهل في طريقة العيش مع الزوج والزوجة او التدخل في تربية الأطفال، وبالتالي يمكن ان يؤدي ذلك الى الانفصال، في حين ان (٢٧%) من حجم العينة لا يسكنون مع أهل الزوج في سكن مستقل، وهذا النوع من السكن بدء من خلال النزعة الفردية لازواج

وهو ما ينعكس على استمرار الزواج، وايضا يعكس هذا النمط من السكن النزوع نحو استقلالية العيش للزوجين وربما تاثير المستوى التعليمي او الاقتصادي للزوجين يستطيعوا ان يفتحوا بيت بعيدا عن أهل الزوج او ان يستأجروا البيت وهذا النوع من السكن يوشر على نوع من الرخاء الاقتصادي للزوجات الجديدة بعد عام ٢٠٠٣ والحصار الاقتصادي، في حين ان (٩٪) من حجم العينة تستأجر منزل والزوجين ايضا يستمتعون باستقلال الاقتصادي لكن ليس برخاء اقتصادي بل هو نوع من الكفاف وما يؤشر ذلك تحمل الزوجين اعباء الاموال التي يحتاج منها البيت ، (٦٪).

والاشخاص الذي يسكنون تجاوز وهي أراضي غير مرخصة للسكن وظهر هذا النوع والتسمية بعد عام ٢٠٠٣ والذي يسكن اناس في اراضي تعود للدولة غير مطوبة ولا زراعية وهي ربما تكون مجانا يستطيع ان يسكن فيها الفقراء ومحدودي الدخل لكن هذا النوع من السكن العشوائي لا توجد فيه خدمات او مدارس او مستوصفات وهناك (٤٪) من حجم العينة يسكنون مع أهل الزوجة وهذا النوع من السكن غير منتشر في مجتمعاتنا التقليدية؛ لان الرجل يوصم بوصمة اجتماعية (كعدي) وهو نوع من الاستخفاف بمقام الرجل وربما هناك مبررات منطقية منها وجود ام الزوجة لوحدها بالسكن او غياب والد الزوجة فيسكن الزوج مع أهل الزوجة او جود نوع من الخلافات بين أهل الزوج او عدم قدرة الزوج عن تحمل دفع الإيجارات.

١٧. اذا كنتما تقيمان مع أهل الزوج، فيرجى الاجابة على:

أ. هل يوجد اخوة لزوجك متزوجين ومقيمين في المنزل نفسه؟

العدد	%	اخوة للزوج متزوجون في نفس المنزل
٣٢	٧٦٪	نعم
١٠	٢٤٪	كلا
٤٢	١٠٠٪	المجموع

يتضح من الجدول رقم (٢٠) يتضح ان (٧٦٪) من حجم العينة التي يسكن الأزواج مع أهلهم انهم ليس وحدهم في بيت أهل الزوج بل هناك أخوة متزوجين مهم في حين هناك

٢٤%) من حجم العينة التي تمثل الأزواج الذين يسكنون مع أهل الزوج لا يوجد هناك من الإخوان المتزوجين يسكنون معهم في البيت.

ب. هل لدى زوجك أخوات غير متزوجات او مطلقات يسكن في المنزل نفسه؟

نسبة %	العدد	أخوات للزوج غير متزوجات او كطلقات يقمن في نفس المنزل
٤٥%	١٩	نعم
٥٥%	٢٣	كلا
١٠٠%	٤٢	المجموع

تتعرض بعض الزوجات لأسباب عدة للانفصال الزوجية غير تدخل الأهل لربما جزء كبير من المطلقات لديهن مشاكل اجتماعية مع اخوات الزوج في الاسر الممتدة والتي تدفع نوع من الغيرة الاجتماعية او عدم الانسجام الاجتماعي والتي تدفع عدد كبير من الوافدات الجدد الى مشاكل وخاصة في مجتمعنا منها أسباب اقتصادية او اجتماعية وهي نسبة ٥٥% من حجم النساء المطلقات وهناك نسبة ٤٤% لا توجد لديهن مشاكل مع اخوات الزوج.

ط. هل تحصل لك مشكلات مع بقية افراد الاسرة؟

نسبة %	العدد	أخوة للزوج متزوجون في نفس المنزل
٢٣%	٢٣	دائما
١١%	١١	احيانا
٨%	٨	كلا
١٠٠%	٤٢	المجموع

يتضح من الجدول اعلاه ان الزوجات اللاتي تعرضن للطلاق كانت لديهن على الغلب مشاكل اجتماعية مع اخوة الزوج والتي تنتج احيانا نتيجة التدخل في الشؤون الزوجية للزوجين وهي نوع من التداخل الوظيفي للدور الاسرة في حياة الشباب وهذا يحدث عندما يكون الزوج هو الأصغر بين ترتيب إخوانه والمجتمع العراقي مجتمع ذكوري يؤمن بسيطرة الأخ الكبر بمكانة الاب احيانا وهذا ما يؤدي الى التدخل بالحياة الزوجية وحدوث تلك المشاكل في حياة الزوجين في حين ان نسب قليلة لا تتدخل وحيانا النضج الاجتماعي للأخوات او قوة الشخصية بالنسبة للرجل والمرأة والاستقلالية الاجتماعية والاقتصادية للزوجين

ي. مع من افراد الاسرة كانت تحصل لديك المشكلات؟

الافراد الذين تحدث معهم المشكلات	التسلسل	العدد	%
العمة	١	٢٤	%
اخوات الزوج	٢	١٥	%
العم	٣	٩	%
زوجات اخوان الزوج	٤	٢	%
ابناء اخوان الزوج	٥	—	%
المجموع			%١٠٠

يتضح من الجدول اعلاه ان الخلافات الاسرية في السر الممتدة التي تحدث مع الزوجة في البيت مع العمة والدة الزوج وهو من المواضيع الأكثر انتشارا في المجتمع والتي تتعرض له الزوجات الجديدة في المجتمع ويرجع ذلك الى نزعة التحكم الاجتماعي للام علي الابن او ان الافكار الاجتماعية التي تمثل الجيل الجديد لا تتسجم مع توجهات الأهل وخاصة اذا كانت الزوجة موظفة تتعرض الي ضغوط منها موضوع تقسيم العمل الاجتماعي في المنزل مع العمة أو بنات العمة والتي تخلق نوع من الصراع حول السيطرة الاجتماعية وهي جزء من الأساليب التقليدية لعدم هيمنة الزوجة.

ك. هل كان زوجك يقف معك عند حصول مشكلة مع احد من الأهل:

موقف الزوج من المشكلة	العدد	%
دائما	٥	%
احيانا	٢	%
نادرا	٥	%
ابدا	٢٢	%
المجموع	٣٤	%١٠٠

يتضح من الجدول اعلاه ان الزوج لا يتدخل بشكل كبير حول حل المشاكل التي تعاني منها الزوجة او الخلاف بين أهل الزوج مع الزوجة وهي طبعا نزعة اجتماعية بين لفراد العوائل التقليدية التي تسود مجتمعنا العراقي .

١٨ . هل تم الطلاق على وفق:

الجدول (٢٥) يوضح الموقف من حدوث الطلاق

تم الطلاق بناء على:	العدد	%
رغبة الزوجين	٢٨	%٣٥
رغبة الزوج فقط	٢٩	%٣٦
رغبة الزوجة فقط	١٣	%١٧
رغبة أهل الزوج	٩	%١١

رغبة أهل الزوجة	١	٢%
المجموع	٨٠	١٠٠%

يتضح من الجدول أعلاه ان (٣٥%) من حجم تم الطلاق وفق رغبة الزوجين وهي ناتجة عن وصول الأوضاع الاجتماعية بين الزوجين الى طريق مسدود واتخاذ القرار بشكل مشترك من قبل الزوجين في حين نرى النسبة الأكبر التي شكلتها (٣٦%) من حجم كانت رغبة الزوج وهذا الامر يؤكد ان القرار كان فردي وان الرجل بموجب الشريعة الإسلامية القيمومة على الزوجة فضلا عن القيم الاجتماعية تمنح الرجل الطلاق او الانفصال ومئات ذلك من قدرة الرجل واستقلاله الاقتصادي باعتباره المعيل للأسرة مثلا او ان تكون الزواج كان ناتج من الزواج كان نتيجة الزواج المبكر او ان الزواج الذي يكون فصلية لبعض المبحوثات، (١٧%) من حجم العينة كانت برغبة الزوجة وهذا المرة يكون بطلب من الزوجة من خلال المحكمة نتيجة طلب الزوجة بسبب عدم كفاءة الزوج من الناحية الإنجابية او الاجتماعية او حتى الاقتصادية عدم قدرته مثلا على ادارة الاسرة او تكوين اسرة، ويشكل (١١%) من حجم العينة بطلب أهل الزوج اذ اتضح من الجداول السابقة ان مانسبته (٥٠%) من المبحوثات يعيش مع أهل الزوج وهذا ما يتيح تدخل أهل الزوج والاقارب بحياة الزوجية والمبحوثين وبالتالي تكون عامل سلب وليس ايجابيا لالتماسك الاسري، في حين يشكل (٢%) من حجم العينة تشكل رغبة أهل الزوجة بالطلاق .

١٩ . كيف تشعرين بالعزلة والاكئاب في الوقت الحاضر (بعد الطلاق):

الجدول (٢٦) يوضح شعور المبحوثات بالعزلة والاكئاب

شعور المبحوثات بالعزلة والاكئاب	العدد	%
دائما	٢٢	٢٨%

احيانا	١٥	%١٩
كلا	٤٣	%٥٣
المجموع	٨٠	%١٠٠

يتضح من الجدول أعلاه ان نسبة المبحوثات التي يعانين من الاكتئاب نتيجة الطلاق بلغت (٢٨%) من حجم العينة للمبحوثات وبالتالي فان التأثير الذي تركته عملية الانفصال لها آثار سلبية على المبحوثات وخاصة في المجتمع العربي الاسلامي ولمجتمع التقليدي ينظر للمرأة المطلقة بطريقة يعتبرها وصمة وليس عن انسان خاض تجربة حياتية لم يستطيع النجاح فيها فنظرة المجتمع لها دور كبير في خلق هذا الموضوع وحتى داخل الاسرة فضلا اذا كان عند المبحوثات أطفال.

في الفئة الثانية تشكل (١٩%) من حجم العينة ان الموضوع احيانا يكون الموضوع يشكل حالة اكتئاب للمبحوث وهذا يمكن ان يندمج مع الفئة الاولى، والفئة الثالثة (٥٣%) التي لا يمثل الطلاق بالنسبة للمبحوثات الى الاكتئاب والتي يمثل بعض ذلك رغبة الزوجة بالطلاق او رغبة الزوجين بالطلاق عند وصول الامر الى طريق مسدود والتي يمكن ان تكون المرأة هنا ذات استقلال اقتصادي او ان الزوجة لم يكن لها اولاد يمثل البعض عبئا على المبحوثات او وصول لعدم توافق فكري او عقلي بين الزوجين انتهى حل الموضوع بالانفصال.

٢٠. هل تشعرين ان أهلك واقاربك اختلفت نظرتهم لك بعد طلاقك؟

الجدول (٢٧) يوضح اختلاف نظرة الأهل الى المبحوثة بعد الطلاق

اختلاف نظرة الأهل الى المطلقة	العدد	%
-------------------------------	-------	---

نعم	٩	%١١
احياناً	٤	%٥
كلا	٦٧	%٨٤
المجموع	٨٠	%١٠٠

يتضح من الجدول ان المبحوثات التي تغيرت نظرة الأهل لهن هي (١١%) من حجم العينة للمبحوثات وهي ان المرأة المطلقة و احياناً ينظر للمرأة المطلقة بصورة مغايرة وبنسبة (٥%) من حجم العينة في حين ان (٨٤%) لم تتغير وجهة النظر عن المرأة سواء من الأهل أو الاقارب التي يمكن ان تعتبر المرأة قد مرت بظروف او اخفاق في فرصة نتيجة مشاكل اجتماعية واقتصادية قد مرت فيها الاسرة.

٢١. هل ستوافقين على العودة الى زوجك اذا ما جاء ليعيدك اليه؟

الجدول (٢٨) يوضح موقف المبحوثة من العودة الى زوجها (طليقتها)

موقف المبحوثة من العودة الى طليقتها	العدد	%
نعم	٣١	%٣٩
كلا	٤٩	%٦١
المجموع	٨٠	%١٠٠

في الجدول اعلاه ان مناسبته (٣٩%) من حجم العينة يرغبن في العودة الى طليقتها عند توفر الشروط التي تتيح لهم حياة كريمة من توفر منزل او استاجر بيت للمبحوثات او نوع من الاستقلال عن الأهل او تدخل الاقارب عند المبحوث وهم بذلك تكون بعيدة عن الوصمة الاجتماعية بعد ان كون المجتمع نظرة سلبية وهناك ظروف اجتماعية تعجل برجوع المرأة منها اجتماعية واقتصادية ربما تكون الاسر فقيرة غير قادرة على تحمل المسؤولية الاجتماعية وانه اذا كانت المبحوثات لديهن أطفال فمثل المجتمع التقليدي في العراق ان باكان الاب ان يحتفظ بالأطفال كونه الاب واليه ينسبون فضلا عن الفتاة في

حين يرى مناسبة (٦٢%) من حجم العينة ان المبحوثات لا يرغبن بالعودة الى الزوج وذلك يرجع الى ظروف التي رافقت الطلاق من مشاكل اجتماعية وفي الاغلب ان هناك عدم تكافؤ اجتماعي وعقلي بين الزوجين يرجح عدم العودة الى الطليق واحيانا هناك أسباب جرى بسببها اطلاق لا يمكن حلها وهي عدم قدرة الزوج على الانجاب او عدم الانسجام الاجتماعي او عدم قدرة الزوج الاقتصادية او بعض المبحوثات يتطلعن لحياة جديدة بعيدة عن اجواء الزواج السابق.

٢٢. هل لديك رغبة بالزواج مرة اخرى اذا ما تقدم احد لخطبتك؟

الجدول (٢٩) يوضح موقف المبحوثة من الزواج مرة ثانية

موقف المبحوثة من الزواج مرة ثانية	العدد	%
نعم	١٧	٢٢%
متردة	٢١	٢٦%
كلا	٤٢	٥٢%
المجموع	٨٠	١٠٠%

يتضح من الجدول ان نسبة (٢٢%) من المبحوثات يرغبن بالزواج وان نسبة (٢٦%) مترددات واللاتي يمكن ان يرغبن بالزواج مرة ثانية وهي نسبة جيدة اذا ما قورنت بالرفض على اعتبار ان هناك فرصة لحياة جديدة وإعادة بناء اسرة جديدة تستطيع المبحوثات من خلالها ان تكون فاعلة في المجتمع من خلال تحمل المسؤولية كاملة ومسؤولية اقتصادية بان تتجاوز التجارب التي مرت بها المبحوثات خلال الفترة السابقة في حين ان هناك (٥٢%) من مجموع المبحوثات لا يرغبن بالزواج مرة أخرى راجع ذلك الى عدة أسباب منها التجربة التي اثرت على الزوجة لفترة طويلة ومنها ايضا ان بعض المبحوثات لديهن أطفال لاستطعن لزواج واذا تزوجت يقوم الاب بان يكون هو المتولي على الابناء وبالتالي تخاف بعض المبحوثات من ان الأولاد سوف يجعون الى الطليق او ان بعض النساء غير قادرا تعلق الاجاب ربما هو سبب الطلاق الاول وبالتالي ماكن سبب لفشل الزواج الاول سبب لفشل الزواج الثاني.

٢٣. كيف تعيلين نفسك في الوقت الحاضر:

الجدول (٣٠)

العدد	%	اعالة المبحوثات
٥٦	٧٠%	أهلي
٢٢	٢٧%	اعيل نفسي
٢	٣%	راتب اعانة ونفقة زوجية
٨٠	١٠٠%	المجموع

يتضح من الجدول اعلاه ان المبحوثات وبنسبة (٧٠%) من مجموع المبحوثات يعتمد على الأهل بشكل مباشر واغلب المبحوثات لديهن أطفال فانقطاع النفقة يحمل لعوائل الخرى (أهل المبحوثة) مجموعة من المسؤوليات الاقتصادية التربوية والاجتماعية والتي يعيش فيها ابناء المبحوثات وبالتالي يكون عبئ على أهل الزوجة, في حين هناك (٢٧%) من حجم العينة هي تعيل نفسها لان بعض المبحوثات لديهن شهادات واعمال ممكن ان تعيل نفسها وبالتالي يمكن ان تكون مستقل اقتصاديا و (٣%) من حجم العينة ان الزوجة تتلقى راتب النفقة لكنه يعتمد على مرتب الطليق وكفاءته المالية بالتالي ان الاعتماد على الإعالة لا يسد شيء من متطلبات الأولاد ربما بعض الاسر لا تريد الذهاب للمحكمة.

الاستنتاجات:

١. يتضح ان اعداد المبحوثات من العينة والبالغ ٥٤% من حجم العينة من الاعمار (٢٨-١٨) وهي الفئة التي تؤثر للزواج المبكر للمبحوثات في الفئة الأكثر التي تتعرض لمشكلة الطلاق في عينة البحث وهي بذلك تؤثر الى ان الأزواج المبكر احد الأسباب التي تؤدي للطلاق بالنسبة للنساء ويرجع ذلك الى القيم الاجتماعية التي تشجع النساء على ذلك .
٢. يتضح من البحث ان نسبة كبيرة من النساء المطلقات هن ربات بيوت اذا بلغ نسبتهن من العينة (٧٢%) من حجم العينة وهذا يؤدي على اعتماد النساء في حياتهن على الزوج وهو

المسيطر الاساسي في اعالة الاسرة والزوجة وبهذا يكون هو المتحكم في مستقبل الزوج ان نسبة كبيرة من النساء المطلقات ما نسبته (٥٦%) من حجم عينة البحث لا يتجاوز التحصيل الابتدائي وهذا يؤشر على التعليم المتواضع للنساء المبحوثات والتي هن أكثر عرضه للانفصال الطلاق، وان الأزواج بنفس المستوى التعليمي للمبحوثات وهذا ما يؤشر الى ان الزواج بنفس المستوى التعليمي.

٣. ان عمر الزوجات بالنسبة للمبحوثات هي زيجات قصيرة المدى وبنسبة ٦٠% من المبحوثات لا يتجاوز العشرة سنوات وهي مؤشر مهم ان الاسر الحديثة الزواج الأكثر عرضة للانفصال وترضها للمشاكل الاجتماعية

٤. كلما قل عدد الأطفال لدى الزوجة او الزوج زاد من فرص الانفصال بالنسبة تتراوح ٥٠% من حجم العينة وهي تؤدي الى النظرة الى المؤسسة الزوجية او ان الزوج كلما زاد عدد الافراد الاسرة زادت الاواصر الاسرية او ان الاقدام على الطلاق قد يكلف الزوج نفقة الأولاد والزوجة معا وهذا ما يؤكد ان نسبة الابناء بصحبة الام من النساء المطلقات وصلت الى ٧٠% من حجم العينة، و ٦٠% من الزوجات اللاتي انفصلن لا توجد لديهن هن وأطفالهن نفقة شهرية وهو ما يجعل المرأة هي المعيل الوحيد للأطفال وتحمل المسؤولية.

٥. يتضح ان العلاقات الاجتماعية والعاطفية والمعرفة المسبقة بين الزوجين او صلة القرابة لها دور كبير في استمرار الزواج وان نسبة ٦٣% لا توجد بينهم صلة قرابة و ٨٠% من النساء المطلقات لا تربطهن بأزواجهن علاقة عاطفية قبل الزواج ولم تكن هناك تفاهم او انسجام عاطفي وذهنى بين الزوجين وبالتالي يكون نسبة كبيرة من النساء أكثر عرضة للطلاق بسبب عدم الانسجام والمعرفة المسبقة وحتى بعد الزواج تعاني اغلب المبحوثات الى عدم الانسجام العاطفي.

٦. ان اغلب المبحوثات كان يقمن مع ازواجهن مع أهل المبحوث ما نسبته ٥٥% من حجم العينة والسكن مع الأهل هو الكثر عرضة للأزواج بالإقدام على الطلاق وهذا يحدث في الاسر الممتدة وربما تعيش في البيت أكثر من عائلة واحدة وهي معرضة للتدخل من قبل الأهل والإخوان والاخوات في حياة الزوج او الزوجة واحيانا حتى في تربية الاطفال ومستقبلهم وان المشاكل تحدث مع ام الزوج (العمة) وهي من لها الدور البارز في التأثير على قرارات

الزوج وحياتهم وهو بذلك من لم يتدخل الى جانب الزوجة وهي شريكة حياته مما يتضح من البيانات ان الزوج وبنسبة ٣٥٪ لا يتدخل اذا حدثت مشكلة مع الزوجة في بيت الأهل مع الم او الاخوات والاخوان .

٧. ان اتخاذ قرار الطلاق وبنسبة كبيرة يكون من الزوج وهو صاحب القرار بذلك حول استمراريته من عدمه وهذه نتيجة مهمة بالنسبة للمجتمعات الذكورية التي تعطي للزوج دور كبير في ادارة الاسرة واتخاذ القرار احادي وبنسبة اقل يكون الاتفاق بين الزوجين علي الطلاق لوصول لطريق مسدود نتيجة مشكلات اجتماعية وتدخل الأهل والآخرين من الاقارب في حياة الزوجين، وان قرار الزوجات المطلقات بنسبة كبيرة منهن بلغت نسبة ٦٠٪ من حجم العينة بأنهن لا يشعرن بالاكنتاب وربما هنا قرار الطلاق هو للتخلص من الاكنتاب نتيجة جملة من الأسباب اهمها المشاكل وربما هذا الموضوع يرتبط ان الأهل لا تتغير نظرتهم نحو ابنتهم المطلقة وهذا لم يكن قرار الطلاق يودي الى الاكنتاب.

٨. ان اغلب المبحوثات لا يرغبن بالعودة الى أزواجهن مرة اخرى اذا سنحت الفرصة لذلك وهي بنسبة ٦٠٪ من حجم العينة والذي يؤكد ان المشاكل عميقة وان التجربة كانت مريرة وتفتقد للخبرات الحيات وان اغلبهن لا يرغبن بالزواج بالوقت الحاضر لمرّة ثانية وذلك ربما لوجود أطفال وان اغلب الزيجات الجديدة ونظرة المجتمع الى المرأة انها امرأة خاضت تجربة ولا يمكنها الاندماج لزيجة جديدة

٩. لا توجد مساهمة اساسية من قبل الأهل والاقارب بتقريب وجهات النظر واحتضان الشباب الذين ليس لديهم تجربة حياتية في الحياة المعقدة والتغيرات الاجتماعية الاساية في المجتمع وانتشار الفردانية في المجتمع يصعب علي افراد من الشباب والشبات بالاختيار.

التوصيات :

١. الاهتمام بالتعليم والحث على تعليم الفتيات والفتيان وكذلك لرفع المستوى التعليم وتجنب فشل شريحة كبيرة منهم.

٢. حث وزارة العمل والشؤون الاجتماعية واقسام رعاية المرأة العراقية في مختلف الجوانب التربوية او الاقتصادية من خلال تحديد مرتب اعانة او تأهيلها اقتصاديا لممارسة العمل او الانخراط في اعمال منتجة.
٣. العمل على سن قوانين تمنع الزواج بالقاصرات والذي يتم خارج المحكمة احيانا كثيرة ليمنع عملية استغلال الجوانب الاقتصادية والاجتماعية.
٤. رعاية الشباب من خلال تنسيق الجهود التي تقوم بها وزارة الشباب والرياضة بدمج اكبر قدر ممكن من الشباب في فعاليات قادرة علي تنمية قدراتهم الذاتية وانخراطهم في اعمال اجتماعية يمكن ان يتحملوا مسؤولية أعمالهم.
٥. العمل على حل مشكلة السكن بالنسبة لقطاعات مختلفة وخاصة المتزوجين وكذلك تقديم الدعم لهم وتشجيع الاستقلالية للزوجين للحفاظ على اللبنة الاساسية في المجتمع وهي الاسرة.

الهوامش:

- (١) عبد الله ابراهيم ، البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، ط٢، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠١٢، ص١٤٣
- (٢) ابراهيم مدكور، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥، ص٣٧١
- (٣) احسان محمد الحسن ، موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٩٩، ص٣٩٠.
- (٤) غزوة فيصل كاظم ، أسباب الطلاق والمشكلات التي تعاني منها المطلقات في محافظة بغداد، مجلة دراسات اجتماعية ، بيت الحكمة، بغداد، العدد، ٣٩ كانون الاول، ٢٠١٧، ص١٣٤

- (٥) انوار مجيد هادي، أسباب الطلاق العاطفي لدى بعض الاسر العراقية وفق بعض المتغيرات ، مجلة الأستاذ، جامعة بغداد ، كلية التربية الإنسانية ، العدد، ٢٠١، ٢٠١٢، ص ٤٣٥
- (٦) عديلة حسن طاهر ، القلق والاكتئاب لدى عينة من المطلقات وغير المطلقات في مدينة مكة المكرمة، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية جامعة ام القرى، قسم علم النفس ، الرياض، ٢٠٠١، ص، ب-ص ١٠
- (7)"Pretesting a questionnaire at the Solo Center on the impact of divorce on children and parents" (1975,p2,14,18 .(Shirley Anne Paetzhold,
- (٨) جاكين اسماعيل ووشيرين ، اسماعيل ،الجنرد والدولة في العراق ،(ضمن كتاب الجنرد والدولة في الشرق الاوسط) دار النهار ،بيروت، ٢٠٠٣، ص ٢٢٦
- (٩) غزوة فيصل كاظم، أسباب الطلاق والمشكلات التي تعاني منها المطلقات في محافظة بغداد ، مجلة دراسات اجتماعية ، بيت الحكمة، العدد ٣٩، كانون الاول، ٢٠١٧، بغداد، ص ١٣٨
- (١٠) جيل لييوفيتسكي، المرأة الثالثة، ترجمة ديما مندور، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، ٢٠١٢، ص ٢٣٨.
- (١١) معن خليل عمر ، مناهج البحث الاجتماعي ، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٤، ص ١٤٠
- (١٢) عبد الله ابراهيم ، المسالة السكانية وقضية تنظيم الاسرة في البلدان العربية، المركز الثقافي العربي، ط٢، بيروت ، ٢٠١٢، ص ٤
- (١٣) عبد الغني عماد، علم الاجتماع والبحث العلمي، دار الطليعة ،بيروت، ٢٠١٦، ص ٧٤-٧٥.
- (١) عادل محمد العدل-مناهج البحث في العلوم الإنسانية، دار الشروق، عمان، ٢٠١٤، ص ٢٥٥
- (١٥) شتنير كافل، اجراء المقابلات، ترجمة. عبد اللطيف محمد خليفة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٢، ص ٤٠.

قائمة المصادر:

أولاً: المصادر باللغة العربية:

- ١- إبراهيم مذكور، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥.
- ٢- احسان محمد الحسن ،موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٩٩.
- ٣- انوار مجيد هادي، أسباب الطلاق العاطفي لدى بعض الاسر العراقية وفق بعض المتغيرات ، مجلة الاستاذ، جامعة بغداد ،كلية التربية الانسانية ،العدد، ٢٠١، ٢٠١٢.

- ٤- جاكين اسماعيل ووشيرين ، اسماعيل ، الجندر والدولة في العراق ،(ضمن كتاب الجندر والدولة في الشرق الاوسط) دار النهار ،بيروت، ٢٠٠٣ .
 - ٥- جيل لييوفيتسكي، المرأة الثالثة، ترجمة ديما مندور، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٢.
 - ٦- شنتير كافل، إجراء المقابلات، ترجمة. عبد اللطيف محمد خليفة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٢.
 - ٧- عادل محمد العدل-مناهج البحث في العلوم الانسانية، دار الشروق، عمان، ٢٠١٤.
 - ٨- عبد الغني عماد، علم الاجتماع والبحث العلمي، دار الطليعة ، بيروت، ٢٠١٦.
 - ٩- عبد الله ابراهيم ، البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، ط٢، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠١٢.
 - ١٠- عبد الله ابراهيم ، المسألة السكانية وقضية تنظيم الاسرة في البلدان العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠١٢.
 - ١١- عديلة حسن طاهر ، القلق والاكتئاب لدى عينة من المطلقات وغير المطلقات في مدينة مكة المكرمة، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية جامعة ام القرى، قسم علم النفس ، الرياض ، ٢٠٠١، ص، ب.
 - ١٢- غزوة فيصل كاظم ، أسباب الطلاق والمشكلات التي تعاني منها المطلقات في محافظة بغداد، مجلة دراسات اجتماعية ، بيت الحكمة ،بغداد، العدد، ٣٩، كانون الاول، ٢٠١٧.
 - ١٣- غزوة فيصل كاظم، أسباب الطلاق والمشكلات التي تعاني منها المطلقات في محافظة بغداد، مجلة دراسات اجتماعية، بيت الحكمة، العدد، ٣٩، كانون الاول، ٢٠١٧، بغداد.
 - ١٤- معن خليل عمر ، مناهج البحث الاجتماعي ، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٤.
- ثانيا: المصادر باللغة الإنكليزية:

15- "Pretesting a questionnaire at the Solo Center on the impact of divorce on children and parents" (1975,p2,14,18). Shirley Anne Paetzhold,

جرائم ذوي الياقات البيضاء في العراق

((جرائم السياسيين الإداريين انموذجًا))

أ.م.د. وعد ابراهيم خليل

كلية الآداب / جامعة الموصل

waad.ibrahim.k@uomosul.edu.iq

Abstract:

The study investigates the nature of white – collar crimes in Iraq committed by Iraq corrupt politicians and government officials. The study show that this kind of crimes is wide spread in Iraqi government institutions as indicated by Iraqi integrity committee annually reports. Such crimes include: bribery, the misuse of power, and public money robbery. These crimes had a negative impact on Iraqi community, well shown in the spread of poverty and unemployment, lack of good public services and security, and loss of country fortune which reaches billions of dollars.

ملخص :

هدفت الدراسة التعرف على طبيعة جرائم ذوي الياقات البيضاء في العراق وهم (السياسيون الإداريون) في أجهزة الدولة ووزاراتها ممن قاموا بجرائم فساد واستغلال السلطة ، وقد اظهرت الدراسة شيوع هذه الجرائم وانتشارها في مختلف مؤسسات الدولة بحسب التقارير السنوية لهيئة النزاهة العراقية التي تم الاعتماد عليها في الدراسة ، وكان من ابرز الجرائم التي قام بها السياسيون الإداريون (الرشوة ، استغلال النفوذ ، سرقة المال العام) ، وانعكست هذه الجرائم سلبيا على المجتمع العراقي من خلال انتشار الفقر والبطالة وسوء الخدمات وانعدام الامن وضياع ثروات البلد التي تقدر بمئات المليارات من الدولارات .

مقدمة

يرتبط مفهوم الجريمة في كثير من الاحيان بالفقر والحرمان وذلك لانتشار هذا النمط في اغلب المجتمعات كونه نتيجة طبيعية للحاجات الغير مشبعة لدى القائم بالفعل الاجرامي ، وقد سلطت الدراسات الاجتماعية والقانونية الضوء على هذا التصور حتى شاع وبرز على التصورات والحقائق الاخرى المرتبطة بالجريمة ، لكن الواقع يشير الى ان ارتباط الجريمة بالأغنياء واصحاب السلطة لا يقل باي شكل من الاشكال عن ارتباطها بالفقراء والمحرومين لابل انه يفوق من ناحية الاثر ما تتركه جرائم الفقراء على المجتمع ، وافضل برهان على ذلك ما يعيشه المجتمع العراقي من شيوع للجريمة والفساد بعد التغيير الهائل الذي وقع في ٢٠٠٣ وما تلاها الى يومنا هذا ، فلو تتبعنا الاثار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية التي ظهرت نتيجة لما قام به السياسيون والمسئولون وكبار موظفي الدولة من (جرائم) ظاهرة ومستترة نقلت المجتمع العراقي من مقدمة اغنى دول العالم في النفط والموارد الاخرى الى اتعس دول العالم في الفقر والحرمان وتربع المجتمع العراقي على المراكز الاولى في (الفساد والعنف والخراب) حتى اضحى ثلث سكانه تحت خط الفقر مع شيوع البطالة والجهل والجريمة بنسب مخيفة ، وهنا استعرنا مفهوم (جرائم ذوي الياقات البيضاء) لنشير الى انواع الجرائم التي يرتكبها البعض من سياسيو المجتمع العراقي تحت عباءة السلطة والمركز والنفوذ مستغلين نظام المحاصصة الذي جاء به الاحتلال الامريكي للعراق بعد ٢٠٠٣ ليتفاسموا فيما بينهم مراكز القرار والسلطة والادارة ويحصدوا ثمارها التي لا تنضب على حساب الملايين من اللاهثين وراء لقمة العيش والكفاف مستندين على ماتوفر لدينا من احصاءات رسمية نشرتها الاجهزة التي شكلت لمحاربة الفساد والجريمة مثل (هيئة النزاهة) التي لا يتناسب دورها مع حجم الدمار والخراب الاقتصادي الذي قام به هؤلاء المستغلين للسلطة والذي حول العراق الى بلد يستدين ويستجدي المعونة بعد ان كان يعطي الدعم المادي والاقتصادي لكل من هب ودب من دول العالم المحتاجة وغير المحتاجة اقتصاديا.

مشكلة الدراسة:

يعيش المجتمع العراقي منذ سنوات في ازمات متلاحقة نجمت عن سوء الادارة الحكومية للموارد الهائلة التي يمتلكها البلد وشيوع الفساد معظم مؤسساته حتى بات يحتل المراتب الاولى عالميا في تقرير المنظمة العالمية لمكافحة الفساد ولعدة سنوات على التوالي ، ويرجع السبب في جزء كبير منه الى سوء ادارة مؤسسات الدولة الناجم عن تقاسم السلطة على اساس المحاصصة السياسية التي جلبت الى الادارات العليا شخصيات لاتصلح لها ، وجلبت معها اتباعها من المنتفعين والمستغلين الذين وصلوا بالوزارات والمؤسسات الحكومية الى اسوأ حالاتها متخفين وراء مدرائهم ووزرائهم

واحزابهم التي تحميهم ، والمشكلة كانت في ان كل الاحزاب والقيادات السياسية والادارية تدعي الاصلاح ومحاربة الفساد والجريمة ، وهنا تتمحور مشكلة الدراسة حول التساؤلات الاتية :

هل هناك جرائم ذوي الياقات البيضاء في العراق ؟ وماهي جرائم ذوي الياقات البيضاء في المجتمع العراقي ؟ ومن هم اصحابها ؟

اهمية الدراسة واهدافها :

تتبع اهمية الدراسة من تناولها لموضوع خطير الا وهو (جرائم الطبقة السياسية من الذين يحتلون مواقع ادارية عليا في المجتمع) ، وهذا الموضوع يبتعد عن تناوله الباحثون لحساسية موضوعه وارتباطه بالقيادات السياسية والادارية للبلد وما يترتب على ذلك من مشاكل يكون الباحث في غنى عنها ، كما ان اهميته ترتبط بخطورة هذه الجرائم وتأثيرها المباشر على المجتمع كون تأثير يكون اكبر بكثير من جرائم الناس العاديين التي قد تؤثر على شخص او عائلة او مجموعة افراد ، فضلا عن ندرة الدراسات التي تناولت (جرائم ذوي الياقات البيضاء) في العراق خصوصاً والوطن العربي عموماً .

وتهدف الدراسة الحالية الى :

١- التعرف على طبيعة جرائم ذوي الياقات البيضاء في العراق

٢- ما مدى انتشار هذه الجرائم

٣- ماهي ابرز انواع هذه الجرائم

٤- التعرف على الاثار الناجمة عنها

١

جراءات الدراسة :-

اولا : تحديد المفاهيم

(أ)- الجريمة:

الجريمة لغوياً تعني بانها (الجرم، التعدي والجرم): الذنب والجمع اجرام وجروم وهو الجريمة ويقال جرم فلان أي اذنب واخطأ^(١) وتستخدم كلمة جريمة (Crime) في اللغة الانكليزية لتدل على العمل الاثم والمذنب ، أو التميز والشذوذ عن السلوك العادي ، فالمجرم هو من شذ عن السلوك العادي^(٢)، وفي القانون العراقي تعرف على انها: ارتكاب فعل جرمه القانون او الامتناع عن فعل امر به القانون^(٣).

(ب)- (جرائم ذوي الياقات البيضاء) :

مصطلح الياقات البيضاء يشير في التبسيط الشديد الى اللون الابيض لياقة القميص عند رجال الاعمال تمييزاً لها من البدلة الزرقاء عند العمال ، وهو مصطلح يراد منه ان الجرائم لا ترتكب فقط من بعض الفقراء ومنهم العمال ذوو البدلة الزرقاء وانما ترتكب من بعض الاغنياء ومنهم رجال الاعمال ذوو الياقة البيضاء . وقد اثار مصطلح (جرائم ذوي الياقات البيضاء) اهتمام الباحثين اذ ركز البعض منهم على تقليص نطاق تلك الجرائم وتحديدتها بفئة رجال الاعمال بينما وسع اخرين المفهوم ليشمل اصحاب النفوذ والسلطة^(٤) .

(اصحاب الياقات البيضاء) مصطلح استخدم للمرة الاولى من قبل (سلون Sloan) مدير مؤسسة جنرال موتورز General Motors في كتابه (السيرة الذاتية، او قصة حياة العامل صاحب الياقة البيضاء an autobiography of a white collar worker للدلالة على الموظفين الاداريين وهو يقابل مصطلح (ذوي الياقات الزرقاء) للدلالة على العمال اليدويين^(٥)).

يرجع الفضل الى العالم الامريكي ادوين سذرلاند في استخدام مصطلح (جرائم ذوي الياقات البيضاء White – Collare Criminality) ، فقد ذكره اول مرة في عام ١٩٤٠ في بحث تبعه بمقالات عديدة ثم اصدر عام ١٩٤٩ كتاباً يحمل نفس العنوان ولفت فيه الانظار الى اجرام هذه الفئة^(٦) ، وقد بدأ استخدام هذا المفهوم منذ اكثر من نصف قرن لوصف الانشطة الاجرامية التي تقوم بها الشرائح والقطاعات الاكثر رخاءاً في المجتمع مثل التهرب من الضرائب وتزوير الوثائق وممارسات البيع غير القانونية والتلاعب بخدمات الائتمان المالية والعقارات والابتزاز وصنع المنتجات الخطرة وبيعها والرشوة والاختلاس ، ولا شك ان من الصعب قياس هذا النوع من الجرائم او حصرها بمعايير كمية او نوعية لانها لاتظهر في العادة في اية سجلات رسمية وغير رسمية ، غير انه يمكن تقسيمها الى فئتين عريضتين : فهناك الانشطة التي يقوم بها المديرون والمسؤولون والمهنيون الذين يشغلون مواقع متوسطة في المؤسسات العامة والخاصة وهناك الانشطة الاجرامية التي يمارسها ذوو

السلطة والنفوذ الاجتماعي الذين يستخدمون ما يتمتعون به من نفوذ بحكم موقعهم ومسؤولياتهم لأغراض شخصية أو مصلحة أو جهوية عن طريق جمع الثروة أو تقديم الرشاوى أو تحبيذ سياسة معينة أو الترويج والعمل لحساب مشروع اقتصادي ما (٧).

وفيما يتعلق بتعريف مفهوم (جرائم ذوي الياقات البيضاء) فهناك تعريفان لها ، الأول اجتماعي ينادي به العالم (ادون سذرلاند) الذي يعرفها بانها:- جرائم تحدث من فرد يتمتع بقدر ظاهر من الاحترام والسمعة ، وذي منزلة اجتماعية راقية اثناء قيامه بنشاطه المهني . والتعريف الثاني قانوني للعالم (هربرت ادلهيرتز) الذي عرفها بانها:- تصرفات غير قانونية او سلسلة من التصرفات غير القانونية، تقترب بوسائل غير مادية ، بالخفاء او بالخداع ، للحصول على مال او ملكية ، او لتجنب الوفاء بمال ، او خسارة مال او ملكية ، او لادارة عمل ، او للحصول على منفعة شخصية . (٨)

وعرفها عبود السراج بانها :- مخالفات لنصوص جزائية ، ذات طابع اقتصادي او مالي او تجاري او مهني ، يرتكبها اشخاص ذوو مكانة اجتماعية ، في معرض ممارستهم لنشاطهم المهني (٩).

اما (هارتنج) فعرفها تعريفا ضيقا بانها :- جريمة خاصة ، مخالفة للقانون الذي ينظم العمل ، ترتكب لصالح شركة بواسطة الشركة او بواسطة وكلائها في نطاق ممارسة الشركة لاعمالها (١٠).

وهناك ايضا من فضل تسميتها بـ(الجرائم الخاصة) استنادا الى مقالة (سذرلاند) تحت هذا العنوان والمنشور في المجلة الامريكية لعلم الاجتماع عام ١٩٤٠ ، والمقصود بها جرائم مديرو العمل لصالحهم او لصالح مؤسساتهم التي يديرونها والتي من الممكن ان نطلق عليها جرائم المديرين او جرائم الشركات الاقتصادية *corporate crime* وهو يقترب اكثر الى المفهوم الاقتصادي لجرائم ذوي الياقات البيضاء (١١).

وفي بحثنا هذا نعرف (جرائم ذوي الياقات البيضاء) على انها :- الجرائم التي ارتكبها اصحاب المناصب الادارية العليا من السياسيين المنتمين الى الاحزاب المشاركة في السلطة

والمعاونين معهم للحصول على ثروات غير مشروعة وتحقيق مصالحهم الشخصية والحزبية والفئوية .

ثانيا : نماذج من دراسات سابقة :

على الرغم من اهمية دراسة (جرائم ذوي الياقات البيضاء) الى انها لم تاخذ كفايتها من الدراسة العلمية (لاسيما في الوقت الراهن) ، فقد سارت الدراسات العلمية للجريمة في مسارات مختلفة .
المسار الاول ركز على مسببات الجريمة والعوامل المؤثرة فيها اذ ركز البعض على العوامل البيولوجية ودورها في الدفع للجريمة وتناول اخرين على العوامل النفسية وانعكاسها على الجريمة وركز ثالث على العوامل الاقتصادية ، وتناول رابع دور الجوانب القانونية والتشريعية ، واهتم خامس بدور العوامل الاجتماعية بكل تفرعاتها واثرها في الدفع للجريمة .

اما المسار الثاني ركز على القائم بالفعل الاجرامي واهمية دراسته من كافة الجوانب لمعرفة الاسباب التي اوقعته في الجريمة ، وركز المسار الثالث على دراسة النتائج المترتبة عن الجريمة وانعكاساتها السلبية على الفرد والمجتمع ، اما المسار الرابع فقد ركز على كيفية معالجة الجريمة ومحاربتها والحد من انتشارها ، وقد دخلت دراسة جرائم ذوي الياقات البيضاء في بعض هذه المسارات وتشتت بينها ولم تبرز بشكل كبير رغم اهميتها وخطورتها على المجتمعات .

وسوف نتطرق هنا لنماذج من الدراسات التي تناولت موضوع (جرائم ذوي الياقات البيضاء) والتي تستند في اساسها الى دراسة العالم الامريكي (ادوين سذرلاند) التي لن نتطرق اليها تجنباً لتكرار المعلومات ونظراً لكون هذه الدراسات تفسر وتحلل مفهومه للجرائم من زوايا مختلفة ، والدراسات هي :

١ - دراسة هادي صالح العيساوي (تفسير سذرلاند لجرائم ذوي الياقات البيضاء مع عامل مفسر جديد لتلك الجرائم)

يستعرض الباحث بشكل تاريخي بداية ظهور مصطلح جرائم ذوي الياقات البيضاء على يد العالم الامريكي ادوين سذرلاند من خلال القائه لبحث يحمل نفس العنوان White-collare Criminality في مؤتمر للجمعية الامريكية لعلم الاجتماع عام ١٩٣٩ ثم تبعه بمقال اخر بعنوان جرائم الاعمال Criminal Business ثم مقال اخر بعنوان Is White Collare Crime Crime? واخيرا ظهر له عام ١٩٤٩ كتاب (جرائم الياقات البيضاء) الذي استمد مادته من مقالاته السابقة ، وقدم فيه تعريفا

لهذه الجرائم مؤكدا فيه على الجرائم التي ترتكب من قبل افراد من الطبقة العليا في المجتمع الامريكي مستترة وراء مركزها الاجتماعي المرموق وكان اكثر افرادها من اقطاب الصناعة وكبار رجال الاعمال . وقد توصل (سذرلاند) الى ذلك المفهوم من خلال دراسة تتبعية للاحكام الصادرة من المحاكم الفدرالية والمحلية الامريكية خلال (٢٥) عاماً مبينا ان هناك نحو (٩٨٠) حكماً صدر بحق (٧٠) شركة راسمالية اي بمتوسط قدره (١٤) حكم لكل شركة ، وكان من ابرز جرائمها :-

- أ- مخالفة قوانين الملكية الفنية والصناعية والتجارية
- ب- اهدار حقوق العمل التي كفلها القانون القومي للعلاقات العمالية
- ت- التلاعب في مزاوله العمليات المالية
- ث- تقييد حرية التجارة .

وتوصل سذرلاند الى ان عاملي الثروة والمكانة اللتان يتمتع بهما ابناء الطبقة العليا في المجتمع هما عاملين مساعدين لدى الكثيرين من افراد تلك الطبقات لارتكاب جرائم الياقة البيضاء من خلال استخدام الثروة والمكانة خطوطاً دفاعية يحتمون وراءها من طائلة القانون . وقدم شرحاً لتفسير سذرلاند لهذه الجرائم حسب مفهوم الاختلاط التفاضلي الذي يرى ان الجريمة تكتسب بالتعلم والاختلاط مع الاشخاص الذين ينتهكون القانون وغيرها من العوامل التي ذكرها في نظريته الشهيرة ، اما العامل المفسر الجديد لجرائم الياقة البيضاء حسبما يرى الباحث فيمكن فيما اسماه بعامل (الاستغلال المتصل) ، فهو يعتقد بان جذور النظام الصناعي قامت بالاساس على الاستغلال فالمواد الاولية التي تدخل في الصناعات الضخمة لم تكن تسد في حينها حاجة الصناعات فانطلقت اكثر البلدان بالبحث عنها في دول العالم الثالث وظهر نوع من التشابك في المصالح بين بعض رجال الاعمال وبعض السياسيين لدعم احدهما للآخر. فالصناعي يبحث عن المزيد من المواد الخام لصناعته والسياسي بحاجة الى الثروة لانها مصدر قوة اجتماعية وسياسية ، ثم استمر تشابك المصالح الخفي بين فئة من الفريقيين (السياسيين ورجال الاعمال الكبار) في داخل الدول الصناعية نفسها في مراحل لاحقة معبراً عنه بـ صور عديدة احداها جرائم الياقة البيضاء . ويرى الباحث ان عامل (الاستغلال المتصل) هو احد العوامل الخفية الدافعة لرجال الاعمال والسياسيين لارتكاب تلك الافعال الاجرامية^(١٢).

٢- دراسة عبود السراج (جرائم اصحاب الياقات البيضاء) .

يقدم الباحث تصوراته عن مفهوم جرائم الياقة البيضاء بالاستناد الى التعريفات التي قدمها كل من (سذرلاند) و (ادلهرتز) ويقارن بينهما بالشكل الاتي :

أ- الفاعل في تعريف (سذرلاند) لا بد ان يكون شخصاً قابلاً للاحترام ، ومن افراد الطبقة الاجتماعية العليا ، اما اذا كان من غير هذه الطبقة فلا يمكن ان تعد افعاله غير قانونية ومن جرائم الياقات البيضاء ، اما (ادلهرتز) فيهمل الفاعل اهمالاً مطلقاً ، ويوجه كامل اهتمامه للفعل فهو يذكر عدد كبير من المخالفات لقواعد التجارة والمصارف والضرائب ويعتبرها من جرائم الياقات البيضاء ، بصرف النظر عن شخص مرتكبها او طبقة الاجتماعية والاقتصادية .

ب- يرى (سذرلاند) ان الفعل لا يدخل في عداد جرائم اصحاب الياقات البيضاء الا اذا ارتكبه احد افراد الطبقة الاجتماعية والاقتصادية العليا، اثناء ممارسته عمله المهني ، اي ان يكون الفعل مرتبط بعمل الفاعل المهني ارتباطاً تاماً ، اما اذا اقدم الجاني على ارتكاب الفعل بصفته الشخصية ، فلا يعد فعله من جرائم اصحاب الياقات البيضاء . اما (ادلهرتز) فلا يعلق اهمية كبيرة على مهنة الفاعل ، فهو يمكن ان يكون من اي مهنة كانت ، وان يرتكب فعله في معرض ممارسته لمهنته ، او خارجها ، بصفته المهنية او بصفته الشخصية ، وهذا نتيجة طبيعية لتركيز (ادلهرتز) على جوهر الفعل واهماله للفاعل تماماً .

ويرفض الباحث نظرية اصحاب الياقات البيضاء القائمة على الفعل ويؤيد نظرية (سذرلاند) المبنية في جوهرها على شخص الفاعل مع ضرورة التوسع في مفهوم الفاعل . ويؤكد على اهمية وخطورة جرائم اصحاب الياقات البيضاء من ثلاث نواحي هي : (انتشارها – وتكلفتها المادية – وارتباط خطورتها بالتنظير الحضاري) .

واخيرا يذكر الباحث ان بعض علماء الاجرام يخرجون جرائم اصحاب الياقات البيضاء من نطاق نظرية (السلوك الاجرامي) وذلك لاسباب عديدة منها :

- 1- لا يمكن ان نقارن جرائم اصحاب الياقات البيضاء بجرائم السرقة والنصب والتزيف وغيرها من الجرائم الخطرة التي يستحق فاعلها تسمية مجرم بالمعنى الكامل للكلمة .
- 2- ليست المحاكم القضائية هي صاحبة الاختصاص دائماً في محاكمة اصحاب الياقات البيضاء بل غالباً ما يحاكم هؤلاء امام لجان ادارية .
- 3- تقتصر عقوبة بعض جرائم اصحاب الياقات البيضاء على الغرامة ، وحياناً تكفي المحكمة باحد تدابير الاحتراز وحتى في حالة وجود الحبس لا تزيد مدة العقوبة عن سنة .

٤- يعتقد اصحاب الياقات البيضاء بانهم مواطنون محترمون وحتى بعد الحكم عليهم بعقوبة جزائية او دخولهم السجن فهم لا يعتقدون بانهم مجرمون ، لان نشاطاتهم غير المشروعة لا تستحق في نظرهم ان تسمى جرائم بالمعنى المتعارف عليه للكلمة^(١٣).

ثالثا:من هم (ذوي الياقات البيضاء في العراق) :

لقد اثبتت التطورات خلال السنوات الاخيرة تفاقم مسارات الانحراف والفساد وبالذات من جانب الافراد ذوي المكانة الاجتماعية والاقتصادية المتميزة او ما يطلق عليهم جماعة الصفوة او النخبة في المجتمع ، حتى باتت الشكوى واضحة في العديد من المجتمعات النامية ، من غياب الطهارة الثورية وانتشار انماط فاسدة من ممارسات النخبة السياسية والاقتصادية والبيروقراطية ومع ان مثل هذه الممارسات موجودة ايضا في المجتمعات المتقدمة الا ان الخطورة تكمن في ان الانحراف والفساد من جانب النخبة في المجتمعات النامية كاد ان يصبح هو القاعدة^(١٤)، وفي العراق كان للاحتلال الامريكي عام ٢٠٠٣ دورا خطيرا في احداث تغيير شامل في جميع مفاصل الدولة العراقية وتولى الحكم فيه موظف امريكي رفيع اسمه (بول بريمر) ، اصدر مجموعة من القرارات غيرت شكل السلطة في العراق وجلبت معها الولايات لهذا المجتمع الذي لم يعرف الاستقرار منذ دخول المحتل اليه ، ومن بين تلك القرارات كان تشكيل (مجلس الحكم الانتقالي) الذي قام على فكرة تقاسم السلطة بين الاحزاب والمكونات السياسية العراقية وهو عبارة عن نظام للمحاصصة قائم على اساس عرقي وديني انعكس سلبيا على تقاسم المناصب الوزارية والادارية في كافة مفاصل الدولة العراقية . وظهرت بوادر الفساد بظهور هذا المجلس الذي يمثل اعلى سلطة حكمت العراق في تلك الفترة ، اذ يقول (بريمر) مؤسس الفساد في العراق بعد الاحتلال الامريكي :

((كانت القضية الوحيدة التي حلت بسرعة في مجلس الحكم هي تحديد رواتب اعضائه ، فقد توصلت لجنة فرعية الى موازنة فاحشة للمجلس باقتراح ان يتقاضى الاعضاء (50000) دولار في السنة ، وكانت الميزانية المقترحة للخمسة وعشرين عضواً في مجلس الحكم تفوق موازنة وزارة التربية العراقية التي تضم اكثر من (325000) موظف في ذلك الوقت))^(١٥).

وقد ادت التغييرات التي احدثتها سلطة الاحتلال الامريكى ومجلس الحكم العراقي الى تعرض مؤسسات الدولة الى مشاكل واضطرابات عديدة ، جاءت في مقدمة هذه المشاكل حدوث موجات متكررة من التغير السريع وغير المخطط له في المؤسسات الادارية خاصة على الشخصيات القيادية والمدراء العاميين واقصاء معظم الكفاءات والنخب الادارية التي امتلكت خبرات ادارية متراكمة في العمل البيروقراطي وحل ملهم اشخاص غير اكفاء مهنيأ وادارياً استغلوا انتماءاتهم السياسية والطائفية من اجل الوصول الى المناصب الادارية العليا للدولة ولا تتناسب مع مستوى كفاءتهم وخبراتهم المعرفية بصورة تجعلهم غير مؤهلين عمليا لادارة المؤسسات الرسمية ، ومثل هذا البناء المؤسسي الجديد الذي يقوم على معايير الولاء الطائفي والعقبات الشخصية والغير موضوعية يجعل المؤسسات البيروقراطية بعيدة عن معايير الكفاءة في اختيار وتعيين الموظفين على مختلف المستويات الادارية ، ويشجع وصول شخصيات انتهازية وغير نزيهة الى المراكز القيادية المهمة في الدولة ولا تهتم الا بتحقيق مصالحهم الخاصة ، الامر يعكس بجلاء اغتراب تلك القيادات الادارية الجديدة وابتعادهم عن تطوير وتسيير المؤسسات الرسمية بنجاح ، ويسهم في تبنيهم اتجاه نفعي تجاه الوظيفة العامة باعتبارها وسيلة لتحقيق المصالح والطموحات الشخصية بدلا من توظيف هذه الوظيفة لخدمة الصالح العام ، وتصبح بالتالي المؤسسة البيروقراطية محكومة بالبنى العصبية واقتسام الغنائم لصالح فئات محددة (١٦).

كما تعمدت سلطة الاحتلال بتفعيل العشيرة وزجها في السلطة ليس ايمانا بالعشيرة وحفاظا عليها بل لانهم يعرفون ان مبادئ ومفاهيم المؤسسات السياسية تتناقض مع مبادئ ومفاهيم العشيرة ، ولخلق التجزئة الاجتماعية وبلورة التناقض السياسي اضافوا اليها العقيدة الدينية والطائفية فكانت تقسيمات السلطات المؤقتة سواء في مجلس الحكم المعين او السلطة المؤقتة المعينة وفقاً للولاءات الجزئية للعشيرة والطائفة وليس على اسس علمية مبنية على الكفاءة والخبرة فصار الفرد العراقي مقتنعا بعدم وجود قواعد صحيحة لبناء السلطة السياسية واصبح المسؤولون السياسيون اول من ينتهك المعايير السياسية في قراراتهم وان الانحراف عن المعايير المعروفة تصبح قاعدة في العمل السياسي (١٧).

أن اكثر المشمولين بسلوك التجاوز على المال العام هم طبقة السياسيين والمسؤولين الحكوميين الذين يستخدمون نفوذهم من اجل تحقيق مصالح الغير الذين تربطهم بهم علاقات او مصالح مادية وقد يلجأ الكثير منهم الى تسهيل حصول رجال الاعمال في القطاع الخاص على قروض من البنوك الحكومية بفوائد منخفضة وبدون ضمانات كقابل حصول المسؤول على جزء من القروض كرشوة او عمولة (١٨).

ويضرب (هنتجتون) مثال على سياسيي امريكا اللاتينية فيقول : انهم ليسوا موضع ثقة لكي ينتخبهم الناس ، والسبب في انهم افسدوا القطاع العام من خلال ثلاثة اشكال :

- ١- الشكل التقليدي ، وهو ان الرسميين يتلقون عمولات ورشاوى من كل مشروع يتحقق او عن كل خرق للقوانين واللوائح لمصلحة شخص ما .
- ٢- الشكل غير المباشر ، حيث الفساد يفيد شخصا انت متحالف معه وان ظلت يدك نظيفة .
- ٣- شراء العملاء ، وهو الاكثر كلفة ، حيث تستخدم الاموال العامة لشراء جماعات كبيرة من الناخبين .

ويبدو هنا وكأن السياسيين ليسوا موظفين عامين منتخبين لخدمة الجمهور مع الالتزام بالقوانين وانما حكام لهم سلطة مطلقة تقاس مكانتهم بقدرتهم على انتهاك القوانين ، وهذا هو معنى السلطة الحقيقية عندهم - القدرة على العمل فوق القانون - ، ويضيف ان (النخبة) : وهم الجماعات التي تدير القطاعات الرئيسية في المجتمع ، هؤلاء هم المسؤولون اساساً عن اطراد ودوام حالة الفقر^(١٩) . ولو دققنا في كلام (هنتجتون) لوجدناه يتحدث بصورة طبق الاصل عن مايجري في العراق ، فمعظم سياسيو الاحزاب المسيطرون على مؤسسات الدولة ومرافقها يقومون بجميع هذه الاعمال وغيرها ايضاً وهم يحتمون بمراكزهم التي توفر لهم الحصانة ويدعمهم في ذلك احزابهم المنتفذة المسيطرة على السلطة في البلاد ، وهم يشكلون بذلك فئة يمكن ان نطلق عليها (ذوي الياقات البيضاء في العراق) والمقصود بهم (السياسيون الاداريون) الذي يحتلون المراتب الادارية العليا في الوزارات والهيئات الحكومية كالوزراء والمدراء العاميين والمستشاريين ومن بدرجتهم وهم الفئة المقصودة في هذه الدراسة لاسيما من يقوم منهم بجرائم الفساد وماشابهها من جرائم اخرى .

رابعا : حجم جرائم ذوي الياقات البيضاء في العراق وأنواعها :

بعد ان قمنا بتحديد ذوي الياقات البيضاء في العراق من السياسيين الاداريين ، نعرض الان ابرز ما قام به بعضهم ممن ارتكبوا جرائم سلطت عليها الاضواء بشكل رسمي من قبل الدولة ، وسوف نعتمد في دراستنا الحالية على اخر ما نشر من تقارير هيئة النزاهة وهي احد ابرز المؤسسات التي استحدثت لمحاربة الفساد والجريمة في اجهزة الدولة ومؤسساتها ، وفيما يلي ابرز الجداول التي تعرض حجم جرائم ذوي الياقات البيضاء من السياسيين الاداريين وكما يأتي :-

جدول (١) يوضح اوامر الاستقدام الصادرة بأوامر قضائية بحق المتهمين من الوزراء والمدراء العامين ومن بدرجتهم منذ تاسيس هيئة النزاهة (٢٠):-

٢٠١٥	٢٠١٤	٢٠١٣	٢٠١٢	٢٠١١	٢٠١٠	٢٠٠٤- ٢٠٠٩	
٣١٧٣	٤٥٢٣	٦٦٠٣	٦٠٢٩	٧٨٦٤	٤٠٨٢	لا تتوفر احصاءات	عدد اوامر الاستقدام
*١٣	*٣٦	*٣٦	*٢٧	*١٥	*٧		وزير او بدرجته
*٩١	*٣٣٥	*٤١٢	*٢٠٥	*١٥٧	*١٩٠		مدير عام فاعلى او بدرجتها

نلاحظ من الجدول ارتفاع اعداد الوزراء والمدراء العامين سنويا نتيجة توجيه الاتهام لهم بقضايا فساد والبعض منهم ربما يكون قد وجه له اكثر من امر استقدام نتيجة اتهامه لاكثر من مرة مما يشير الى احتمالية قيامهم ببعض هذه الجرائم او جميعها ، كما ان وجود اعداد لوزراء في جداول اوامر الاستقدام سنوياً يشير الى تواجد الفساد والجريمة في وزاراتهم بشكل مستمر ، والمصيبة اكبر في اعداد المدراء العامين ومن بدرجتهم اذ نلاحظ ارتفاع اعدادهم بشكل كبير سنوياً ، فهو يقترب من الـ (١٠٠) في اقل حالاته ويزيد عن الـ (٤٠٠) في اسوأ حالاته وهو مؤشر خطير على انتشار جرائم (ذوي الياقات البيضاء) بين هذه الفئة الادارية العليا على الرغم من الامتيازات الكبيرة التي يتمتع بها هؤلاء .

وفيما يتعلق بأوامر القبض الصادرة بحق المتهمين من ذوي الياقات البيضاء ندرج الجدول الآتي:

جدول (٢) يوضح اعداد اوامر القبض الصادرة بأوامر قضائية بحق المتهمين منذ تأسيس هيئة النزاهة^(٢١)

:

٢٠١	٢٠١	٢٠١	٢٠١	٢٠١	٢٠١	٢٠٠	٢٠٠	٢٠٠	٢٠٠	٢٠٠٥	
٥	٤	٣	٢	١	٠	٩	٨	٧	٦		
٢١٢	١٤٥	٢٠٤	٢٦٦	٣٥١	٤٢٢	٣٧١	٦٣٠	لا تتوافر احصاءات		لا	عدد اوامر القبض
٨	٩	٩	٧	٧	٥	٠				تتوافر احصاءات	وزير او بدرجته
*٩	*٢٤	*١٩	*٩	*١١	*١						مدير عام فاعلى او بدرجتهما
						١٥٢	٦	١٤	١٧٣		
*٤٦	*٩٤	*٩١	*٩٩	*٥١	*٥٦						

نلاحظ من الجدول السابق ارتفاع اعداد الوزراء والمدراء العامين ومن بدرجتهم (ذوي الياقات البيضاء) بشكل تدريجي تقريبا حسب السنوات مما يدل على زيادة تورطهم في قضايا الفساد واصدار اوامر قبض بحقهم بعد ثبوت الادلة التي تدينهم وشركائهم ، فقد تجاوزت اعدادهم العشرات على مدى السنوات (٧٣) وزير او من بدرجته في (٦) سنوات فقط ، واذا ما اخذنا بنظر الاعتبار ان (بعضهم مطلوب باكثر من قضية) فسيكون لنا على اقل تقدير (٢-٣) وزراء او من بدرجتهم فاسدين في كل عام ، وهو رقم خطير على قلته لان فساد الوزير اكثر خطورة وتأثير على اقتصاد البلد من عشرات او مئات المجرمين ، اما اعداد المدراء العامين ومن بدرجتهم من المدانين الذين اصدرت بحقهم اوامر القاء قبض فقد بلغ (٧٨٢) على مدى (١١) عام ، واذا ما اخذنا بنظر الاعتبار ان (بعضهم مطلوب باكثر من قضية فساد) فسيكون لدينا في كل عام عشرات المدراء العامين ومن بدرجتهم من الذين ارتكبوا جرائم فساد مما يؤدي الى هدر وسرقة ملايين الدولارات سنويا وينعكس سلبا على حياة ابناء المجتمع العراقي وما يقدم لهم من خدمات متدنية تزيد من معاناتهم اليومية .

والمشكلة تكمن في فيما بعد اوامر القاء القبض اذ يحال المتهمون الى القضاء وهناك تم تبرئة قسم منهم ، والمدانين اما يشملهم العفو او يهربوا خارج البلد على الرغم من ان القيمة المالية للجرائم التي ارتكبوها تقدر بترليونوات الدنانير سنويا ، وهذا سيسجع الكثير ممن يحملون نوايا الجريمة

والانحراف في داخلهم لاستغلال الفرصة والظروف الحالية للقيام بسلوكيات اجرامية وبالتالي استمرار جرائم ذوي الياقات البيضاء باشكال مختلفة .

جدول (٣) يوضح اعداد المتهمين المشمولين بقانون العفو واقيام الفساد فيها منذ صدور القانون (٢٢) :

السنوات	٢٠٠٨	٢٠٠٠	٢٠١	٢٠١	٢٠١٣	٢٠١٤	المجموع
عدد المشمولين بالعفو	٢٧٧٢	٤٩٨	٩٠٣	٥٨٥	٨٠٤	٢٢٦	٦٤٠٧
قيمة الفساد في الدعاوى	٣٢٩٢٣٧٩٣٨٠	-	-	-	-	١٢٥١٩٤٨٥٧	٣٥٣١٦٧٥١٤٠
	٧٤					٥	٨٢
						ع.د	ع.د

نلاحظ من الجدول السابق ان مجموع القيم المالية لجرائم (المفرج عنهم بالعفو) لثلاث سنوات فقط (٢٠٠٨ سنة صدور قانون العفو و سنة ٢٠١٣ و سنة ٢٠١٤) بلغت (٣٥٣) ترليون دينار عراقي اي ان هذه الاموال ذهبت ادراج الرياح وخرج سارقوها من السجن بموجب قانون العفو وكان شيئاً لم يكن ، فالقانون لا يطبق على جميع الموظفين بشكل عادل وانما يقتصر تطبيقه على من لا يملكون من يزود عنهم ويحميهم ويدافع عنهم من القيادات الادارية العليا او النخب السياسية في الدولة ، الامر الذي يؤدي الى حدوث خلل في تنظيم العمل القانوني وفي تطبيق اللوائح القانونية بشكل صحيح نتيجة عدم استقلالية السلطة القانونية وخضوعها لسيطرة الادارات العليا في الاجهزة التنفيذية اضافة الى الضغوط السياسية والطائفية التي تؤثر على تطبيق القانون بشكل عادل على الجميع (٢٣) ، وبالتالي يكون القانون العوبة بيد المتنفذين الذين يستغلونه بين الحين والآخر لاصدار قرارات العفو بين الحين والآخر وتطبيقه على الموظف الصغير وترك الموظف الكبير او تطبيقه جزئياً على الموظف الكبير ومن ثم العفو عنه .

اما فيما يتعلق بانواع جرائم ذوي الياقات البيضاء في العراق واستنادا الى تقارير هيئة النزاهة يمكن ان نحصر ابرز هذه الجرائم بما يأتي :

((الرشوة – استغلال النفوذ – الاختلاس – تبيض الاموال- الاضرار المتعمد بالمال العام – تجاوز الحدود الوظيفية – التزوير – الاهمال – سرقة اموال الدولة – مخالفة الاوامر والتعليمات))

خامساً: الآثار الاجتماعية والاقتصادية لجرائم ذوي الياقات البيضاء في العراق :

١- انتشار الفقر : من الطبيعي ان ينتشر الفقر في المجتمع العراقي نتيجة للفساد المستشري فيه ، فمعظم دوائر الدولة ومفاصلها تعاني من الفساد الذي اهدر اموالا هائلة كان الفقراء احوج ما يكونوا اليها ، فقد اشارت دراسات عدة الى ان تقشي ظاهرة الفساد الاداري والمالي والمتمثل بالاختلاسات الضخمة التي تأخذ من المال العام وتذهب الى الحسابات الشخصية لبعض المسؤولين الحكوميين وتركز الاموال الضخمة في ايد فئة قليلة من المجتمع حرم الاكثريّة من الناس من الخدمات الضرورية بانواعها واتقل كاهل المواطن العراقي في سبيل الحصول على تلك المستلزمات باسعار باهضة مما اضاف اعباء جديدة على اعباءه وزاد من شريحة الفقراء في البلد^(٢٤).

٢- ضياع ثروات البلد ، اذ تشير التقارير الى ان موازنات العراق منذ عام ٢٠٠٣-٢٠١٤ قد بلغت (٨٥٠) مليار دولار يضاف اليها موازنة ٢٠١٥ وفروقات اسعار النفط في عامي ٢٠١٣ و٢٠١٤ ، اي ان المجموع يتجاوز (ترليون دولار)^(٢٥) ، وهو رقم مخيف لميزانيات ضخمة جدا لم يشهدها المجتمع العراقي سابقا ، وكان من الممكن ان تنقل المجتمع العراقي الى مصاف الدول المتطورة اذا ما استغلت بشكل منظم .

٣- سوء الخدمات المقدمة من قبل اجهزة الدولة ووزاراتها لابناء المجتمع وعلى راسها (الكهرباء) الذي يعد مشكلة العراق الازلية التي اضاعت مليارات الدولارات نتيجة استغلال اصحاب الياقات البيضاء في هذه الوزارة) للاموال المخصصة لهذا القطاع الحيوي في كل الموازنات السابقة وسرقتها وتبديدها دون تقديم هذه الخدمة بشكل يتناسب مع ما صرف عليها .

٤- انتشار جرائم الفساد في مؤسسات الدولة ، لان الموظفين الصغار سيقومون بنفس مايقوم به وزيرهم او المدراء العامون وغيرهم من الموظفين الكبار الذين يستغلون مناصبهم ومواقعهم الادارية ويتحول الموضوع الى ثقافة عامة شائعة بين الكوادر الوظيفية .

٥- ضعف الثقة بالمؤسسات الادارية وقيادتها العليا ، مما ينعكس سلبا على علاقة المواطنين بالمؤسسات وفي طريقة تعاملهم معها لاسيما وان انتشار الفساد في الادارة العليا للمؤسسات الحكومية معناه ضمنا انتشاره في قاعدتها الدنيا التي تكون اكثر احتكاكا مع المواطنين .

سادساً : نتائج الدراسة :

- ١- اظهرت الدراسة وجود وانتشار جرائم ذوي الياقات البيضاء في العراق في مؤسسات الدولة المختلفة نتيجة لبعض السياسات الخاطئة التي تتبعها القيادات السياسية في اختيار الوزراء والمدراء العامين ومن بدرجتهم في كافة الوزارات ، والقائمة على نظام المحاصصة ووضع الرجل غير المناسب في المكان المناسب .
- ٢- ارتفاع حجم جرائم الفساد بكافة اشكالها بين اصحاب ذوي الياقات البيضاء استنادا لما جاء في تقارير هيئة النزاهة في العراق ، اذ نجد في كل عام وجود العشرات منهم تثبت عليهم دعاوى فساد ويحالون الى المحاكم ناهيك عن الجرائم الخفية المماثلة .
- ٣- تنوع جرائم ذوي الياقات البيضاء في العراق ومن ابرزها واكثرها انتشاراً (الرشوة ، واستغلال النفوذ ، وسرقة المال العام)
- ٤- ضعف الاجراءات الحكومية لمكافحة مثل هذه الجرائم نتيجة تحصن (ذوي الياقات البيضاء) وراء الاحزاب والكتل السياسية والمراكز الرسمية التي يحتلونها وما توفره لهم من حصانة وحماية ، على الرغم من مناداة جميع الحكومات المتعاقبة منذ الاحتلال الامريكي ٢٠٠٣ ولحد الان لمحاربة الفساد .
- ٥- استنزاف ثروات البلد وضياع مئات المليارات من الدولارات نتيجة لجرائم ذوي الياقات البيضاء انعكس على المجتمع العراقي بصورة سلبية زادت من مشاكله الاجتماعية وعلى راسها الفقر والبطالة وانعدام الامن والخدمات والهجرة الخارجية والنزوح الداخلي .

التوصيات:

- ١- تشديد الاجراءات الخاصة بمحاربة الفساد بكل اشكاله لاسيما جرائم ذوي الياقات البيضاء وذلك لخطورتها الكبرى على المجتمع العراقي .
- ٢- تفعيل نظام (من اين لك هذا) على جميع المسؤولين الكبار في ادارة الدولة بغض النظر عن مراكزهم التي يحتلونها او انتماءاتهم السياسية .
- ٣- المحاسبة الفعلية للوزراء والمدراء العامين ومن بدرجتهم الذين تثبت ادانتهم بجرائم الفساد ومصادرة جميع الاموال التي حصلوا عليها نتيجة فسادهم .
- ٤- الغاء قوانين العفو العام او استثناء (ذوي الياقات البيضاء) منها .
- ٥- متابعة الاموال المسروقة خارج العراق واستقدام المجرمين الكبار الذين هربوها بالتعاون مع الانترنت الدولي .
- ٦- الاعتماد على الاسس السليمة لاختيار القيادات الادارية في مؤسسات الدولة كافة وعلى راسها التخصص الدقيق والخبرة الطويلة والامانة وعدم الولاء للانتماء الاخرى غير الوطن .

المصادر :

- ١- ابن منظور ، لسان العرب ، لبنان ، دار بيروت للطباعة والنشر ، المجلد الثاني عشر ، ١٩٥٥
- ٢- احمد عبدالعزيز عبدالعزيز، الاختلالات البنيوية في المجتمع العراقي في ظل الاحتلال الامريكي ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الدول العربية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، قسم الدراسات الاجتماعية ، ٢٠١٣
- ٣- احسان محمد الحسن ، موسوعة علم الاجتماع ، بيروت ، الدار العربية للموسوعات ، ١٩٩٩
- ٤- انتوني غدنز ، علم الاجتماع ، ترجمة فائز الصياغ ، بيروت ، المنظمة العربية للترجمة ودار ترجمان ، ط٤ ، ٢٠١٠
- ٥- بول بريمر ، عام قضيته في العراق ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ٢٠٠٦

- ٦- حسن طبرة ، دور الفساد في تعميق مظاهر الفقر في العراق ، مجلة النزاهة والشفافية للبحوث والدراسات ، بغداد ، هيئة النزاهة ، العدد السادس ، ٢٠١٣
- ٧- رباح مجيد الهيتي ، انهيار سلطة الدولة في العراق ، دمشق ، دار العراب ودار نون للنشر والتوزيع ، ٢٠١٠
- ٨- صمويل هنتنجتون و لورانس هاريزون ، الثقافات وقيم التقدم ، ترجمة شوقي جلال ، القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٩
- ٩- عبدالفتاح ابراهيم عبدالنبي ، التناول الاعلامي لجرائم النخبة ، القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٩١
- ١٠- عبود السراج ، جرائم ذوي الياقات البيضاء ، مجلة الحقوق ، جامعة الكويت ، مجلس النشر العلمي ، السنة الاولى ، العدد الثاني ، ١٩٧٧
- ١١- غوردون مارشال ، موسوعة علم الاجتماع ، ترجمة محمد الجوهري واخرون ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٧
- ١٢- قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ وتعديلاته ، بغداد ، مطبعة الزمان ، ط٥ ، ١٩٩٧
- ١٣- محمود ابو زيد ، المعجم في علم الاجرام والاجتماع القانوني والعقاب ، القاهرة ، دار غريب للطباعة والنشر ، ٢٠٠٣
- ١٤- ندوة جرائم ذوي الياقات البيضاء ، مجموعة من الباحثين ، مجلة الحقوق ، جامعة الكويت ، مجلس النشر العلمي ، المجلد ٢٣ ، العدد ٣ ، ١٩٩٩
- ١٥- نور شدهان وعبدالكاظم داخل ، الفساد واثره على الاقتصاد العام ، بحث منشور على موقع هيئة النزاهة www.nazaha.iq
- ١٦- هادي صالح العيساوي ، اضافات نظرية في علم الاجتماع ، بغداد ، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع ، ط٢ ، ٢٠١٠
- ١٧- هيئة النزاهة ، التقرير السنوي لعامي ٢٠١٤-٢٠١٥ ، منشورة على موقع هيئة النزاهة www.nazaha.iq
- ١٨- وسام الكبيسي ، ضياع ترليون دولار.. اين ذهبت اموال العراق ، صحيفة العربي الجديد ، قطر ، بتاريخ ٢٠١٦/٢/٨ ، على الموقع www.alaraby.co.uk

- (١) ابن منظور، لسان العرب، لبنان: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٥، المجلد الثاني عشر، ص ٩١.
- (٢) احسان محمد الحسن ، موسوعة علم الاجتماع ، بيروت ، الدار العربية للموسوعات ، ١٩٩٩، ص ٢٣٠.
- (٣) قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ وتعديلاته ، بغداد ، مطبعة الزمان ، الطبعة الخامسة ١٩٩٧، ص ١٤.
- (٤) هادي صالح العيساوي ، اضافات نظرية في علم الاجتماع ، بغداد ، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ٢٠١٠، ص ١١٨
- (٥) عبود السراج ، جرائم ذوي الياقات البيضاء ، مجلة الحقوق ، جامعة الكويت ، مجلس النشر العلمي ، السنة الاولى ، العدد الثاني، ١٩٧٧ ، ص ٨٩
- (٦) محمود ابو زيد ، المعجم في علم الاجرام والاجتماع القانوني والعقاب ، القاهرة ، دار غريب للطباعة والنشر ، ٢٠٠٣ ، ص ٦٠٢
- (٧) انتوني غدنز ، علم الاجتماع ، ترجمة فائز الصياغ ، بيروت ، المنظمة العربية للترجمة ودار ترجمان ، ط ٤ ، ٢٠١٠ ، ص ٢٩٧-٢٩٨
- (٨) ندوة جرائم ذوي الياقات البيضاء ، مجموعة من الباحثين ، مجلة الحقوق ، جامعة الكويت ، مجلس النشر العلمي ، المجلد ٢٣، العدد ٣، ١٩٩٩ ، ص ٢٥٤-٢٥٥
- (٩) عبود السراج ، مصدر سابق ، ص ١٠١
- (١٠) هادي صالح العيساوي ، مصدر سابق ، ص ١١٩
- (١١) غوردون مارشال ، موسوعة علم الاجتماع ، ترجمة محمد الجوهري واخرون ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، ط ٢ ، ٢٠٠٧ ، ص ٤٧٩
- (١٢) هادي صالح العيساوي ، مصدر سابق ، ص ١٢٩-١٣٠
- (١٣) عبود السراج ، مصر سابق ، ص ١١٥
- (١٤) عبدالفتاح ابراهيم عبدالنبي ، تناول الاعلامي لجرائم النخبة ، القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٩١، ص ٦
- (١٥) بول بريمر ، عام قضيته في العراق ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ٢٠٠٦ ، ص ١٦٢
- (١٦) احمد عبدالعزيز عبدالعزيز ، الاختلالات البنوية في المجتمع العراقي في ظل الاحتلال الامريكي ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الدول العربية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، قسم الدراسات الاجتماعية ، ٢٠١٣، ص ٣٦٤-٣٦٥
- (١٧) رباح مجيد الهيبي ، انهيار سلطة الدولة في العراق ، دمشق ، دار العراب ودار نون للنشر والتوزيع ، ٢٠١٠ ، ص ١٦٤ و١٦٥
- (١٨) نور شدهان وعبدالكاظم داخل ، الفساد واثره على الاقتصاد العام ، بحث منشور على موقع هيئة النزاهة ، www.nazaha.iq ، ص ٢٠
- (١٩) صمويل هنتنجتون و لورانس هاريزون ، الثقافات وقيم التقدم ، ترجمة شوقي جلال ، القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٩ ، ص ١٣٧-١٣٨
- (٢٠) هيئة النزاهة ، التقرير السنوي لعامي ٢٠١٤-٢٠١٥ ، منشورة على موقع هيئة النزاهة www.nazaha.iq
- * الاعداد تشمل اوامر قد صدرت بحق نفس المتهم في حال توجيه اكثر من تهمة له او حكم باكثر من قضية
- (٢١) هيئة النزاهة ، التقرير السنوي لعامي ٢٠١٤-٢٠١٥ ، منشورة على موقع هيئة النزاهة www.nazaha.iq
- * تمثل الاعداد الاوامر التي قد صدرت بحق الوزير او المدير العام او من بدرجتها لاكثر من قضية متهم فيها
- (٢٢) هيئة النزاهة ، التقرير السنوي لعامي ٢٠١٣-٢٠١٤ ، منشورة على موقع هيئة النزاهة www.nazaha.iq
- (٢٣) احمد عبدالعزيز عبدالعزيز ، مصدر سابق ، ص ٣٦٥



(^{٢٤}) حسن طبرة ، دور الفساد في تعميق مظاهر الفقر في العراق ، مجلة النزاهة والشفافية للبحوث والدراسات ، بغداد ، هيئة النزاهة ، العدد السادس ، ٢٠١٣ ، ص ٢٣

(^{٢٥}) وسام الكبيسي ، ضياع ترليون دولار.. اين ذهبت اموال العراق ، صحيفة العربي الجديد ، قطر ، بتاريخ ٢٠١٦/٢/٨ ، على الموقع www.alaraby.co.uk

Aesthetic Values in Hamlet-Shakespeare in Light of the Hegelian Method

القيم الجمالية في مسرحية هاملت لشكسبير في ضوء المنهج الهيجلي

م.د فيصل عبد عودة

الكلمات المفتاحية : المثالية- الثنائيات الكانتية - المدركات الجمالية - الحدس - القصد

Research Summary

The struggle of beauty confirms the reality of beauty as it confirms its opposite, and this is what the idealistic Hegelian philosophy brought. Conflict is more (relationships) than a struggle of things-in-themselves. That is why we can say that the awareness of conflict processes and its consequences is the highest stage of aesthetic awareness. Here, the value of artistic work in its various forms, including theater and artistic beauty, emerges over natural beauty. Therefore, aesthetic perception is an affirmation of consciousness and degrees of this awareness is thus formed by the aesthetic conscious perceptive where these fall into the mind to create the subject, and with this beauty has surpassed the psychological and physiological need. Hence the importance of researching knowledge of ideal Hegelian philosophy and how an analytical analogy of the Hamlet-Shakespeare play was found in light of the Hegelian method. The second chapter sheds light on the aesthetic doctrine between Nietzsche, Kant and Schopenhauer. Schopenhauer relied on Hegel, who broadened his aesthetic philosophical significance, besides Kant, and although he had taken care of it, the opposite has been misunderstood in depth, in the development of a misunderstanding related to aesthetics when This was what Nietzsche was influenced by, and it is a misunderstanding that still persists, except that we find Schopenhauer the first role in this, and therefore we can say that the book Criticism of the Queen of Judgment, which is the book with which a philosophy came to be aesthetic, that everything that was said since it was

about art, beauty, knowledge and wisdom has been He was confused by the interpretation of the thought (devoid of all interest), and this is what is caused by the interpretation of the Schopenhauer, but what does it mean by this beautiful definition as an object of impartial pleasure. So, because of indifference in the self, the actual relationship to purpose begins to appear. Kant was subjected to misinterpretation in the nineteenth century, and his ideas were subjected in a confused manner by Schopenhauer, which made Nietzsche instead of relying on Schopenhauer, he directly benefited from it and took from the concept of pleasure according to the extent of acceptance And according to what suits us and we like. The third chapter is the analytical framework: that for each ideal philosophy a study of the aesthetic doctrine of (Kant - Nietzsche - Schopenhauer), while the sample is Hegel's aesthetic philosophy. Likewise, the truth is infinite, so we arrive at the conclusion that these foundations are not real, and every philosophy in Hegel's view is based on the idea and is therefore an ideal philosophy. Therefore, every philosophy attributes to a finite definite existence, which is also an absolute and final real existence. As for the fourth chapter, among its results, the Hegelian beauty theory is one of the most important aesthetic and philosophical theories that helped in the demolition process and ended the era of metaphysical edifices

. ملخص البحث:

إن صراع الجمال يؤكد حقيقة الجمال كما انه يؤكد نقيضه, وهذا ما جاءت به الفلسفة المثالية الهيجلية . فالصراع هو (علاقات) اكثر من صراع الاشياء في ذاتها. لهذا يمكن أن نقول أن وعي عمليات الصراع ونتائجه هو اعلى مراحل الوعي الجمالي . وهنا تبرز قيمة العمل الفني باشكاله المختلفة ومنها المسرح والجمال الفني على الجمال الطبيعي. لذلك فالادراك الجمالي هو تأكيد للوعي ودرجات هذا الوعي هو بالتالي تكوّن للمدرك الواعي الجمالي حيث تندرج هذه لتصل الى العقل لخلق الموضوع .وبهذا يكون الجمال قد تجاوز الحاجة السيكلوجية والفسيلوجية. من هنا جاءت اهمية البحث في معرفة الفلسفة الهيجلية المثالية وكيفية تم ايجاد تشاكل تحليلي لمسرحية هاملت - شكسبير بضوء المنهج الهيجلي ..

جاء في الفصل الثاني تسليط الضوء على العقيدة الجمالية ما بين نيتشه وكانت وشوبنهاور. فشوبنهاور قد استند الى هيغل الذي يوسع من شأنه الفلسفي الجمالي, الى جانب كانت فانه وان كان قد راعاه فهو المقابل قد اساء فهمه في العمق , ففي تطور سوء الفهم المتعلق بعلم الجمال عند كانت وهذا ماتأثر به نيتشه .وهو سوء فهم مازال ماثلا, الا أن نجد لشوبنهاور الدور الاول في ذلك , ولذلك بإمكاننا القول إن كتاب نقد ملكة الحكم وهو الكتاب الذي جاءت به فلسفة كانت الجمالية, إن كل ما قيل منذ كانت عن الفن والجمال والمعرفة والحكمة قد اصابه التشويش وذلك بسبب تأويل فكر (الخلو من كل مصلحة) , وهذا ما يسببه التأويل الشوبنهاوري ولكن ماذا يعني كانت بهذا التحديد الجميل باعتباره موضوعا للذة المنزهة.

اذن بسبب اللامبالاة بالذات تبدا العلاقة الفعلية بالعرض بالظهور , لقد تعرض كانت الى سوء التأويل في القرن التاسع عشر والتي تعرضت افكاره وبطريقة مشوشة من قبل شوبنهاور الامر الذي جعل نيتشه بدلا من إن يستند الى شوبنهاور فقد استفادة مباشرة من كانت واخذ من مفهوم اللذة وفق مديات التقبل ووفق ما يتلائم معنا ويعجبنا .

اما الفصل الثالث فهو الاطار التحليلي: بأن لكل من الفلسفة المثالية دراسة للعقيدة الجمالية عند (كانت – نيتشه – شوبنهاور) اما العينة فهي فلسفة هيغل الجمالية . كذلك إن الحقيقة هي لا متناهية فاننا نصل الى نتيجة هي إن هذه الموجودات ليست حقيقية وكل فلسفة في نظر هيغل ترتكز على الفكرة وهي بالتالي فلسفة مثالية لذلك كل فلسفة تعزو الى الوجود المتعين المتناهي بما هو كذلك وجودا حقيقيا مطلقا ونهائية .

أما الفصل الرابع فمن نتائجه إن نظرية الجمال الهيجلي هي من اهم النظريات الجمالية والفلسفية التي ساعدت في عملية الهدم وانتهت عهد الصروح الميتافيزيقية

الفصل الاول

منهجية البحث

اهمية البحث والحاجة اليه :

إن نظرية هيغل الفلسفية اوجدت لها بشكل واضح ميدان الفن والتذوق الجمالي لتطبيق هذه النظرية القيم الجمالية في هاملت في ضوء المنهج الهيجلي, فهو من خلال محاضرة القاها على طلبة في الجامعة يعد هيغل من اهم الفلاسفة الذين نظروا في الفن والجمال ومن الذين حققوا نجاحا كبيرا في جعل الفن ميدانا تطبيقا ومثالا حقيقيا لنظريته الفلسفية .

فهو يؤكد بالوعي ودرجات هذا الوعي وهو بالتالي يتكون المدرك الواعي الجمالي حيث تتدرج هذه لتصل الى العقل لخلق الموضوع . وبهذا يكون الجمال قد تجاوز الحاجة السيكلوجية والفسيلوجية .

من هنا تأتي اهمية هذا البحث لغرض الوقوف على المنجز الجمالي عند هذه الفلسفة التي انهدت عهد الصرح الميتافيزيقي ومدى تاثير هذه الفلسفة جماليا على المنجز الجمالي المسرحي .

اهداف البحث

يهدف البحث الى :

- ١- التعرف على مفهوم الجمال عند هيغل وما جاءت به المثالية الهيجلية .
- ٢- التعرف على الرؤية التحليلية الجمالية لفلسفة هيغل وتطبيقها على المسرح .
- ٣- تحليل مسرحية (هاملت – شكسبير) بضوء المنهج الهيجلي .

حدود البحث

يتحدد ببحث الفلسفة الجمالية الهيجلية في نص مسرحية هاملت – شكسبير

المصطلحات

المثالية : هي الفكرة الفلسفية بعدم وجود الاشياء الا في الذهن والمثالية تظهر عادة في كل تفكير فني او ادبي , كما الاستعداد للانتاج الفني وعلى المستوى النظري احيانا وهي بذلك تصور خط الايجابي (١, ١٢) ويرى د . جلال جميل* بان المثالية هي سعي الفنان لذلك جاء عمله كامل الاعداد حاويا للمثالية .

اما التعريف الاجرائي للمثالية : هي مبتغى كل فنان لكنها غير محققة في كل فن من الفنون او هي تختلف في حالة اخرى حتى داخل انتاج الفن الواحد لذلك يهتم المثالية في تعمق الفن في جذور المجتمع وهي تلعب دورا هاما في الشكل الجمالي .

الفصل الثاني

الاطار النظري

عقيدة الجمال ما بين (كانت ٠٠ نيتشه ٠٠٠ شوبنهاور)

إن الفهم الموضوعي لعبارات نيتشه بخصوص الجمال انما يندرج في اطار فحص اراء شوبنهاور الجمالية , ذلك لم يتم بشكل مباشر في الصياغة للاحكام انطلاقا من معارضته لافكار شوبنهاور , والطريقة هذه قد تبدو غير موفقة لفقدانها قاعدة من الاحكام , فالاحكام التي اطلقها شوبنهاور فقد ارتبطت بمجموعة مدركات للوعي وهي :

- ما من حكم من الاحكام الا وهو صادر من عقل من العقول .
- ما من حادثة في الوجود الا وتنفرد الى اسباب فاعلة .
- ما من نقطة في المكان الا وهي مشروطة بغيرها من النقاط .
- ما من نزوع من النوازع الا وهو متات من عمل من العوامل . (٢ , ٢٢)

فهذا للوعي الا وتكون ملائمة حتميا مع قوانين العقل البشري , فالارادة عند شوبنهاور التي هي الوجد ذاته , كذلك يجعل من الغرائز والدوافع والمنافع المادية والحياتية ومتطلبات البيئة ضمن دائرة الارادة وقوتها وسيطرتها على الذات وهي مستانسة للوعي او اللاشعوري وهذا ما جعل فرويد الارادة عند شوبنهاور , إن تكون عنده خطأ فلسفيا في اللاوعي الفردي (٣, ٧٣) .

اذن من غير الممكن إن نطلق على جملة من الاحكام وردت في عالم الجمال صفة العلم ولا إن نقارنها مع مثيلاتها مع هيغل . اما بالنسبة للمضمون فان شوبنهاور قد استند الى هيغل الذي يوسع شأنه , اما كانت فانه وان كان قد راعاه فهو المقابل قد اساء فهمه في العمق , ففي تطور سوء الفهم المتعلق بعلم الجمال عند كانت وهذا ماتاثر به نيتشه وبدوره وهو سوء فهم مازال دارجا الان نجد إن لشوبنهاور الدور الاول في ذلك , ولذلك بإمكاننا القول إن كتاب نقد ملكة الحكم وهو الكتاب الذي جاءت به فلسفته الجمالية ., ويرتبط سوء الفهم المتعلق بالفلسفة الجمالية عند (كانت) بعبارة تتناول وصفة لما هو جميل, فقد ضمن كتابة تعريفه للجميل " لايعتبر جميلا الا مايلذ وما لافعل له الا اللذة , وان الجميل موضوع الاعجاب المحض انه موضوع اللذة التامة التأملية المحضة , واللذة التي تجلى عبرها الجميل بالنسبة الينا باعتباره جميلا فهي لذة نشعر بها دونما أي مصلحة بطريقة منزهة وبشكل مطلق (٤, ٤٢) . اذن يكون السلوك الجمالي او ما نسميه بالسلوك تجاه الجميل(اللذة بعيدا عن كل مصلحة) معنى إن نهمل شيئا ما, يعني يجب التصور للشيء واللامبالاة تجاه شيء ما او اتجاه شخص ما في علاقتنا بالشيء او الشخص اننا لا نظهر شيئا ينم عن ارادة فينا ومنذ اللحظة التي تتحدد فيها علاقة الجميل باللذة وحين تتحدد هذه النزاهة فان الحالة الجمالية تصبح عندها وبتصور شوبنهاور تعليقا للارادة وصولا للراحة ,للانعتاق من كل جهد , انها حالة الاستراحة المحضة , وحالة عدم – عدم – ارادة- شيء على الاطلاق انها التبرح المطلق في عدم بالمشاركة .اما نيتشه فيقول " إن الحالة الجمالية هي نشوة (٥, ٢٦) . وهذا يعني وبوضوح انها نقيض كل لذة (منزهة) وفي الوقت نفسه تعبر هذه التصورات عن نقيض ما يصوره (كانت) من سلوك تجاه الجميل , يسهل علينا انطلاقا من وجهة النظر هذه إن نقيم ملاحظات نيتشه , إن كل ما قيل منذ (كانت) عن الفن والجمال والمعرفة والحكمة قد اصابة التشويش وذلك بسبب تاويل فكر (الخلو من كل مصلحة) , وهذا ما يسببه التاويل الشوبنهاوري ولكن ماذا يعني كانت بهذا التحديد الجميل باعتباره موضوعا للذة المنزهة ؟ ماذا يعني قوله (بعيدا عن كل مصلحة خاصة) " إن المصلحة المشار اليها هنا ليست الا المقابل للكلمة اللاتينية mini interest بمعنى ثمة شيء يهمني (٦, ٤٧) إن الاهتمام بشيء ما يعني الرغبة باقتناء شيء لنفسه وبالتحديد استخدامه والتصرف به ككل ملكية , حين نولي شيئا ما اهتماما فاننا ننزل هذا الاهتمام في ملكية بهدف تحديد غاية يصار معها الى تصرف بهذا الشيء , إن ما نوليه اهتماما هو ما ناخذ دائما , أي ما نمثله بهدف شيء اخر .

لقد عرض كانت المسألة المتعلقة بجوهر الجميل بالطريقة التالية " بماذا يجب إن يتحدد السلوك الذي نشعر بموجبه بالجمال في شيء ما , والذي يصادف عرضا حتى نحس بالجميل باعتباره جميلا ؟ (٧ , ٤٩) .

فقبيل إن يوضح (كانت) السبب الذي يعين على وجود الجميل والذي يحدد بالتالي ما الجميل , فهو يسعى اولا الى نفي ما لا يكون إن يكون سببا لذلك (المصلحة) , إذا إن الحكم (هذا الجميل) يفترض منا إن لا يكون فيه مصلحة اطلاقا وهذا يعني عندما نجد جميلا ما علينا إن نترك الغرض الذي نصادفه عرضا لينتج من تلقاء نفسه, بعده ذاتاً محضة في مستواه وفي قيمته الخاصة, علينا إن لانضعه اطلاقا في خط يلتقي به مع اشياء اخرى في سواه او في غاياتنا او نياتنا , او بهدف الاستفادة او التلذذ المستكين . أن السلوك تجاه الجميل يعده جميلا لهو الذي يتسم ب(الخطوة الحرة) على حد قول (كانت) علينا إن نعيد تصويب وضع الغرض – الذي تصادفه فيما يكون وان تترك له , وان نمحه ما يعود اليه خاصة وما يقربه اليها (٨ , ٥١) .

من هنا نستطيع القول إن ما اراده (كانت) في الخطوة الحرة , هو الجهد الاعلى الذي يبذله جوهرنا وهو التحرر من ذاتنا .

من خلال ما تقدم يرى الباحث إن سوء التاويل للمفهوم الجمالي عند (كانت) ومفهوم اللذة تحديدا (اللذة المنزهة) يبني على خط مزدوج .

أ- يشكل التعريف الذي اطلقه (كانت) والذي امتزج بعجالة (خارج كل مصلحة خاصة) هو خطأ للطريق , وهو خط ايجابي بصياغة وحيدة بخصوص الجميل وهي تعطي تفسيراً واضحاً خاصاً بمسألة الجمال او ما الجميل ؟.

ب- إن اساءة التاويل التي ترتبط بالنتائج المنهجية تظهر وكأنه لا مجال لفهم محتوى هذا التعريف الاعلى حساب ما تشير اليه وما كان قائما في السلوك الجمالي وبذلك تنفي المصلحة المرتبطة بالغرض .

اذن بسبب اللامبالاة بالذات تبدا العلاقة الفعلية بالغرض بالظهور , لقد تعرض (كانت) الى سوء التاويل في القرن التاسع عشر والتي تعرضت افكاره وبطريقة مشوشة من قبل شوبنهاور الامر الذي جعل نيتشه بدلا من إن يستند الى شوبنهاور فقد استفادة مباشرة من (كانت) واخذ من مفهوم (اللذة) وفق مديات التقبل ووفق ما يتلائم معنا ويعجبنا .

إن ما يقوله نيتشه "إن التحرر من كل مصلحة خاصة ومن الانا ليس الابعثية وملاحظة في غير محلها , لذلك الامر ما يتعلق على الأرجح بنشوة إن نكون الان في عالمنا إن نتحرر من القلق ازاء ما هو غريب عنا (٩ , ٣٩) . فاكيد إن التحرر من كل مصلحة خاصة العبثية وذلك بالمعنى الذي اكتسبه تاويل شوبنهاور, وكل ما يعينه نيتشه الانتماء الى عالمنا ليس الا مافهمه كانت في اطار لذة التفكير

والجمال بحسب ما يريد (نيتشه) هو ما يحدد فينا سلوكنا وقوتنا وقدرتنا ولذا انطلاقا من جوهر بمعنى انه إن نتخطى ذاتنا لاكمال فينا القدرة الأساسية وهذا ما يتم عبر النشوة , وهكذا فان الجمال يكشف عبر النشوة , اما الجمال بالذات هو ما يضعنا في حالة النشوة , فيتصور إن الجمال هو ما كان جديرا بالاحترام لانه كذلك انها مسالة قوى لدى الفرد او لدى شعب ما إن يعرف ماذا كان وان يصبح الحكم جميلا قابلا للتطبيق الا إن هذه القوة ليست القوة الفيزيائية باعتبارها وسيلة العنف . إن ما يقصده (نيتشه) هو إن هذه القوة ليس الا طاقة الوجود التاريخي القادر على فهم وتحقيق ومنتهى ما يمكن إن يصل الى جوهره , ومن المؤكد إن الجوهر لا يمكن إن يظهر بطريقة واضحة وحاسمة , وهكذا يعد الجمال (قيمة بيولوجية) فان القيم الجمالية تستند الى القيم البيولوجية وان مشاعر الصحة الجمالية ليست الا مشاعر الصحة البيولوجية .

النشوة القوة الخلاقة للشكل :

إن جوهر الخلق والابداع هو طريق انتاج الجمال في الاثر الفني لا يمكن إن يتحقق الا بالابداع فالابداع يخلق الاثر اما جوهر الاثر فيظل رغم ذلك في اصل جوهر الابداع .

اذن كيف حدد نيتشه الاثر ؟ فالسؤال هنا يجد جوابا : ذلك إن افكاره عن الفن وبالتحديد الافكار التي توازي الجمالية في حدها الاعلى لا تسأل اطلاقا عن الاثر النفسي , او على الاقل انها لا تناوله جوهريا يضاف الى ذلك بمعنى انتاج الاثر فالامر لا يتعلق بمسالة الخلق باعتبارها عملا حيويا (من حياة) عملا يهب الحياة بقدر ما يكون الابداع مشرطا بالنشوة تبعا لذلك تكون حالة انفجارية , انه تعريف كيميائي ولاشك وليس تاويلا فلسفيا

ومن هنا نرى إن هناك متغيرات تتعلق بالتحويلات والتطورات الجسمية التي يمكن إن تميز بسهولة , فقد تكون هذه الملاحظات صائبة ودقيقة وفي وصف حالات اخرى كالحالات المرضية , على سبيل المثال عندما قال نيتشه " إن المرء لا يسعه إن يكون فنان إن لم يكن مريضا (١٠ , ٦٤) وعندما يضيف إن عزف الموسيقى وهو عمل يوازي العمل الفني بشكل عام اما هو عمل يتشابه تمام مع كيفية سلوك الاطفال فان ذلك لا يجيب الا على صفة النشوة الوحيدة تلك تعبر النشوة الجنسية بموجبها الشكل قديما والاكثر اصالة .

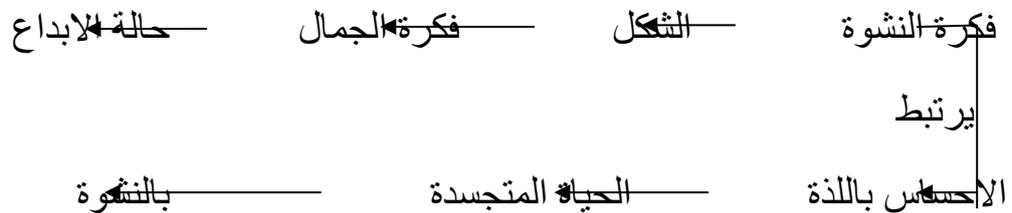
اذن تتوافق برأي (نيتشه) الحالة الجمالية لدى المتامل للعمل الفني الذي يتقبل الاثر مع الحالة التي نراها عند المبدع , وتبعا لذلك لا يعد الاثر الذي يبذله العمل الفني شيئا من ايقاظ حالة المبدع في نفس الهاوي , إن تقبل الفن يعني تقبل حالة الابداع والخلق مرة اخرى , يقول نيتشه " يقوم الاثر الذي يتركه العمل الفني على ايقاظ حالة المبدع الجمالية النشوة (١١ . ٥٣) . إن هذا التصور النيتشوي يظهر وسط اكثر تداول في علم الجمال , واننا لننتقهم هنا الاسباب الخاصة التي حملته منطقيا على ربط الحالة الجمالية بالمبدع , بالفنان فاستقبال العمل الفني لا يمثل الاجابة او استجابة او انعكاسه للخلق ,

من هنا وبطريقة اشتقاقية , ولكن منسجمة نرى إن ما قيل عن الابداع ممكن إن يقال ايضا على تقبل الفن فتقوم اللذة التي يؤمنها العمل الفني على تامين وصول الحالة الابداعية الى يعيشها الفنان الى تامل العمل الفني , (فنيته) لا يوسع جوهر الابداع انطلاقا من جوهر العمل الفني الذي يصار الى ابداعه لكن انطلاقا من حالة السلوك الجمالي , فالفنان انطلاقا من وجهة النظر التي ينطلق منها نيتشه او التي يجد نفسه وسيطا اول الامر , وان تكلم عن الشكل احيانا وعن الاثر الفني احيانا اخرى , إن الفنان هنا ليجد موقعه الاساسي في عدم ايلائه اية قيمة للشئ ما لم يصبح هذا الشئ شكلا أي مالم يتخذ شكلا معينا.

إن (نيتشه) يحدد الشكل Form بان يقضي التحول الى الشكل إن يخرج من ذاته وهذا اللفظ يعني الحدود والتعيين , ما يحمل وما يفترض في كائن فيما هو فيه (في جوهره) بحيث يجد موقعه في ذاته , وكذلك يعني اللفظ البنية بمعنى الشكل الانساني , صورة , إن ما يتوقع هذا هو ما به يظهر الكائن نفسه , مظهره او ما به وفيه ينضح الى الخارج , وما به يتمثل , ما يصبح عاما لامعا يصل الى الحالة وليس الى حالة التفرد الوحيدة , فالعلاقة الجمالية هي حسب الشكل من اجل ذاته لذلك نجد (نيتشه) يعبر عن رايه بلغة عليا, وذلك في معرض ابداء رايه برسامين معاصرين له " لا احد منهم يكتفي إن يكون رساما فحسب انهم جميعا علماء اثار وعلماء نفس ومخرجون لذكرى ما , او لنظرية ما , فهم يجدون لذتهم في علمنا وفي فلسفتنا ٠٠ انهم لا يحبون اطلاقا الشكل فيما هو عليه بذاته , بل يعبر عنه , انهم ابناء جيل معذب جيل مفكر , انهم يبتعدون الى اميال عن المعلمين القدماء الذين لم يكن يشكل الكلام هاجسا لهم , لذلك اكتفوا باشباع انظارهم" (١٢ , ٢٢) .

ما اسفر عنه الاطار النظري :

- ١- إن ماهو جدير في ظهوره بالاحترام (احترام محض) انما يمثل بالنسبة الى كانت اساس ما الجميل ؟ ثم انه لا يوسع نطاق ذلك كما فعل نيتشه ليشمل كل ماهو عظيم وجدير بالملاحظة في التاريخ .
- ٢- إن الطريق الجمالي عبر جمالية نيتشه انطلاقا من موقعه الاساسي تجاه الفن ما يلي:



اطار التناسق - اللذة :

إن هذا الشئ تدور به كل هذه المحاولات والترابطية ما بين عناصرها كل ذلك مجاله (الفن) تنتمي جميعا اليه . فالفن هو اسم جماعي لمجموعة عناصره المكونة .

- ٣- إن الفلسفة الجمالية ل (كانت) بقيت اسيرة المفهوم الحديث للذات .
- ٤- تعد تأملات نيتشه عن الفن فلسفة جمالية , لذلك انها تناول حالة الابداع والتمتع بالفن وتحاول الغوص في الحالة الابداعية حتى اقصى درجات الاستعداد الجسدي.
- ٥- إن الفن عند نيتشه فن متشظي بينما عند شوبنهاور ممكنا للحياة .
- ٦- وصل التساؤل الجمالي عند نيتشه اقصى حدود الموضوع الذي يقدر له إن يبلغه فانه قد ادى الى القضاء على ذاته , الا إن الجمالية لم يقدر إن تتجاوز نفسها اطلاقا ولذا لا بد من تحاول اكثر عمقا يطال وجودنا والمعرفة ومن خلال الفكر النيتشوي – الماورائي .
- ٧- الفن بنظر (نيتشه) هو الطريقة الجوهرية التي يخلق الكائن بها نفسه كما كان كائنا .

اجراءات البحث

- ١- طرائق جمع المعلومات : اعتمد الباحث عدة طرائق للجمع منها المصادر و الكتب المتضمنة ابحات خاصة بالفلسفة الهيغلية , كذلك الرجوع الى مؤلفات هيغل المتخصصة بعلم الجمال والاطلاع على الدراسات النقدية والمحاضرات والاطاريح التي تتجاوز مع مضمون البحث .
- ٢- طرائق تحليل المعلومات : استخدم الباحث الطريقة التحليلية حيث استند الى ما جاءت به الدراسات والبحوث والمؤلفات .
- ٣- منهج (طريقة البحث) : اعتمد الباحث الطريقة الوصفية التي استندت على منهج التجريد^(١) Abstraction ومنهج التعميم^(٢) Generalization .
- ٤- مجتمع البحث : دراسة العقيدة الجمالية عند (كانت – نيتشه – شوبنهاور) اما العينة فهي فلسفة هيغل الجمالية .

المثالية الهيغلية :

ان المقصود بالمثالية الهيغلية هي الفكرة الثورية التي تدفع بالفكر خطوات سريعة الى الامام " اما المثالي Idealism فهو مشتق لغويا من كلمة IDEA أي فكرة لا من كلمة Ideal بمعنى مثل أعلى ما يظن البعض , ومعنى انه مذهب ترتكز حتى من اشتقاقه اللغوي ذاته على الفكر (١٣ , ١٣) , او هو المذهب الذي يجعل الفكر او العقل او الروح وهي كلمات ذات معنى متقارب اساسا له . ولم يخرج هيغل عن هذا التعريف التقليدي للمذهب المثالي فالفكر عنده هو اساس كل شيء : الفكر هو المبتدأ وكل ما في الكون حديث عنه وخبر , ولكن هيغل يضيف الى ذلك فكرة جديدة بالغة الاهمية هي نفسها بداية الخيط في ثوريته , وهذا الفكرة هي كما يلي :

إذا كان الفكر هو الاساس فمعنى ذلك انه ليس حقيقة ٠٠ بمعنى إن الفكر لامتناه "لان اللامتناه هو الذي يحدد نفسه بنفسه " (١٤ , ١٠٢) .

إذا كان الفكر او اللامتناهي هو الحقيقة النهائية فان ما يضاد الفكر كالمادة مثلا ليس هو الحقيقة والمادة متناهية ٠ اذن فكل ما هو متناهي غير حقيقي ٠٠ اذن فكل ما حولنا ليست هي الحقيقة وجودها لا يمثل الوجود الحقيقي او الحقيقة النهائية .

يقول هيغل شارحا هذه الفكرة إن اساس المذهب المثالي هو القضية القائلة بان المتناهي ذو طبيعة مثالية في الفلسفة على شيء اخر سوى اعتماد على القول بان المتناهي ليس له وجود حقيقي , وكل فلسفة هي بالضرورة فلسفة مثالية او انها – تتخذ- من المثالية مبدأ لها (١٥ , ١٩) .

(١) يقصد به تميز الخصائص والصفات
(٢) يقصد به تصنيف الاشياء او الوقائع على عامل مميز

من هنا نستطيع أن نقول إن المذهب المثالي هو ذلك المذهب الذي يعتمد في رأي هيغل على فكرة أساسية تقول: إن جميع الأشياء التي تتواجد في العالم الخارجي هي موجودات متناهية , كذلك إن الحقيقة هي لا متناهية فاننا نصل الى نتيجة هي إن هذه الموجودات ليست حقيقية وكل فلسفة في نظر هيغل تركز على الفكرة وهي بالتالي فلسفة مثالية لذلك كل فلسفة تعزو الى الوجود المتعين المتناهي بما هو كذلك وجودا حقيقيا مطلقا ونهائيا لا تستحق اسم الفلسفة (١٦ , ١٨٦) , تاسيسا على ما تقدم يرى الباحث إن الفلسفات المادية والتجريبية التي كانت تعطي للواقع الخارجي المتناهي قيمة وسلطانا مطلقا وتعدّها حقيقة كاملة ومراجعة ذلك إن المثالية الهيجلية تسير بخط مضاد تماما لسير الفلسفة التجريبية الحديثة والتي دائما تبقى على الواقع ذلك " لان لوك وهيوم وغيرهما من التجريبيين قد حصروا الناس في حدود ما هو معطي , أي في حدود النظام القائم للاغنياء والحوادث واصبح من العسير تجاوز هذا النظام (١٧ , ٣) مبدأ لمعطيات الواقع الموجود في العالم الخارجي فهي الحقيقة النهائية التي لا يمكن تجاوزها ولناخذ مثلا فلسفة هيوم التجريبية لنجد إن المبدأ الأساس في هذه الفلسفة هو اضعاف السلطة المطلقة على الواقع التي تاتيها من جميع الانطباعات الحسية التي تكون في النهاية معارفنا فجميع افكارنا سواء (كانت انطباعات ام افكار) مابلغت من التعقيد والتركيب او من السمو والرفعة فهي لا بد إن تنحل في النهائية في نظر هيوم الى مجموعة من الانطباعات الحسية التي استخلصت عن طريق الحواس من العالم الخارجي والا لكانت اختلقها الوهم اختلاقا وعلى تلك الطريقة الوحيدة للتحقيق من صحة فكرة او معلومة هي عند (هيوم) الرجوع الى المعطيات المباشرة امامنا في الخارجي (١٨ , ٣٥) وتاسيسا على ما تقدم فاذا كانت الفلسفة التجريبية او المادية عموما تطالبنا بالابقاء على الاوضاع الراهنة اذن من حق الفلسفة المثالية الهيجلية في هذه الحالة إن ترى إن مثل هذا المذهب لايعني سوى استسلام العقل لانه ما لم يمكن لدى العقل نفسه سوف يظل اسير للواقع المعطي امامه . من هنا فان (هيغل) يرى إن الوقائع ليس لها في ذاتها سلطة على ما هو معطي ينفي إن يبرر ما العقل " والمعيار الاول للعقل هو فقدان الثقة في سلطة الامر الواقع (١) .

وهكذا تبدو ثورية المثالية الهيجلية بقدر ما يبدو الجانب المحافظ في الفلسفات الوصفية والتجريبية والمادية, أي الفلسفات التي تركز على يقين الواقع . لقد اكدت المثالية الهيجلية فكرة فلسفية هي (فكرة الحرية) " فهي الغاية المطلقة والبعض النهائي الذي ينشده سيرالعالم " (١٩ , ٢٩٠) . وليس كتابية (فلسفة الحق) سوى مناقشة حقيقية واصلية لفكرة الحرية . والواقع إن الفرد لا يكون حرا في نظر هيغل الا إذا " اعترف به الناس وهذا الاعتراف لا يمنح له الا عندما يكون قد برهن على حريته فهو يرفض الحرية الرواقية السلبية " (٢٠ , ٢٢٨) .

نستنتج مما تقدم إن هناك ثلاثة افكار اساسية :

(١) امام فتاح امام , ثورة السلب , مقال في مجلة الفكر المعاصر العدد ٦٨ اكتوبر ١٩٧٠

- ١- العناية بتحليل العقل في جميع مجالاته والدعوة الى اعتباره الشيء الاول لكل ما تقدم فلما كان الانسان موجودا عاقلا فانه يستطيع بعقله ان يكشف امكاناته وقدراته الخاصة وبالتالي فهو ليس واقع تحت سطوة الوقائع المحيطة . لذلك فان من الواجب تغيير الواقع غير المعقول الى ان يصبح متمشيا مع العقل .
- ٢- الاعتزاز بالحرية التي هي جوهر العقل وماهيته ولكنها ليست حرية سلبية او حرية باطنية داخلية فحسب بل لابد من تحقيقها في العالم الخارجي لان الحرية هنا مقرونة بالارادة ومرتبطة ولهذا فهي تعني التحرر .
- ٣- من الواضح انه ليس ثمة مبادئة للواقع بل على العكس هناك دعوة لتغيير هذا الواقع خصوصا اذا كان غير عقلي حتى يتماشى مع العقل .. أي هي فلسفة ثورية فهي لا تكبل الانسان لهذا يقول هولدرين هو: اعظم استاذ للفلسفة النظرية عرفه العالم منذ عصر ارسطو وحتى عصرنا الراهن .

التطور الجمالي والفني للانسانية :

قسم هيغل تطور الانسانية الفني والجمالي معتمدا على اساس مذهبه الفلسفي الذي يعد الفن لحظة معينة في تطور الروح الى ثلاثة مراحل اساسية :

- ١- المرحلة الرمزية : وهي مرحلة الفن الشرقي الذي يظهر فيه عدم التوافق بين الفكرة وصورتها المادية , فهيمنة الشكل المادي الخارجي للعمارة على الفكرة أي النوع الذي يهيمن في هذه المرحلة , فالفكرة هنا مجردة غير متوافقة مع قالبها المادي ومثقلة به فحين تعبر عن القوة والبطش بتمثال الاسد يعني تعبير برمز عن قيمة معنوية تعطي ابعادا اكثر من وصفها المادي .
- ٢- المرحلة الكلاسيكية : وهي مرحلة الاغريق الفنية والجمالية التي يتحقق فيها الانسجام والتطابق بين الفكرة وشكلها الطبيعي المادي او التوافق ما بين الشكل والمضمون , فالفكرة هنا تجد تعبيراً منسجماً عنها . والنحت هو الشكل الفني السائد في هذه المرحلة , فالفكر الحر يتجسد في الجسد الانساني وتقوم بينه وبين الجسد موائمة وتناسب وانسجام . وتتصف هذه المرحلة بان علاقة

الانسان بمحيطة تكون فيها ثقافة مباشرة لا بداخلها أي اكراه او احتلال مثال (ابولو) مثال القوة والجمال وافروديت بجمالها .

٣- المرحلة الرومانسية : وهي مرحلة الفن والجمال الوسيط والحديث وهنا يبقى التطابق بين الفكرة وشكلها المادي قائما بل يأخذ عدم التوافق بينهما بالظهور الا إن عدم التوافق هنا منهج متطور في هذه المرحلة لمصلحة الفكرة والروح وبعكس المرحلة الرمزية حيث يكون التطور لصالح المادة فتضغط على الفكرة وترهقها . إن هذه المرحلة تكشف عن حرية الروح وانتصارها على المادة والطبيعة , اذ ليس الشكل المادي فيها سواء اشارة او ايماءة للروح "فموضوع الفن الرومانسي هو الحياة الداخلية المطلقة وانواعها الفنية هي الرسم والموسيقى والادب (٢١, ٢٢٨) " ففي الرسم لا يحتاج المضمون كلياً الى مكان ذي الابعاد ويتم فيها عبر تواصل الزمن ويكون التعبير عن الجمال انفعالي للحياة الداخلية , اما في الادب ومنه الشعر مثلاً والمسرح فالحاصل المادي فيه هو الكلمة وفيه يطلق الفنان العنان لخياله الذي يمثل الحياة الروحية والعاطفية والمشاعر الانسانية .

لاشك ان التحليل التاريخي للمقولات الجمالية هو الذي اكسب علم الجمال الهيجلي الاهمية القصوى في الفكر الجمالي الحديث فالاشكال الفنية ليست سوى علاقات مختلفة للفكرة وبالقابل الخارجي وهذا الاختلاف في علاقة الفكرة بالقابل مشروطة بدرجة التطور الاجتماعي والتاريخي . ورغم ما في هذا التقسيم الهيجلي من تعسف فان راية بان تطور الفن لا يرجع الى الشكل والعبقرية الفردية بل الى تطور المضمون , إن هيجل يبين إن لكل مرحلة من المراحل اعلاه خصوصية لا تتكرر ولها عالمها الخاص بها ومع ذلك فان الصفة التاريخية لعلم الجمال الهيجلي تظل احد اهم منجزاته وخصاله الكبيرة

الفكرة - الفن

إن الفكرة المطلقة تنفي ذاتها في الطبيعة , ثم تعود من هذا الوجود المغاير الى ذاتها في التاريخ الانساني في (الروح) حيث يتم نفي النفسي ٠٠ والحركة الذاتية للروح هي الطريقة الجدلية المتمثلة قبل كل شيء في وضع القضية وطباقتها وتركيبها , يقول هيجل " فالفكرة بالفعل حقيقة لانها متعددة في الفكر بصفاتها هذه بمقتضى طبيعتها ومن وجهة نظر كونيتها . وما يعرض نفسه لفكر في هذه الحال ليس الفكرة في وجودها الحسي الخارجي ولكن في كونيتها (٢٢, ٢٣) إن الفكرة المطلقة تتجلى اولاً في الميكانيك (زمان , مكان , مادة , حركة , ثقافة , جاذبية) ثم في الفيزياء (اجسام , ضوء , حرارة , كيمياء) ثم في العضوية (جيولوجيا , حيوان , نبات) وتعود الفكرة الى ذاتها في الروح بكل التطور السابق. وقد نفت الفكرة المطلقة لانها في الطبيعة ثم نفت نفيها في وعي الانسانية الذاتي , لذلك الفكر يتطور ويغتني في مسار توضيح ما هيته والتعرف على ذاته كروح مطلق وفلسفة الروح هي فلسفة الوعي الاجتماعي والفردية . والروح المطلق تشتمل على (الفن والدين والفلسفة) . الفن اذن هو مرحلة في تطور للفكر المطلق, فالفن ليس شكل خاص لمعرفة العالم الموضوعي بل تطور ذاتي

لمفهوم اجتماعي ومضمون الفن والفلسفة بالاساس واحد الا إن انكشاف او ظهور المضمون مختلف . من هذا الخط نلاحظ إن الفن تتعرف الفكرة المطلقة على ذاتها في قالب الرؤية الحسية وفي هذا القالب تتحرر الفكرة من التناهي . وفي الدين تتعرف الفكرة على ذاتها كتصور خيالي . اما في الفلسفة وهي المرحلة الاولى تنفي الفكرة ذاتها في صيغة المفهوم . وهذه الاشكال الثلاثة لا تتعايش فحسب بل انها بالدرجة الاولى تتعاقب تاريخيا أي إن الوعي الانساني الاجتماعي يتطور بشكل غير متواز , وفي الوعي الفلسفي يبدو إن الواقع قد اتم تكوينه وانجز مهمته وفض كل مضامينه وما يهمنها هو الفن .

في الفن يصل الجانب الخارجي والمحسوس والزائل بالفكر الخاص وبجملة اوضح انه علاقة الطبيعة والانسان , اذن الفن يمثل الوجود بوصفة جمالا وهو تعبير عن الروح يستمد قيمته وهدفه من إن يراقي بالمحتوى في الفن , ولذلك يشكل الفن عند هيغل تالق الفكر في المادة ومقدرته على إن يكشف متناقضات الاشياء لذاتها وبفعل تجاوزها أي في ذات الاشياء ومن اجل غيرها من نسيج العلاقات والسياقات من خلال كشف قوانين الجدل التي يحكمها " فالجدل عند هيغل يساوي اتحاد عنصرين ينتج عنهما عنصرا مغايرا لهما ويساوي موضوع الجدل الذي ينتج الحال ونقيضها " (٢٣, ٦٣)

فديناميكية ربط الفكرة بالفن والفن بالوعي والفكرة بالجمال واجتراء الجمال في النتيجة الموضوعية يكون الفن وغايته, فان جدلية هيغل وجدت لها اساسا ماديا واضحا لاطهار تطبيقاتها بواسطة الجمال والفن . فالجمال وادراكه وتذوقه هو عملية وعي وفكرة وماهية الجميل (توليد في الفن) تتجلى حين تتخذ وحدة الحسي والمطلق الصياغة الحسية , اما المضمون فهو الروح أي العنصر الالهي . ويتوقف هيغل عند اللحظة الحسية مؤكدا انها اقرب ماتكون من اسلوب تجلي الطبيعة . لقد بين هيغل إن الفن شكل للمعرفة او قيمة معرفية للفن . اما كيف يعرف الفن ؟ وما اسلوبه ؟ فهذا ما برز وتحدد في الصياغة الحسية .

الفعالية الجمالية الهيغلية :

لقد حلل هيغل الجميل في الطبيعة وفي النشاط العلمي وفي العلاقات الانسانية , الا انه كاد في منظومته الفلسفية يوحد بين الفني والجمالي , إن هيغل قام بتغيير ظاهرة الجمالي وتحليل طبيعة الفن . وقد انطلق في ذلك من كون الانسان لا يوجد بين الاشياء الطبيعية بل يوجد لذاته ايضا كروح . ولذاته هو معرفة الانسان ورغم إن هيغل يعطي الجانب النظري في معرفة الذات الاولية لكنه اكد ايضا على اهمية العمل في الوعي الذاتي وفي فهم الطبيعة الجمالي .

فالجمال عند هيغل ليس اثرا طبيعيا , بل صنع انساني يرتبط بالعمل وبفعالية الانسان , والعلاقة الجمالية تقوم على ادراك الاشياء في حريتها وفي فرديتها الحسية وفي كليتها العضوية واصالتها عبر

التكرار . إن الجميل هو موضوع ادراك حسي مباشر ومن هذه الناحية تختلف العلاقة الجمالية عن العلاقة النظرية وهي تختلف كذلك عن العلاقة العلمية لأنها تتلف الشيء او تستبدله بل يجعل منع غاية في ذاته ونزعة يتمتع بوجود مستقر حر , إن العلاقة الجمالية هي رؤية الاشياء من حيث هي اثر الابداع الانساني .فالعلاقة الانسان بذاته يضرب هيغل مثلا لذلك بالصبي الذي يرمي الحجر في الماء فتتراح فيه الدوائر فياخذه العجب والدهشة من فعله فيقول إن الانسان بفعل ذلك كذات حرة كما ينتزع من العالم غرابته القاسية وكي يتمتع بواقع خارجي لذاته في قالب الاشياء (٢٤ , ١٢٧) .

والفعالية الجمالية التي لا تنفصل عن الفعالية العملية ترسم التقدم العقلي والنمو الداخلي للمحتوى أي افق الحرية . وتواجه هنا مسألة التوفيق بين اعتبار الفعالية الجمالية غاية بذاته وبين كون الفن تعبيراً عن الروح ومرحلة عابرة في تطوره . إن هيغل يقيم المسألة الجمالية من خلال وعي الذات لذاتها الا انه بقوله بالغائية الداخلية للفن اضفى على العلاقة الجمالية وعلى العلاقة بين الطبيعة والفكر دلالة ذاتية لا ترجع الى مبدأ يتجاوزها .

المفهوم الجمالي عند هيغل :

إن المفهوم الجمالي الرئيسي عند هيغل هو (المثل الاعلى) والمثل الاعلى هو اقصى تفتح للضرورة الداخلية في الشيء . انه الواقعي اذ يتضح عن ماهية وفن الإمكانيات التي ينطوي مفهومه عليها . وان تطور الفن تابع لتطور هذا المثل الاعلى , بل إن هيغل يعد الاشياء الفنية مراحل لتطور المثل الاعلى , وينسي مراحل تطور المثل الاعلى اشكالا فنية . إن المثل الاعلى الجمالي ليس تابعا لأنماط الاسلوب الذاتية بل يستند الى معيار موضوعي يحدده تطور المحتوى العام للمراحل التاريخية . إن هيغل يؤكد على المثل الاعلى الجمالي يعني الواقع المطابق مع ماهيته ليجد حقيقة وسرا في ما يتجاوز الفن تطور ارقى للروح بل انه في الحقيقة تعبير عن اشراقه شكل الحياة الافضل , فالمسافة التي تقطعها النفس في مرحلتها من خلال المحسوسات صعودا (مثال الجمال) هي المرحلة نفسها الي اشار اليها من خلال رؤيته التاريخية عبر العصور التاريخ الطويل في نظريته التحليلية والنقدية لتاريخ الفنون منذ عصر اليونان (٢٥ , ١٥٥).

• لقد كان يعتبر النظام الديمقراطي اليوناني مثلا اعلى للحياة ولقد دعا الى اقامة حضارة جديدة على اساس المثل الكلاسيكية اليونانية حيث يتحقق الانسجام بين حرية الفرد ونشاطاته الشخصي الذاتي من جهة وبين الوجد الاجتماعي ومتطلباته من جهة اخرى .

فالمثل الاعلى الجمالي هو نفسه المثل الاعلى الفني لقد التفت هيغل الى الجمال في الطبيعة الا انه اعتبر الجمالي كما راينا ابداعا انسانيا ووجد بين علم الجمال وفلسفة الفن . ومن خلال تحليله للمثل الفني صاغ بعض المبادئ الأساسية للطرق الواقعية . اذ يتوغل في اعماق الواقع ليواجه افق المستقبل . إن على الفنان إن يبرز ما ينبغي إن يكون . إن ينفذ الى مفهوم كما يقول هيغل ولا يكتفي

بالموجود الناجز فقط . وكان هيغل يوضح ان الكلي يعبر عن نفسه مباشرة في بشر معينين ومن خلال عواطفهم الذاتية وسجاياهم الطبيعية كذلك يقول إن الفن – يصور تناقضات العصر والنزعات الأساسية التي تعج فيه , ويتم تصور هذه التناقضات على وفق الواقع والاحداث الانسانية , فالطرق الواقعية تمثل بالنسبة لهيغل مثالا اعلى فنيا ولهذه المعاصرة كما الواقعية الاشتراكية تجد اليوم نقدا واعتراضات من جهات عدة , كقول هيغل بوجود قيمة معرفية معينة للفن, فالفلسفة الوضيعة تعلن انه لا يمكن التثبت الا من بعض الواقع والظواهر والمعطيات .

اما الفلسفة الحدسية اللاعقلية (شوبنهاور وكذلك الوجود) تنتقد هيغل لانه جعل الفن شكلا من اشكال المعرفة فقط, ولم يرفع المعرفة الفنية و بالاصح الحدس الفني الى بديل لفكر النظري, ولم يقيم بالإعلاء من شأن الفن ليؤذن بإفلاس العقل والتفكير المنطقي ويكرس ضد الإفلاس . ففي الفلسفة اللاعقلية ينبغي إن يعارض الفن العلم وان يتحول الى المجال الوحيد للمعرفة الاصلية ولبلوغ المطلق . ويمكن إن يعد محاولات (روجيه غارودي) في تاويل الفن المعاصر تعزيزا واستمرارا للتيارات المعارضة لهيغل. فالفن عند غارودي لا يعد توليد الواقع ولا يترجمه فنيا ولا يكشف حركة موضوعية تنفتح فيه من افاق المستقبل فالفن ليس انعكاس لمضمون واقعي .

اما (كانت) فقد قصر في نظر هيغل عن رؤية المصلحة بين الذات والموضوع وانسحب تقصيره هذا على فهمه الثنائي لكل جوانب الواقع (الفصل بين شكل المعرفة القبلي ومحتواها التجريبي , الفصل بين العقل النظري , والعقل العملي , الاخلاق) وبين صورة الحكم الجمالي ومضمونه . فجاء هيغل يقيم وحدة الفكر والوجود والعلاقة الجدلية بين الذات والموضوع وينفذ الى التفاعل بين (الثنائيات الكانتية) ومنوهاً باهمية التاريخ في منهجها فلم يوافق (هيغل) (كانت) على بحث المعرفة البشرية بمعزل عن تاريخ المعرفة وتحقيقاتها العملية واقسام المعرفة على اساس موضوعي فحواه الدلالات الكلية في الاشياء . الا إن الفرق هنا بين الذاتي والموضوع لا يوجد عنده الا في اطار وحدة الفكر والوجود , لا في الفكر, فالفكر يجعل من ذاته موضوعا ينقسم الى ذاتي – موضوعي. لقد نظر هيغل الى الفكر لا كصفة انسانية فحسب بل كبنية و اساس عميق للعالم الموضوعي . لذلك تكمن اهمية (هيغل) في انه ينظر الى الطبيعة والتاريخ الانساني والثقافة وكل اشياء العلم لا كجوهر تعلق به لواحق عريضة بل كنمو داخلي , كعملية متحركة وتطور تاريخي أي كذات تنفتح عما يغيرها . ومن هنا فان جدلية هيغل تعتمد على وحدة تطور المعرفة والعالم . إن هيغل ينتقد التصور الميتافيزيقي القديم حول الهوية المجردة ويضع محلها الهوية الجدلية . وهو يبين بهذا الصدد إن الزهرة لو كانت زهرة فقط لبقيت زهرة الى الابد . فثمة اختلاف بهذا قلب الهوية . اما اساس الصلة بين الهوية والاختلاف فهو التناقض , والتناقض هو المصدر الداخلي للحركة ومبدأ الحركة الذاتية والتطور . يرتبط التناقض بمبدأ النفي ونفي سائر قوانين التطور والتغيير, فالنفي يشكل طابع العقل الجدلي والنفي هو ايجاب بقدر ما هو سلب . إن التناقضات ليست مطلقة بل نسبية . فالنفي لا يحيل الشيء الى عدم . ولا يقضي على الزهرة تمام بل ينفي المضمون الجزئي الخاص ويبقى على حركة المفهوم الكلي على حرمة

الشيء الكلية التي تتجاوز وجوده المعطي (بتحويل الزهرة الى ثمرة فالحقيقة تنطوي على تناقضات الواقع وتنوعه , انها عينية وليس ثمة حقيقة مجرد الحجر حجرا) . إن محاولتنا ربط فكرة وعي الشيء عند هيغل بفكرة الإدراك الجمالي في المسرح للشيء لوجدنا إن هذا الترابط يتكون بين غاية المسرح (الشيء) وحقيقة عند هيغل أي اعطاء للإدراك الجمالي او الوعي صيغة ديناميكية جدلية دائمة التفاعل والتكوين ,فاضافة لوجود الشيء ذاته فهو موجود ايضا لغيره أي بمعنى اخر كون الشيء ينطوي في ذاته على موجودين او بالاحرى نوعين مختلفين من الوجود فهو لذة من جهة (الغيرة) , ومن جهة اخرى , هو (الغيرة) من حيث هو لذته .

إن هذا الشيء لا يتم اعتباطا او بصيغة قبلية او حتى بصيغة الإلهام والهبة فهو يحتاج الى ديناميكية اساسها المهارة . وبحكم تالق الوعي الجمالي الى مرحلة العقل فان الجمال يكون في اعلى سموه من خلال العلاقات لا من خلال الذات بالشيء المدرك , وهذا ما اكدت عليه الاتجاهات البنوية بعد هيغل عند شتراوس ودوسير .

إن صراع الجمال يؤكد حقيقة الجمال كما انه يؤكد نقيضه . وهذا الصراع هو (علاقات) اكثر من صراع الاشياء في ذاتها . لهذا يمكن إن نقول كونه وعي عمليات الصراع ونتائجه هو اعلى مراحل الوعي الجمالي . وهنا تبرز قيمة العمل الفني باشكاله المختلفة ومنها المسرح والجمال الفني على الجمال الطبيعي . وهذا نفسه ينطبق على فلسفة المحاكات في الفن لكونها تفقد قيم الجمال الروحي وتساند الفكرة في الشكل , وما العلاقة الجدلية بين الفكرة والشكل في العمل الفني الا محور من محاور التحليل الجمالي للعمل الفني عند هيغل .

فمن خلال نتائج الصراع ما بين الفكرة والشكل تتكون انماط العمل الفني عند هيغل التي حصرها بالرمزي والكلاسيكي والرومانسي .

اذن كان للكشف الدقيق وصراع المتناقضات اثر مهم في اسلتهم رؤية تحليلية جمالية لفنون المسرح وعلى نحو يربط بالاتجاهات الاجتماعية والسياسية والنفسية ويمكن القول بان فنون المسرح في القرن العشرين استقت الكثير من فكرة التناقضات وصراعا كادا لتحقيق اثار انفعالية وابهارية وهي بهذا تستقي المتناقض إن كل اجتماعيا بانعكاسه على الذات (ذات المتلقي) او حتى سايكولوجيا يتناغم مع الانفعال الفردي من خلال كشف المتناقض الفعال في الشعور او اللاشعور . وهذا الواقع بمتناقضاته وصراعه واقعا مكثفا بفعالية ادائيه تحقق صدمة جمالية لدى المتلقي .

تحليل مسرحية (هاملت – شكسبير) ضوء المصطلحات الجمالية الهيجلية :

المصطلح	الشرح	التحليل
---------	-------	---------

نيه - قصد	يشمل جميع النتائج التي ترتبط ارتباطاً برؤيا بفعل من الأفعال يرادف الروح والعقل الخالص كذلك مجموع الخبرة البشرية	نيه قصد . الانتقام لدى هاملت من عمه الملك يمثل عم هاملت - كلوديوس- في توجهه لقتل اخيه
اللامتناهي- الفاقد	يعتمد على السير في خط مستقيم واتجاه واحد وواضح مثال له المكان فاي نقطة فيه تعتبر حداً رفعاً الحد باستمرار	زواج والدة هاملت واهانتها لروح الملك بزواجها السريع من قاتله واستمرارها الى اللامنتهي الخلقى

المصطلح	الشرح	التحليل
الحدس او العيان المباشر	يطلق كذلك على اليقين الحسي بوصفه حدسا مباشرا لموضوعات المعرفة الحسية	ظهور الشبح حدسا متموضعا لشكوك هاملت الذاتية
يرفع - يجاوز	مصطلح من اهم المصطلحات الهيغليه واكثرها شيوعا واهمية في الفلسفة وهو بمعنى يلغي او ينفي - يحفظ ويبقي مثالها مقولة الوجود تلغيها العدم . اما الصيرورة هي اتحاد	شكوك هاملت وتقلباته وشعوره الغامض بان شيئا فظيما قد حدث فاذا بشبح ابيه يلقي ويكشف فظاعة الجريمة
وضع اليد	اللحظة الاولى من لحظات الملكية الثلاثة	(التمثيلية) التي هي حيازة حقيقية
فعل الحيازة	(حيازة - استخدام اعتراف) أي عندما اقول هذا الشيء ملكي وليس ملك الاخرين لاني وضعت يدي عليه , وقد يكون غير مادي	لهاملت . استخدمها بشكل غريب . هي الشئ التي اوصل هاملت الى الحقيقة
الاسترجاع	اللحظة الاولى في التمثيل - وهو يعني الاستعادة الذهبية لصورة شيء ما	لحظة ظهور الشبح اول مره , تودد هاملت لانه لا يؤمن بالشبح ايمان اعمى " الشبح الذي رايته قد يكون ابليس بعينه"
عيني	ضد المجرد , والعيني عند هيغل هو الشامل لعناصر الموضوع	الانفعالات , والارتباك الذي راه هاملت على وجه الملك والملكة اثناء تقديم التمثيلية

حق – قانون – عدالة	هيغل يدرس تحت اسم : حقوق الفرد وواجباته والعرف والتقاليد والعادات والاسرة والزواج والاخلاق والمجتمع والدولة	احتوت مسرحية هاملت – شكسبير – هذه المسميات
الوعي الذاتي	هو الوعي بالذات	إن الشبح لم يمارس على هاملت سلطاناً بلا حدود وادراك اليقين

الفصل الرابع

النتائج :

من خلال ما تقدم توصل الباحث الى النتائج الاتية :

- ١- إن نظرية الجمال الهيجلي هي من اهم النظريات الجمالية والفلسفية التي ساعدت في عملية الهدم وانتهت عهد الصروح الميتافيزيقية .
- ٢- إن الفاصل في مشكلة الجمال والقبح هي مسألة (الحيوية) وهو يقيمها على اساس طبيعة الموجودات فالجمادات هي اول صورة الكائنات يكون جمالها اقل نسبيا من الكائنات التي تتمتع

- بلون من الحياة اعظم وهي النبات , وهذه بدورها يقل جمالها نسبيا عن الحيوانات من حيث هي اكثر حيويه , ثم ياتي دور الانسان وهو يتمتع باكبر قدر ممكن بذلك فيكون بذلك اجمل المخلوقات
- ٣- إن جمال الاشياء عنده نسبي وجميعها صالح لان يكون مادة للعمل الفني .
- ٤- إن مفهوم القبح عنده قائم على نفس الاساس تقريبا إذا نحن عكسناه . الاشياء القبيحة هي : تمثل الخصائص المناقضة للحيوية , او المناقضة لما اعتدنا إن نعهده صورة او صفة للوجود الحسي .
- ٥- فرق هيغل بين نوعين من الجمال :
- أ- الجمال في الطبيعة , وهو الذي لم يقصد الى نتائجه بصورة واعية ويقصد التأثير الجمالي .
- ب- الجمال في الفن , فالعمل الفني مهما كانت الاشياء التي يحاكيها قبيحة فهي لا تجعل العمل نفسه قبيحا , لان العمل الفني يتمتع بقيمة جمالية منفصلة عن جمال الشيء او قبحه .

الهوامش

- (١) هيغل اصول فلسفة الحق , ترجمة د. احمد الفتاح امام , دار التنوير بيروت ١٩٨٣ استاذ مادة علم الجمال – كلية الفنون الجمالية – بغداد استاذ مادة علم الجمال كلية الفنون الجميلة بغداد
- (٢) كريستون , اندرية , شوبنهاور , ترجمة احمد كوي , بيروت للطباعة ١٩٥٨ .
- (٣) ينظر . فرويد سيجموند , تفسير الاحلام , ترجمة مصطفى صفوات , دار المعارف ط٢ القاهرة ١٩٧٢ .
- (٤) كانت : نقد ملكة الحكم , ترجمة عبد الرحمن بدوي , دار المعارف , القاهرة , ١٩٧٤ .
- (٥) ابو ريان , محمد علي , فلسفة الجمال وتنشئته الجمالية , الاسكندرية , دار المعرفة الجامعية ١٩٨٥ .

- (٦) ابوريان , محمد علي , المصدر السابق نفسه ,
(٧) ابوريان , محمد علي , المصدر نفسه .
(٨) كانت , نقد ملكة الحكم , المصدر السابق نفسه .
(٩) هيدغر , مارتن , الابداع بين نيتشه وهيدغر, في مجلة العربي والفكر العالمي , ترجمة جورج كتورة , مركز الانماء العربي , لندن عدد ٧ سنة ١٩٨٠ .
(١٠) ابوريان , محمد علي مصدر سابق نفسه .
(١١) هيدغر , مارتن , المصدر السابق نفسه .
(١٢) نيتشه : ارادة القوة ترجمة د . فؤاد زكريا , دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٧٠ .
(١٣) امام فتاح, دراسات هيغلية , دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة ١٩٨٥ .
(١٤) امام فتاح امام , المنهج الجدلي عند هيغل الدار العصرية للكتاب القاهرة ١٩٧٩
(١٥) امام فتاح امام , دراسات هيغلية , المصدر السابق نفسه ,
(١٦) Hegel,science of logic eng trans by w h. jonstn and struththes voi George Allen London 1951.
(١٧) ماکور هربوت , العقل والثورة , ترجمة فؤاد زكريا , الهيئة العامة للتأليف والنشر , القاهرة ١٩٧٠ .
(١٨) محمود , زكي نجيب , ديفيد هيوم , دار المعرفة بمصر القاهرة ١٩٥٨ .
(١٩) R.scachet, H egelon Freedom / in ,Acolectectional critical
(٢٠) (١) ابراهيم زكريا , هيغل والمثالية المطلقة , دار النشر الثقافية . القاهرة , ١٩٧٨ .
(٢١) ك. اوفيستانيكوف و . سمير نوبا , موجز تاريخ النظريات الجمالية , تعريف باسم السقا , دار الفارابي – بيروت ١٩٧٥ .
(٢٢) هيغل , فكرة الجمال , ترجمة طرابيشي , دار الطليعة بيروت : ١٩٨١ .
(٢٣) عبد . ثامر كريم , التاثيرات الفلسفية في الادب المسرحي العراقي . اطروحة دكتوراه , كلية الفنون الجميلة – بغداد ١٩٩٨ .
(٢٤) ابراهيم زكريا , هيغل والمثالية المطلقة , مصدر سابق.



عباس , رواية عبد المنعم , القيم الجمالية , دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ١٩٧٨ (٢٥)

المديرية العامة لتربية محافظة ذي قار

بحث ترقية

القيم الجمالية في مسرحية هاملت-شكسبير بضوء المنهج الهيجلي



م.د. فيصل عبد عودة

Function Snapshots in Sports TV Shows

وظيفة اللقطات في البرامج التلفزيونية الرياضية

د. فاضل جتي سلمان

Dr. Fadel Jti Salman

جامعة بغداد / كلية الاعلام

Research Summary

This study deals with the study of the function of snapshots in sports television programs. The researcher dealt with a model of the Iraqi sports television programs. He started from the importance of the shot function in the sports TV program in its artistic, aesthetic, intellectual and technical dimensions by conveying the aesthetics of the mathematical discourse towards technical integration of the program content through methods including advanced technology in the processing of images through high-resolution lenses, which drives the structure of the program of the sport according to the multiple motives of the desired goal.

As the researcher wanted to reach through the problem of his research, which was in question about the effectiveness of the snapshot and its function in the structure of the TV program sports? Were the shots chosen according to some justification? Or did the choices come from self-discrepancies? And to achieve the researcher goals by answering this question by detecting the effectiveness of the shot and structure of art externally in terms of form and content in sports television programs.

The research included four chapters:

The importance of research in that it deals with the functions of the shots in the formation of the image aesthetically, intellectually, technically and technically in television sports programs. In

addition, it is useful for researchers and specialists in this field, as well as students in the faculties of media and the fine arts department of cinema and television and for the need to provide adequate and intensive studies on the question (problem), it is urgent to start this research.

The researcher defined the limits of his research in the selection of the sample of the sample deliberately from the year (2018) and specifically from the channel days space.

The second chapter included the theoretical framework, which included two subjects, as follows:

The first topic: the television footage and its sizes, which included all the related to the television and the surrounding types and sizes as well as their relationship among them according to the methods and trends of television sports programs as well as their employment in general.

The second topic: - The function of the snapshot in sports television programs .. Which included the forms of sports programs and methods of output and the functions of the shot in them.

This chapter also included the most important indicators that emerged from the theoretical framework.

Chapter Three: The research procedures that included the research community, the research sample, the methodology and the research tool, as well as the analysis of the sample model that was chosen intentionally. The researcher used the descriptive approach in the analysis of the sample.

Chapter Four: Contains the results, the researcher concluded some of the results of the analysis, including:

The chapter also contains conclusions, suggestions and recommendations, a list of sources and references, and finally a summary of the research in English.

تحدد هذا البحث بدراسة (وظيفة اللقطات في البرامج التلفزيونية الرياضية)، إذ تناول الباحث نموذج من البرامج الرياضية التلفزيونية العراقية، وانطلق من أهمية وظيفة اللقطة في صناعة البرنامج التلفزيوني الرياضي بأبعاده الفنية والجمالية والفكرية والتقنية عبر إيصال جماليات الخطاب الرياضي نحو تكامل فني لمحتوى البرنامج بوساطة أساليب متعددة تشتمل على تقانات متقدمة في معالجة اللقطات عبر العدسات ذات الدقة العالية مما يدفع عجلة بنية البرنامج الرياضي على وفق الدوافع المتعددة للهدف المنشود.

كما أراد الباحث ان يصل عبر مشكلة بحثه التي تمثلت في السؤال عن فاعلية اللقطة ووظيفتها في بنية البرنامج التلفزيوني الرياضي؟ وهل تم اختيار اللقطات على وفق مبررات ما؟ ام ان الاختيارات أتت عشوائية ذاتية؟ ولتحقق الباحث أهدافه عبر الإجابة عن هذا السؤال بوساطة الكشف عن فاعلية اللقطة وبنيتها الفنية اخراجياً من ناحيتي الشكل والمضمون في البرامج التلفزيونية الرياضية.

تضمن البحث أربعة فصول: -

الفصل الأول: - وقد احتوى على الإطار المنهجي الذي تضمن مشكلة البحث، وأهمية البحث والحاجة اليه، وأهداف البحث، وحدوده، وتحديد المصطلحات وبرزت أهمية البحث في أنه يتناول وظائف اللقطات في تكوين الصورة جمالياً وفكرياً وفنياً وتقنياً في البرامج التلفزيونية الرياضية. كما يمكن للمهتمين في مجال البرامج الرياضية التلفزيونية تطوير قابلياتهم الفنية اخراجياً، فضلاً عن انه يفيد الباحثين والمتخصصين في هذا المجال، وكذلك الدارسين في كليات الاعلام والفنون الجميلة قسم السينما والتلفزيون ولضرورة توفر دراسات كافية ومكثفة حول السؤال (المشكلة) اصبحت الحاجة ملحة للشروع في هذا البحث.

حدد الباحث حدود بحثه في اختيار نموذج العينة بصورة قصدية من عام (٢٠١٨) وتحديداً من قناة الأيام الفضائية.

اما الفصل الثاني فقد شمل الإطار النظري والذي اشتمل على مبحثين وعلى النحو الآتي: -

المبحث الأول: اللقطة التلفزيونية وأحجامها والتي شملت كل ما يخص اللقطة في التلفزيون وما جاورها من أنواع واحجام فضلاً عن علاقتها فيما بينها على وفق الأساليب والاتجاهات البرمجية التلفزيونية الرياضية فضلاً عن اشتغالاتها بشكل عام.

المبحث الثاني: - وظيفة اللقطة في البرامج التلفزيونية الرياضية.. والذي اشتمل على اشكال البرامج الرياضية وأساليب اخراجها ووظائف اللقطة فيها.

كما اشتمل هذا الفصل على أهم المؤشرات التي أسفر عنها الإطار النظري.

الفصل الثالث: - تضمن اجراءات البحث الذي احتوى على مجتمع البحث وعينة البحث ومنهج وأداة البحث فضلاً عن تحليل نموذج العينة التي اختيرت بشكل قصدي. وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي في تحليل العينة.

الفصل الرابع: احتوى على النتائج، إذ خلص الباحث الى بعض النتائج التي أسفر عنها التحليل ومنها: -

- توزعت اللقطات في البرنامجين الرياضيين ما بين المتوسط والعامه وعدم استخدام او انعدام اللقطة القريبة فيها

٢- غياب المساحة الجمالية في غالب اللقطات المتوسطة والعامه

٣- تم كشف الامكنة في البرنامجين الداخلي والخارجي (التسجيلي والمباشر) ولكن بطريقة غير مكتملة ضيعت بعض تفاصيل المكان

٤- اللقطات العامه وضحت الصراع بين الفرق المتبارية

كما احتوى هذا الفصل على الاستنتاجات والمقترحات والتوصيات ثم قائمة بالمصادر والمراجع واخيراً خلاصة البحث باللغة الإنكليزية.

مقدمة

تعد البرامج التلفزيونية واحدة من الاشكال الفنية ذات المضامين الانسانية المختلفة عبر تنوعها وافكارها وتوجهاتها وفقاً للجمهور المستهدف. وما البرامج الرياضية الا جزءاً من تلك البرامج التي لا تهم شريحة الشباب فحسب. بل لمعظم شرائح المجتمع. وهذه البرامج لها اسسها وقواعدها الخاصة في البناء والشكل اذ تتالف كغيرها من الانواع البرمجية من مجموعة من اللقطات التلفزيونية باحجامها وزواياها ومستويات الكاميرا فيها. وهذه اللقطات لا يتم اختيارها من قبل المخرج بشكل عشوائي بل وفق اسس علمية اتفق عليها اغلب المنظرين في السينما والتلفزيون. اذ ان لكل حجم من اللقطات التلفزيونية وظيفة معينة قد تشتغل في البرامج غير الدرامية وقد لا تشتغل في الجانب الدرامي وبالعكس.

اذ ان الذائقة الجمالية للكادر الصوري بالنسبة للمتلقي امر لا يمكن الاستغناء عنه وغالباً ما يكون في مخيلة المخرج فضلاً عن عناصر الجذب والتشويق التي يطرحها المنجز التلفزيوني بشكل عام والمنجز التلفزيوني الرياضي بشكل خاص.

الفصل الأول/ الإطار المنهجي

اولاً - مشكلة البحث:

تعد البرامج التلفزيونية الرياضية جزء فاعل وحيوي من البرامج التواصلية نظراً لأهمية الرياضة في حياة المجتمعات بعدّها تستهدف جميع الأعمار والفئات من المجتمع،

كما تعد اللقطات وأبعادها مفصلاً مهماً في صناعة البرامج الرياضية على وفق نسق جمالي يتسق مع الشكل العام ومضمونه بما يضمن تحقيقاً للتفاعل بين البرنامج والمشاهد. ان اللقطة في البرامج التلفزيونية الرياضية هي تعبير وظيفي وجمالي، وعبر اهميتها تلك لا بد من المخرج ان يكون ملماً بتلك الوظائف كي يحدد نوع اللقطات وبنيتها داخل متن البرنامج. إذ تعد اللقطة وسيلة صورية سمعصرية تساهم في اعادة انتاج الصورة بمعناها الواسع وبأساليب واشكال متنوعة لا تخلو من رؤى اخراجية متعددة وقد تكون مغايرة بعضها مع البعض الآخر، لأن البرنامج الرياضي هو شكل من أشكال التعبير يستهدف غاية ما عبر عناصر تتشاكل وتتعلق فيما بينها لتحقيق رؤية يبتغيها المخرج ويريد ايصالها الى المتلقي.

ان جوهر البرامج تشكلها اللقطات سواء كانت برامج عامة ام خاصة وهي جوهر الفنون بشكل عام والتلفزيون بشكل خاص، اذ تتداخل في بنائها الجمالي والفكري عبر تقنيات حديثة تؤطر الصورة بمعانٍ عدة، لتتركب مجموع اللقطات الى صور هي نتاج ابداعي مرتبط بالمرجعيات المعرفية للمخرج على وفق سيناريو معد مسبقاً للبرنامج، يخلق تفاعلاً ما بين المتفرج والبرنامج من جهة وما بين اللقطة ونوعها من جهة اخرى.

وعبر متابعة (الباحث) للبرامج التلفزيونية الرياضية منذ تسعينات القرن المنصرم وحتى لحظة كتابة البحث، وجد ان هناك تبايناً في الاهتمام باللقطة وانواعها في البرامج التلفزيونية الرياضية، وعلى ضوء ذلك التباين وجد (الباحث) ان من الضرورة البحث في هذا المضمار ولذلك صاغ الباحث مشكلة البحث في السؤال عن فاعلية اللقطة ووظيفتها في بنية البرنامج التلفزيوني الرياضي؟ وهل تم اختيار اللقطات على وفق مبررات ما؟ ام ان الاختيارات اتت عشوائية ذاتية؟ ولتحقق الباحث أهدافه عبر الإجابة عن هذا السؤال بوساطة الكشف عن فاعلية اللقطة وبنيتها الفنية اخراجياً من ناحيتي الشكل والمضمون في البرامج الرياضية التلفزيونية؟ حدد الباحث عنوان بحثه: (وظيفة اللقطات في البرامج التلفزيونية الرياضية).

ثانياً: أهمية البحث والحاجة اليه

تتجلى أهمية هذا البحث في انه يتناول وظائف اللقطات في تكوين الصورة جمالياً وفكرياً وفنياً وتقنياً في البرامج التلفزيونية الرياضية. كما يمكن للمهتمين في مجال البرامج التلفزيونية الرياضية تطوير قابلياتهم الفنية اخراجياً، فضلاً عن انه يفيد الباحثين والمتخصصين في هذا المجال، وكذلك الدارسين في كليات الاعلام والفنون الجميلة قسم السينما والتلفزيون ولضرورة توفر دراسات كافية ومكثفة حول السؤال (المشكلة) اصبحت الحاجة ملحة للشروع في هذا البحث.

ثالثاً: هدف البحث

الكشف عن وظائف اللقطات في البرامج التلفزيونية الرياضية.

رابعاً: حدود البحث

- أ- الحدود الزمانية: ٢٠١٨.
- ب- الحدود المكانية: قناة الايام الفضائية.
- ج- الحدود الموضوعية: وظيفة اللقطة في البرامج التلفزيونية الرياضية (برنامج LIVE SPORT – مباشر)، وبرنامج (أزقة وملاعب – تسجيلي)

خامساً: تحديد المصطلحات

الوظيفة (Function)

تعرف (الوظيفة) لغوياً على أنها عبارة عن "اسم)، وجمعها وُظُفٌ، ووظائفٌ، الوظيفةُ: العهدُ والشرط، الوظيفةُ المنصبُ: والخدمة المعيّنةُ للدنيا ووظائفٌ ووظُفٌ: أي نُوبٌ ودُول، ووظيفة العابد: أوراده وأذكاره، ووظيفة شاغرة: خالية من صاحبها، (النحو والصرف) عمل، أثر كلمة في الإعراب ووظيفة الاسم في الجملة، علمٌ ووظائفُ الأعضاء: علمٌ يبحثُ في أداء الأعضاء ودورها في الحياة" (١).

وعرفت (الوظيفة) لغوياً على أنها "ما يقدر من عمل أو طعام أو رزق وغير ذلك في زمن معين، وتأتي بمعنى الخدمة المعينة" (٢).

أما تعريف (الوظيفة)، اصطلاحاً فقد عرفت على أنها "وحدة من وحدات العمل تتكون من عدة أنشطة مجتمعة مع بعضها في المضمون والشكل ويمكن أن يقوم بها موظف واحد أو أكثر" (٣).

او "كيان نظامي يتضمن مجموعة من الواجبات والمسؤوليات توجب على شاغلها التزامات معينة، مقابل تمتعه بالحقوق والمزايا الوظيفية" (٤).

التعريف الإجرائي للوظيفة

هي الواجب أو المسؤولية الملقاة على عاتق المدلول للوصول الى دالة ما عبر هدف مرسوم مسبقاً.

اللقطة: (The Shot)

يعرف (دالي) (اللقطة)، على انها حادث او مشهد بدون انقطاع في الزمان والمكان يصور دون مقاطعة فعلية أو ظاهرية" (٥).

وتعرف (اللقطة)، على انها "لحظة فتح الكاميرا الى لحظة توقفها أو غلقها" (٦). وفي تعريف آخر نراها تعني على انها "جزء من المشهد قد تكون طويلة في الزمن كان تتجاوز الخمس دقائق أو قد تكون قصيرة لا تتجاوز الثانية" (٧).

التعريف الإجرائي لللقطة

هي جزء من المشهد قد تكون طويلة أو قصيرة أو متوسطة غير أنها مرتبطة بما قبلها وما بعدها تستهدف عنصراً ما أو عدة عناصر داخل الصورة.

الفصل الثاني / الإطار النظري

المبحث الأول: اللقطات التلفزيونية وأحجامها

تعد البرامج التلفزيونية واحدة من وسائل التواصل الثقافية المجتمعية فضلاً عن كونها وسيلة تعبيرية تم توظيف محتواها عبر الشاشة التلفزيونية على وفق مفرداتها ومناهجها المرتبطة بسياسة كل قناة فضائية بما يتلائم مع الجمهور المستهدف، إذ تعد البرامج الرياضية واحدة من الحقول المعرفية والجمالية التي تستهدف جميع الرياضات ومن زوايا مختلفة سواء أكانت تمس شخص الرياضي نفسه أو المتذوقين لتلك الحقول الرياضية وهم الجمهور المستهدف، علماً أن البرامج التلفزيونية الرياضية منها ما يكون مباشراً ومنها ما يكون تسجيلياً أو خارجياً أو داخل ستوديوهات مختلفة، كل تلك التنوعات تتيح خيارات متعددة للقائمين على البرامج الرياضية من أن يقدموا زوايا مختلفة وبمعالجات فنية متنوعة تختلف في توظيفاتها واستخداماتها عبر الكاميرات والعدسات المتنوعة وزوايا الالتقاط أو التصوير.

تعد اللقطة التلفزيونية جزءاً مهماً في بناء الصورة وفضاءها الجمالي فضلاً عن أنها الجزء الذي يظهر على الشاشة وفي فضاءها أو في المشهد ككل، وهي أول ما ينظر من قبل المشاهد، وهناك أنواع وأحجام وزوايا للقطعة يوردها الباحث كما يأتي:

١- اللقطة العامة Long Shot:

وهي تلك اللقطة التي تستمد شكلها ومضمونها من عمق الحدث المراد تصويره إذ يطلق عليها في مكان آخر اصطلاح "الدورة الطويلة" لأنها تأخذ دوران واحد في تشغيلها آلة الكاميرا وبشكل طويل. أي بمعنى عملية التصوير مستمرة دون انقطاع، وبمعنى آخر أنها تصوير حدث معين يجري أمام آلة التصوير، ويمكن لتلك اللقطة أن تستمر باستمرار الحدث، حتى ولو تجاوز ذلك الحدث زمناً قدره خمس دقائق^(٨) وهذا معناه أن اللقطة الطويلة لا ترتبط بزمان معين بالدرجة الأساس، إنما ترتبط بحدث معين يجري تصويره أمام الكاميرا.

والقصد منه هو متابعة مجريات الحدث على خط طول واحد، وإن اختلفت مسارات اتجاهاته.

إن بعض المخرجين يعتمد على توظيف اللقطة العامة كمنطلق لتأسيس معالجة فنية لحدث ما. مستعيناً عبر بنية أفكاره المرتبطة بالحدث وتحولات اللقطة من مسار إلى آخر على وفق قراءته للواقع "ففي برامج تلفزيون الواقع نرى المخرجين يلجأون إلى اللقطات التأسيسية البعيدة كما هو الحال في الدراما التلفزيونية وذلك لرغبتهم في الكشف عن كل ما هو موجود في بنية الصورة التلفزيونية التفاعلية ذات التفاصيل المتنوعة"^(٩). إذ يعد المخرج التلفزيوني المتخصص في اخراج البرامج التفاعلية ومنها البرامج الرياضية مخرجاً متمكناً من ادواته متى استطاع التمكن من ضبط لقطاته على وفق أنواعها ومدى تأثيرها في المتلقي. لأن عملية خلق الانسجام بين بنية الصورة التلفزيونية على الشاشة

وبنية الصورة التلفزيونية التفاعلية وتأثيرها التواصلية مع المتلقي دون انقطاع هي واحدة من الأهداف المهمة التي يركز عليها المخرج ليصل عبرها الى الهدف المراد تحقيقه من تلك اللقطة بوساطة وسائل متعددة بضمنها التعبير الذي يساهم في تربية وانضاج ذائقة المتلقي. إذ يعد (التلفزيون)، على وفق جهة نظر العالم الألماني (اوتبارغ) على انه ذلك "التعبير الموضوعي عن عقلية وروحها وميولها واتجاهاتها (...). وتتخذ البلدان الأكثر تطوراً من التلفزيون كوسيلة في تعليم الصغار وتربيتهم وعرض قيم مجتمعهم واحاطتهم بتطورات وأمجاد أسلافهم" (١٠).

وهذا يعزز بأن التلفزيون واحد من الوسائل التواصلية في بنية المجتمعات المتحضرة والمتطورة كونها تهتم بعالم الصورة الذي هو مثار جدل التطورات المعرفية في العالمين السينمائي والتلفزيوني. وتعد اللقطة العامة جزء لا يتجزأ من تلك الصورة وبنيتها الجمالية، لأنها ترجمة مرتبطة بسيناريو معد مسبقاً على وفق الحدث او الموضوع. فاللقطة العامة هي "التي تشتمل على جزء كبير من الموقع اضافة الى الجسم الانساني كاملاً" (١١). وهذا يعني ان إظهار كامل الصورة وعناصر الفضاء المجاور لها يشكل مزيجاً ما بينها وما بين المستهدف داخل اللقطة الواحدة. كأن يكون كشف للعلاقة بين المستهدف في اللقطة وتلك العناصر كونها ستشكل فاعلاً سيأتي من حدث او انها ترتبط به ارتباطاً مباشراً داخل اللقطة ذاتها. لأن اللقطة العامة "تعرض صورة شخص بتكامل هيئته الى القدم. مع جزء كبير من المكان الذي حوله" (١٢) وهذا يدل على ان اللقطة العامة انما تبحث في تفاصيل الشيء بدقة متناهية فضلاً عن رسم ملامح الفضاء الذي يستقر فيه ذلك الشيء.

ان البحث في حيثيات اللقطة العامة إنما هو تأسيس لبنية الصورة ذات الفضاء المفتوح والتي تحتوي على الكثير من العناصر ذات الإسهام الفاعل في تقديم صورة مثيرة وفي نفس الوقت فاعله تبرز اهداف اللقطة وتشكلاتها في عموم فضاء اللقطة من جانب وعموم فضاء المشهد من جانب آخر. وفي جانب آخر يمكن للقطة العامة ان تتمتع بنفس الحدود (حدود الفضاء) أي فضاء اللقطة سواء كان مكانياً يدور في فضاء مفتوح (خارجي) او فضاءً مغلق (فضاء داخلي)، فكل فضاء فيهما جمالية معينة وتمتلك عناصر فاعلة قد تختلف بعضها عن البعض الآخر، غير ان قدرتهما على الإنجاز واحدة. ان اللقطة العامة: "هي اللقطة التي تظهر الطول الكامل للشخص في حقل للرؤية واسع متضمناً الديكورات والخلفيات" (١٣).

ان الغرض من كشف كل ما يحيط بالمستهدف داخل اللقطة انما هو غرض ذو معنى يبتغيه المخرج ليصل الى هدف معين فبناء اللقطة داخل فضاء الصورة او تسلسلها البنائي انما يشبه بناء المفردة الواحدة داخل فضاء اللوحة التشكيلية. إذ لا بد ان تكون هناك عجلة علاقات متشعبة ما بين جميع العناصر المتواجدة داخل الصورة (اللقطة). وحينها تسمى

لقطة عامة أو هي عبارة عن "لقطة تظهر للمشاهد أكبر قسم من المنظور، ومن ثم فإن استخدامها يرتبط بمدى الحاجة الى اطلاع المشاهد الى المشهد بأكمله، وبيان العلاقة التي تربط بين اجزائه المختلفة وتستخدم كلقطات افتتاحية أو تأسيسية"^(١٤).

لذا يرى الباحث ان اللقطة العامة أو الطويلة هي بمثابة لقطة تأسيسية أو افتتاحية الغرض منها وضع المستهدف داخل فضاء الصورة والتأكيد على تفاصيل الفضاء بما ينسجم وكشف المضمون امام المتلقي.

٢- اللقطة المتوسطة Medium Shot:

أما اللقطة المتوسطة فهي تعد ثاني الأنواع في توظيفات اللقطة داخل الفضاء، ويحاول المخرج عادة التركيز على المستهدف في اللقطة الواحدة داخل فضاء الصورة، لأنها "تضم الشخص من الركبة أو الخصر فصاعداً"^(١٥). هنا يحاول المخرج ان يجعل من تلك اللقطة وسيلة للانتقال ما بين اللقطة البعيدة واللقطة القريبة. أي التركيز على المستهدف نفسه وتفاصيله بأدق حيثياتها أي بحدود الصورة التي انغلت بحدود انغلاقها على المستهدف. فغالباً ما نركز على الحركات والإشارات كالأيماءات التي تعكس انفعال الشخصية وانسجامها ادائياً حسب ما يرد على لسانها ونفهمه من حركاتها فهي تعد بمثابة وظيفة يؤديها المستهدف داخل اللقطة لايصال فكرة ما وغالباً ما تتضح الحركات والأيماءات والإشارات في اللقطة المتوسطة وتتركز في الوجه والكفين، لأن اللقطة المتوسطة "تصور شخص من أعلى رأسه حتى وسطه"^(١٦).

إذ تعد تلك اللقطة (المتوسطة) لقطة لاعادة تأسيس ما بعدها بناءً على ما قبلها لتوضيح بنية الصورة عبر تلك اللقطات، وبالتالي فإن اللقطة المتوسطة، "لقطة وظيفية تقيد في مشاهد العرض الأولية والانتقالات بين اللقطات الكبيرة والبعيدة لاعادة التأسيس بعد لقطة بعيدة أو كبيرة"^(١٧). إذ نجد استخدام تلك اللقطة المتوسطة في مجريات أحداث المباريات العالمية حين يكون حجم اللقطة متوسطاً يجتمع فيها الحكم واللاعب المصاب فضلاً عن اللاعب الذي تسبب في الإصابة، فتكون وظيفة هذه اللقطة الكشف عن الحدث بأكمله وهما الثلاثة أصحاب الفعل الرئيسي يقدم المخرج من خلالها سرداً صورياً بلقطة متوسطة الحجم لكشف ملابس تلك الإصابة. وفي مثال آخر تركز اللقطة المتوسطة على ضيف معين داخل برنامج معين لكشف تفاصيل دقيقة عن احياءات وإشارات تلك الشخصية بما يرسل عبرها تفسيراً واضحاً للمتلقي.

ان تحديد اللقطة المتوسطة بحجم معين يتيح للمخرج الكشف عن تفاصيل تلك الشخصية بحجم معين ايضاً بما ينسجم ونوع تلك اللقطة، لأن اللقطة المتوسطة "تتناول النصف الأعلى للشخص مع وجود الخصر في اسفل الاطار"^(١٨). وهذا يمنح الصورة مجالاً للامعان في الشخصية ومتابعتها على مستوى الأيماءة والإشارة متحددًا من أعلى الرأس الى الخصر دون الولوج في تفاصيل الجسم بأكمله. فهي اكثر قرباً للمتلقي من

اللقطة العامة، وأكثر تفصيلاً كذلك. إذ تعد اللقطة المتوسطة فاعلاً يجمع ما بين اللقطة العامة واللقطة القريبة. ويخلق بناءً جمالياً يحقق الانتقال بانسيابية من لقطة الى اخرى. لأن اللقطة بحد ذاتها هي "الوحدة الأساسية للمشهد، حيث تسبقها وتلحقها لقطات اخرى، فتكون مع بعضها، وحدة متكاملة، أما المنظر فهو مضمون هذه اللقطة من حيث الحجم والتكوين"^(١٩). إذ يعد التكوين واحد من عناصر بناء الصورة التي بضمنها اللقطة داخل منظومة المشهد التلفزيوني، وكذلك المنظر فهو يتكون من مجموعة عناصر تتشاكل وتتعلق داخل الصورة الفنية أيضاً.

ويرى الباحث ان اللقطة المتوسطة من الأهمية بمكان ان تشكل نقطة الارتكاز والانسجام ما بين اللقطة العامة واللقطة القريبة. وهي فاعل جمالي يضبط ايقاع المشهد.

٣- اللقطة القريبة Close Shot:

تعد اللقطة القريبة او الكبيرة ذات معنيين في التفسير، فالكبيرة تعني تكبير شيء ما داخل فضاء الصورة ثم التركيز في أدق تفاصيله اما اللقطة القريبة فهي لقطة تقرب شيء ما دون الأشياء الأخرى داخل فضاء الصورة ومن ثم التركيز على أدق تفاصيلها. فكل المعنيين متشابهين متطابقين وان اختلفت تسمياتهما (الكبيرة، القريبة)، فاللقطة الكبيرة (Close Shot)، "تظهر القليل جداً من الموقع ان لم نقل لا تظهر شيئاً، وتركز على شيء صغير نسبياً، الوجه الانساني مثلاً"^(٢٠). وهنا يمكن للباحث ان يسوق عدة أمثلة لتلك اللقطة، او نراها بعد التركيز على وجه لاعب قد أصيب أثناء المباراة سواء أكانت تلك الاصابة حقيقية لكشف قسوة ملامح تعبيره الذي ينم عن الألم، او الكشف عن اصابة وهمية يحاول اللاعب من خلالها ان يوهم الحكم للحصول على خطأ ما من قبل الخصم. أو ما يسمى بالاصطلاح الرياضي (سقوط مفتعل). وكذلك يمكن ان نشاهد تلك اللقطة في البرامج الاستقصائية التي تقدم كشفاً دلاليّاً عن بعض الجرائم، إذ يتم التركيز فيها على وجه المتهم تحديداً لكشف انفعالاته او على يديه فقط لكشف ذات الانفعالات. او تستخدم تلك اللقطة لكشف تعبيرات الوجه في الذين يتعرضون الى الموت أثناء المعارك في الافلام الوثائقية الحربية. او يمكن التركيز عبر اللقطة القريبة على ضيف في احدى البرامج التلفزيونية المباشرة. وهو يتلقى اتصالاً معيناً عبر الهاتف سواء كان نتيجة ذلك الاتصال بالإيجاب او السلب.

ان اللقطة الكبيرة بمعناها العام التركيز على أدق التفاصيل في جزء معين من الجسم، لأنها "تصور شخصاً من أعلى رأسه حتى اكتافه، او أي جزء تفصيلي من شيء يتم تصويره"^(٢١)، ولهذا فان غالبية المخرجين في البرامج التفاعلية ذات الطابع الجماهيري ومنها البرامج الرياضية يحاولون الكشف عن كل ما هو مثير وممتع لضمان مشاهدة اكبر في برامجهم. فان المخرج هو من يضع الخطة الأرضية على الورق قبل ان تتحول الى

صورة على شاشة التلفزيون. لأن الإخراج "يعني أسلوب تقديم الحقائق والمعلومات بالقدر الذي يجذب الجمهور ويدفعه للاهتمام والمشاركة"^(٢٢).

ان تعدد الأساليب رغم ثبات اللقطة وأنواعها يمنح المخرج ومخيلته هامشاً بالتلاعب بزوايا الكاميرا وفرضيات الفضاء التي تشكل الصورة عبر مجموعة من الانفعالات الناتجة عن بنية الحدث والصراع داخل المشهد الواحد الذي هو عبارة عن مجموعة من الصور ومجموعة من اللقطات تشكل البنية الأساسية لإطار الصورة وفضاءها.

ويرى الباحث ان اللقطة القريبة (الكبيرة) هي جزء لا يتجزأ من الصورة الواحدة في بنيتها التي تتشكل في لقطات متجاورة هي اللقطة الطويلة والمتوسطة. وعبر تلك اللقطات الثلاثية تتشكل الأف الصور بالآف المعاني على وفق مخيلة المخرج ونوعية البرامج ونوعية المتلقي المستهدف، لذا تعد اللقطات التلفزيونية هي من أساسيات بنية الصورة داخل البرنامج التلفزيوني بشكل عام والبرنامج الرياضي بشكل خاص.

المبحث الثاني : وظيفة اللقطة في البرامج التلفزيونية الرياضية

تعد البرامج التلفزيونية الرياضية أسوة بقريئاتها من البرامج الأخرى ذات فاعلية تستهدف ليس فقط فئة الشباب فحسب، وانما جميع فئات المجتمع وتصنيفاته وجنسه. والصورة هي الوسيلة التي يستعرض من خلالها المخرج فاعلية البرنامج عبر أحداث سواء أكانت مباشرة او غير مباشرة. اذ "يحقق النقل الحي والمباشر للمباراة ما يمكن تسميته بـ"الدراما المرتجلة". بمعنى تقديم المباراة كحدث درامي يمتلك مقومات الدراما كافة: مسرح، الجمهور، الحدث المتطور، الصراع، التوترات الصوتية"^(٢٣).

اذ ان كل تلك العناصر تساهم في ضبط ايقاع اللقطة ثم الصورة ثم المشهد بأكمله، عبر فضاء متكامل يساهم في تقديم برنامج ذو صبغة تفاعلية ابداعية عبر التواصل ما بين المتلقي والبرنامج.

ان تحقيق عناصر البناء الجمالي داخل فضاء البرنامج التلفزيوني الرياضي انما يتأتى عبر مخرج محترف ماهر عارف بصناعة الإخراج يميز ما بين لقطة واخرى وما بين زاوية واخرى وما بين حجم وآخر للقطة. اذ ان لكل حجم لقطة ووظيفة، تساهم تلك الوظيفة للكشف عن بنائية تلك اللقطة وهدفها. وهنا يورد الباحث مجموعة من النقاط سرداً لوظائف اللقطة داخل البرنامج التلفزيوني الرياضي وكما يأتي:

١- وظيفة اللقطة العامة في البرنامج التلفزيوني الرياضي.

تعد اللقطة العامة واحدة من الحجوم التي يستخدمها المخرج عبر كاميرة تصوير على وفق البرنامج المستهدف. اذ ان تلك اللقطة "تؤخذ للشيء المراد تصويره من بعد متوسط، وتعرضه كاملاً وسط الجو العام المحيط به، والصورة في مثل هذه اللقطة، تعرض المنظر العام بكل محتوياته وزخارفه وكل مظاهره الحركة المتصلة بهذا المنظر، مع مجموعة من الأشخاص المتحركة فيه"^(٢٤). ان تلك اللقطة انما تستهدف حجم

الأشخاص على وفق حجم اللقطة العامة. ففي نموذج من البرامج الرياضية (برامج المسابقات) يظهر المقدم والضيف وجمهور المتسابقين بأجسادهم الكاملة بغض النظر عن التفاصيل الدقيقة كوحدة واحدة داخل اللقطة الواحدة والتي هي اللقطة العامة. وبهذا تكون وظيفتها التقليدية هي الكشف عن المكان أولاً وعن الشخصيات ثانياً وعن الأحداث ثالثاً. أي ما يدور بين تلك الشخصيات، وغالباً ما تكون تلك الوظيفة ابتداءً هي وظيفة تأسيسية يستعرض من خلالها المخرج فضاء الصورة عبر اللقطة العامة والتي تتركز وظيفتها بكشف المكان الذي تدور فيه الأحداث، الأمر الذي يجعل من استخدامها غالباً ما يكون في البداية، للحد الذي أطلق عليها تسمية "لقطة تأسيسية" أو "لقطة رئيسية"^(٢٥).

مما يعني ان هذا التأسيس انما يأتي فيما بعد ليقدم نموذجاً آخر عبر تلك اللقطة التي تأتي أثناء التحول من لقطة الى أخرى للكشف عن حدث معين من ناحية المكان. اذ نجد ان البرامج التلفزيونية الرياضية التي تقدم تغطية خاصة عبر ستوديو داخلي ومقدم يستهدف عبر حديثه حادثة رياضية معينة (لعبة كرة القدم، أي لعبة اخرى، مؤتمر صحفي رياضي، انهيار ملعب) فنجد الانتقال من اللقطة المتوسطة التي يكون فاعلها هو المقدم الى لقطة عامة هي المستهدفة عبر سرد الأحداث التي جاء بها ذلك المقدم. إذ "عند الانتقال من مشهد لآخر نعطي لقطة عامة لتوضيح مكان الحدث"^(٢٦).

ان وظيفة اللقطة العامة متعددة الزوايا، فأحياناً قد تكون اللقطة عامة غير انها في وسط ذلك الفضاء العام تركز على شخص ما كان يكون مدرباً يتخذ تعبيراً معيناً وحركات معينة وهو يبدو منفصلاً نتيجة للأداء السلبي لفريقه المتأخر بعدة أهداف عن خصمه. مما يشكل عزلة واضحة لذلك المدرب في فضاء تلك الصورة. وبهذا فان (المساحة السايكولوجية المتشائمة والجو المعنوي المائل الى السلبية)^(٢٧) هي ما يميز تلك اللقطة العامة.

ان تعدد الوظائف لللقطة العامة يتيح لها اكثر من تغيير فضلاً عن انها كاشفة للمكان والحدث. غير ان لها وظيفة اكثر حساسية بعدها انطباقاً يكشف سايكولوجيا الشخصيات وسط تكوين الصورة. وتعد اللقطة العامة ذات "قيمة درامية باتجاه معاكس، فأحياناً عندما تحس الشخصية بنبذها وضآلتها بالنسبة لعلاقتها مع العالم. فان اللقطة البعيدة تظهره صغيرة بالنسبة لما يحيط بها. مما يزيد في التأثير والتعبير الدرامي"^(٢٨). كما جرت أحداث محكمة الكاس حول محاكمة رئيس اتحاد الفيفا (سيب بلاتر) حين اظهرته الكاميرات وهو يسير منبواً بين حشود المشجعين تاركاً المكان وسط فضاء تلك اللقطة العامة.

ويرى الباحث ان وظيفة اللقطة العامة في البرامج التلفزيونية الرياضية انما ركزت على كونها افتتاحاً أو تأسيساً أو مقدمة للحدث. كما ان وظيفتها الأخرى ساهمت في كشف

المكان، فضلاً عن فاعليتها الدرامية عبر كشفها لعناصر الصراع داخل اللقطة والصورة والمشهد الرياضي.

٢- اللقطة المتوسطة ووظيفتها في البرامج التلفزيونية الرياضية

تعد اللقطة المتوسطة قيمة فنية جمالية تضاف الى فضاء الصورة عبر تكوين عناصرها مجتمعة داخل اللقطة. إذ تعد اللقطة "هي الوحدة الصغرى في لغة التلفزيون، اللقطة العامة تعطي فكرة عن الحدث ككل، واللقطة المتوسطة تتخذ جانباً في السياق او من المسرح او من البيئة، في حين ان اللقطة القريبة تركز تفصيل معين وتبرزه وبذلك فانها ذات طابع تحليلي تجعل المشاهد يقترب من احداث تفاصيل الحدث او المشهد ويتعمق في فهمه، ويقوي احساسه بالمشاركة في صنع الحدث. ويقوي من المقدرة التعبيرية والاتصالية لمضمون اللقطة"^(٢٩). وبهذا تعد مجموع تلك اللقطات عبارة عن نسق جمالي يثير التواصلية عند المتلقي عبر مجموعة من الأحداث.

ان اللقطة المتوسطة هي تلك اللقطة التي يتم تصويرها والكاميرا في مكان أقرب من الشيء المراد تصويره، عنها في اللقطة العامة، ولكنها لا تكون قريبة بنفس النسبة التي تكون عليها في حالة اللقطة القريبة. وهذه اللقطة بالنسبة لجسم الانسان هي اللقطة التي تحوي الجسم من الرأس الى الركبتين"^(٣٠). بما يعني ان اللقطة المتوسطة تتعدى وظيفتها التقليدية إذ تكون فيها مسافة جمالية ما بين الكاميرا وفضاء التصوير من جهة وما بين الكاميرا والشخصية المستهدفة من جهة اخرى. اذ ركزت على المحيط المجاور للحدث وما يجري خلفه. اذ ان "الموضوع قد اصبح اكبر مما هو عليه في اللقطة العامة وقد طغى على المنطقة المحيطة، والخلفية لاتزال مهمة، ولكنها تشارك الموضوع بالأهمية"^(٣١).

ان التعدد الوظيفي لللقطة المتوسطة في البرنامج التلفزيوني الرياضي يمنحها تنوعاً مهارياً يشبه المهارات التي يتمتع بها اللاعب. أي بمعنى ان التحول من لقطة الى أخرى يحتاج الى مهارة يستطيع عبرها المخرج ان يوظف صورته الفنية خارج الايقونة المتعارف عليها والنزوع نحو كسر المألوف بأيقاع متناغم تمتد من اللقطة العامة الى المتوسطة ثم الى القريبة حتى تتبادل تلك اللقطات ادواراً عدة كما يحدث في نقل مباريات الكلاسيكو الحي سواء كانت في الدوري الاسباني او الانكليزي او الفرنسي.

ان اللقطة المتوسطة تساهم في نقل ذاكرة المتلقي من البعيدة الى الأقرب كما انها ترسل إشارات بما يسمح للمتلقي بأن يزيد من فاعلية التركيز على اللقطة والغوص في بعض تفاصيلها. لأن "سبب استخدام اللقطة المتوسطة هو سهولة الإدراك ووضوح الرواية"^(٣٢) أي بمعنى كلما قربت الأشياء من المتلقي او زاد احساسه بالقرب منها كلما سهلت عملية التلقي واتضحت الفكرة ليصبح الوصول الى الهدف امراً سهلاً.

ان من بديهيات اللقطة المتوسطة هي انتقالها ما بين لقطتين او ما بين لقطة ثم العودة اليها. فهي "تستخدم عند الانتقال من لقطة عامة الى لقطة قريبة"^(٣٣) مما يعني ان اللقطة العامة

تأتي بعدها لقطة متوسطة وبعد اللقطة المتوسطة تأتي لقطة قريبة ليتم تبادل الأدوار ما بين تلك اللقطة بانسيابية ونسق جمالي ما بين تلك اللقطات.

ويرى الباحث ان وظيفة اللقطة المتوسطة انما تستهدف بعض تفاصيل القصة والحدث فضلاً عن كونها مرحلة انتقالية ما بين اللقطة القريبة واللقطة العامة، ويمكن لها ان تتخذ اتجاهات معاكساً ايضاً.

٣- وظائف اللقطة القريبة في البرامج التلفزيونية الرياضية.

تعد اللقطة القريبة واحدة من الحجوم التي تتمتع بها الكاميرا التلفزيونية والسينمائية على حدٍ سواء. فاللقطة القريبة غالباً ما تركز على الموضوع وتوليه "الأهمية الاولى وانه يتمتع بالخطوة الرئيسية ضمن اللقطة، وان قسماً صغيراً من الخلفية سيُشاهد"^(٣٤). مما يدل على ان اللقطة القريبة تهتم ببعض تفاصيل المقدم أو الضيف أو الشخصية المستهدفة داخل الصورة مع بعض التفاصيل الطفيفة في الخلفية كما في مشاهد البرامج الرياضية التي تركز في لقطة قريبة على وجه المقدم او الضيف او لتركز على شيء صغير نسبياً لكي تعطيه اهمية وتأثيراً اكبر.

ان من مقدمات الوظائف التي تتمتع بها اللقطة القريبة انها ترفع اهمية الأشياء فضلاً عن قيمها المعنوية عبر التركيز بشكل كبير على فعل او اشارة او ايماءة او على لفظ دون غيره. فوظيفة اللقطة القريبة هي "رفع اهمية الاشياء، عبر الادعاء الذي يعطينا في الغالب مغزى رمزي"^(٣٥).

كما ان بعض المصادر تشير الى ان اللقطة القريبة تساهم في رسم ملامح الشيء والدخول في تفاصيل دقيقة قد لا يجدها المتلقي او لا يركز عليها في اللقطة العامة والمتوسطة. لهذا تعد اللقطة القريبة ذات "قيمة وصفية"^(٣٦).

ان وظيفة اللقطة القريبة انما تعنى "بإبراز التفاصيل الصغيرة والانفعالات البشرية التي تظهر على الوجه او في حركة يد او اهتزاز قدم.. الخ"^(٣٧). كما نجدها على مصاطب الاحتياط لدى المدربين واللاعبين أو في برامج التحليل الرياضي او المؤتمرات الصحفية الرياضية المنقولة بعد انتهاء المباراة فضلاً عن اننا نجدها في لحظات التهيؤ لفعل رياضي معين في مجموعة من الألعاب او في لحظات تسديد ضربة الجزاء.

ويرى الباحث ان وظيفة اللقطة القريبة هي متعددة وتشتمل على الكثير من الواجبات منها التركيز على الأشياء الصغيرة نسبياً لاعطاءها بعداً أكبر والكشف عن تفاصيلها الدقيقة. كما ان الكشف عن التفاصيل الصغيرة نسبياً يجعلها في مقدمة الأهمية فضلاً عن تلك الأهمية تعطي المتلقي كماً من الإيحاء بالذهاب الى أكثر من مغزى وتحليل اكثر من رمز.

كما ان وظيفة اللقطة القريبة تمنحنا امكانية وصفية كما انها تمنحنا فخامة في التفسير وتركيز عالٍ على بؤرة المحتوى. فضلاً عن انها تتيح للمتلقي التركيز على الصورة بحجمها القريب عبر تفاصيل الوجه وتعبيراته المختلفة.

ما أسفر عنه الإطار النظري

- ١- توزعت اللقطات التلفزيونية الرياضية ما بين عامة ومتوسطة وقريبة.
- ٢- ان اللقطة العامة هي لقطة تأسيسية تكون ابتداءً منذ لحظة افتتاح الكاميرا حتى غلقها.
- ٣- ان وظيفة اللقطة العامة قد تركزت في كونها مقدمة للحدث.
- ٤- ان وظيفة اللقطة العامة هي الكشف عن المكان.
- ٥- تساهم اللقطة العامة في كشف عناصر الصراع داخل الصورة في البرنامج التلفزيوني الرياضي.
- ٦- استهدفت اللقطة المتوسطة سرداً للقصة والحدث.
- ٧- تعد اللقطة المتوسطة لحظة انتقالية ما بين اللقطة العامة والقريبة والعكس كذلك.
- ٨- منحت اللقطة القريبة تركيزاً فاعلاً على الأشياء الصغيرة سبباً لاعطاءها بعداً أكبر.
- ٩- تساهم اللقطة القريبة في كشف تفاصيل دقيقة.
- ١٠- اللقطة القريبة تعطي اهمية كبيرة للشخصية او الحدث او المكان.
- ١١- للقطة القريبة أكثر من مغزى وأكثر من رمز.
- ١٢- للقطة القريبة قيمة وصفية.
- ١٣- فاعلية اللقطة القريبة في التركيز على بؤرة المحتوى.
- ١٤- كشفت اللقطة القريبة عن تفاصيل الوجه وتعابيرها المختلفة.
- ١٥- اللقطة المتوسطة تمنح الصورة مساحة جمالية ما بين الكاميرا وفضاء التصوير وما بين الكاميرا والشخصية المستهدفة من جهة اخرى.
- ١٦- وظيفة اللقطة المتوسطة التركيز على الموضوع.

الفصل الثالث / اجراءات البحث

اجراءات البحث

- ١- مجتمع البحث: قام الباحث باحصاء مجتمع بحثه والذي تكون من برنامجين تلفزيونيين في مجال الرياضة تم عرضهما على قناة الأيام الفضائية وهما من نتاج ٢٠١٨.
- ٢- عينة البحث: اختار الباحث عينة البحث لبرنامجين تلفزيونيين هما:
 - (١) Live Sport مباشر / ستوديو
 - (٢) أزقة وملاعب تسجيلي/ خارجيولقد تم اختيار تلك العينة بطريقة قصدية وذلك للأسباب التالية:
 - (١) مشاهدة البرنامج من قبل الباحث
 - (٢) إمكانية الحصول على أقراص مدمجة (CD) لعينة البحث

- ٣- منهج البحث: إتمد الباحث المنهج الوصفي في اجراءات بحثه للوصول الى النتائج والاستنتاجات.
- ٤- اداة البحث: تم بناء اداة البحث استناداً الى المؤشرات التي أسفر عنها الاطار النظري، وكذلك المشاهدات العيانية والمصادر والمراجع.

تحليل العينة

برنامج "أزقة وملاعب"

اعداد وتقديم / علي أحمد

اخراج/ علي قاسم شامخ

انتاج/ قناة الأيام الفضائية ٢٠١٨

نوع البرنامج/ رياضي (تسجيلي - خارجي)

- يعد برنامج (أزقة وملاعب) واحد من البرامج الرياضية التي تغطي جميع الفعاليات الرياضية في الأحياء والمدن، وهو برنامج يدعم فئة الشباب فضلاً عن الفئات العمرية الأخرى عبر فرق تتوزع في مدن بغداد وضواحيها.

■ اعتمد المخرج على توزيع حجوم اللقطات على وفق المكان والشخصيات (الضيف) كما ركز على تفاصيل المباريات ومجريات. كلٌ حسب طبيعة الحدث او الموضوع. ففي بداية البرنامج حرص المخرج على تصوير (المقدم) بلقطة متوسطة تظهر جزء من المكان خلف (المقدم) وكذلك تهيء المتلقي لمجريات البرنامج.

■ في الدقيقة (١٤:٥) وهو يتحدث عن تفاصيل البطولة الرياضية التي سيتم الخوض في تفاصيلها لاحقاً وبعد الفاصل.. اذ من الممكن ان يبتدأ باللقطة العامه ثم يدخل بنفس اللقطة (زوم ان) لتصبح لقطة متوسطة.

■ بعدها عمد المخرج للانتقال بعد الفاصل وفي الدقيقة (١٧:١) للكشف وبلقطة عامة عن مكان اجراء المباريات وساحة اللعب وجانباً من الجمهور الذي يحضر المباريات معتمداً على تصوير مجريات اللعب والانتقال من لقطة (عامة) الى لقطة (قريبة)، غير ان المخرج وبعد ان افتتح (المقدم) ديباجته بالحديث عن تغطيته الخاصة بالبطولة الرياضية المتعلقة بكرة القدم انتقل المخرج للقطة العامة لما فيها من استمرارية لكشف جانب من مجريات المباريات وطبيعة الفريقين واسمائهما وكما تظهر نسق التشكيلة والالوان التي يرتديها الفريقان.

■ ليعود المخرج بعدها بلقطة متوسطة تجمع (الضيف) وهو أحد المشرفين على البطولة من قبل وزارة الشباب والرياضة، في الدقيقة (٢٧:٣). وخلفه يتركز اللاعبون وهم يتلقون التعليمات من المدرب. كما تكشف اجواء الملعب خلفها. اذ ركزت اللقطة المتوسطة على سرد الحدث وهو محور البرنامج أي الحديث عن البطولة الرياضية الخاصة بكرة القدم فضلاً عن الحديث الذي دار حول الفريقين.

- ثم يستخدم المخرج طريقة (2 Shot) في اللقطة المتوسطة ثم بعدها الى (2.Widow) قاصداً التركيز على الضيف من جهة وعلى مجريات الأحداث وكشف المكان من جهة اخرى في الدقيقة (٥:٤) وهو بهذا يستهدف تقديم صيغة جمالية للصورة فضلاً عن الكشف عما وراءها.
- وفي الدقيقة (٧:٢٦) ركز المخرج بلقطة عامة على تسجيل هدف من قبل الفريق الأخضر الذي استمرت اللقطة فيه من تحضير الكرة الى التسجيل الى رد فعل الفريقين اتجاه الهدف. اذ ان بقاء اللقطة العامه لمدة طويلة في الشاشة سرعان ما يخلق حالة ملل لدى المتلقي الذي يرغب بمشاهدة اكثر من لقطة باحجام مختلفة.
- في الدقيقة (٧:٥٠) يعود المخرج الى اللقطة المتوسطة مع الضيف ليستكمل الحديث عن ظروف الدورة الرياضية والدعم المقدم لها، فعلاً تم الانتقال من لقطة قريبة للمقدم وهو يستعرض احداث الحلقة الى لقطة متوسطة تجمع المقدم والضيف الى لقطة عامة تجمع بين الفريقين المتباريين.
- وفي الدقيقة (٨:٥١) يعود المخرج الى اللقطة المتوسطة وهو يلتقي بمدرّب احدي الفرق المتبارية للحديث عن مجريات الشوط الأول فضلاً عن الأمور التي تتعلق باعداد الفريق والتحضيرات التي سبقت المباراة.
- وفي الدقيقة (١٠:٢٥) يعود المخرج لتوظيف اللقطة العامة عبر استعراض مهارات اللاعبين امام هدف الخصم وبعض تفاصيل انتقالات الكرة بين اقدام اللاعبين او التمريرات البيئية فيما بينهم.
- وفي الدقيقة (١٠:٤٧) تعود اللقطة بحجم متوسط لنفس المدرب وبنفس الزاوية السابقة مما سبب تكرار للمكان وخلفيته رغم ان الحديث هو استكمال للحوار الذي سبقه غير ان هذا التكرار أفقد الحوار جماليته كما أفقد اللقطة معناها المتجدد.
- اما في الدقيقة (١١:٢٦) فكانت اللقطة العامة تستهدف تحريك (سنتر) الكرة كبداية للشوط الثاني وباستمرارية تمنح اللقطة مساحة أوسع لكشف المكان وطبيعة الصراع بين اللاعبين، وهي ايضاً في هذا التوقيت تعد لقطة تأسيس مقدمة لمجريات الشوط الثاني.
- وفي الدقيقة (١٢:٠٠) يعود المخرج الى اللقطة المتوسطة التي تجمع المقدم بمدرّب الفريق الاخضر ومن الجودة ان تكون الزاوية متغيرة وتختلف من الزاوية التي تم فيها اللقاء مع مدرّب الفريق الأزرق، لتكشف عبر اللقطة المتوسطة طبيعة أرضية الملعب والاجواء المحيطة به.
- أما في الدقيقة (١٢:٢٢) فقد ارتأى المخرج ان يقسم الصورة بين المدرب وجزء من مجريات المباراة (2 Window) لتكون النافذة الأولى التي هي على يمين المشاهد تحمل حواراً مع المدرب وفي النافذة التي على يسار المشاهد تنتقل مجريات احداث المباراة ليستمر حتى الدقيقة (١٣:٤٧).

- وفي الدقيقة (١٣:١٤) تعود اللقطة المتوسطة (2 Shot) ما بين أحد الضيوف المشرفين على المباراة ومقدم البرنامج ليكشف جانباً آخر من الملعب وبعض المتواجدين في خلفية الصورة.
- ثم استخدم (2 Window) في رسم ملامح المباراة في النافذة التي هي على يمين المشاهد، والضيف في نافذة ثانية على يسار المشاهد في الدقيقة (١٥:٠٠). وهي تكرر لما سبقها من لقطات دون اشارة جديدة في حركة اللقطات او انسيابيتها بما يمنحها بعداً جمالياً.
- في الدقيقة (١٧:٠١) عمد المخرج لاستخدام اللقطة العامة لكشف بعض مجريات المباراة، غير ان تلك اللقطة كانت من القرب، بحيث اضفت ملامح المكان او بعض تفاصيله التي قد تكون مهمة او تثير في نفس المشاهد تواصل معيناً، فضلاً عن ان تلك اللقطة العامة لم تحصر في اطرافها سوى بعض قليل من اللاعبين دون أي تأثير او إثارة تذكر.
- وفي الدقيقة (١٦:١٨)، وظّف المخرج نفس الصورة بنا (2 Window) ما بين اللاعب في الفريق الأخضر والتي كانت يمين الشاشة لتمنحه قوة في الحضور وما بين مجريات المباراة، إذ تم الحديث عن اللاعب ومركزه في الفريق وبعض الأسئلة المتعلقة بالمباراة وقد وضحت ملامح التعب على اللاعبين اثناء الحديث.
- وفي الدقيقة (٢٥:٢٨) ايضاً تم الانتقال الى لقطة متوسطة الغرض منها اجراء لقاء مع أحد لاعبي الفريق الأزرق، اذ تم كشف ما خلفه من لاعبين ومشجعين في مجاميع متفرقة في خلفية الصورة.
- وفي الدقيقة (٢٦:١١) تعود اللقطة الى الحجم المتوسط عبر المقدم وهو يختتم الحلقة اثناء لعب الكرة بين قدميه وهي لا تصلح ان تكون حجماً لهكذا حركة تشمل الجسم ككل ويفترض استخدام اللقطة المتوسطة ثم القطع بكاميرا أخرى بعد الانتهاء من الحركة كأن تكون قريبة. او قد تكون لقطة عامة للايحاء بالبداية والنهاية.
- أتضح من النسب الخاصة بتوزيع اللقطات في برنامج (أزقة الملاعب). ان اللقطة العامة حصلت على نسبة (٢٧٪). وحصلت اللقطة المتوسطة على نسبة (٦٣٪) فيما حصلت اللقطة القريبة على نسبة (٩٪) ينظر الجدول رقم ١

الجدول رقم ١ يوضح توزيع اللقطات

سبة المئوية	تكرار	جم اللقطة
٢٪		لقطة العامة
٦٪	١	لقطة المتوسطة
٪		لقطة القريبة
١٠٪	٢	مجموع

■ أتضح من النسب الخاصة بتوزيع اللقطات في برنامج (ازقة الملاعب) ان اللقطة العامة تم توظيفها بنسبة (٢٨٪) وحصلت اللقطة المتوسطة على نسبة (٧١٪) اما اللقطة القريبة فقد حصلت على نسبة (٠٪) من ناحية التوظيف ينظر الجدول رقم ٢

الجدول رقم ٢ يوضح توظيف اللقطات

نجم اللقطة	تكرار	سبة المئوية
لقطة العامة		٢٪
لقطة المتوسطة	١	٧١٪
لقطة القريبة		٪
مجموع	١	١٠٪

■ أتضح من النسب الخاصة بأبرز القضايا التي تناولتها اللقطات في برنامج (ازقة ملاعب) ان عنصر ارضية الملاعب (المكان) حصل على نسبة (٢٤٪) فيما حصل عنصر الصراع داخل الملعب على نسبة (٦٪). وجاءت طبيعة الديكور وكثافة الجمهور بنسبة (٦٪) ايضا. اما موضوعة. التشكيلة والالوان للفريقين فقد حصلت على نسبة (٣٪) وحصلت لقطات اجواء الملعب (اللاعبين والجمهور) على نسبة (١٢٪). وجاءت نسبة ضيوف البرنامج ب (٢١٪) اما مهارات اللاعبين ومجريات المباراة فقد حصلت على نسبة (٦٪) وحصل ظهور مقدم البرنامج على نسبة ١٥٪ ينظر الى الجدول رقم ٣

جدول رقم ٣ يوضح ابرز القضايا التي تناولتها اللقطات في برنامج (ازقة الملاعب)

قضايا	تكرار	سبة المئوية
مكان (ارضية الملعب)		٢٪
صراع داخل الملعب		٪
بيعة الديكور		٪
كثافة الجمهور		٪
تشكيلة والالوان للفريقين		٪
جواء الملعب واللاعبين		١٪
ضيوف البرنامج		٢٪
مهارات اللاعبين ومجريات المباراة		٪

هور مقدم البرنامج	١٪	
مجموع	١٠٪	٣

*ازدياد عدد اللقطات بفعل اشتغالها العشوائي من قبل المخرجين وتكرارها المستمر لاكثر من حجم دون الاهمية للوظائف العلمية التي اتفق عليها المنظرون في مجالي السينما والتلفزيون وهذا ينطبق على الجدول رقم ٤

برنامج (Live Sport)

إعداد وتقديم/ أسامة الكاظم خضير

إخراج/ مؤيد الفرطوسي

انتاج/ قناة الأيام الفضائية ٢٠١٨.

نوع البرنامج (رياضي، مباشر/ استوديو)

- يعد برنامج (Live Sport)، من البرامج التفاعلية والتواصلية كونه برنامج رياضي مباشر يستضيف اصحاب الشأن والاختصاص في الحقول الرياضية داخل الاستوديو مع استقبال الاتصالات الهاتفية من المشاركين سواء أكانوا رياضيين او متابعين لشؤون الرياضة.

إذ يحاول البرنامج تسليط الضوء على المشاكل العالقة في جميع الألعاب وتحديد تلك المشكلات وطبيعة تأثيرها على الواقع الرياضي العراقي.

■ غالباً ما يبدأ البرنامج من وجهة نظر المخرج بلقطة متوسطة تمنح تأسيساً جمالياً لصورة المقدم وطبيعة الديكور والتركيز على موضوع الحلقة كما في الدقيقة (٩٧:٠٠) والتي جعلت المقدم يمين الكادر وشعار البرنامج (لوگو) على يسار المشاهد. في حين ان البرنامج التلفزيوني اياً كان نوعه يفترض ان يبدأ بلقطة عامة لاشعار المتلقي بمكان البرنامج هل هو (رياضي، سياسي، اقتصادي.. الخ) باعتبار ان الوظيفة الاساسية للقطعة العامة هي كشف المكان بكل محتوياته وزخارفه.

■ ينتقل البرنامج الى فاصل رياضي ومن ثم الى استطلاع اجري في إحدى ملاعب كرة السلة. ففي الدقيقة (٤٢:١) عمد المخرج الى التركيز على شبكة (السلة) وتصوير الكرات وهي تدخل الشبكة بلقطة قريبة ثم الانتقال الى اللقطة العامة. وهنا لا بد من توضيح ذلك بأن استخدام اللقطة المتوسطة ضروري بدل اللقطة القريبة لأنها تضعنا في رؤية واضحة للموضوع بعدها من الممكن الانتقال الى اللقطة القريبة وادخال الكرات في عمق الشبكة.

■ في الدقيقة (٤٧:١٠) تم الانتقال الى اللقطة العامة لعمليات تمارين يجريها منتخب الخطوط لكرة السلة في جهة ملعبه على الأرض (التارتان) ومن ثم الى لقطة عامة

لمجريات المباراة في الدقيقة (٦:٢) مما سبب خللاً واضحاً عبر الانتقال من لقطة عامة الى لقطة مماثلة دون المرور باللقطة المتوسطة. وهذا الخطأ أحدث (قفزة) على مستوى الصورة (Jump).

■ في الدقيقة (١١:٢) انتقل بنا المخرج الى لقطة متوسطة ليوضح من خلالها لقاءً مع (محمد النجار/ مدرب الكرخ) ويظهر خلفه بعض الكادر التدريبي ولاعبى الاحتياط. وما تم توضيحه من خلال المادة التصويرية بأن المدرب كان يسار الكادر لينتقل بعدها بلقاء مع (حسين علاء - مدرب الخطوط) على ذات الجهة اليسرى من المشاهد في الدقيقة (٢٢:٣) وهذا خلل جمالي أيضاً. إذ يجب ان تكون اللقطة وان كانت بنفس الحجم فيفترض ان تكون من الجهة الأخرى (يمين - يسار). بعدها تم الانتقال الى لقطة متوسطة مع احد لاعبي الكرخ (ايهاب حسن). وهنا انتبه المخرج الى وضع اللاعب يمين الكادر في الدقيقة (١٦:٤) على عكس اللقطتين السابقتين. ليعود نفس الخطأ الجمالي بوضع لاعب الخطوط مرة اخرى يمين الكادر وهو اللاعب (زياد خلف/ نادي الخطوط) في الدقيقة (٥١:٤).

■ في الدقيقة (٢٧:٥)، عمد المخرج الى العودة للقطة المتوسطة بنفس الحجم السابق ولم يتم تغيير أي من ابعادها، إذ بقيت على حجمها السابق دون اضافة أي حركة او زاوية النقاط.

■ انتقل المقدم بنا الى استطلاع اجري للاحتفاء بأبطال البارالمبية للمعاقين بتحقيقهم انجازات قارية وعالمية. إذ استخدمت اللقطات المتعددة منها القريبة والمتوسطة والعامة. ففي البداية تم استعراض الحضور في قاعة كبيرة بلقطة عامة (تأسيسية) كاشفة عن المكان في الدقيقة (١٢:٧).

■ وفي الدقيقة (٣٤:٧) تم استخدام اللقطة المتوسطة باللقاء مع (حيدر مجيد - نائب رئيس بعثة جاكارتا) كاشفاً توضيحاً بسيطاً لما خلف الضيف، ثم بلقطات عامة تكشف طبيعة المسؤولين في وزارة الشباب والرياضة وهم يكرمون بعض اللاعبين في الدقيقة (٥٥:٧).

■ في الدقيقة (٦:٨) انتقلت اللقطة الى قريبة اثناء لقاء احدى بطلات لعبة الكراسي. إذ ركزت اللقطة على حجم الفرحة للبطلة بهذا التكريم عبر تعبيراتها التي انعكست على وجهها لان من وظائف اللقطة القريبة هي إبراز أدق التفاصيل في وجه الأشخاص.

■ ثم الانتقال من لقطة متوسطة (للمقدم) الى لقطة متوسطة (للضيف) وهو رئيس اتحاد المبارزة العراقي (زياد حسن) دون المرور بحجم آخر يبرر الانتقال.

■ حاول المخرج كسر الايقاع الصوري بانتقاله الى لقطة عامة تجمع المقدم والضيف كاشفاً من خلالها الطاولة والكراسي والخلفيات التي تقع خلف المقدم والضيف فضلاً عن الأرضية (التارتان) في الدقيقة (٢٩:١٣).

■ وفي الدقيقة (٠٠:١٤) حتى الدقيقة (٤٩:١٨) يستمر الانتقال ما بين لقطة متوسطة للضيف وما بين مقدم البرنامج مما سبب ترهلاً في ايقاع الصورة ومن ثم أفقدها جمالياتها.

- إغفال المخرج للقطات القريبة واعتماد اللقطات العامة والمتوسطة في كشف انفعالات الضيف خصوصاً في الدقيقة (٣٤:٤١).
- وفي تقرير عن لعبة المباراة تم استخدام اللقطات العامة والمتوسطة دون المرور بالقطات القريبة وبذلك تم إغفال الكثير من الانفعالات والتفاصيل التي لا تظهر الا باللقطة القريبة.
- وفي استعراض للقاء مع أحد أبطال أسياك جاكارتا اللاعب (جراح نصار) وهو يرفع ميداليته الذهبية لم يعمد المخرج الى التركيز باللقطة القريبة للكشف عن تفاصيل الميدالية او الكشف عن التظلم الذي يتحدث به هذا اللاعب عن صدور (أمر ديواني) بمنحه قطعة أرض دون التنفيذ حتى الآن وكان الأولى استخدام اللقطات القريبة للكشف عن ردود فعل ذلك اللاعب بتفاصيلها الدقيقة.
- لتستمر الحلقة متأرجحة ما بين لقطة متوسطة ولقطة عامة حتى ختام البرنامج على لسان مقدمه في الدقيقة (٤٨:١٠).
- اتضح من النسب الخاصة بتوزيع اللقطات في برنامج (Live Sport) بأن اللقطة العامة حصلت على نسبة (٢٩٪). وحصلت اللقطة المتوسطة على نسبة (٥٨٪) فيما حصلت اللقطة القريبة من ناحية التوزيع على نسبة (١٢٪). ينظر الجدول رقم ٤

جدول رقم ٤ يوضح توزيع اللقطات في برنامج (Live Sport)

جم اللقطة	تكرار	نسبة المئوية
لقطة العامة		٢٪
لقطة المتوسطة	١	٥٪
لقطة القريبة		١٪
مجموع	٢	١٠٪

- اتضح من النسبة الخاصة بتوضيح اللقطات واشتغالها في عينة البحث حصول اللقطة العامة على نسبة (٤١٪). اما اللقطة المتوسطة على نسبة (٥٨٪) وقد حصلت اللقطة القريبة على نسبة (١٢٪) ينظر الى رقم الجدول ٥

جدول رقم ٥ يوضح توزيع اللقطات في برنامج (Live Sport)

جم اللقطة	تكرار	نسبة المئوية
لقطة العامة		٤٪
لقطة المتوسطة		٤٪
لقطة القريبة		١٪
مجموع	١	١٠٪

- أتضح من النسب الخاصة بأبرز القضايا التي تناولتها اللقطات في برنامج (Live Sport) بأنه عنصر طبيعة الديكور وكشف المكان وتأسيس جماليات الصورة قد حصل على نسبة (٢٥٪). أما اظهار ملاعب كرة السلة فقد حصل على نسبة (١٠٪) أيضا وظهرت موضوعة ادخال الكرات للشبكة بنسبة (١٠٪) ايضا . وهي نفس النسبة التي حصلت عليها مهارات اللاعبين ومجريات المباراة . وحصل ظهور اللاعبين والمدربين على نسبة (١٠٪). أما ظهور كشف الانفعالات فقد حصل على نسبة (٥٪). وحصل ظهور مقدم البرنامج والضيف على نسبة (٣٠٪). ينظر الجدول رقم (٦)

جدول رقم (٦) يوضح ابرز القضايا التي تناولتها اللقطات

نسبة المئوية	تكرار	قضايا
٢٪		بيعة الديكور وكشف المكان تأسيس جماليات الصورة
١٪		لاعب كرة السلة
١٪		خال الكرات للشبكة
١٪		هارات اللاعبين ومجريات المباراة
١٪		لاعبين والمدربين
٣٪		مقدم والضيف
٪		كشف الانفعالات
١٠٪	٢	مجموع

الفصل الرابع نتائج البحث ومناقشتها

- ١- توزعت اللقطات في البرنامجين الرياضيين ما بين المتوسطة والعامة وعدم استخدام او انعدام اللقطة القريبة فيها.
- ٢- لقد وظف البرنامجين اللقطات العامة للتأسيس وان بدت في بعض اللقطات عشوائية دون بناء جمالي.
- ٣- تم توظيف المونتاج لتجاوز أخطاء توزيع اللقطات واحجامها.

- ٤- تم كشف الأمكنة في البرنامجين الداخلي والخارجي التسجيلي والمباشر ولكن بطريقة غير مكتملة ضيعت بعض تفاصيل المكان.
- ٥- اللقطات العامة وضحت الصراع بين الفرق المتبارية.
- ٦- تم توظيف اللقطة المتوسطة وبتكرار السرد القصة والحدث والموضوع.
- ٧- لم يتم توظيف اللقطة المتوسطة كعامل انتقال ما بين اللقطة القريبة واللقطة العامة.
- ٨- عدم استثمار اللقطة القريبة في البرنامجين الرياضيين.
- ٩- كانت هناك الكثير من التفاصيل غفل عنها البرنامجين وخسر الكثير بعدم التركيز عليها.
- ١٠- غياب المساحة الجمالية في غالب اللقطات المتوسطة وكذلك العامة.

الاستنتاجات

- ١- عدم وجود مخرج حقيقي خلف تلك البرامج.
- ٢- عدم إعطاء أهمية كبيرة لحجوم اللقطات.
- ٣- عدم دراسة الموضوع قبل الشروع بالتصوير.
- ٤- انعدام فاعلية الجمال في فضاء الصورة ذات اللقطة الواحدة أو اللقطات المتعددة.
- ٥- ضياع القيمة الوصفية بغياب اللقطة القريبة.
- ٦- لم يتم التركيز على المحتوى لعدم استخدام وتوظيف اللقطة القريبة.

المقترحات

- يقترح الباحث ما يأتي:-
- ١- وضع سيناريو تنفيذي قبل تنفيذ أي برنامج رياضي.
 - ٢- توزيع مهام للمصورين ابتداءً من زوايا التصوير الى حجم اللقطات الى حركة الكاميرات ونوعية اللقطة.

التوصيات

- يوصي الباحث بإجراء بحث تحت عنوان:-
فاعلية السيناريو التنفيذي في جودة إخراج البرامج الرياضية.

الهوامش

- ١- أنيس، (ابراهيم)، وآخرون، المعجم الوسيط، بغداد: (مكتبة الشروق الدولية)، ٢٠٠٤، ص ٦٧٠.
- ٢- المعجم الوسيط (١٠٤٢/٢).
- ٣- البرعي: د.محمد، والتويجري: د.محمد/ معجم المصطلحات الادارية (صفحة ١٨٥ – فقرة: ٤٤٢) مكتبة العبيكان – الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.

- ٤- العثيمين/ أخلاقيات الإدارة في الوظيفة العامة وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية (٦٥) وحبيش/ الوظيفة العامة وإدارة شؤون الموظفين – نشر المنظمة العربية للعلوم الإدارية (٧).
- ٥- دالي، (كين)، الأساليب الفنية في الانتاج السينمائي، تر: عصام المصري، بيروت: (الدار العربية للموسوعات)، ١٩٨٧، ص ١٩٦.
- ٦- بنجيل، (جوناثان)، وجيرمي أورليبار، المرجع الشامل في التلفزيون، تر: عبد الحكم الخزامي، القاهرة: (دار الفجر للنشر والتوزيع)، ٢٠٠٧، ص ٤٩٥.
- ٧- سلمان، (عبد الباسط)، السيناريو والنص، بغداد: (الدار الجامعية للطباعة والنشر)، ٢٠١٢، ص ١٢٥.
- ٨- ينظر: شريف، (دريد)، التوليف وتأثيره الدرامي في الفيلم الروائي، اطروحة ماجستير غير منشورة، بغدا، (كلية الفنون الجميلة – جامعة بغداد)، ١٩٨٦، ص ٦٤.
- ٩- الياسري، (عمار ابراهيم)، البرامج التفاعلية التلفزيونية، عمان: (دار الرضوان للنشر والتوزيع)، ٢٠١٤، ص ٨٣.
- ١٠- ياسين، (ياسين فضل)، الاعلام الرياضي، عمان: (دار اسامة للنشر والتوزيع)، ٢٠١١، ص ٣٢.
- ١١- دي جانيني، (لوي)، فهم السينما، تر: جعفر علي، بغداد: (دار الرشيد للنشر)، ١٩٨١، ص ٢٦.
- ١٢- عبد النبي (سليم) الاعلام التلفزيوني: عمان (دار اسامة للنشر والتوزيع)، ٢٠١٠، ص ٢٥٤.
- ١٣- بنجيل، (جوناثان)، وجيرمي اورليبار، المرجع الشامل في التلفزيون، مصدر سابق، ص ٤٩٥.
- ١٤- شلبي (أكرم)، الانتاج وفنون الاخراج: جده (دار الشروق ٢٠٠٨، ص ٧٢.
- ١٥- دي جانيني (لوي) فهم السينما، مصدر سابق، ص ٢٦.
- ١٦- عبد النبي (سليم)، الاعلام التلفزيوني، مصدر سابق، ص ٢٥٥.
- ١٧- دي جانيني (لوي) فهم السينما، مصدر سابق، ص ٢٦.
- ١٨- بنجيل، (جوناثان)، وجيرمي اورليبار، المرجع الشامل في التلفزيون، مصدر سابق، ص ٤٧٨.
- ١٩- شلبي (اكرم)، الانتاج التلفزيوني وفنون الاخراج، مصدر سابق، ص ٦٧.
- ٢٠- دي جانيني (لوي) فهم السينما، مصدر سابق، ص ٢٧.
- ٢١- عبد النبي (سليم)، الاعلام التلفزيوني، مصدر سابق، ص ٢٥٥.
- ٢٢- وهبي (ابراهيم) الخبر الاذاعي، القاهرة، (دار الفكر) ١٩٨٠، ص ١١٧- ١١٨.
- ٢٣- خضور، (أديب) الاعلام الرياضي، دمشق: (المكتبة الاعلامية) ١٩٩٤، ص ٣٢٤.

- ٢٤- مرسى، (أحمد كامل)، مجدي وهبة، معجم الفن السينمائي، القاهرة: (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣)، ص٢٠٣.
- ٢٥- الحضري، (احمد)، فن التصوير السينمائي، بيروت: (المركز العربي للثقافة والعلوم)، ب ت، ص٦٦.
- ٢٦- البمي، (حماد)، فن الاخراج التلفزيوني، بيروت: (المركز العربي للثقافة والعلوم)، ب ت، ص٧٣.
- ٢٧- مرزوق، (يوسف)، فن الكتابة للاذاعة والتلفزيون، الاسكندرية، (دار المعرفة الجامعية) ١٩٨٨، ص٢٧.
- ٢٨- برتز، (رودي)، الأساليب الفنية في الانتاج التلفزيوني: تر: انور محمد خورشيد، القاهرة (عالم الكتب)، ١٩٧٠، ص٤٨.
- ٢٩- خضور، (اديب) الاعلام الرياضي، دراسة علمية للتحريير الرياضي في الصحافة والاذاعة والتلفزيون، دمشق (المكتبة الاعلامية) ١٩٩٤، ص٢٥١.
- ٣٠- مرسى (احمد كامل) ومجدي وهبة، معجم الفن السينمائي، مصدر سابق، ص٢١٤.
- 31- Wartzel, alan, TV, production, sinjaporg mj, Frawt Lill Book, co, 1985, p.96.
- ٣٢- مرزوق، (يوسف) فن الكتابة للاذاعة والتلفزيون، مصدر سابق، ص٤٣.
- ٣٣- البمي (حماد)، فن الاخراج التلفزيوني، مصدر سابق، ص٧٣.
- 34- Wartzel, alan, TV, production, , p.97.
- ٣٥- دي جانيني (لوي) فهم السينما، مصدر سابق، ص٢٧.
- ٣٦- مرزوق (يوسف)، فن الكتابة، مصدر سابق، ص٤٦.
- ٣٧- شلبي (كرم) فن الكتابة للاذاعة والتلفزيون: جدة (دار الشروق)، ١٩٨٧، ص٣١٨.